تفسير
كتاب الله العزيز

للشيخ هود بن محكم الهواري

من علماء القرن الثالث الهجري

حققه وعلق عليه

بالحاج بن سعيد شريفي

الجزء الرابع



تفسير

كتاب الله العزيز

الجزء الرابع

تفسير

كتاب الله العزيز

للشيخ هود بن محكم الهواري

من علماء القرن الثالث الهجري

حققه وعلق عليه

بالحاج بن سعيد شريفي

الجزء الرابع



الطبعة الأولى

1990

دار الغرب الإسلامي

ص. ب: 5787 - 113
بيروت - لبنان

تفسير سورة صٓ، وهي مكية كلها[1]

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾. قوله: ﴿ صٓ ﴾. قال بعضهم: يعني صادق كقوله: (كٓهيعٓصٓ) [مريم: 1] أي: كاف، هاد، عالم، صادق. ﴿ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾ أي: الذكر فيه، والذكر: البيان.

﴿ بَلِ الذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾. وهذا قسم. أي: (وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ بَلِ الذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ) أي: في تعزّز وفراق للنبي عليه السلام وما جاء به. وقال بعضهم: (وَشِقَاقٍ) أي: اختلاف.

قال: ﴿ كَمَ اهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِم ﴾ أي: من قبل قومك يا محمد ﴿ مِّنْ قَرْنٍ ﴾ أي: من أمة ﴿ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾ أي: فكذّبوا رسلهم فجاءهم العذاب، فنادوا بالتوبة وبأن (قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) [الأنبياء: 14] وفرّوا من قريتهم.

وهو كقوله: (فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ) قال الله: (فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا) [غافر: 84] أي عذابنا. وكقوله: (وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَت ظَالِمَةً) أي: مشركة (وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً آخَرِينَ فَلَمَّا

---

(1) يبتدىء من هذه السورة الربع الأخير من تفسير القرآن الكريم المنسوب للشيخ هود بن محكم الهواري. وأنا أحققه في هذه الأوراق الأولى من مخطوطة واحدة، هي مخطوطة ع، لأن مخطوطة ق لا تبتدىء في هذا الربع إلا من قوله تعالى في سورة الزمر، الآية 50 : (قَدْ قَالَهَا الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ). وأقابل هاتين المخطوطتين بمصوّرة مخطوطة ابن أبي زمنين، وفيها مختصر تفسير ابن سلام.

أحسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ) أي: يفرّون. (لَا تَرْكُضُوا) يقول: لا تفرّوا (وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ) أي: من دنياكم. يستهزىء بهم، أي: لا يكون ذلك. يقول: (قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) [الأنبياء: 11-14].

قال: (فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ) أي: ليس حين فرار ولا حين تقبل التوبة [فيه][1]. ذكروا عن أبي إسحاق الهمداني عن رجل من بني تميم قال: سألت ابن عباس عن قوله: (وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ) قال: الحين ليس بنَزْوٍ ولا فرار[2].

قال: ﴿ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ﴾ رجع الكلام إلى قوله: (كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قبلهم من قرن) أخبر كيف أهلكهم. قال: وعجبوا أن جاءهم منذر منهم أي: محمد ﷺ لينذر من النار ومن عذاب [الله في][3] الدنيا.

﴿ وَقَالَ الْكَٰفِرُونَ ﴾ أي: الجاحدون ﴿ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ يعنون محمداً ﷺ. ﴿ أَجَعَلَ الْأَلِهَةَ إِلَٰهاً وَٰحِداً ﴾ على الاستفهام منهم، أي: قد فعل حين دعاهم إلى عبادة الله وحده. ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ أي: عَجَبٌ، وعُجْب، وعُجَاب، كله واحد[4].

﴿ وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ ءَالِهَتِكُمْ ﴾ أي: على عبادتها ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴾.

وذلك أن رهطاً من أشراف قريش مشوا إلى أبي طالب فقالوا: أنت شيخنا

---

(1) زيادة من ز، ورقة 291.

(2) جاءت العبارة في ع هكذا غير واضحة: «الحين ليس نوراً ولا فرار»، وفي زاد المسير لابن الجوزي جاءت العبارة هكذا: «ليس حين يروه فرار»، وفي كلتيهما خطأ وفساد. وأثبت ما جاء في تفسير القرطبي وفي تفسير الطبري: «ليس بحين نزو ولا فرار». ولست مطمئناً للكلمة: «نزو» وإن قيل: إن معناها «نوع من العدو»، ومن معانيها أيضاً الوثب.

(3) زيادة من ز، ورقة 291.

(4) وزاد الفراء في معاني القرآن، ج 2 ص 299: «عُجَّاب» وقال. . . كل نعت نعتّ به اسماً ذكراً أو أنثى أتاك على فُعَال مشدّداً ومخففاً فهو صواب».

وكبيرنا وسيّدنا في أنفسنا، وقد رأيت ما فعلت هذه السُّفَهَةُ، يعنون المؤمنين. وقد أتيناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك. فأرسل أبو طالب إلى النبي ﷺ فجاءه فقال: هؤلاء قومك وذوو أسنانهم وأشرافهم يسألونك السواء[1]، فلا تمل على قومك كل الميل. فقال رسول الله ﷺ: وماذا يسألونني؟ فقالوا له: ارفضنا من ذكرك وارفض آلهتنا وندعك وإلهك. فقال لهم رسول الله ﷺ: أتعطونني أنتم كلمة واحدة تدين لكم بها العرب وتملكون بها العرب والعجم. فقال أبو جهل: لله أبوك، نعم، وعشرَ أمثالها. فقال لهم رسول الله ﷺ: قولوا: لا إله إلا الله[2]. فنفروا منها وقاموا وقالوا: (أَجَعَلَ الْأَلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ).

﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْأٓخِرَةِ ﴾.

تفسير الكلبي: النصرانية[3]. وقال الحسن: يقولون ما كان عندنا من هذا من علم، إن هذا لشيء خرج في زماننا هذا، يعنون بالملة الآخرة: في آخر زماننا. وقال مجاهد: (المِلَّة الآخِرَة) [ملة][4] قريش. ﴿ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَٰقٌ ﴾ أي: كذب اختلقه محمد. ﴿ أَءُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ ﴾ يعنون القرآن، وهو على الاستفهام، ﴿ مِنْ بَيْنِنَا ﴾ أي: لم ينزل عليه، إنما هو اختلاق اختلقه محمد فافتعله.

قال الله تعالى: ﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ ذِكْرِي ﴾ أي: من القرآن الذي جئتهم به. ﴿ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴾ أي: لم يأتهم عذابي بعدُ. كقوله: (وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُّومِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ) من الشرك (إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ) [الكهف: 55] أي: بالعذاب. وقد أخّر عذاب كفار آخر هذه الأمة الدائنين بدين أبي جهل

(1) في ع: «يسألونك السؤال» وهو خطأ صوابه ما أثبته: «السَّواء» أي: العدل والنَّصَف.

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير ج 23 ص 125 عن ابن عباس كما أخرجه الترمذي والبيهقي في الدلائل، وانظر الدر المنثور ج 5 ص 295، والواحدي، أسباب النزول ص 286-287.

(3) وهو قول نسب أيضاً إلى قتادة ومجاهد، كما في الدر المنثور ج 5 ص 299.

(4) زيادة من تفسير مجاهد، ص 547.

وأصحابه إلى النفخة الأولى بها يكون هلاكهم. وقد أهلك أوائلهم أبا جهل وأصحابه بالسيف يوم بدر.

قال: ﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴾ أي: فيعطوا النبوّة من شاءوا ويمنعوها من شاءوا، أي: ليس ذلك عندهم.

قال: ﴿ أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ على الاستفهام، أي: ليس لهم من ملكها وما بينهما شيء. قال: ﴿ فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَٰبِ ﴾، أي: في طريق السماء، في تفسير مجاهد وبعضهم يقول: في أبواب السماء إن كانوا يقدرون على ذلك، أي: لا يقدرون على ذلك[1].

قوله: ﴿ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ ﴾ أي: جند هنالك، وهي كلمة عربية: ما هنالك، [وما صلة زائدة][2]. ﴿ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ﴾. أي: تحازبوا على الله ورسوله يحاربون محمداً ﷺ فهزمهم يوم بدر. كقوله: (نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ) [القمر: 44-45] أي: يوم بدر. [يخبر بأن محمداً عليه السلام سيهزمهم يوم بدر][2]. نزل هذا بمكة قبل أن يهاجر النبي عليه السلام إلى المدينة.

قوله: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴾. قال بعضهم: كان إذا غضب على أحد أَوْتَدَ أربعة أوتاد على يديه ورجليه. قال: ﴿ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ﴾ يعني قوم شعيب. والأيكة الغيضة. وقد فسّرنا أمرهم في سورة الشعراء[3]. ﴿ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ ﴾. يعني به كفار من ذكر تحزّبوا على أنبيائهم.

---

(1) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 177-178: «(فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ) تقول العرب للرجل الفاضل في الدين: قد ارتقى فلان في الأسباب؛ والسبب الحبل أيضاً، والسبب أيضاً ما تسببت به من رَحِمٍ أو يد أو دين. وقال النبي ﷺ: كل سبب ونسب يوم القيامة منقطع إلا سببي ونسبي، والمسلم إذا تقرب إلى رجل ليس بينهما نسب قال: إن الإسلام أقوى سبب وأقرب نسب».

(2) زيادة من ز، ورقة 292.

(3) انظر ما سلف، ج 3 ص 166.

﴿ إِنْ كُلٌّ ﴾ يعني من أهلك ممن مضى من الأمم السالفة ﴿ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴾ يعني عقوبته إياهم بالعذاب.

قال: ﴿ وَمَا يَنْظُرُ هَٰؤُلَاءِ ﴾ يعني كفار آخر هذه الأمة ﴿ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴾ يعني النفخة الأولى بها يكون هلاكهم ﴿ مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ﴾ أي: رجوع إلى الدنيا، أي: ما لها من انقطاع، أي: دون أن تكون. وقال مجاهد: ما لها من رجوع. وقال الحسن: من رجعة. وقال الكلبي: ما لها من نَظِرَة، أي: من تأخير[1].

﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ وذلك منهم استهزاء وتكذيب، لا يقرون بيوم الحساب، ولا بأن العذاب يأتيهم في الدنيا.

تفسير الحسن ومجاهد: (عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا) أي: عجّل لنا عذابنا. وقال الحسن هو قوله: (اِيتِنَا بِعَذَابِ اللهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) [العنكبوت: 29] وكقولهم: (اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) [الأنفال: 32].

وتفسير الكلبي: قالوا ذلك حين ذكر الله في كتابه: (فَأَمَّا مَن أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ... وَأَمَّا مَنْ اوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ) [الحاقة: 19 و 25] والقِطّ: الصحيفة التي فيها الكتاب[2]. أي عجّل لنا كتابنا الذي يقول محمد حتى نعلم أبيميننا نأخذ كتابنا أم بشمالنا، أي: إنكاراً لذلك واستهزاء.

قال الله: ﴿ اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ ﴾ أي: ذا القوة في أمر الله في تفسير بعضهم. وقال الحسن: ذا قوة في العبادة. ﴿ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ أي:

---

(1) قال الفراء في المعاني ج 2 ص 400: «وقوله: (مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ) من راحة ولا إفاقة. وأصله من الافاقة في الرضاع إذا ارتضعت البهم أمها ثم تركتها حتى تنزل شيئاً من اللبن، فتلك الإفاقة والفُواق بغير همز. وجاء عن النبي ﷺ أنه قال: العيادة قدر فواق ناقة. وقرأها الحسن وأهل المدينة وعاصم بن أبي النجود (فَوَاقٍ) بالفتح وهي لغة جيدة عالية...».

(2) كذا في ع وهو صحيح، قال الفراء: «القطّ: الصحيفة المكتوبة»، وهو واحد. يقال: كتب كتباً وكتاباً وكتابة.

مسبّح في تفسير مجاهد. وقال الكلبي: راجع منيب، أي: راجع تائب.

قال: ﴿ إِنَّا سَخَّرنا الجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ ﴾ أي: حين تشرق الشمس.

ذكروا عن أيوب بن صفوان أن ابن عباس دخل على أم هانىء، فأخبرته أن رسول الله ﷺ دخل عليها فصلّى في بيتها ثمان ركعات بعدما ارتفع النهار. فخرج ابن عباس من عندها وهو يقول: لقد قرأت ما بين اللوحين فما عرفت صلاة الضحى إلا الساعة: (يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ) وكنت أقول: أي صلاة صلاة الإشراق، ثم قال: هذه صلاة الإشراق.

وذكروا عن زيد بن أرقم أن رسول الله ﷺ دخل مسجد قباء فرآهم يصلّون حين إشراق الشمس فقال: إن الأوّابين كانوا يصلون إذا رمضت الفصال[1].

قال الحسن: كان والله قد سخّر مع داوود جميع ما خلق الله من الجبال يسبّحن معه، وكان يفقه تسبيحها وتسمعه جميع جبال الدنيا.

﴿ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً ﴾ أي: تحشر بالغداة والعشيّ يسبحن معه. كقوله: (وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ) [الأنبياء: 79]. وقوله: (مَحْشُورَةً) أي مجموعة ﴿ كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴾ أي: مطيع.

قوله: ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءاتَيْنَهُ ﴾ أي: أعطيناه ﴿ الْحِكْمَةَ ﴾ أي: النبوة ﴿ وَفَصْلَ الخِطَابِ ﴾ أي الفهم في القضاء وفصل الخطاب. قال الحسن: العدل في القضاء.

ذكر حميد الأعرج أن ابن عباس قال: (وَفَصْلَ الخِطَابِ) البيّنة على المدّعي واليمين على المدّعىٰ عليه.

(1) حديث صحيح أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الأوابين حين ترمَض الفِصال. (رقم 748)، وأخرجه البغوي في شرح السنة، ج 4 ص 45، باب وقت صلاة الضحى بلفظ: صلاة الأوابين إذا رمِضت الفِصال من الضحى.

ذكروا عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: المدّعى عليه أولى باليمين إذا لم تكن بيّنة[1].

ذكروا عن عطاء بن السايب عن أبي يحيى عن ابن عباس أن رجلين اختصما إلى النبي ﷺ فكلّف المدعِيَ البينةَ، فلم تكن له بينة، فاستحلف المدَّعى عليه بالله الذي لا إله إلا هو ما عليه حق. فنزل عليه جبريل عليه السلام وقال: يُرَدّ على الرجل ماله وكفارته شهادته، أو قال: معرفته أن لا إله إلا الله.

وبعضهم يقول: فصل الخطاب: أما بعد.

ثم استأنف وقال: ﴿ وَهَلۡ أَتَاكَ نَبَؤُاْ الۡخَصۡمِ ﴾ أي: خبر الخصم، أي: إنك لم تعلمه حتى أعلمتك. ﴿ إِذۡ تَسَوَّرُواْ الۡمِحۡرَابَ ﴾ أي: المسجد. ﴿ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡ قَالُواْ لَا تَخَفۡ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٍ فَاحۡكُم بَيۡنَنَا بِالۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ ﴾ أي: ولا تَجُر ﴿ وَاهۡدِنَا ﴾ أي: وأرشدنا ﴿ إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَٰطِ ﴾. أي: إلى قصد الحق. وقال بعضهم: إلى سواء الصراط، أي: إلى عدل القضاء.

﴿ إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً ﴾ أي: امرأة ﴿ وَلِيَ نَعۡجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا ﴾ [أي انزل عنها لي وضُمَّها إليّ][2]. ﴿ وَعَزَّنِي ﴾ أي: وغلبني وقهرني.

---

(1) لم أجده بهذا اللفظ وبهذا السند. وأخرج الدارقطني في كتاب الأقضية والأحكام بسند «عن علي رضي الله عنه قال: المدَّعى عليه أولى باليمين فإن نكل أحلف صاحب الحق وأخذ». ولكنه لم يرفعه. وقد ضُعِّف الحديث. وفي حديث آخر مرسل: «عن سالم بن غيلان التجيبي أن رسول الله ﷺ قال: من كانت له طَلِبَة عند أحد فعليه البيِّنة والمطلوب أولى باليمين، فإن نكل حلف الطالب وأخذ». وروى الدارقطني في الكتاب نفسه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: المدّعِي أولى بالبينة. والحديث الصحيح المحفوظ في الباب ما رواه أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: البيّنة على من ادعى واليمين على من أنكر. انظر مسند الربيع بن حبيب، كتاب الأحكام (رقم 592) وأخرجه مسلم في كتاب الأقضية، باب اليمين على المدّعى عليه عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قضى باليمين على المدّعى عليه. (رقم 1711).

(2) زيادة من ز، ورقة 293.

وهي تقرأ على وجه آخر: وعازني ﴿ فِي الخِطَابِ ﴾ وتفسير ذلك بعد هذا الموضع.

﴿ قال لَقَد ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّهُ ﴾ أي: ابْتَلَيْنَاهُ ﴿ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً ﴾ والركوع هاهنا هو السجود ﴿ وَأَنَابَ ﴾ أي: وأقبل إلى الله بالتوبة والدعاء.

وتفسير الحسن أن داوود جمع عُبّاد بني إسرائيل فقال: أيكم كان يمتنع من الشيطان يوماً لو وكله الله إلى نفسه؟ فقالوا: لا أحد إلا أنبياء الله. قال: فكأنه خطر في الوهم شيء.

قال: فبينما هو في المحراب في يوم صلاته، والحرس حوله والجنود، فبينما هو يصلي، إذا هو بطير حسن قد وقع في شرفة من شرفات المحراب. قال بعضهم: حمامة من ذهب، وبعضهم يقول: طير جؤجؤه من ذهب، وجناحاه ديباج، ورأسه ياقوتة حمراء، فأعجبه. وكان له بُنيٌّ يحبه. فلما أعجبه حسنه وقع في نفسه أن يأخذه فيعطيه ابنه.

قال الحسن: فانصرف إليه فجعل يطير من شرفة إلى شرفة ولا يؤيسه[1] من نفسه حتى ظهر فوق المحراب. وخلف المحراب حائط[2] تغتسل فيه النساء الحُيَّض إذا طهرن، لا يشرف على ذلك الحائط إلا من صعد على المحراب، والمحراب لا يصعده أحد من الناس.

فصعد داوود خلف ذلك الطير ففاجأته امرأة جاره، لم يعرفها، تغتسل. فرآها فجأة، ثم غضّ بصره عنها، فأعجبته. فأتى بابها فسأل عنها وعن زوجها؛ فقالوا: إن

(1) وردت الكلمة غير واضحة في ع و ز، فأثبت صحتها من نهاية الأرب للنويري، ج 14 ص 61-62 حيث وردت هكذا: «من غير أن تؤيسه من نفسها»، و«لم تؤيسه من نفسها». والضمير في كلتا العبارتين راجع إلى الحمامة.

(2) من معاني الحائط: البستان من النخيل إذا كان محاطاً بالحائط، وهو الجدار، وجمعه حوائط.

زوجها في أجناد داوود. فلم يلبث إلا قليلاً حتى بعثه عامله بريداً إلى داوود. وأتى داوودَ بكتبه. ثم انطلق إلى أهله، فأُخبِر أن نبي الله داوود أتى إلى بابه فسأل عنه وعن أهله. فلم يصل الرجل إلى أهله حتى رجع إلى داوود، مخافة أن يكون حدث في أهله من الله أمر. فأتى داوودَ وقد فرغ من كتبه. وكتب إلى عامل ذلك الجند أن يجعله على مقدمة القوم. فأراد أن يقتل الرجل شهيداً ويتزوج امرأته حلالاً. إلا أن النية كانت مدخولة. فجعله على مقدمة القوم فقُتِل الرجل شهيداً.

قال: فبينما داوود في محرابه والحرس حوله إذ تسوّر عليه المحراب ملكان في صورة آدميين ففزع، فقالا: (لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا) أي وأرشدنا (إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ) أي: إلى قصد الطريق.

قال: قُصّا قضيّتكما. فقال أحدهما. (إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ: أَكْفِلْنِيهَا) أي: ضُمَّها إلي (وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ) أي: وقهرني في الخصومة. (قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ)... إلى قوله: (وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ) أي وعلم داوود أنما ابتليناه (فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً) أي ساجداً أربعين يوماً لا يرفع رأسه إلا للصلاة المكتوبة يقيمها، أو لحاجة لا بد منها، أو لطعام يَتَبَلَّغ به. فأتاه ملك من عند الله فقال: يا داوود، ارفع رأسك فقد غفر الله لك. فعلم أن الله قد غفر له. ثم أراد أن يعرف كيف غفر الله مثل ذلك الذنب، فقال: يا ربِّ، كيف تغفر لي وقد قتلتُه، يعني بالنية. فقال له ربه: أستوهبُه نَفْسَه فيهبها لي فاغفرها لك. فقال: أي ربِّ، قد علمت أنك قد غفرت لي.

قال الله: ﴿ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ ﴾ أي: لقربى في المنزلة ﴿ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ أي: حسن مرجع.

قال الكلبي: إن داوود قال: رب اتخذت إبراهيم خليلاً، وكلمت موسى تكليماً، فوددت أنك أعطيتني من ذلك ما أعطيتهم. قال الله: إني ابتليتهما بما لم ابتلك به. قال: فإن شئت أبتليك بما ابتليتهما وأعطيك مثل ما أعطيتهما. قال: رب،

نعم. قال: اعمل عملك حتى يتبيّن بلاؤك. فمكث ما شاء الله بذلك؛ يصوم النهار ويقوم الليل. فكان على ذلك.

فبينما هو في المحراب ذات يوم، والزبور بين يديه، إذ جاء طائر فوقع قريباً منه. فتناوله داوود، فطار إلى الكوى، فقام ليأخذه قال بعضهم: فوقع في مضجعه فقام ليأخذه، فوقع الطير إلى البستان، فأشرف داوود فنظر، فإذا هو بامرأة تغتسل في البستان. فعجب من حسنها. فأبصرت ظله فنقضت شعرها فغطاها. فزاده ذلك عجباً بها. ثم أرسل غلاماً له فقال: اتبع هذه المرأة فاعلم من هي، أو ابنة من هي، وهل لها زوج. فاتبعها الغلام حتى عرفها فرجع فقال: هي ابنة فلان، وزوجها فلان، وكان يومئذ مع ابن أخت داوود في بعث. فكتب داوود إلى ابن أخته: أن ابعث فلاناً [واجعله بين يدي التابوت][1] فلا يرجع حتى يفتح المدينة أو يقتل. فبعثه فقتل. فلما انقضت عدة المرأة أرسل إليها فتزوجها، وهي أم سليمـان بن داوود.

فلما علم الله ما وقع في عبده[2] أحب أن يستنقذه فارسل إليه ملكين فأتياه في المحراب، والحرس حول المحراب، وهم ثلاثة وثلاثون ألفاً. فرأى داوود الرجلين قد تسوّروا المحراب، ففزع منهما وقال: لقد ضعف سلطاني حتى إن الناس تسوّروا محرابي. فقال أحدهما: (لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ)... إلى قوله: (وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ). تفسير هذا المقرإ عند الكلبي: إن دعا دعوة يكون أكثر نداء مني، وإن بطش بطشه يكون أشد بطشاً مني. فقال له داوود: (لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ)... إلى: (وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ). فنظر أحدهما لصاحبه فضحكا، وعلما أن داوود لم يفطن، فرجعا من حيث أقبلا.

قال الله: (وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ)... إلى آخر الآية. فسجد داوود أربعين يوماً وأربعين ليلة لا يأكل ولا يشرب، ولا يرفع رأسه، ولا

(1) وردت الجملة مضطربة فاسدة في ع، فصححتها بهذه الزيادة من نهاية الأرب للنويري، ج 14 ص 61.

(2) وردت العبارة في ع هكذا: «فلما علم ذلك ما وقع في عبده» وهي عبارة فاسدة صححتها قدر الإمكان، ولست مطمئناً إليها، فعلم الله تعالى قبل كل شيء وبعد كل شيء.

يقوم، ولا يفتر من الدعاء. فتاب الله عليه. قال الله: (فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ). وقد فسّرناه قبل هذا الموضع[1].

قوله: ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ [يعني فيستزلّك الهوى عن طاعة الله في الحكم، وذلك من غير كفر][2] إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ أي: أعرضوا عن يوم الحساب، لم يؤمنوا به.

قوله: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ﴾ أي: ما خلقناهما إلا للبعث والحساب والجنة والنار. وذلك أن المشركين قالوا إن الله خلق هذه الأشياء لغير بعث، كقوله تعالى: (وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ) [الأنعام: 29] فقال الله: (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ) [المؤمنون: 115].

قال الله: ﴿ ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي: أنهم لا يبعثون، وأن الله خلق هذه الأشياء باطلاً.

قال: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ أي: كالمشركين في الآخرة. أي: لا نفعل.

---

(1) ما ذكره القصاص وأورده بعض المفسّرين في كتبهم كالثعلبي، ومؤلّفنا هذا أحياناً من غير تنبيه على فساده، إنما هو من قبيل الإسرائيليات، وننزه مقام الأنبياء أن ينسب إليهم مثل هذا. وقد بيّن المحققون من المفسّرين كذب هذه القصص ودحضوا أباطيلها بحجج دامغة لا تُبقي مجالاً للشك في أن هذه القصص من وضع الكائدين للإسلام ورواية الساذجين من المفسّرين. وواجبنا أن نقف عند حدود النص القرآني لا نتعداه، والسنة الصحيحة التي ثبتت عن الصادق الأمين، لا نزيد عليها، في مثل هذه المواضيع. أما تفاصيلها فنكل الأمر فيها إلى الله سبحانه وتعالى. انظر مثلاً: الزمخشري، الكشاف، ج 4 ص 81، والفخر الرازي، التفسير الكبير، ج 26 ص 189، ففيهما وفي غيرهما ما يكفي للرد على هذه المفتريات من الإسرائيليات.

(2) زيادة من ز، ورقة 293.

قوله: ﴿ كِتَـٰبٌ ﴾ أي: هذا كتاب، يعني القرآن ﴿ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا ءَايَـٰتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَـٰبِ ﴾ أي: أولو العقول، وهم المؤمنون.

قوله: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَـٰنَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ والأوّاب: المسبّح[1] ﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّـٰفِنَـٰتُ الْجِيَادُ ﴾. يعني الخيل [السراع][2]. و (الصَّافِنُ) في تفسير مجاهد الفرس حين يرفع إحدى رجليه حتى تكون على طرف الحافر[3]، أي بسنبكه. (الجِيَادُ)، الواحد منها جواد، وجماعتها جياد. وكان ابن مسعود يقرأها صوافن أي معقوله يدها اليمنى قائمة على ثلاث قوائم، وهو قوله صوافن.

قال الحسن: عرضت على سليمان فجعلت تجري بين يديه فلا يستبين منها قليلاً ولا كثيراً من سرعتها، وجعل يقول: اللهم اغضض بصري إلي، وجعل يقول: ردُّوها علي، أي: ليستبين منها شيئاً[4].

قوله: ﴿ فَقَالَ: إِنِّيَ أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ ﴾ أي: حبّ المال، يعني الخيل، وهي في قراءة عبد الله بن مسعود: (حبّ الخيل) ﴿ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ ﴾ أي غابت، يعني الشمس ﴿ بِالْحِجَابِ ﴾ ففاتته صلاة العصر.

ذكروا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن الصلاة الوسطى فقال: هي صلاة العصر[5].

---

(1) كذا في ع، والصواب ما قاله أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 179: «الأوّاب الرّجّاع، وهو التوّاب، مخرجها من آب إلى أهله، أي: رجع...».

(2) زيادة من ز، ورقة 293.

(3) نسب هذا الشرح اللغوي إلى الحسن في ع، والصحيح أنه لمجاهد كما جاء في ز، وفي تفسير مجاهد ص 549.

(4) كذا وردت هاتان الجملتان في ع، ويبدو فيهما تكرار واضطراب. وفي ع تقديم وتأخير في تفسير بعض الآي هنا جعلت كل شيء في مكانه حسبما جاءت في المصحف بدون حذف.

(5) انظر ما سلف في هذا التفسير ج 1 ص 228.

ذكروا عن عبيدة السلماني عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم الأحزاب: ما لهم، ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً، كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس[1]. قال الحسن: فقال سليمان ذلك.

قال: ﴿ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ ﴾. فضرب أعناقها وعراقيبها، وإنما هو شيء قَبِله عن الله[2]. قال بعضهم: فذهبت ولم يبق من أصلها شيء. وقال بعضهم: مسح أعناقها ووجوهها بثوبه، وقالوا: هو أعرف بالله من أن يضرب أعناقها وعراقيبها.

قال بعضهم: كانت ألف فرس فضرب أعناق تسعمائة وعراقيبها فترك مائة. فالخيل اليوم من نسولها.

روي عن رسول الله ﷺ قال: الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة[3].

---

(1) حديث صحيح متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب التفسير عن عبيدة عن علي باختلاف يسير في اللفظ. وأخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب الدليل لمن قال الصلاة الوسطى هي صلاة العصر، (رقم 627) عن علي، وعن عبد الله بن مسعود (رقم 628) بلفظ: شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر، ملأ الله أجوافهم وقبورهم ناراً». وأخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب في وقت صلاة العصر (رقم 409) عن علي.

(2) هذا هو القول الراجح في تفسير مسح السوق والأعناق في الآية. وقد ورد لفظ مسح بمعنى قطع وضرب في الشعر. انظر مجاز أبي عبيدة، ج 2 ص 183، وانظر اللسان (مسح).

(3) حديث متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، عن عبد الله بن عمر وعن عروة بن أبي الجعد. وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، (رقم 1871). باب الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، و (رقم 1872) عن جرير بن عبد الله. وأخرجه مالك في الموطأ في كتاب الجهاد، ما جاء في الخيل والمسابقة بينها والنفقة في الغزو عن عبد الله بن عمر، وأخرجه ابن ماجه في كتاب الجهاد، باب ارتباط الخيل في سبيل الله عن عروة البارقي (رقم 2786) وعن عبد الله بن عمر (رقم 2787) وعن أبي هريرة من حديث أطول (رقم 2788).

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ ﴾ أي: ابتلينا سليمان ﴿ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾ يعني الشيطان الذي خلفه في ملكه تلك الأربعين ليلة.

قال بعضهم: كان اسمه صخراً. وقال بعضهم: كان اسمه آصف، اسم وافق اسم الذي عنده علم من الكتاب، كان يحسن الاسم الأكبر. وتفسير قوله (جَسَداً) عند الحسن أن الشيطان لما أخذ خاتم سليمان صعد على كرسيه، وهو سرير المملكة لا يأكل ولا يشرب، ولا يأمر ولا ينهى. وهو قول الله (جَسَداً) كقول الرجل للرجل: ما أنت إلا جسد. وأذهب الله ذلك من أذهان الناس، أي أصابتهم غفلة، فلا يرون إلا أن سليمان في مكانه، يرون أنه يصلّي بهم، ويجمع ويقضي بينهم، ولا يرى الناس إلا أنه على منزلته الأولى فيما بينه وبينهم. فأذهب الله ذلك من أذهانهم كما أذهب من أذهانهم موته سنة، وهو متكىء على عصاه، لا يرون إلا أنه يصلي بهم ويجهز عذابهم[1] ويحكم بينهم. وهي في قراءة ابن مسعود: ولقد كانوا يعملون له حولاً.

قال الكلبي: إن سليمان أصاب ذنباً فأراد الله أن يجعل عقوبته في الدنيا. قال الحسن: كان قارب بعض نسائه في المحيض. قال الكلبي: كانت له امرأة من أكرم نسائه عليه وأحبّهن إليه، فقالت: إن بين أبي وبين رجل خصومة، فزيّنت حجة أبيها. فلما جاءا يختصمان جعل يحب أن تكون الحجة لختنه[2]. فابتلاه الله بما كان من أمر الشيطان الذي خلفه، وذهب ملك سليمان.

وذلك أنه كان إذا أراد أن يدخل الخلاء دفع خاتمه إلى امرأة من نسائه كان يثق بها، فدفعه إليها يوماً ثم دخل الخلاء. فجاءها ذلك الشيطان في صورة سليمان، فأخذ الخاتم منها. فلما خرج سليمان من الخلاء طلب الخاتم منها فقالت: قد أعطيتكه. فقال: أنشدك بالله أن تخونيني. وذهب الخبيث فقعد على كرسي سليمان، وألقى عليه شبهه وهيئته. فخرج سليمان فإذا هو بالشيطان قاعد على كرسيه. فذهب في الأرض وذهب ملكه. وجعل يستطعم إذا أصابه الجهد ويقول: أنا سليمان بن

(1) كذا وردت هذه الجملة في ع: «ويجهز عذابهم» ولست مطمئناً إليها.

(2) وردت هذه الجمل من قول الكلبي فاسدة في ع، فأثبت تصحيحها من ز ورقة 294.

داوود، فيكذبونه ويستخِفّون به ويطردونه حتى كاد أن يموت من الجوع.

وقال مجاهد: كان يقول: لو عرفتموني لأطعمتموني، أنا سليمان ويكذّبونه.

قال الكلبي: فلما انقضت المدة، ونزلت الرحمة عليه من الله، ألقى الله في أنفاس الناس استنكار الشيطان. فمشوا إلى آصف، أحد الثلاثة خزان بيت المقدس، فقالوا: يا آصف، إنا أنكرنا قضاء الملك وعمله، فلا ندري أنكرت مثل الذي أنكرنا أم لا. قال نعم، ولكن سوف أدخل على نسائه، فإن كن أنكرن مثل الذي أنكرنا فذلك أمر عام في الناس، فاصبروا حتى يكشف الله عنكم، فإن لم ينكرن منه مثل الذي أنكرنا فهو أمر خصصنا به، فادعوا الله لملككم بالصلاح. فانطلق آصف فدخل على نساء سليمان، فسألهن عنه، فقلن: إن كان هذا سليمان فقد هلكنا وهلكتم، وقال مجاهد فأنكرته أم سليمان.

قال الكلبي: فخرج آصف إلى الناس فأخبرهم، فدعوا الله ربهم أن يكشف عنهم. فلما رأى الشيطان الذي فيه الناس من الغفلة كتبوا سحراً كثيراً على لسان آصف، ثم دفنوه في مصلّى سليمان وبيت خزائنه وتحت كرسيه، ثم أضربوا عنه. وفشا الاستنكار من الناس للشيطان، وانقضت أيامه، ونزلت الرحمة من الله لسليمان.

فعمد الشيطان إلى الخاتم فألقاه في البحر؛ فأخذه حوت من حيتان البحر. وكان سليمان يؤاجر نفسه من أصحاب السفن بنقل السمك من السفن إلى البر على سمكتين كل يوم. فأخذ في حقه يوماً سمكتين، فباع إحداهما برغيفين؛ وأما الأخرى فشق بطنها وجعل يغسلها، فإذا هو بالخاتم، فأخذه، فالتفت إليه الملاحون فعرفوه، فأقبلوا إليه، فسجدوا له. وكذلك تحية من كان قبلكم، كانت تحيتهم السجود، وجعل الله تحية هذه الأمة السلام، وهي تحية أهل الجنة.

قال الكلبي: فقال سليمان: فما آخذكم الآن على السجود، ولا ألومكم على ما تفعلون؛ وذلك الفعل هو أنه كان إذا أصابه الجوع استطعم فقال: أنا سليمان بن داوود، لو عرفتموني لأطعمتموني، أنا سليمان، فيكذبونه ويستخفون به.

وقال مجاهد: إن سليمان قال لآصف، الشيطان الذي خلفه، وكان يقول: كان اسمه آصف، كيف تفتنون الناس؟ قال: أرني خاتمك أخبرك. فلما أعطاه خاتمه نبذه في البحر، فساح سليمان وذهب ملكه، وقعد الشيطان على كرسيّه، ومُنِع أن يقرب نساء سليمان.

قال الكلبي: فأقبل سليمان إلى ملكه فعرفه الناس واستبشروا به، وأخبرهم أنه إنما فعله به الشيطان، فاستغفر سليمان ربه[1].

قوله: ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَّا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِيَ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾. فسخر الله له الريح والشياطين: وسخر له الشيطان الذي فعل به الفعل، واسم الشيطان صخر. فأخذه سليمان فجعله في تخت من رخام، ثم أطبق عليه، وسد عليه بالنحاس، ثم ألقاه في جوف البحر[2]. فمكث سليمان في ملكه راضياً مطمئناً حتى قبضه الله إليه.

قوله: (قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَّا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِيَ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ). فزاده الله ملكاً إلى ملكه الذي ورثه من داوود، فسخّر له الريح والشياطين.

قال الله: ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ وَالشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾.

ذكروا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: بينا أنا البارحة في مصلاي إذ عرض علي الشيطان، فأخذته بحلقه فخنقته، حتى إني لأجد برد لسانه على ظهر كفي، ولولا دعوة أخي سليمان لأصبح مربوطاً تنظرون إليه[3].

(1) نفس ما قلناه فيما روى من الإسرائيليات حول النبي داوود عليه السلام نقوله حول ما ورد منها في قصة سليمان عليه وعلى نبينا السلام، انظر ما سلف قريباً في هذا الجزء ص.15.

(2) كذا في ع، وفي ز ورقة 294: «في عُرض البحر».

(3) حديث متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب الأسير أو الغريم يربط في المسجد، وفي كتاب التفسير، سورة ص، عن أبي هريرة، وأخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة والتعوذ منه، وجواز العمل القليل في =

قوله: ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً﴾ ذكروا عن الحسن قال: الرخاء التي ليست بالعاصف التي تؤذيه، ولا بالبطيئة التي تقصر به عن حاجته، رخاء بين ذلك. قوله: ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ أي: حيث أراد، وهي بلسان هجر. وهو تفسير مجاهد. غير أنه قال: حيث شاء.

وتفسير الحسن: أن سليمان إذا أراد أن يركب جاءت الريح فوضع سرير مملكته عليها، ووضع الكراسي والمجالس على سريره، وجلس وجوه أصحابه على منازلهم في الدين عنده من الجن والإنس، والجن يومئذ ظاهرة للإنس، رجال أمثال الإنس إلا أنهم أُدْمٌ، يحجون ويصلون جميعاً ويعتمرون جميعاً، والطيور ترفرف على رأسه ورؤوسهم، والشياطين حَرَسَة لا يتركون أحداً يتقدم بين يديه، وهو قوله: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: 17] على كل صنف منهم وزعة يرد أولهم على آخرهم.

قوله: ﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ أي يغوصون في البحر ويستخرجون له اللؤلؤ. ﴿وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ﴾ أي: في السلاسل، ولم يكن يسخر منهم ويستعمل في هذه الأشياء ولا يصفد في السلاسل إلا الكفار منهم، فإذا تابوا وآمنوا حلهم من تلك الأصفاد. هذا تفسير الحسن.

قوله: ﴿هٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوَ امْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [تفسير بعضهم: فامنن أي: فأعط من شئت أو أمسك عمن شئت][1] ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: لا حساب عليك في ذلك. وتفسير مجاهد: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: بغير حرج.

قوله: ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ﴾ أي: لقربة في المنزلة. ﴿وَحُسْنَ مَئَابٍ﴾ أي: وحسن مرجع، أي: الجنة.

= الصلاة، عن أبي هريرة (رقم 541) وعن أبي الدرداء (رقم 542). وانظر السيوطي، الدر المنثور، ج 5 ص 313.

(1) زيادة من ز، ورقة 294.

قوله: ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَـٰنُ بِنُصْبٍ وعذاب ﴾ أي: ببلاء وشرّ. قال بعضهم: النصب: الضر في الجسد، والعذاب: ذهاب ماله. وتفسير الحسن بنصب وعذاب في جسده؛ وقد فسّرنا قصته وقصة امرأته في سورة الأنبياء وكيف ذهب ماله[1]. .

فأوحى الله إليه أن ﴿ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَـٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾[2] فركض برجله ركضة وهو لا يستطيع القيام، فإذا عين فاغتسل منها فأذهب الله ظاهر دائه، ثم مشى على رجليه أربعين ذراعاً، ثم قيل له: اركض برجلك أيضاً، فركض ركضة أخرى فإذا عين فشرب منها فأذهب الله عنه باطن دائه.

وقال الكلبي: وكساه الله ثياباً جديدة حساناً. وجلس على شاطىء نهر، فجاءت امرأته بطعام قد أصابته، فنظرت فإذا الغار ليس فيه أحد؛ فلم تشك أن السبع قد أكله. فجعلت تستحيي من الرجل وهي ما تعرفه، فقالت: يا عبد الله، أرأيت الذي كان في هذا الغار أين هو؟ قال: أنا هو. قالت: يا عبد الله، لا تسخر مني، فقد كان أمره بخير. فقال: أنا صاحبك، ولم تصدّقه.

فقال: إن لم تصدقيني فاذهبي إلى بيتك ذلك، فإن الله قد أقامه لك، وردّ عليك ولدك، وقد كانوا ثلاثة عشر، وزاد الله لـه ثلاثة عشر أخرى، وأخرج له حيوانه كلها، وزاده مثلها معها، حتى صار مَلِك دمشق بعدُ.

قال الحسن: فردَّ الله عليه أهله وولده وأمواله من البقر والغنم والحيوان وكل شيء ملكه بعينه، ثم أبقاه الله فيها حتى وهب له من نسولها أمثالها. وهو قوله: (وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ) فوفّاهم آجالهم. قال بعضهم: مثل السبعين الذين كانوا مع موسى فقال لهم الله: موتوا ثم أحياهم، ومثل (الذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ

---

(1) انظر ما سلف، ج 3 ص 84 - 85.

(2) قال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 185: (هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ): وَضُوء غَسُول، وهو ما اغتسلت به من الماء (وَشَرابٌ) أي: وتشرب منه. والموضع الذي يغتسل فيه يسمى مُغْتَسَلاً».

أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ﴾ [البقرة: 243] فاستوفوا بقية آجالهم.

وقال الحسن: إن الله أحيى أولاد أيوب بأعيانهم، وأن الله أبقاه فيهم حتى أعطاه الله من نسولهم. وإن إبليس يأتيه يومئذ عياناً، قال: يا أيوب، اذبح لي سخلة من غنمك؛ قال: لا، ولا كفاً من تراب.

ذكروا عن أبي عثمان النهدي قال: سمعت عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: لا يبلغ العبد الكفر بالله والإشراك به حتى يصلي لغير الله، أو يدعو غير الله، أو يذبح لغير الله.

ذكروا عن الحسن أن أيوب لم يبلغه شيء يقوله الناس كان أشد عليه من قولهم: لو كان نبياً ما ابتلي بمثل ما ابتلي به. فدعا الله فقال: اللهم إنك تعلم أني لم أعمل حسنة في العلانية إلا عملت في السر مثلها، فاكشف عني ما بي من ضر فأنت أرحم الراحمين. فاستجاب الله له فوقع ساجداً. وأمطر عليه جرادٌ من ذهب(1) فجعل يلتقطه ويجمعه، فأوحى الله إليه: يا أيوب، أما تشبع؟ قال: ومن يشبع من رحمتك [يا رب](2).

وقال الحسن: إن الله يحتج على الناس يوم القيامة بثلاثة من الأنبياء فيجيء العبد فيقول: أعطيتني جمالاً في الدنيا فأعجبت به، ولولا ذلك لعملت بطاعتك، فيقول الله له: الجمال الذي أعطيتك في الدنيا أفضل أم الجمال الذي أعطى يوسف، فيقول: بل الجمال الذي أعطى يوسف، فيقول: إن يوسف كان يعمل بطاعتي، فيحتجّ عليه بذلك. فيجيء العبد ويقول: يا ربِّ، ابتليتني في الدنيا، ولولا ذلك لعملت بطاعتك. فيقول الله له: البلاء الذي ابتُليت به في الدنيا أشد أم البلاء الذي

---

(1) في ع، وردت العبارة هكذا: «ومطر عليه فراش الذهب»، وفي العبارة فساد أثبت تصحيحه من بعض كتب التفسير. انظر الألوسي، روح المعاني ج 8 ص 207.
(2) زيادة لتستقيم العبارة.

ابتلى به أيوب، فيقول: بل الذي ابتلى به أيوب. فيقول: كان أيوب يعمل بطاعتي، فيحتج عليه بذلك. ويجيء العبد فيقول: أعطيتني ملكاً فأعجبت به، ولولا ذلك لعملت بطاعتك. فيقول: الملك الذي أعطيتك في الدنيا أفضل أم الملك الذي أعطى سليمان، فيقول: الملك الذي أعطى سليمان. فيقول: كان سليمان يعمل بطاعتي، فيحتج عليه بذلك.

قوله: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَـٰبِ ﴾ وهم المؤمنون.

قوله: ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ ﴾.

قال الحسن: إن امرأة أيوب كانت قاربت[1] الشيطان في بعض الأمر، ودعت أيوب إلى مقاربته. وقال بعضهم: في قول الشيطان لأيوب: اذبح لي سخلة فوعدته أن تكلم أيوب في ذلك فأعلمته. فحلف أيوب بالله لئن عافاه الله أن يجلدها مائة جلدة، ولم تكن له نية بأي شيء يجلدها. فمكث في ذلك البلاء حتى عافاه الله، وأذن له في الدعاء، وتمت عليه النعمة من الله والأجر. فأتاه الوحي من الله وهو مطروح تختلف الروح في أضلاعه وجسده. قال الحسن: وكانت امرأته مسلمة قد أحسنت القيام عليه، وكانت لها عند الله منزلة. فأوحى الله إليه أن يأخذ بيده ضغثاً، مائة من الأسل. والضغث أن يأخذ قُبضة، قال بعضهم: من السنبل، وكانت مائة سنبلة. وقال بعضهم: من الأسل. [والأسل: السَّمّار][2]، فيضربها به ضربة واحدة ففعل.

---

(1) في ع بياض قدر كلمة فأثبتها من ز: «قاربت» وكأنها مالت إلى ما طلبه خوفاً على أيوب.

(2) زيادة من ز، ورقة 295. وعرّفه صاحب اللسان بأنه «نبات له أغصان كثيرة دقاق بلا ورق. . . ومنبته الماء الراكد، ولا يكاد ينبت إلا في موضع ماء، أو قريب من ماء، واحدته: أَسَلَة. . . قال أبو حنيفة: الأسل عيدان تنبت طوالاً دقاقاً مستوية لا ورق لها يصنع منها الحصر». وقال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 185: «(وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً) وهو ملء الكف من الشجر أو الحشيش والشماريخ وما أشبه ذلك».

قال الله: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَـٰهُ صَابِراً نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ أي: إنه مسبّح.

قوله: ﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا ﴾ يقول للنبي عليه السلام: واذكر عبادنا ﴿ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَـٰرِ ﴾ قال بعضهم: (أُولِي الْأَيْدِي)، أولي القوة في أمر الله، (والْأَبْصَارِ)، أي في كتاب الله. وقال الحسن: (أُولِي الْأَيْدِي) أي: أولي القوة في عبادة الله.

قال الله: ﴿ إِنَّا أَخْلَصْنَـٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴾ أي: الدار الآخرة. والذكرى الجنة. ﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴾ أي: المختارين؛ اختارهم الله للنبوّة، وقال الكلبي: اصطفاهم بذِكرِ الآخرة واختصّهم بها.

قوله: ﴿ وَاذْكُرِ اسْمَـٰعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ ﴾. ذكروا عن أبي موسى الأشعري أنه قال: إن ذا الكفل لم يكن نبياً، ولكنه كان عبداً صالحاً تكفّل بنبي عند موته كان يصلي لله مائة صلاة، فأحسن الله عليه الثناء. وقال مجاهد: إن ذا الكفل كان رجلاً صالحاً ليس بنبي، تكفل لنبي بأن يكفل له أمر قومه فيقيمه له ويقضي بينهم بالعدل.

قوله: ﴿ هَـٰذَا ذِكْرٌ ﴾ يعني القرآن ﴿ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ أي: لحسن مرجع. ﴿ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ﴾، وهي ريح الجنة سببه الخيار إليها[1]. ﴿ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَٰبُ ﴾ [أي: منها][2]. ذكر بعضهم: أن مصراعي الجنة ذهب، بين المصراعين أربعون عاماً.

﴿ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا ﴾ أي: على السرر، وفيها إضمار. ﴿ يَدْعُونَ فِيهَا ﴾ أي: في الجنة ﴿ بِفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴾. أي: بفاكهة لا تنقطع عنهم ﴿ وَشَرَابٍ ﴾ أي: أنهار تجري بما اشتهوا.

---

(1) كذا وردت هذه الجملة في ع: «وهي ريح الجنة سببه الخيار إليها» وهو تعبير غامض المعنى لم أهتد إلى تصحيح ما به من فساد.

(2) زيادة من ز، وهي من شرح أثبته ابن أبي زمنين واختاره الزجاج. وقال الفراء في المعاني ج 2 =

﴿ وَعِنْدَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ الطَّرْفِ ﴾ قصرن أطرافهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم. ﴿ أَتْرَابٌ ﴾ أي: على سن واحد؛ بنات ثلاث وثلاثين سنة. وتفسير مجاهد: (أَتْرَاب) أي: أمثال، وهو قوله: على سن واحد.

قال: ﴿ هٰذَا مَا تُوعَدُونَ ﴾ يعني ما وصف في الجنة ﴿ لِيَوْمِ الْحِسَابِ إِنَّ هٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ ﴾ أي: من انقطاع.

قوله: ﴿ هٰذَا وَإِنَّ لِلطَّـٰغِينَ ﴾ أي: للمشركين ﴿ لَشَرَّ مَئَابٍ ﴾ أي: لشر مرجع. ﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ أي: بئس الفراش. كقوله: (لَهُم مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ) [الأعراف: 41] أي: تغشاهم. وهو مثل قوله: (لَهُم مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ) [الزمر: 16].

﴿ هٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾. فيها تقديم: هذا حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ فَلْيَذُوقُوهُ. فالحميم الحار الذي لا يستطاع من حره، والغساق البارد الذي لا يستطاع من برده.

قال بعضهم الغساق القيح الغليظ، لو أن جرة[1] منه تهراق في المغرب لأنتنت أهل المشرق، أو تهراق في المشرق لأنتنت أهل المغرب. وقال بعضهم: الغساق: المنتن، بلسان خراسان. وكان الحسن لا يفسر الغساق فيما ذكروا عنه.

قال: ﴿وَءَاخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَٰجٌ﴾ . وكان الحسن يقرأ: وأُخَر من شكله. (وَآخَرُ) يعني الزمهرير (مِنْ شَكْلِهِ): من نحوه، أي: من نحو الحميم (أَزْوَاجٌ): ألوان[2] .

قوله: ﴿هٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَباً بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّار قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا

= ص 408: «ترفع (الْأَبْوَابُ) لأن المعنى مفتّحة لهم أبوابها، والعرب تجعل الألف واللام خلفاً من الإضافة. . . ومنه قوله: (فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ) فالمعنى ـ والله أعلم ـ مأواه».

(1) كذا في ع وفي ز ورقة 296. وفي تفسير الطبري ج 23 ص 177: «لو أن قطرة منه». وأخرج الطبري حديثاً مرفوعاً عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: لو أن دلواً من غساق يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا.

(2) في ع اضطراب في تفسير الآية أثبت التصحيح من ز.

مَرْحَباً بِكُمُ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾. قالته الملائكة لبني إبليس. قال بعضهم: وهذا قبل أن يدخلوا بني آدمَ الذين أضلهم بنو إبليس؛ (هَذَا فَوْجٌ) يعنون بني آدم (مُقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ) أي: في النار.

قال بنو إبليس: (لَا مَرْحَباً بِهِمُ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ) قالوا، أي: قال بنو آدم لهم: بل أنتم لا مرحباً بكم أنتم قدمتموه لنا فبيس القرار.

وبعضهم يقول: جاءتهم الملائكة بفوج إلى النار، فقالت للفوج الأول الذين دخلوا قبلهم: هذا فوج مقتحم معكم. قال الفوج الأول: لا مرحباً بهم إنهم صالـو النار، قال الفوج الآخر: بل أنتم لا مرحباً بكم أنتم قدمتموه لنا فبيس القرار.

قال الله: ﴿قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَاباً ضِعْفاً فِي النَّارِ﴾ [قوله: (مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا) أي: من سنّه وشرعه. وقوله: (فَزِدْهُ عَذَاباً ضِعْفاً) أي: زده على عذابه عذاباً آخر][1]. وهو كقوله: (قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُم مِّنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ امَّةٌ لَعَنَتْ اخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّرَكُوا فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ اخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لَّا تَعْلَمُونَ) [الأعراف: ٨٣].

﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الأَشْرَارِ﴾ أي: في الدنيا. كقوله: (إِنَّ الذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ...) إلى آخر الآية [المطففين: 29] فلما دخلوا النار لم يروهم فيها معهم، فقالوا: (مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الأَشْرَارِ) ﴿أَتَّخَذْنَـٰهُمْ سِخْرِيّاً﴾[2] أي: فاخطأنا ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصَـٰرُ﴾ أي: أم هم فيها ولا نراهم. وهذا تفسير مجاهد. قال: ثم علموا بعد أنهم ليسوا معهم فيها. وقال الحسن: كل ذلك قد فعلوا: قد اتخذوهم سخرياً، وقد زاغت الأبصار في الدنيا محقرة لهم، كقول الرجل: قد نبا بصري عنهم.

(1) ما بين المعقوفين زيادة من ز، ورقة 296، والتفسير لابن أبي زمنين.

(2) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 187: «... ومن كسر (سِخريا) جعله من الهزء ويُسخرَ به، ومن ضمّ أولها جعله من السخرة يتسخرونهم ويستذلونهم».

قال الله: ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴾ يعني قول بعضهم بعضاً في الآية الأولى.

قوله: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ ﴾ لأهل النار، أي أنا منذر من الله ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ قهر العباد بالموت وبما شاء من أمره. ﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴾ أي: لمن تاب وآمن.

قوله: ﴿ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴾ يعني القرآن. ﴿ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴾ يعني المشركين.

قوله: ﴿ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ قال الحسن: اختصموا في خلق آدم. وفي تفسير عمرو عن الحسن: خصومتهم أن قالوا فيما بينهم: ما الله خالق خلقاً هو أكرم عليه منا. وهو قوله: (وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ) [البقرة: 33].

وذكروا عن ابن عباس أن الله تعالى لما قال للملائكة (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) [البقرة: 30] فكانت تلك خصومتهم.

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: أتاني ربي الليلة في المنام فقال: يا محمد، فيم اختصم الملأ الأعلى. قلت: رب لا أدري[1]... قلت: رب في الكفارات والدرجات. قال: وما الكفارات؟ قلت: إسباغ الوضوء في السَّبَرات[2].

(1) وضعتُ هذه النقط هنا إشارة إلى أن في الحديث خرماً. وكأنّي بالشيخ هود أو أحد النساخ حذف قصداً بعض ألفاظ وجمل لم تصح عنده ولا توافق مذهبه. فقد جاء في بعض ألفاظه ما يلي: «... قلت: لا، فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديَيَّ أو قال في نحري، فعلمت ما في السماوات وما في الأرض قال يا محمد، هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: نعم في الكفارات...» والحديث صحيح أخرجه الترمذي في أبواب التفسير، سورة صٓ، من طرق عن ابن عباس وعن معاذ بن جبل، وأخرجه الطبراني وابن مردويه عن جابر بن سمرة وعن أبي هريرة بألفاظ متشابهة، وانظر السيوطي، الدر المنثور، ج 5، ص 319-321.

(2) السَّبْرَة، وتجمع على سَبَرات. الغداة الباردة.

والمشي على الأقدام إلى الجماعات، والتعقيب في المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة. قال: وما الدرجات؟ قلت: إطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام.

وقال بعضهم: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: في الكفارات، أي يا ربي. قال: وما الكفارات؟ قلت: المشي بالأقدام إلى الجماعات، والجلوس في المساجد خلاف الصلوات، وإسباغ الوضوء في المكاره. ومن يفعل ذلك يعش بخير، ويمت بخير، ويكن من خطيئاته كيوم ولدته أمه. والدرجات: إطعام الطعام، وبذل السلام، وأن يقوم بالليل والناس نيام. قال: قل: اللهم إني أسألك الطيبات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تقوّني علي، وإذا أردت اللهم فتنة فتوفّني غير مفتون.

قوله: ﴿ إِن يُوحَى إِلَيَّ إِلاَّ أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ هو كقوله: (إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) [الرعد: 7]. أي نبي الله المنذر، والله الهادي.

قوله: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَـٰجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَـٰفِرِينَ ﴾ وقد فسّرنا ذلك في سورة البقرة.

وقال الحسن: إن الله أمر الملائكة أن تسجد لآدم، وأمر إبليس بالسجود له، ولم يكن من الملائكة، فسجدت الملائكة ولم يسجد إبليس، واستكبر عن الله وكان من الكافرين. كان أول الكافرين، كما أن آدم من الإنس وهو أول الإنس. وقال بعضهم: إن كل عبد كان في أم الكتاب شقياً أو سعيداً، وكان إبليس ممن كان في أم الكتاب شقياً.

﴿ قَالَ يَـٰإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ ﴾ [يعني: تكبرت][1] ﴿ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا ﴾ [أي: من السماء] ﴿ فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾ أي: ملعون، رجم باللعنة. ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ يعني إلى

(1) زيادة من ز، ورقة 296.

يوم الحساب، وأبداً في الإضمار. قال بعض العلماء: ثلاثة ليست لهم توبة: إبليس، وابن آدم الذي قتل أخاه، ومن قتل نبياً.

﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي ﴾ أي: فأخرني ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴾ أي: من المؤخرين ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ يعني النفخة الأولى. وأراد عدو الله أن يؤخر إلى النفخة الآخرة.

﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ ﴾ أي: فبعظمتك ﴿ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ أي لأضلّنهم أجمعين ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾.

﴿ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ أي: قال: إن الله حق ويقول الحق. وتفسير مجاهد (الحَقُّ) أي الحق منّي[1]. وتفسير الحسن: هذا قسم، يقول: حقاً حقاً لأملأن جهنم منك ومِمَّن تبعك منهم أجمعين.

قوله: ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ أي: على القرآن ﴿ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ إِنْ هُوَ ﴾ أي القرآن ﴿ إِلَّا ذِكْرٌ ﴾ أي: إلا تفكر ﴿ لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ أي: لمن عقل عن الله. ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ أي: بعد الموت، يعني يوم القيامة.

---

(2) في تفسير مجاهد ص 553: «قال: يقول: الحق مني، والحق أقول».

تفسير سورة الزمر، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ يعني القرآن؛ أنزله مع جبريل على محمد ﷺ.

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ ﴾ أي: لا تشرك به شيئاً. ﴿ أَلاَ لِلهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ أي الإسلام.

﴿ وَالذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ﴾ أي: يتخذونهم آلهة يعبدونهم من دون الله. ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ ﴾. يقول والذين اتخذوا من دون الله أولياء (مَا نَعْبُدُهُمْ) فيها إضمار؛ وإضمارها، قالوا ما نعبدهم، وهي قراءة الأعمش. ﴿ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلى اللهِ زُلْفَى ﴾ والزلفى القربة. زعموا أنهم يتقرّبون إلى الله بعبادة الأوثان لكي يصلح لهم معايشهم في الدنيا، وليس يقرّون بالآخرة.

قال مجاهد: [هذا قول][1] قريش، تقوله لأوثانهم، وَمَن قبلهم يقولونه للملائكة ولعيسى بن مريم ولعزير.

قال: ﴿ إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ أي: يحكم بين المؤمنين والشركين يوم القيامة، فيدخل المؤمنين الجنة، ويدخل المشركين النار. قال: ﴿ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ يعني من مات على كفره.

(1) زيادة من تفسير مجاهد، ص 555.

قوله: ﴿ لَوْ أَرَادَ اللهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً لَّاصْطَفَىٰ ﴾ أي لاختار ﴿ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ ﴾ ينزّه نفسه أن يكون له ولد ﴿ هُوَ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك. والقهار الذي قهر العباد بالموت وبما شاء من أمره.

﴿ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾ أي: للبعث والحساب والجنة والنار. ﴿ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى الَّيْـلِ ﴾ أي: يختلفون. وبعضهم يقول: هو مثل قوله: (يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ) [الحديد: 6]، يعني أخذ كل واحد منهما من صاحبه. ﴿ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ أي: إلى يوم القيامة. ﴿ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴾ العزيز في أمره، الغفار لمن تاب وآمن.

قال: ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَّاحِدَةٍ ﴾ يعني آدم ﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ يعني حواء، خلقت من ضلع من أضلاعه، وهي القصيرى من جنبه الأيسر.

ذكروا عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: إن المرأة خلقت من ضلع أعوج، وإنك إن ترد أن تقيمها تكسرها، فدارها تعش بها[1].

﴿ وَأَنْزَلَ لَكُم ﴾ أي: وخلق لكم ﴿ مِّنَ الأَنْعَـٰمِ ثَمَانِيَةَ أَزْوٰجٍ ﴾ أي: أصناف الواحد منها زوج.

ذكروا عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنه قال: الأزواج الثمانية التي ذكرت في سورة الأنعام: (مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ) يعني الذكر والأنثى. (وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ)... (وَمِنَ الإِبلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ) [الأنعام: 143-144].

﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ خَلْقاً مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ ﴾ [يعني نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظماً ثم يكسى العظم اللحم ثم الشعر ثم ينفخ فيه الروح][2] ﴿ فِي ظُلُمَـٰتٍ

(1) حديث متّفق على صحته، رواه الشيخان عن أبي هريرة. انظر الإشارة إليه فيما سلف، ج 1 ص 345.

(2) زيادة من ز، ورقة 297.

ثَلَـٰثٍ ﴾ أي: البطن والمشيمة والرحم[1].

قال: ﴿ ذَٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ خالق هذه الأشياء التي وصفهن؛ من قوله: (خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ) إلى هذا الموضع: (لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ) ﴿ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ أي: فكيف تصرفون عقولكم. أي: أين يذهب بكم فتعبدون غيره وأنتم تعلمون أنه خلقكم وخلق هذه الأشياء. وتصرفون عقولكم وتصدقون وتوفكون واحد.

قال: ﴿ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ ﴾ أي: عن عبادتكم ﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا ﴾ وتؤمنوا ﴿ يَرْضَهُ لَكُمْ[2] وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ أي لا يحمل أحد ذنب غيره، والذنب الوزر، وهو الحمل. كقوله: (وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ) [الأنعام: 31] ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ ﴾ أي: يوم القيامة ﴿ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ أي: بما في الصدور.

قوله: ﴿ وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ ضُرٌّ ﴾ أي: مرض ﴿ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ﴾ أي: دعاه بالإخلاص أن يكشف عنه ﴿ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ ﴾ أي: عافاه من ذلك المرض[3] ﴿ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ ﴾ هو كقوله: (مَرَّ) أي: معرضاً (كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ) [يونس: 12]، يعني الكافر المشرك. قال: ﴿وَجَعَلَ لِلهِ أَنْدَاداً ﴾ يعني الأوثان، عدلوها بالله فعبدوها من دونه، والنِّدّ العدل. ﴿ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ أي: يتبعه على ذلك غيره ﴿ قُلْ ﴾ أي: قل يا محمد للمشرك ﴿ تَمَتَّعْ ﴾ في الدنيا ﴿ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً ﴾ أي: إن بقاءك في الدنيا قليل ﴿ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ النَّارِ ﴾.

---

(1) وقيل: «في أصلاب الرجال، ثم في الرحم، ثم في البطن» كما ذكره أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 188.

(2) قال الفراء في المعاني، ج 2 ص 415: «يقول: يرضى الشكر لكم. وهذا مثل قوله: (فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً) أي: فزادهم قول الناس إيماناً».

(3) كذا في ز، أي: «عافاه من ذلك المرض» وهو أوضح تعبيراً وأحسن. وفي ع: أي: «تحول ذلك المرض عافية». وانظر في مجاز أبي عبيدة ج 2 ص 188 تحقيقاً لغوياً في معنى التخويل في الآية. قال: «كل مالَـكَ وكل شيء أعطيتَه فقد خوَّلْتَه».

قوله: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ﴾ أي: قائم في الصلاة ﴿ ءَانَاءَ الَّيْلِ ﴾ أي: ساعات الليل ﴿ سَاجِداً وَقَائِماً ﴾ قال بعضهم: هو الذي ﴿ يَحْذَرُ الآخِرَةَ ﴾ أي: يخاف عذابها ﴿ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ أي: الجنة. يقول: أمَن هو قانت كالذي جعل لله أنداداً يعبد الأوثان دونه، أي: ليس مثلَه[1].

قوله: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الذِينَ يَعْلَمُونَ وَالذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ أي: هل يستوي هذا المؤمن، الذي علم أنه مُلاق ربه، الذي يقوم آناء الليل، وهذا المشرك الذي جعل لله أنداداً، أي: إنهما لا يستويان. [﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ ﴾ أي: إنما يقبل التذكرة ﴿ أُولُو الأَلْبَـٰبِ ﴾ أي: أصحاب العقول، وهم المؤمنون][2].

قوله: ﴿ قُلْ يَـٰعِبَـادِ الذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُم ﴾ ثم قال: ﴿ لِلذِينَ أَحْسَنُوا ﴾ أي آمنوا ﴿ فِي هَـٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ﴾ أي: ما أعطاهم الله من الخير في الدنيا، يعني ما أعطاهم فيها من طاعة حسنة، وفي الآخرة من الجنة. ﴿ وَأَرْضُ اللهِ وَسِعَـةٌ ﴾ هو كقوله: (يَا عِبَادِيَ الذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَايَ فَاعْبُدُونِ) [العنكبوت: 56] في الأرض التي أمرتكم أن تهاجروا إليها.

قـال: ﴿ إِنَّمَـا يُـوَفَّى الـصَّـٰبِـرُونَ ﴾ أي الـذين صبـروا على طـاعـة الله وعن معصيتـه[3]. ﴿ أَجْرَهُمْ ﴾ يعني الجنـة ﴿ بِغَيْرِ حِسَـابٍ ﴾ أي: لا حساب عليهم في الجنة. كقوله: (يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ) [غافر: 40].

قوله: ﴿ قُلِ إِنِّي أُمِرْتُ أَنَ اعْبُدَ اللهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ وَأُمِرْتُ لِأَنَ اَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ أي: من هذه الأمة.

قوله: ﴿ قُلِ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي ﴾ [بمتابعتكم على ما تدعونني إليه من عبادة الأوثان][4] ﴿ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ أي جهنم.

(1) انظر وجوه قراءة قوله تعالى: (أَمَنْ هُوَ قَانِتٌ) وتأويلها في معاني الفراء ج 2 ص 416-417.
(2) سقط ذكر هذه الجملة الأخيرة من الآية وتفسيرها من ع فأثبتهما كما وردا في ز ورقة 298.
(3) في ع: «الذين صبروا على فرائض الله وعن معصيته»، وأثبت ما في ز فهو أحسن تعبيراً وأنسب.
(4) زيادة من ز، ورقة 298.

﴿ قُلِ اللهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَّهُ دِينِي فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّنْ دُونِهِ ﴾ وهذا وعيد هوله شديد، أي إنكم إن عبدتم من دونه عذبكم. ﴿ قُل إِنَّ الْخَسِرِينَ ﴾ أي: المغبونين، وقال في موضع آخر: (ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ) [التغابن: 9] ﴿ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ أي: غبنوا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ﴿ أَلاَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ أي: الغبن البيّن. خسروا أنفسهم فصاروا في النار، وخسروا أزواجهم من الحور العين.

إن الله جعل لكل أحد منزلاً في الجنة وأهلاً، فمن عمل بطاعة الله كان له ذلك المنزل والأهل، ومن عمل بمعصية الله صيّره الله إلى النار، وكان ذلك المنزل والأهل ميراثاً لمن عمل بطاعة الله إلى منازلهم وأهليهم التي جعلها لهم، فصار جميع ذلك لهم.

قوله: ﴿ لَهُمْ مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾ كقوله: (لَهُم مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ) [الأعراف: 41] ﴿ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ يَـٰعِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴾ أي: لا تشركوا بي شيئاً ولا تعصون.

قوله: ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّـٰغُوتَ ﴾ والطاغوت الشياطين ﴿ أَن يَّعْبُدُوهَا ﴾ وذلك أن الذين يعبدون الأوثان إنما يعبدون الشياطين لأنهم هم يدعونهم إلى عبادتها. قال: ﴿ وَأَنَابُوا إِلَى اللهِ ﴾ أي: وأقبلوا مخلصين إلى الله ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ﴾ أي: الجنة. قال: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾ أي: بشرهم بالجنة. و(القول): كتاب الله، (فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ) أي فيعملون بما أمرهم الله به فيه، وينتهون عما نهاهم الله عنه فيه. قال: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبَـٰبِ ﴾ أي: أولو العقول.

قال: ﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ ﴾ أي: سبقت عليه كلمة العذاب ﴿ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴾ أي: تهدي من وجب عليه العذاب، أي لا تهديه.

قال: ﴿ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

الأَنْهَـٰرُ﴾ أي: أنهار الجنة. تجري في غير خدود، أي: في غير خنادق من الماء والعسل واللبن والخمر، وهو أبيض كله؛ فطينة النهر مسك أذفر، ورضراضه الدّرّ والياقوت، وحافاته قباب اللؤلؤ. ﴿وَعْدَ اللهِ﴾ الذي وعد المؤمنين، يعني الجنة. ﴿لَا يُخْلِفُ اللهُ الْمِيعَادَ﴾(1).

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَـٰبِيعَ فِي الأَرْضِ﴾ والينابيع العيون(2). ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَـٰماً﴾ كقوله: (إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ)... إلى آخر الآية [يونس: 24]. قال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الأَلْبَـٰبِ﴾ أي: لذوي العقول، وهم المؤمنون، يتذكّرون فيعلمون أن ما في الدنيا ذاهب.

قال: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلَـٰمِ﴾ أي: وسّع. كقوله: (فَمَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ) [الأنعام: 125] قال: ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ أي: ذلك النور في قلبه. ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ أي الغليظة ﴿مِّنْ ذِكْرِ اللهِ أُولَـٰئِكَ فِي ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أي: عن الهدى. أي: إن الذي شرح الله صدره للهدى فهو على نور من ربه، ليس كالقاسي قلبه، يعني المشرك، الذي هو في ضلال مبين، أي عن الهدى، أي بيّن الضلالة. وهذا على الاستفهام، يقول: هل يستويان، أي: إنهما لا يستويان.

قوله: ﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ يعني القرآن ﴿كِتَـٰباً مُّتَشَـٰبِهاً﴾ أي: يشبه

---

(1) قال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 189: «(وَعْدَ اللهِ لَا يُخْلِفُ اللهُ المِيعَادَ)» نصب، مجازه مجاز المصدر الذي ينصبه فعل من غير لفظه. والوعد والميعاد والوعيد واحد. قال أبو عبيدة: إذا قلت: وعدتُ الرجلَ، فالوجه الخير، ويكون الشر؛ قال الله: (النَّارُ وَعَدَهَا اللهُ الذِينَ كَفَرُوا) [الحج: 72] وإذا قلت: أوعدت فالوجه الشر ولا يكون الخير».

(2) قال أبو عبيدة: الينابيع «واحدها ينبوع وهو ما جاش من الأرض». أي: ما تدفق، ومنه: جاش الوادي: إذا زخر وامتد جدّاً.

بعضه بعضاً في نوره وعدله وصدقه ﴿ مَّثَانِيَ ﴾ أي يثني الله فيه القصص أي: يذكر الجنة في هذه الصورة، ثم يذكرها في غيرها من السور. وهذا تفسير الحسن. وقال بعضهم: يذكر الآية في هذه السورة ثم يذكرها في الأخرى[1].

﴿ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾ أي: إذا ذكروا وعيد الله وما أعدّ. قال: ﴿ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللهِ ﴾ أي: إذا ذكروا أعمالهم الصالحات لانت جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله، أي إلى وعد الله الذي وعدهم[2].

قال: ﴿ ذَٰلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَّشَاءُ وَمَن يُّضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ أي: يهديه.

قال: ﴿ أَفَمَن يَّتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ أي: شدة العذاب ﴿ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ ﴾ أي: يُجَرُّ على وَجهه في النار. وأول ما تصيب منه النار إذا ألقي فيها وجهه لأنه يكبّ على وجهه، خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة، أي: أهو خير، أم هذا المؤمن الذي لان جلده وقلبه إلى ذكر الله، أي: إنهما لا يستويان. قال: ﴿ وَقِيلَ لِلظَّـٰلِمِينَ ﴾ أي: للمشركين ﴿ ذُوقُوا مَا كُنتُم تَكْسِبُونَ ﴾ أي: جزاء ما كنتم تعملون.

قوله: ﴿ كَذَّبَ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ أي: من قبل قومك يا محمد ﴿ فَأَتَيٰهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ أي: جاءهم فجأة. قال: ﴿ فَأَذَاقَهُمُ اللهُ الخِزْيَ فِي الحَيَوٰةِ الدُّنْيا ﴾ أي: فأهلكهم بعذاب الخزي بتكذيبهم. ﴿ وَلَعَذَابُ الأخِرَةِ أَكْبَرُ ﴾ من عذاب الدنيا ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ أي: لعلموا أن عذاب الآخرة أكبر من عذاب الدنيا.

(1) قال الزمخشري في الكشاف، ج 4 ص 123: «. . . (كِتَاباً) بدل من أحسن الحديث، ويحتمل أن يكون حالاً منه. و (مُتَشَابِهاً) مطلق في مشابهة بعضه بعضاً. . . ويجوز أن يكون (مَثَانِيَ) بياناً لكونه متشابهاً، لأن القصص المكررة لا تكون إلا متشابهة. والمثاني جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر. ولما ثنى من قصصه وأنبائه، وأحكامه، وأوامره ونواهيه، ووعده ووعيده ومواعظه. وقيل: لأنه يثنى في التلاوة، فلا يمل كما جاء في وصفه، لا يتْفَه ولا يَتَشَانُّ. . .».

(2) وقد أوجز الفراء هذا فقال في المعاني ج 2 ص 418: «تقشعر خوفاً من آية العذاب إذا نزلت، ثم تلين عند نزول آية رحمة».

قوله: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْءانِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ أي: لكي يتذكّروا، فيحذروا أن ينزل بهم ما نزل بالذين من قبلهم. قال: ﴿قُرْءاناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ أي: غير ذي لبس[1] ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: لكي يتّقوا.

قوله: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً رَّجُلاً﴾ أي: المشرك ﴿فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَـٰكِسُونَ﴾ أي: يعبد أوثاناً شتى. وهو مثل قول يوسف: (ءَارْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: 39] ﴿وَرَجُلاً سَلَماً لِّرَجُلٍ﴾ يعني المؤمن الذي يعبد الله وحده ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً﴾ أي: إنهما لا يستويان. قال: ﴿الْحَمْدُ لِلهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ وهم الذين لا يؤمنون.

قوله: ﴿إِنَّكَ﴾ يا محمد ﴿مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾.

ذكروا أنه لما نزلت هذه الآية جعل أصحاب النبي عليه السلام يقولون: وما خصومتنا فيما بيننا؟ فلما قتل عثمان بن عفان قالوا: هذه خصومتنا بيننا.

ذكروا أن علياً رضي الله عنه أي. . . . . . والى تحبو للخصومة يوم القيامة[2].

ذكروا عن عمار بن ياسر قال: ادفنوني في ثيابي فإني مخاصَم غداً.

ذكروا عن عمرو بن العاص أنه قال: كفنوني في ثياب خَلِقَة فإني مخاصم غداً، ثم قال: اللّهم لا بريئاً فأعتذر، ولا قوياً فأنتصر، غير أنك (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) [الأنبياء: 87].

---

(1) وهذا قول مجاهد بلفظه كما جاء في تفسيره ص 557. وقال ابن عباس والضحاك: «غير مختلف». وقال الزمخشري في الكشاف ج 4 ص 125: «مستقيماً بريئاً من التناقض والاختلاف». وهو تفسير جامع.

(2) وردت هذه الجملة في ع مخرومة، وبها بياض قدر كلمتين ولم أهتد لاستكمالها. ولم أجد في كتب التفسير والحديث والتاريخ هذا القول الذي روي عن الإمام علي في الموضوع. فهل هو مما انفرد بروايته ابن سلام؟.

ذكروا عن أبي رجاء العطاردي وعقبة بن صهبان قالا: سمعنا الزبير بن العوّام يقول: لقد تأولت هذه الآية زماناً وما أحدّث نفسي أن أكون من أهلها، فإذا نحن المعنيّون بها: (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً) [الأنفال: 25].

وفي تفسير الحسن: (عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ): يتخاصم النبي والمؤمنون والمشركون[1].

قوله: ﴿ فَمَنَ اَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللهِ ﴾ أي: افترى على الله كذباً وعبد الأوثان وزعم أن عبادتها تقرّب إلى الله. ﴿ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ﴾ يعني القرآن الذي جاء به محمد ﷺ، أي لا أحد أظلم منه[2]. ﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَـٰفِرِينَ ﴾ أي يثوون فيها أبداً. والمثوى المنزل، وهذا على الاستفهام، أي: بلى، فيها مثوى للكافرين.

قوله: ﴿ وَالذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ ﴾ أي: محمد جاء بالقرآن ﴿ وَصَدَّقَ بِهِ ﴾ يعني المؤمنين، صدقوا بما جاء به محمد[3]. ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾.

---

(1) كذا في ع، وفي ز: «يخاصم النبي والمؤمنون المشركين».

(2) في ع: «لا أحد أكذب منه» وأثبت ما جاء في ز ورقة 299، فهو أصح وأنسب: «لا أحد أظلم منه».

(3) هذا وجه من وجوه التأويل. وقيل: إن الذي صدّق به هو الرسول محمد ﷺ نفسُه. وقيل إنه أبو بكر. وهو قول نسب إلى علي كرّم الله وجهه. فقد قال في خطبته التي رثى بها أبا بكر ما يلي: «صدّقت رسول الله ﷺ حين كذّبه الناس، فسمّاك في تنزيله صدّيقاً؛ فقال: (وَالذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ)». انظر خطبته هذه فقد أوردها الباقلاني أبو بكر محمد بن الطيب في كتابه: إعجاز القرآن، ص 218-221، وهي من فصيح كلام العرب وبليغه.

وقد جمع الطبري كعادته بين الأقوال كلها فأحسن حين قال في تفسيره ج 24 ص 4: «والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره عنى بقوله: (وَالذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ) كلّ من دعا إلى توحيد الله وتصديق رسوله، والعمل بما ابتعث به رسوله ﷺ من بين رسول الله وأتباعه والمؤمنين به، وأن يقال: الصدق هو القرآن وشهادة أن لا إله إلا الله، والمصدِّق به المؤمنون بالقرآن من جميع خلق الله كائناً من كان من نبي الله وأتباعه».

قال: ﴿ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ لِيُكَفِّرَ اللهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ ﴾ أي ثوابهم ﴿ بِأَحْسَنِ الذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي: يجزيهم الجنة.

قوله: ﴿ أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ يعني محمداً، يكفيه المشركين حتى لا يصلوا إليه، كقوله: (وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) [المائدة: 67] حتى تبلّغ عن الله رسالته. ﴿ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالذِينَ مِن دُونِهِ ﴾ يعني الأوثان ﴿ وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ أي: يهديه. ﴿ وَمَن يَهْدِ اللهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ ﴾ أي: لا يستطيع أحد أن يضله ﴿ أَلَيْسَ اللهُ بِعَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ ﴾ أي: من أعدائه، وهذا على الاستفهام، أي: بلى، وهو شديد الانتقام، ذو انتقام.

قوله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم ﴾ يعني المشركين ﴿ مَّنْ خَلَقَ السَّمَٰوٰتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ ﴾ يعني أوثانهم ﴿ إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ ﴾ أي: بمرض ﴿ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ ﴾ أي بعافية ﴿ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ﴾ أي: لا يقدرن أن يكشفن ضراً ولا يمسكن رحمة. فكيف تعبدون الأوثان من دونه وأنتم تعلمون أن الله هو الذي خلق السماوات والأرض ﴿ قُلْ حَسْبِيَ اللهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ أي: لا رجاء غيره للصالحين.

قوله: ﴿ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ ﴾ أي: على ناحيتكم، أي: على شرككم ﴿ إِنِّي عَامِلٌ ﴾ على ما أنا عليه من الهدى ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾. وهذا وعيد هوله شديد. قوله: ﴿ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ﴾ يعني عذاب الاستئصال كما أهلك من كان قبلكم بتكذيبهم رسلهم[1]. ﴿ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ أي: في الآخرة.

قوله: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ﴾ يا محمد ﴿ الْكِتَابَ ﴾ أي القرآن ﴿ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ أي: على نفسه ﴿ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾ أي بحفيظ لأعمالهم حتى تجازيهم بها، إن الله هو الذي يجازيهم بها.

(1) كذا في ع، وفي ز ورقة 299: «يعني النفخة الأولى التي يهلك بها كفار آخر هذه الأمة».

قوله: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾ أي ويتوفّى التي لم تمت في منامها ﴿ فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ ﴾ أي: فيميتها ﴿ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ أي إلى الموت. أي: إن النائم إذا نام، في قول بعضهم، خرجت النفس، وهي الروح، فيكون بينهما مثل شعاع الشمس. وبلغنا أن الأحلام التي يراها النائم هي في تلك الحال. فإن كان ممن كتب الله عليه الموت في منامه خرج الروح أي النفس، وإن كان ممن لم يحضر أجله رجعت النفس أي الروح فاستيقظ(1).

وقال بعضهم: شبه [نوم](2) النائم بالوفاة، فيسمك التي قضى عليها الموت، أي التي يتوفاها وفاة الموت، ويرسل الأخرى التي لم يتوفها وفاة موت النائم، وهي النفس، إلى أجل مسمى، أي: إلى الموت الذي هو آخر أيامه(3).

قال: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾، وهم المؤمنون.

قوله: ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ﴾ أي: قد اتخذوهم ليشفعوا لهم ـ زعموا ـ وذلك لدنياهم ليصلحوها لهم، كقولهم: (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ) [الزمر: 3] ليصلحوا لهم معايشهم ولا يقرّون بالآخرة.

---

(1) كذا ورد تأويل هذه الآية في ع. والتعبير على إيجازه، واضح المعنى، وفيه: «خرجت النفس، وهي الروح» وبعده: «رجعت النفس أي: الروح». وجاء في ز نفس الألفاظ ولكن جاء التعبير هكذا: «خرجت النفس ويبقى الروح»، وبعده: «خرج الروح إلى النفس»، ولست مطمئناً إلى هذا التعبير الأخير، ويبدو أن ما جاء في ز خطأ من الناسخ، وأن عبارات ع هي الصحيحة وأقرب إلى الصواب؛ وانظر هذه المعاني في بعض كتب التفسير؛ انظر مثلاً تفسير القرطبي، ج15 ص 260، واقرأ كلاماً بيّناً واضح العبارة موجزاً للفخر الرازي في التفسير الكبيرج 26 ص 284.

(2) زيادة يقتضيها السياق.

(3) قال أبو عبيدة في تفسير الآية: «فجعل النائم مُتوفّى أيضاً إلا أنه يردُّه إلى الدنيا». وقال الفـراء: «والمعنى فيه: يتوفّى الأنفس حين موتها، ويتوَفّى التي لم تمت في منامها عند انقضاء أجلها. ويقال: إن توفيها موتها، وهو أحبّ الوجهين إليّ، لقوله: (فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ) ولقوله: (وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ). . .».

قال الله: ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ أَوَلَوْ كَانُوا ﴾ يعني أوثانهم ﴿ لاَ يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلاَ يَعْقِلُونَ ﴾ أي: إنهم لا يملكون شيئاً ولا يعقلون شيئاً.

﴿ قُل لِّلَّهِ الشَّفَـٰعَةُ جَمِيعاً ﴾ أي لا يشفع أحد يوم القيامة إلا بإذنه، أي: يأذن لمن يشاء من الملائكة والأنبياء والمؤمنين أن يشْفَعوا للمؤمنين فيشفّعهم فيهم[1]، لا لمعنى قد وجب، فتعالى الله.

قوله: ﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمَـٰوَٰتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ أي يوم القيامة، أي: لا يملك في السماوات والأرض غيره، ثم ترجعون إليه في الآخرة.

قوله: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ ﴾ أي: انقبضت ﴿ قُلُوبُ الذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالأَخِرَةِ ﴾ وهم المشركون ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ الذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾ يعني أوثانهم ﴿ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾، حين قرأ عليهم بمكة سورة والنجم، وألقى الشيطان على لسانه حيث انتهى إلى قوله: (أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى وَمَنَوٰةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ) [النجم: 19-20] لهن الغرانيق العلى وإن شفاعتهم لترتجى، ففرح المشركون بذلك؛ وهو قوله: (وَإِذَا ذُكِرَ الذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ).

قوله: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَـٰوَٰتِ وَالأَرْضِ عَـٰلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَـٰدَةِ ﴾ أي السر والعلانية ﴿ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ ﴾ يعني المؤمنين والمشركين ﴿ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ فيكون حكمه فيهم أن يدخل المؤمنين الجنة ويدخل المشركين النار[2].

(1) في ع: «فيشفّعهم بينهم» وأثبت ما جاء في ز، وهو أصحّ.

(2) هذا، وإن كان سياق الآيات يشير إلى الاختلاف الذي كان قائماً بين المؤمنين والمشركين، كما ذهب إليه جمهور المفسرين، إلا أن الآية تتناول أيضاً كل اختلاف وقع أو يقع بين المؤمنين أنفسهم في كل زمان ومكان، فكلّهم عباد الله. وقد اشتد في عصرنا هذا اختلاف المسلمين فيما بينهم، واستفحل أمره، فجرّ عليهم بلايا وفتناً فرّقت وحدتهم، ومزّقت صفوفهم، وأشعلت نيران الحروب بينهم، فصارت الأمة الإسلامية غرضاً لكل رام، وطعمة سائغة لكل معتد غاصب. ولو أن المسلمين اتقوا الله وأصلحوا ذات بينهم، ونبذوا الخلاف الذي احتدّ بينهم، فحكّموا كتاب الله وسنة نبيه عليه السلام فيما شجر بينهم، لكانوا سادة الدنيا ولأفادوا العالم بالنور المبين =

قوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ﴾ أي: من الذهب والفضة ﴿ وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ ﴾ أي: من شدة العذاب ﴿يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ﴾ لم يقبل منهم ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ أي: لم يكونوا يحتسبون أنهم مبعوثون ومعذبون.

قال: ﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ﴾ أي: ما عملوا ﴿ وَحَاقَ بِهِمْ ﴾ أي: وجب عليهم ﴿ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ أي: يسخرون في دار الدنيا بالنبي والمؤمنين فحاق بهم، أي: فأخذهم جزاء ذلك الاستهزاء، وهي جهنم بعد عذاب الدنيا.

قوله: ﴿ وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ ضُرٌّ ﴾ أي: مرض. ﴿ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَـٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا ﴾[1] أي أعطيناه عافية. فهذا الكافر ﴿ قَالَ: إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ [تفسير مجاهد: يقول: هذا بعملي][2] كقوله: (وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي) [فصلت: 50] أي: أنا محقوق بهذا. قال الله: ﴿ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ ﴾ أي: بلية ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يعني جماعة الكافرين.

قال: ﴿ قَدْ قَالَهَا ﴾ يعني هذه الكلمة ﴿ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ أي: من قبل مشركي العرب ﴿ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ أي: من أموالهم وجنودهم إذا نزل بهم عذاب الله، أي: إنهم لم تغن عنهم شيئاً.

قال: ﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ﴾ أي: نزل بهم جزاء أعمالهم، يعني الذين أهلك من الأمم. ﴿ وَالذِينَ ظَلَمُوا ﴾ أي: أشركوا ﴿ مِنْ هَٰؤُلَاءِ ﴾ يعني من هذه الأمة

= الذي أنزل عليهم، ولعاشوا في أوطانهم آمنين. فاللهم اهدنا لما اختُلِفَ فيه من الحق بإذنك، فإنك أنت الهادي، وإن هداك هو الهدى، وإنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.

(1) من هنا تستأنف مخطوطة القرارة التي أرمز لها بحرف ق، تفسير الربع الأخير من القرآن، على ما فيها من خرم. وكل ما نسخته وحققته من أول سورة صٓ فاعتمادي فيه على نسخة العطف: ع، ومقابلتها بمصورة مختصر تفسير ابن سلام لابن أبي زمنين: ز.

(2) زيادة من ز، ورقة 300.

﴿ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ﴾ يعني الذين تقوم عليهم الساعة من كفار آخر هذه الأمة؛ وقد أهلك أوائلهم أبا جهل وأصحابه بالسيف يوم بدر. قال: ﴿ وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ أي: وما هم بالذين يسبقوننا حتى لا نقدر عليهم فنبعثهم ثم نعذبهم.

قال: ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾ أي: بلى، قد علموا ذلك، أي: إن الله هو الذي يخلقهم وهو الذي يرزقهم. قال: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾.

قال: ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ ﴾ بالشرك والكبائر الموبقة. ﴿ لَا تَقْنَطُوا ﴾ أي: لا تيأسوا ﴿ مِن رَّحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً ﴾ على التوبة ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾.

ذكروا عن الحسن أنه قال: لما نزل في قاتل المؤمن وفي السارق والزاني وغير ذلك ما نزل تخوّف قوم أن يؤاخذوا بما عملوا في الجاهلية فقالوا: أينا لم يفعل، فأنزل الله: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً) أي: لمن تاب وآمن وعمل صالحاً[1]، (إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) وأنزل: (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَٰهاً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ. . .) إلى قوله: (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً) [الفرقان: 68-70] أي: لمن تاب إليه إذ جعل له بعد ذنوبه متاباً ومرجعاً[2].

---

(1) كذا في ع و ق: «أي: لمن تاب وآمن وعمل صالحاً»، وفي ز ورقة 300: «(إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً) التي كانت في الشرك». وقال الفراء في المعاني ج 2 ص 421. «هي في قراءة عبد الله (الذُّنُوبَ جَمِيعاً لمن يشاء). قال الفراء: وحدثني أبو إسحاق التيمي عن أبي روق عن إبراهيم التيمي عن ابن عباس أنه قرأها كما هي في مصحف عبد الله: (يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً لمن يشاء). وإنما نزلت في وحشيّ، قاتل حمزة وذويه».

(2) في ق و ع: تقديم وتأخير في بعض الجمل أثبت كل جملة في سياق معناها حسبما جاءت في ز.

قال الله: ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾ أي: ارجعوا إليه، يقوله للكافرين[1] ﴿ وَأَسْلِمُوا لَهُ ﴾ يغفر لكم ما كان في الجاهلية بعد إسلامكم ﴿ مِنْ قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً ﴾ أي: فجأة ﴿ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم ﴾ وهو أن يأخذوا بما أمرهم الله به، وينتهوا عما نهاهم الله عنه[2]. ﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً ﴾ أي: فجأة ﴿ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾.

قال: ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ ﴾ [معناه خوف أن تقول نفس][3] ﴿ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللهِ ﴾ تفسير مجاهد وغيره: في أمر الله. وتفسير الحسن: في ذات الله، أي: في الله[4]. ﴿ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴾ أي: كنت أسخر في الدنيا بالنبي والمؤمنين. ﴿ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾.

قال: ﴿ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ ﴾ أي: حين تدخل العذاب ﴿ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً ﴾ أي إلى الدنيا ﴿ فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾. أي: من المؤمنين.

قال الله: ﴿ بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ ءَايَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾.

قوله: ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ أي: بلى، لهم فيها مثوى يثوون فيها أبداً. والمثوى: المنزل.

---

(1) كذا في ق و ع، وفي ز: «(وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ) يقوله للمشركين، اقبلوا إلى ربكم بالإخلاص له».

(2) قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير، ج 24 ص 44: و(أَحْسَنَ) اسم تفضيل مستعمل في معنى كامل الحسن، وليس في معنى تفضيل بعضه على بعض لأن جميع ما في القرآن حسن. . .».

(3) زيادة من ز، والقول لابن أبي زمنين. وقال الفراء في المعاني ج 2 ص 421: «ألّا يقولَ أحدكم غداً».

(4) وقال الزمخشري في الكشاف، ج 4 ص 137: «. . . قالوا: فرّط في جنبه وفي جانبه، يريدون في حقه».

قوله: ﴿ وَيُنَجِّي اللهُ الذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ ﴾ أي: بمنجاتهم ﴿ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ ﴾ أي العذاب. ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾. وتفسير الحسن: لا يمسّهم السوء، أي: النار.

قوله: ﴿ اللهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ أي: لا خالق سواه ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ أي: حفيظ.

قوله: ﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي: مفاتيح السماوات والأرض، في تفسير مجاهد، وهي لغة بالفارسية، وتفسير الحسن: المقاليد: المفاتيح والخزائن.

وذكروا عن أبي المتوكل الناجي قال: كان رسول الله ﷺ في مسير له فنزل منزلاً[1]. . . .

قال: ﴿ وَالذِينَ كَفَرُوا بِئَايَـٰتِ اللهِ أُولَـٰئِكَ هُمُ الْخَـٰسِرُونَ ﴾ أي: خسروا أنفسهم فصاروا إلى النار.

قوله: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَـٰهِلُونَ ﴾ يعني المشركين دعوه إلى عبادة الأوثان.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الذِينَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ من الأنبياء كما أوحينا إليك ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَـٰسِرِينَ ﴾.

قال الله: ﴿ بَلِ اللهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّـٰكِرِينَ ﴾ والله يعلم أنه لا يشرك ولا يحبط عمله.

قوله: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ أي ما عظّموا الله حق عظمته [إذ عبدوا الأوثان من دونه][2] ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ أي: بقدرته ﴿ وَالسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ أي: بملكه وسلطانه ﴿ سُبْحَـٰنَهُ ﴾ ينزّه نفسه ﴿ وَتَعَـٰلَىٰ ﴾ أي ارتفع

(1) كذا ورد هذا الخبر مبتوراً في ع و ق، وفي كل منهما بياض قدر ثلاث كلمات. وكأني بهذا الخبر قد مرّ من قبل في هذا التفسير بهذه العبارة في أوله، ولكنني لم أهتد لموضعه الآن.

(2) زيادة من ز، ورقة 301.

﴿ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾. فإن زعم زاعم أن الله يقبض كما يقبض الخلق، أو له يمين أو شمال كما للخلق فقد كفر بالله[1].

حدث أبو عبد الرحمن عن أبي الفضل عن مروان عن جريج عن عطاء عن ابن عباس عن عائشة أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة قوماً يضاهون الربَّ. قلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، كيف يضاهون الرَّب؟ قال: يشبّهون الله بأنفسهم يضاهون بذلك قول اليهود حيث زعموا أن الله على صورة آدم[2].

قوله: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ﴾ والصور قرن ينفخ فيه صاحب الصور. ﴿ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللهُ ﴾ قال الحسن: استثنى الله طوائف من أهل السماء، ولم يكن يسمّيهم، يموتون بين النفختين.

قال بعضهم: بلغنا آخر من يبقى[3] منهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، حتى يموت جبريل وميكائيل وإسرافيل، ثم يقول الله لملك الموت مت. فيموت.

ذكروا عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: أنا أول من تنشق عليه الأرض فأجد موسى متعلقاً بالعرش، فلا أدري أحوسب بالصعقة الأولى أم خرج قبلي[4].

---

(1) هذه الجملة الأخيرة وتفسير اليمين بالملك والسلطان من زيادات الشيخ هود ولا شك. وجاء بدلاً عنها في ز ما يلي: «يحيى عن عثمان البري قال: حدثني نافع قال حدثني عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله يقول: إن الرحمٰن يطوي السماوات يوم القيامة بيمينه والأرضين بالأخرى ثم يقول: أنا الملك أنا الملك أنا الملك».

(2) انظر الإشارة إليه فيما سلف ج 3 ص 133.

(3) كذا في ق، وفي ع: «آخر من يشاء منهم».

(4) حديث صحيح، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، سورة الزمر، عن أبي هريرة، وأخرجه مسلم والترمذي وابن ماجه. وفي بعض ألفاظ الحديث: «فلا أدري أرفع رأسه قبلي أم كان ممن استثنى الله عز وجل».

ذكروا عن عمارة بن عرات[1] قال: قال رسول الله ﷺ: (إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ) الشهداء. قالوا: ما أحسن هذا الصوت، كأنه الأذان في الدنيا فلم يفزعوا ولم يموتوا[2].

قال: ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾. قال الحسن: بين النفختين أربعون؛ الأولى يميت الله بها كل حي، والأخيرة يحيي الله بها كل ميت. ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: بين النفختين أربعون[3]. هكذا جاء في الحديث، وكان من أصحاب النبي من قال: إنها أربعون سنة.

قوله: ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ ﴾ الذي كتبته الملائكة عليهم في دار الدنيا. ﴿ وَجِاْيٓءَ بِالنَّبِيِّينَ ﴾ أي: الذين بعثوا إليهم والذين أقاموا الحجة عليهم ﴿ وَالشُّهَدَاءِ ﴾ وهم الملائكة عليهم السلام[4] الحفظة الذين كتبوا عليهم. وهو قوله: (يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ) [المطففين: 21] يشهدون نسخه في الدنيا ويشهدون على العبد يوم القيامة أنه عمله. وقال في سورة قٓ: (وَقَالَ قَرِينُهُ) أي الملك الذي يكتب عمله (هَٰذَا مَا لَدَيَّ) أي عندي، أي: ما كتبت عليه (عَتِيدٌ) [سورة قٓ: 23] أي حاضر. قال: ﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ ﴾ أي: بالعدل. ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾.

ذكروا عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيهتمون لذلك، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا عسى أن يريحنا من مكاننا هذا، فينطلقون حتى يأتوا آدم عليه السلام، فيقولون: أنت أبونا، قد خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلّمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا عند ربنا حتى يريحنا من مكاننا

---

(1) كذا ورد هذا الاسم في ع وفي ق: «عمارة بن عرات»، وفي اسم الوالد تصحيف ولا شك، ولم أجد فيما بين يدي من كتب التراجم من يحمل هذا الاسم من الصحابة، ولعله عمارة بن حزم الأنصاري الخزرجي، أو عمارة بن زياد بن السكن الأنصاري الأشهلي.

(2) أخرجه الدارقطني وابن المنذر والحاكم وصححه عن أبي هريرة.

(3) حديث صحيح أخرجه البخاري في كتاب التفسير، سورة الزمر، عن أبي هريرة.

(4) تنقطع هنا مخطوطة القرارة، وسوف لا يستأنف التفسير بها إلا في سورة فصلت.

هذا، فيقول: لست هناك، ويذكر خطيئاته التي أصابها بدعواته ربّه بغير علم، ولكن ايتوا إبراهيم، خليل الرحمن. فيأتون إبراهيم فيقول: لست هناك، ويذكر خطيئته التي أصابها بثلاث كذبات: قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: 89]، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا﴾ [الأنبياء: 63]، وقوله لامرأته: إن سألوك فقولي: إني أخته، ولكن ايتوا موسى، عبداً كلّمه الله تكليماً، واصطفاه وأعطاه التوراة. فيأتون موسى فيقول: لست هناك، فيذكر خطيئته التي قتل فيها الرجل، ولكن ايتوا عيسى، عبد الله ورسولَه وكلمتَه وروحَه، فيأتون عيسى فيقول: لست هناك ولكن ايتوا محمداً ﷺ، عبداً غُفِر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. فيأتوني، فأقوم بين يدي ربي، وأقع ساجداً له. فيدعني ما شاء أن يدعني فيقول: ارفع رأسك، فأحمد ربي ثلاثاً، ثم أشفع للمؤمنين والمؤمنات، فيحمدني أهل السماوات وأهل الأرض، فذلك قوله: ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً﴾[1] [الإسراء: 79]. فطوبى لمن كان له في شفاعة محمد ﷺ يومئذ نصيب، وويل لمن لم يكن له يومئذ في شفاعته حظ ولا نصيب.

ذكروا عن عطاء بن يزيد قال: يجتمع الأنبياء بعضهم إلى بعض فيقولون: طال علينا الحشر، فهلمّ فلندع ربنا ليريحنا من مكاننا هذا، فيأتون آدم عليه السلام، فيذكر من يأتون نبيّاً نبيّاً، حتى يأتوا عيسى بن مريم فيقول: ما أنا بصاحبها، إن صاحبها لمحمّد، فيأتونه فيقولون: أنت عبد الله ورسوله، ختم بك النبيين، وغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، طال بنا الحشر، فادع لنا ربك ليريحنا من مكاننا هذا. فيقوم، فيأتي باب الجنة فيستفتح فيقال: من هذا؟ فيقول: محمد، فيُفتح له، فيخرّ ساجداً ما شاء الله، فيقال له: ارفع رأسك، قد قُضِيت حاجتك. فيقول: ربّ، عبادك، وأنت أعلم بهم، فتوضع موازين القسط، فيوتى بالنبيين والشهداء، ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

(1) حديث صحيح أخرجه أصحاب السنن. انظر مثلاً صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة بني إسرائيل في حديث طويل رواه أبو هريرة.

ذكروا عن نافع عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الناس ليقومون لرب العالمين حتى إن أحدهم ليغيب في رشحه إلى أنصاف أذنيه[1].

وقال بعضهم: بلغنا أنهم يقومون مقدار ثلاثمائة سنة قبل أن يقضي بينهم.

ذكروا أن سلمان الفارسي قال: إن الشمس تدنو من الناس يوم القيامة حتى تكون قاب قوسين، وتعطي حرّ عشر سنين، وما على أحد منهم يومئذ مخرجه[2]. أي: ما يستره، وما يُضرّ مؤمن ولا مؤمنة، وأما الكافر فتطحنهم حتى إن أجوافهم لتقول: عق[3].

وذكر بعضهم قال: ويرشح أحدهم إلى الأرض سبع قيم[4].

ذكروا عن أبي وائل أو ابن حسس[5] عن حذيفة بن اليمان قال: المؤمنون جلوس على كراسي.

وذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: ما طول يوم القيامة على المؤمن إلا كرجل دخل في صلاة مكتوبة فأتمها وأحسنها وأجملها[6].

---

(1) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في صفة يوم القيامة... عن ابن عمر (رقم 2862) وأخرجه الترمذي في كتاب الزهد، باب ذكر البعث عن ابن عمر أيضاً.

(2) كذا وردت هذه الكلمة «مخرجه» في ع ولم أهتد لما بها من تصحيف، وإن فسّرت بعد.

(3) كذا وردت الكلمة «عق» في ع، ولعلها «عيق» من أصوات الزجر، والراجح أنها «غاق»، وهي حكاية صوت الغراب، ويقال: غاق غاق، أي: بعدا بعدا.

(4) وردت العبارة في ع غير واضحة، وخاصة الكلمة الأخيرة، فأثبتها «قيم» جمع قامة.

(5) كذا ورد هذا الاسم في ع: «ابن حسس» غير واضح، ولم أجده.

(6) لم أجده بهذا اللفظ. وقد جاء معناه في حديث مرفوع رواه الطبري في تفسيره، ج 29 ص 72، عن أبي سعيد الخدري لما تلا رسول الله ﷺ قوله تعالى من سورة المعارج: ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ فقيل له: ما أطول هذا، فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده إنه ليُخفّف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من الصلاة المكتوبة يصليها في الدنيا. وانظر الدر المنثور، ج 6 ص 265. وأخرجه يحيى بن سلام بالسند التالي: «يحيى عن خداش عن عوف الكوفي عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ...» كما في ز، ورقة 388.

قوله: ﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ ﴾ أما المشركون فليس يعطون بأعمالهم الحسنة في الآخرة شيئاً، لأنهم قد جوزوا بها في الدنيا. وأما المؤمنون فيُوَفَّون حسناتهم في الآخرة، وأما سيئات المؤمن، فإنه يحاسب بالحسنات والسيئات؛ فإن فضلت حسناته سيئاته بحسنة واحدة ضاعفها الله، وهو قوله: (إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً) [النساء: 40]، وإن استوت حسناته وسيئاته فهو من أصحاب الأعراف يصير إلى الجنة، وإن فضلت سيئاته حسناته فقد فسّرنا ذلك في غير هذه السورة[1]، قال: ﴿ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَسِيقَ الذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَراً ﴾ أي: زمرة زمرة، أي: فوجاً فوجاً في تفسير الحسن. وفي تفسير الكلبي، زمراً: أمماً، وكذلك أهل الجنة. ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِّحَت أَبْوٰبُهَـا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَاتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُم ءَايَـٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَـٰفِرِينَ ﴾.

﴿ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ أي لا يخرجون منها أبداً ﴿ فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ أي: عن عبادة الله.

﴿ وَسِيقَ الذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوٰبُهَـا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ ﴾.

ذكروا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: إذا توجّهوا إلى الجنة مرّوا بشجرة تجري من ساقها عينان، فيشربون من إحداهما فتجري عليهم بنضرة النعيم، فلا تتغيّر أبشارهم، ولا تشعث أشعارهم بعدها أبداً، ثم يشربون من الأخرى، فيخرج ما في بطونهم من أذى وقذى، ثم تستقبلهم الملائكة خزنة الجنة، فيقولون لهم: (سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ)، ثم تتلقاهم الولدان، فيعرف الولدان من قد جعلهم الله له[2]، يبشون لهم ويفرحون بهم كما يفرح الحبيب بالحبيب، أو كما يفعل

(1) انظر ما سلف، ج 1 ص 577.

(2) الصواب أن يكون «لهم» ولكن المؤلف يذكر أحياناً الولدان بالمفرد وأحياناً بالجمع ويقصد كل واحد من الولدان كما يذكر أزواج الرجل ويردّ الضمير إلى كل واحدة منهن.

الولدان بالحميم إذا جاءه من غيبة. لم يذهب أحدهم حتى يأتي أزواجَه، أزواجَ الرجل، فيبشرهن ويقول: قد جاء فلان فيسميه باسمه، فيقلن: أنت رأيته، فيقول: نعم، فيسبقها الفرح حتى تقوم على أسكفّة بابها تنتظره. فيجيء فيدخل بيتاً أسفله على جندل اللؤلؤ وجندل الحصا وحيطانه من كل لون، فينظر إلى سقفه، فلولا أن الله قدر له ألّا يذهب بصره لذهب؛ فإذا ﴿سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ وَنَمارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية: 13-16] فيقول: ﴿الْحَمْدُ لِلهِ الذِي هَدَيٰنَا لِهٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَيٰنَا اللهُ﴾ [الأعراف: 43]. . . إلى آخر الآية.

وتفسير الحسن في قوله: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾. ويفاضل ما بينهم كمثل كوكب بالمشرق وكوكب بالمغرب. وقال بعضهم: يحبس أهل الجنة حتى يؤخذ بعضهم من بعض ضغائن كانت بينهم، ثم يدخلون الجنة.

وقال مجاهد: ﴿طِبْتُمْ﴾ أي: طبتم بطاعة الله.

قوله: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلهِ الذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾ أي: إن الله وعد المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار وأشباهها. ﴿وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ﴾ يعني أرض الجنة ﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ أي: ننزل حيث نشاء ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَـٰمِلِينَ﴾ أي: في الدنيا، أي: إنعام أتاهم به الله إذ أثابهم بالجنة.

ذكروا عن الحسن قال: إن أدنى أهل الجنة منزلاً آخرهم دخولاً، فيعطى فيقال له: انظر ما أعطاك الله. ويفسح له في بصره فينظر إلى مسيرة مائة سنة ليس فيه شبر إلا وهو عامر بالقصور من الذهب والفضة وخيام اللؤلؤ والياقوت، فيها أزواجه وخدمه، يُغدى عليه كل يوم بسبعين صحفة من ذهب ويراح عليه بمثلها: في كل واحدة لون ليس في الأخرى، يأكل من أخراها كما يأكل من أولها، لو نزل به الجن والإنس في غَداء واحد لوَسِعهم، ولا ينقص ذلك مما عنده.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: إن أسفل أهل الجنة منزلة لمن يسعى عليه سبعون

ألف غلام، وإن أرفع أهل الجنة درجة الذي يسعى عليه سبعمائة ألف غلام[1]. وذكر في القصص نحو من حديث الحسن.

قوله: ﴿ وَتَرَى الْمَلَٰئِكَةَ حَافِّينَ ﴾ [أي محدقين][2] ﴿ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ ذكر بعضهم قال: قال الله لآدم عليه السلام: يا آدم أهبط معك بيتي يطاف حوله كما يطاف حول عرشي، فطاف به آدم ومن بعده، حتى إذا كان الطوفان، زمان أغرق الله فيه قوم نوح، رفعه من أن يصيبه عقوبة، فبناه [إبراهيم][3] على أساس قديم كان قبله.

قوله: ﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ ﴾ أي فصل بينهم ﴿ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴾ قاله المؤمنون؛ حمدوا الله على ما أعطاهم وعلى ما صيّرهم إليه من النعيم والسرور الذي لا انقطاع له. و(الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ).

---

(1) أخرجه الترمذي في صفة أهل الجنة، باب ما لأدنى أهل الجنة من الكرامة عن أبي سعيد الخدري، وإسناده ضعيف.

(2) زيادة من ز، ورقة 301.

(3) زيادة لا بد منها، ولعلها سهو من الناسخ.

تفسير سورة المؤمن[1]، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ حمٓ ﴾ ذكروا أن علياً رضي الله عنه قال: (الٓر)، و (حمٓ) و (نٓ): الرحمن. وكان الحسن يقول: لا أدري ما تفسير (حمٓ) (وطسٓمٓ) وأشباه ذلك، غير أن قوماً من السلف كانوا يقولون: أسماء السور وفواتحها.

قال: ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَٰبِ ﴾ أي القرآن، ﴿ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ ﴾ في ملكه، الذي ذل من دونه لعزته. ﴿ الْعَلِيمِ ﴾ بخلقه.

﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ ﴾ أي: التوبة ﴿ شَدِيدِ الْعِقَابِ ﴾ أي: إذا عاقب[2]. ﴿ ذِي الطَّوْلِ ﴾ أي: ذي الغنى[3]، أي: إنه الغني ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ أي: لا معبود سواه، ولا ربّ إلا هو ﴿ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ أي: البعث.

قوله: ﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِي ءَايَٰتِ اللهِ ﴾ فيجحدها ﴿ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ

(1) في ع: «سورة المؤمنين» وهو خطأ. صوابه: «المؤمن» كما جاءت في كتب التفسير الأولى مثل مجاز أبي عبيدة ومعاني الفراء، ومعاني الأخفش، وتفسير ابن قتيبة. وهي سورة غافر. وفي بعض المصاحف: «حم المؤمن».

(2) كذا في ع: «(شَدِيدُ العِقَابِ) أي: إذا عاقب»، وفي ز، ورقة 201: «(شَدِيدُ الْعِقَابِ) لمن لم يؤمن».

(3) وقال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 194: «(ذِي الطَّوْلِ) ذي التفضّل، تقول العرب للرجل: إنه لذو طَول على قومه، أي: ذو فضل عليهم». وقال ابن قتيبة: «الطول التفضّل: يقال: طُلْ عليّ برحمتك، أي: تفضّل».

تَقَلُّبُهُمْ ﴾ أي: إقبالهم وإدبارهم ﴿ فِي الْبِلَدِ ﴾ يعني في الدنيا بغير عذاب، فإن الله معذّبهم.

قوله: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُم ﴾ أي قبل قومك يا محمد ﴿ قَوْمُ نُوحٍ والأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ ﴾، يعني عاداً وثموداً ومن بعدهم، الذين أخبر بهلاكهم لتكذيبهم رسلهم. ﴿ وَهمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ﴾ فيقتلوه ﴿وَجَٰدَلُوا ﴾ أي: وخاصموا ﴿ بِالْبَٰطِلِ ﴾ أي: بالشرك، جادلوا به الأنبياء والمؤمنين. ﴿ لِيُدْحِضُوا بِهِ الحَقَّ ﴾ أي: ليدفعوا به الحق؛ أي: الإيمان ﴿ فَأَخَذتُّهُمْ ﴾ أي: بالعذاب ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ أي: كان شديداً.

قوله: ﴿ وَكَذٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَٰتُ رَبِّكَ ﴾ أي: سبقت كلمات ربك ﴿ عَلَى الذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ النَّارِ ﴾ أي: بكفرهم.

﴿ الذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ ﴾ أي: ومن حول العرش ﴿ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾. ذكر بعضهم قال: قال الله لآدم: يا آدم أهبط بيتي معك يطاف حوله كما يطاف على العرش.

قال: ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلذِينَ ءَامَنُوا ﴾ يقولون ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَّعِلْماً ﴾ أي: ملأت كل شيء رحمة وعلماً ﴿ فَاغْفِرْ لِلذِينَ تَابُوا ﴾ من الشرك والنفاق وأعمال السيئات ﴿ وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ ﴾ أي: الهدى، يعني الإسلام، وهو السبيل، أي الطريق إلى الجنة. ﴿ وَقِهِمْ ﴾ أي: واصرف عنهم ﴿ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾.

﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ﴾ وعدن أرفع الجنة وبطنانها، إليها تنسب الجنان. ﴿ التِي وَعَدتَّهُمْ ﴾ أي: إن الله وعد المؤمنين في كتابه الجنة فقال: (وَعَدَ اللهُ الْمُومِنِينَ وَالْمُومِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ) [التوبة: 72]. . . إلى آخر الآية، وغير ذلك مما وعدهم فيها أي: في الجنة.

قال: ﴿ وَمَنْ صَلَحَ مِنَ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ﴾ أي: ومن آمن وعمل

صالحاً منهم ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾. وقال في سورة الطور: (وَالذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ) [الطور: 21] أي: وما انتقصناهم من عملهم من شيء. إن الله يرفع إلى المؤمن ولده في الجنة وإن كان دونه في العمل ليُقِرَّ به عينَه، وكذلك الآباء يُرفعون إلى الأبناء في درجاتهم في الجنة إذا كانت الآباء دونهم في العمل. وولدان المسلمين الذين لم يبلغوا العمل أيضاً مع آبائهم من أهل الجنة.

ذكروا عن سعيد بن المسيب قال: سئل رسول الله ﷺ عن المرأة يكون لها الزوجان في الدنيا، امرأة من تكون في الجنة. قال: امرأة الآخر.

قال: ﴿ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ ﴾ أي: جهنم، وهذا جزاء الشرك والنفاق[1] ﴿ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ ﴾ قال: ﴿ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ أي: هي النجاة العظيمة من النار إلى الجنة.

قوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ ﴾ وهم في النار ﴿ لَمَقْتُ اللهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾ أي: لمقت الله إياكم في معصيته أكبر من مقتكم أنفسكم في النار، وذلك أن أحدهم يمقت نفسه ويقول: مقتُّكِ يا نفسي. قال: ﴿ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الإِيمَانِ ﴾ أي: في الدنيا ﴿ فَتَكْفُرُونَ ﴾.

﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ ﴾ وهو قوله في سورة البقرة، (كَيْفَ تَكْفُرونَ بِاللهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ) [البقرة: 28] يقول: (كُنْتُمْ أَمْوَاتاً) في أصلبة آبائكم نطفاً، (فَأَحْيَاكُمْ)، يعني هذه الحياة في الدنيا، (ثُمَّ يُمِيتُكُمْ) يعني بهذا موتكم (ثُمَّ يُحْيِيكُمْ) يعني البعث ﴿ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّنْ سَبِيلٍ ﴾.

تفسير الحسن: إن فيها إضماراً: قال الله: [لا، ثم قال][2]: ﴿ ذَلِكُمْ بِأَنَّه إِذَا

(1) كذا في ع، وفي ز ورقة 302: «يعني جهنم، هي جزاء الشرك». وكلمة النفاق زيادة من الشيخ هود، ولا شك، وهي غير واردة في ز.

(2) زيادة سقطت من ع، وهي موجودة في ز، وإثباتها لا بد منه وإلا لما ظهر الإضمار الذي رآه =

دُعِيَ اللهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا ﴾ أي: تصدِّقوا بعبادة الأوثان.

وقال بعضهم: ليس فيها إضمار، ولكن قال: (إِنَّ الذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمُ أَنْفُسَكُمْ) لأنكم كنتم (تُدْعَوْنَ) في الدنيا (إِلَى الإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ).

قال: ﴿ فَالْحُكْمُ لِلهِ العَلِيِّ ﴾ أي: لا أعلى منه ﴿ الْكَبِيرِ ﴾ أي لا أكبر منه. قوله: (فَالْحُكْمُ لِلهِ) أي حكمه على العباد بأن أدخل المؤمنين الجنة وأدخل المشركين النار.

قوله: ﴿ هُوَ الذِي يُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِ ﴾ أي: ما يرى العباد من قدرته ﴿ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقاً ﴾ أي: مطراً؛ أي في المطر أرزاق العباد. ﴿ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴾ أي: إلا من يرجع إلى الله فيخلص العبادة له، يعبده لا يشرك به شيئاً.

﴿ فَادْعُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَـٰفِرُونَ ﴾ كان المشركون يكرهون أن يظهر دين الله، كقوله: (هُوَ الذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) [التوبة: 33].

قوله: ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَـٰتِ ﴾ أي: هو رفيع الدرجات، أي: درجات المؤمنين في الجنة ﴿ ذُو الْعَرْشِ ﴾ رب العرش ﴿ يُلْقِي الرُّوحَ ﴾ أي: ينزل الوحي[1] ﴿ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ أي: الأنبياء مع جبريل ﴿ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴾ أي: يوم القيامة، يوم يلتقي فيه الخلائق من أهل السماء وأهل الأرض عند الله يوم القيامة.

﴿ يَوْمَ هُمْ بَـٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ﴾ أي: لا يتوارى عنه شيء في الدنيا والآخرة. ﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ﴾ يسأل الخلائق فلا يجيبه أحد، فيردّ على نفسه فيقول: ﴿ لِلهِ الْـوَٰحِدِ الْقَهَّارِ ﴾. قهر العباد بالموت وبما شاء من أمره.

= الحسن، والذي أشار إليه الطبري في تفسيره، ج 24 ص 48، وهو وجه من وجوه تأويل الآية؛ ويذكر المؤلف الوجه الآخر بعد هذا مباشرة.

(1) قال الفراء في المعاني ج 3 ص 6: «الروح في هذا الموضع النبوّة؛ لينذر من يلقي عليه الروحَ يومَ القيامة». والقول الأول قول قتادة. وقال بعضهم: الروح هنا هو جبريل.

قال بعضهم: هذا ما بين النفختين، حين لا يبقى أحد غيره، حيث تكون الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه. وقال بعضهم: هذا بعد البعث حين يجمع الخلائق، ولا أدري لعله في الموطنين جميعاً، والله أعلم.

قوله: ﴿ الْيَوْمَ ﴾ يعني في الآخرة ﴿ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾. قال بعضهم: يفرغ من حساب الخلائق في مقدار أقل من نصف يوم من أيام الدنيا.

قوله: ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزِفَةِ ﴾ أي: يوم القيامة[1] ﴿ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ ﴾ قال بعضهم: انتزعت القلوب فغصّت بها الحناجر، فلا هي ترجع إلى أماكنها ولا هي تخرج.

قال: ﴿ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ ﴾ أي: المشركين ﴿ مِنْ حَمِيمٍ ﴾ من قرابة. وقال مجاهد: الحميم: الشفيق. وقال الحسن: ما له من حميم، أي: يحمل عليهم من ذنوبهم شيئاً. ﴿ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ أي: لا يشفع لهم أحد، ليس يعني يشفع لهم فلا يطاع، وإنما الشفاعة للمؤمنين.

قال الله: ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ ﴾ أي لحظ الأعين في تفسير الحسن. وقال بعضهم: هي الهمزة بعينه وإغماضه فيما لا يحب الله تعالى[2]. وقال مجاهد: هي مسارقة نظر الأعين إلى ما نهى الله عنه[3]. قال: ﴿ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ أي: ويعلم ما تخفي صدوركم.

---

(1) قال ابن أبي زمنين في ز، ورقة 303: «إنما قيل للقيامة آزفة لأنها قريبة وإن استبعد الناس مداها. يقال: أزفت تأزف أزفاً، وقد أزِف الأمر، إذا قرب».

(2) في ع: «إغماض العين بعينه». وفي العبارة فساد ونقص، فأثبت التصحيح من تفسير القرطبي، ج 15 ص 303، ومن تفسير الطبري، ج 24 ص 54. والقول فيهما لقتادة.

(3) في ع: «وقال مجاهد: نظره إلى ما يجمل له» كذا. لعل صوابه: إلى ما يحل له. وأثبت التصحيح من عبارة القرطبي في تفسيره، ومن تفسير مجاهد ص 564: «نظر الأعين إلى ما نهى عنه، وهي العبارة التي وردت في ز، ورقة 303. وقال الفراء في المعاني، ج 3 ص 7: «... يقال: إن للرجل نظرتين، فالأولى مباحة له، والثانية محرمة عليه. فقوله: (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ) =

قال: ﴿ وَاللهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ﴾ يعني أوثانهم ﴿ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ أي: لا أسمع منه ولا أبصر.

قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ ﴾ أي: من مشركي العرب ﴿ قُوَّةً ﴾ أي بطشاً ﴿ وَءَاثاراً فِي الأَرْضِ ﴾ يعني آثار من مضى مما عملوا من المدائن وغيرها من آثارهم ﴿ فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ ﴾ أي: بشركهم وتكذيبهم رسلهم فأهلكهم بالعذاب ﴿ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللهِ مِن وَّاقٍ ﴾ يقيهم من عذاب الله.

قال: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالبَيِّنَـٰتِ فَكَفَرُوا ﴾ بالله ﴿ فَأَخَذَهُمُ اللهُ ﴾ بالعذاب ﴿ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ إذا عاقب[1].

قوله: ﴿ وَلَقَدَ ارْسَلْنَا مُوسَىٰ بِئَايَٰتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ أي: وبحجة بينة ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ يعنون موسى.

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم ﴾ أي: موسى ﴿ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ ﴾ أي: الذين صدقوه ﴿ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ ﴾ فلا تقتلوهن. قال الله: ﴿ وَمَا كَيْدُ الْكَـٰفِرِينَ ﴾ يعني المشركين ﴿ إِلاَّ فِي ضَلَـٰلٍ ﴾ أي: يذهب فلا يكون شيئاً، أي: في العاقبة.

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنَ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ ﴾ يقوله لأصحابه؛ أي: [خلوا بيني وبينه فأقتله، ولم يخف أن يمنع منه][2] ﴿ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ﴾ أي: وليستعن به، إن ربه لا يغني عنه شيئاً. فقالوا له: لا تقتله، فإنما هو ساحر، فإنك إن قتلته أدخلت على الناس الشبهة، ولكن أرجه، احبسه وأخاه.

= في النظرة الثانية، (وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) في النظرة الأولى. فإن كانت النظرة الأولى تعمداً كان فيها الإثم أيضاً، وإن لم يكن تعمدها فهي مغفورة».

(1) كذا في ع: «إذا عاقب»، وفي ز: «(شَدِيدُ العِقَابِ) للمشركين.

(2) زيادة من ز، ورقة 303.

قال: ﴿ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ ﴾. قال الحسن: كانوا عبدة أوثان. ﴿ وَأَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ ﴾ [يعني أرض مصر][1] ﴿ الفَسَادَ ﴾ فيظهر خلاف دينكم. وقال بعضهم: يقتل أبناءكم كما قتلتم أبناءهم.

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ ﴾ أي بالله أتعوّذ ﴿ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ ﴾ أي عن عبادة الله ﴿ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾.

قوله: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ أي: من قوم فرعون ﴿ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُ ﴾ قال الحسن: قد كان مؤمناً قبل أن يأتيهم موسى ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُم ﴾ والبيّنات الآيات التي جاءهم بها موسى: يده وعصاه والطوفان والجراد والقمّل والضفادع والدم (وَلَقد أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ) [الأعراف: 130]. قال: ﴿ وَإِن يَكُ كَـٰذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الذِي يَعِدُكُمْ ﴾. كان موسى ﷺ يعدهم عذاب الله في الدنيا والآخرة. إن لم يؤمنوا، وقد كان مؤمن آل فرعون علم أن موسى على الحق. قال: ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ ﴾ أي: مشرك ﴿ كَذَّابٌ ﴾.

﴿ يَـٰقَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَـٰهِرِينَ فِي الأَرْضِ ﴾ يعني غالبين على أرض مصر. ﴿ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللهِ ﴾ أي: من عذاب الله ﴿ إِنْ جَاءَنَا ﴾ يقوله لقومه، على الاستفهام، أي: لا يمنعنا منه أحد.

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ أي: ما أريكم إلا ما أرى لنفسي، والرأي الذي أريكم هو سبيل الرشاد، يعني جحود ما جاء به موسى، والتمسّك بما هم عليه.

ذكروا أن فرعون قال: يا هامان، إن موسى يعرض علي أن لي ملكي حيّاً ما بقيت، ولي الجنة إذا متّ. فقال له هامان: فما كنت إلهاً تُعْبَدُ إذا صرت عبداً، أو قال: عبداً لعبد؛ فردّه عن رأيه.

(1) زيادة من ز، ورقة 303.

﴿ وَقَالَ الذِي ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ ﴾ أي: مثل عذاب الأمم الخالية. [ثم أخبر عن يوم الأحزاب][1] فقال: ﴿ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالذِينَ مِن بَعْدِهِمْ ﴾ فالدأب الفعل، أي: إني أخاف عليكم مثل عقوبة فعلهم، وهو ما أهلكهم الله به؛ يحذر قومه. قال: ﴿ وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِّلْعِبَادِ ﴾.

﴿ وَيَـٰقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴾ قال بعضهم: يوم ينادي أهل الجنة أهل النار: (قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقّاً) [الأعراف: 44]، وينادي أهل النار أهل الجنة: (أَنَ اَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ) [الأعراف: 50].

وتفسير الكلبي: (يَوْمَ التَّنَادِّ)، مشدّدة، أي: يوم الفرار يوم يندّون كما يندّ البعير. قال ألا تراه يقول: ﴿ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ ﴾ أي: يوم الفرار. وتفسير مجاهد: (يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ)، أي: فارّين غير معجزين. وقال بعضهم: (يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ) أي: يوم ينطلق بهم إلى النار.

﴿ مَا لَكُم مِّنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ ﴾ أي: يعصمكم، أي: من مانع يمنعكم من عذابه. ﴿ وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ أي: يهديه.

قوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ﴾ [أي: من قبل موسى][2] ﴿بِالْبَيِّنَـٰتِ﴾ أي: بالهدى، والبينات: الحق. ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَّبْعَثَ اللهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً﴾. أي: إنه لم يكن برسول، فلن يبعث الله من بعده رسولاً، كقول مشركي العرب للنبي عليه السلام: (يَا أَيُّهَا الذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ) [الحجر: 6]، وكقول فرعون: (إِنَّ رَسُولَكُمُ الذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ) [الشعراء: 27] أي: فيما يدّعي.

(1) زيادة للإيضاح، وقد وردت في ز، ورقة 303.
(2) زيادة من ز، ورقة 303.

قال: ﴿ كَذٰلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ ﴾ أي: مشرك ﴿مُرْتَابٌ﴾ أي: في شك من البعث، أي: يضله الله بشركه وتكذيبه وشكّه.

قوله: ﴿ الذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِي ءَايَـٰتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَـٰنٍ أَتَيٰهُمْ ﴾ أي: بغير حجة أتتهم من الله بعبادة الأوثان ﴿ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ[1] وَعِنْدَ الذِينَ ءَامَنُوا كَذٰلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ ﴾ أي عن عبادة الله ﴿ جَبَّارٍ ﴾ أي: قتّال في غير حقّ. وبعضهم يقرأها: (عَلَىٰ قَلْبِ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ)[2].

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله[3].

قوله: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ابْنِ لِي صَرْحاً ﴾ أي: مجلساً في تفسير الحسن. وقال الكلبي: قصراً. وقد فسّرنا أمر الصرح في سورة القصص[4].

قال: ﴿ لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَـٰبَ أَسْبَـٰبَ السَّمٰوٰتِ ﴾ أي: طرق السماوات، وقال بعضهم: أبواب السماوات. ﴿ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ ﴾ الذي يزعم موسى إلهاً، ﴿ وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِباً ﴾ أي: ما في السماء أحد، أي إنه تعمّد الكذب.

قال الله: ﴿ وَكَذٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ ﴾ أي: عن طريق الهدى ﴿ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِي تَبَابٍ ﴾ أي: إلا في خسار.

قوله: ﴿ وَقَالَ الذِي ءَامَنَ ﴾ من آل فرعون ﴿يَـٰقَوْمِ ﴾ يقوله لقومه ﴿ اتَّبِعُونِ

(1) قال الفراء في المعاني ج 3 ص 8: «أي: كبر ذلك الجدال مقتاً. ومثله: (كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِن أَفْوَاهِهِمْ) [الكهف: 5] أضمرت في (كَبُرَتْ) قولهم: (اتَّخَذَ اللهُ وَلَداً). . .».

(2) هي قراءة نسبت إلى عبد الله بن مسعود، وهي قراءة تفسيرية. وانظر في تنوين (قَلْب) وإضافته ما ذكره الفراء في المعاني ج 3 ص 8-9، وانظر ابن خالويه، الحجة، ص 288، والزمخشري، الكشاف ج 4 ص 167.

(3) كذا ورد هذا الحديث هنا ولم أتبين وجه المناسبة لذكره في هذا الموضع. ولعل النساخ أسقطوا كلاماً مناسباً لإيراده بعد هذه الآية. انظر تخريجه فيما سلف ج 2 ص 166.

(4) انظر ما سلف، ج 3 ص 281.

أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ يَـٰقَـوْمِ إِنَّمَا هٰذِهِ الحَيَوٰةُ الدُّنْيَا مَتَـٰعٌ ﴾ أي يستمتع به ثم يذهب، فيصير الأمر إلى الآخرة. ﴿ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾ أي: لا تزول، والدنيا زائلة.

﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً ﴾ والسيئة هاهنا الشرك ﴿ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا ﴾ أي: النار. ﴿ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحاً مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ أي: لا يقبل الله العمل الصالح إلا من المؤمن ﴿ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [قال السّدّي: بغير متابعة ولا منّ عليهم فيما يعطون](1).

﴿ وَيَـٰقَـوْمِ مَالِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ ﴾ أي: إلى الإيمان بالله ﴿ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴾ أي: الكفر الذي يدخل به صاحبه النار. ﴿ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ﴾ أي: ليس عندي علم بأن مع الله شريكاً، ولكنه وحده لا شريك له. ﴿ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلى الْعَزِيزِ الغَفَّارِ ﴾ لمن تاب وآمن.

﴿ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ أن أعبده، يعني ما تعبدون من دونه ﴿ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الآخِرَةِ ﴾ أي: ليس له دعوة يجيب العابدين به في الدنيا، ولا دعوة في الآخرة يجيبهم بها، أي: لا ينفعهم(2). قال: ﴿ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ أي: المشركين ﴿ هُمْ أَصْحَـٰبُ النَّارِ ﴾. وقال مجاهد: هم السافكون الدماء بغير حلّها.

قال: ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ ﴾ أي: إذا صرنا إلى الله(3). ﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيَ إِلَى اللهِ ﴾ أي: وأتوكّل عليه. ﴿ إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ أي: بأعمال العباد ومصيرهم.

---

(1) زيادة من ز، ورقة 304.

(2) كذا جاءت هذه الجملة مضطربة في ع، وإن كان المعنى العام واضحاً. وقد جاءت في ز مختصرة واضحة هكذا: «أي: لا يجيب من دعاه في الدنيا ولا ينفعه في الآخرة». وروى ابن كثير في تفسيره ج 6 ص 141 قول السدي هكذا: «لا يجيب داعيه لا في الدنيا ولا في الآخرة» وهذا كقوله تعالى: (وَمَن أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ من لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ). . .

(3) كذا في ع: «إذا صرنا إلى الله»، وفي ز: «إذا صرتم إلى النار».

قال: ﴿ فَوَقَيهُ اللهُ سَيِّئَـتِ مَا مَكَرُوا ﴾ أي: ما عملوا، أي: الكفر، فعصمه من ذلك الكفر الذي دعوه إليه، وعصمه من القتل والهلاك الذي أهلكوا به. ﴿وَحَاقَ بِئَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ أي: وجب عليهم ﴿ سُوءُ الْعَذَابِ ﴾ أي: أشد العذاب ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً ﴾. قال مجاهد: أي: ما كانت الدنيا.

ذكروا عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ ذكر في حديث ليلة أسري به أنه أتى على سابلة آل فرعون حين ينطلق بهم إلى النار يعرضون عليها غدواً وعشياً، فإذا رأوها قالوا: ربنا لا تقوم الساعة لما يرون من عذاب الله[1].

ذكروا عن نافع عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن الجنة، وإن كان من أهل النار فمن النار، يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة[2].

[قال: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا ءَالَ فِرْعَوْنَ ﴾ يعني أهل ملته وفرعون معهم ﴿ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾][3].

وقال بعض أهل التأويل في قول الله: (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً): هذا من مقاديم الكلام، «مجازه: ادخلوا آل فرعون أشد العذاب النار يعرضون عليها غدواً وعشياً»[4].

---

(1) انظر ما سلف، ج 2 ص 403، وقد أخرج الحديث ابن سلام، والبيهقي وغيرهما.

(2) حديث متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي، وأخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه. . . (رقم 2866).

(3) سقط ما بين المعقوفين من ع، فأثبته كما جاء في ز، ورقة 304.

(4) جاء في ع ما يلي: «هذا من مقاديم الكلام، فإنما عنى فيه (كذا) وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سوء العذاب». وهذا خطأ من الناسخ فيما يبدو ونقص في الكلام وفيه غموض؛ فأثبت شرح هذا التقديم كما أورده القرطبي بوضوح. وقد نسب القرطبي هذا القول بالتقديم والتأخير إلى الفراء، ولكني لم أجده في كتابه معاني القرآن حيث تعرَّض لكلمة (النّار) من قوله تعالى (النَّار يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدواً وَعَشِيّاً)، فذكر وجوه إعرابها، وكلمة (أدخلوا) من قوله تعالى: (ادْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ =

قال: ﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ ﴾ أي: السَّفَلة ﴿ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا ﴾ يعني الرؤساء والقادة في الضلالة. وقال بعضهم: الضعفاء بنو آدم، يعني المشركين، والذين استكبروا الشياطين، وكلهم مستكبرون عن عبادة الله: ﴿ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً ﴾ أي: دعوتمونا إلى الضلالة فأطعناكم ﴿ فَهَلَ أَنْتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيباً ﴾ أي: جزءاً ﴿ مِّنَ النَّارِ ﴾.

﴿ قَالَ الذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا ﴾ أي: في النارِ ﴿ إِنَّ اللهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ العِبَادِ ﴾.

قوله: ﴿ وَقَالَ الذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ ﴾ أي: سلوه ﴿ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِّنَ الْعَذَابِ قَالُوا ﴾ أي: خزنة جهنم، وهم التسعة عشر الذين قال الله فيهم: (عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ) [المدثر: 30]: ﴿ أَوَلَمْ تَكُ تَأتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَـٰفِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلَٰلٍ ﴾.

ذكر بعضهم قال: إن أهل النار يدعون خزنة جهنم فلا تجيبهم مقدار عشرين عاماً، ثم تجيبهم: (أَوَلَمْ تَكُ تَأتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ. ثم ينادون مالكاً، فلا يجيبهم مقدار أربعين عاماً، ثم يجيبهم: (إِنَّكُم مَّاكِثُونَ) [الزخرف: 77]. ثم يدعون ربهم فلا يجيبهم مقدار عمر الدنيا مرتين، ثم يكون جوابه إياهم: (اِخْسَأُوا فِيهَا وَلاَ تُكَلِّمُونِ) [المؤمنون: 108].

ذكروا عن غير واحد من العلماء أن كل كلام في القرآن من كلامهم كله فهو قبل أن يقول لهم: (اِخْسَأُوا فِيهَا وَلاَ تُكَلِّمُونِ). قال: فإذا قال ذلك انقطع كلامهم وصار الزفير والشهيق كأصوات الحمير أولها زفير وآخرها شهيق.

= أَشَدَّ الْعَذَابِ) فذكر وجهي قراءتها، ولكنه لم يشر هنا لأي تقديم أو تأخير، ولعل الفراء ذكر هذا في مكان آخر من تفسيره أو في بعض مؤلفاته الأخرى، فخفي عني ذلك. وقد علق القرطبي على قول الفراء هذا فقال: «فجعل (أي: الفراء) العرض في الآخرة، وهو خلاف ما ذهب إليه الجمهور من انتظام الكلام على سياقه على ما تقدم». انظر تفصيل هذا في معاني الفراء، ج 3 ص 9-10، وفي تفسير القرطبي، ج 15 ص 320.

قوله: ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالذِينَ ءَامَنُوا فِي الحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ﴾ يعني بالنصر والظفر على عدوّهم ﴿ وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَـٰدُ ﴾ يعني يوم القيامة. وأما في الآخرة فبالحجة عليهم. والأشهاد في تفسير بعضهم: الملائكة الحفظة يشهدون للأنبياء بالبلاغ وعليهم[1] بالتكذيب.

قال: ﴿ يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ الظَّـٰلِمِينَ ﴾ أي: المشركين ﴿ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ أي: الدار الآخرة، وسوءها النار.

قوله عز وجل: ﴿ وَلَقَد ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَٰءِيلَ الكِتَـٰبَ ﴾ بعد القرون الأولى ﴿ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الأَلْبَـٰبِ ﴾ أي لأولي العقول، وهم المؤمنون.

قوله عز وجل: ﴿ فَاصْبِرِ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ ﴾ يعني وعد الله الذي وعدك أن يعطيكه في الآخرة ويعطيه من آمن به. ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَـٰرِ ﴾، وهي صلاة مكّة قبل أن تفترض الصلوات الخمس حين كانت الصلاة ركعتين غدوة وركعتين عشية.

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ الذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِي ءَايَٰتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَـٰنٍ أَتَيٰهُمْ ﴾ أي: بغير حجة أتتهم [﴿ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ ﴾ أي: ليس في صدورهم ﴿ إِلاَّ كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ ﴾ يعني أملهم][2] في محمد ﷺ وأهل دينه أن يهلك ويهلكوا، في تفسير الحسن. وتفسير مجاهد: يعني عظمة قريش المشركين. قال: ﴿ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ أي: لا أسمع ولا أبصر منه[3].

(1) كذا في ع و ز ورقة 304: «وعليهم»، وفي تفسير القرطبي، ج 15 ص 322: «وعلى الأمم». والقول لمجاهد والسدي. أما الأشهاد فهم كل شهيد من الملائكة والأنبياء والمؤمنين كما ذكره الطبري في تفسيره ج 24 ص 75، وهو قول قتادة أيضاً. وقال مجاهد: هم الملائكة، وقال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ص 387: هم «الملائكة الذين يكتبون أعمال بني آدم».

(2) سقط ما بين المعقوفين كله من ع، فأثبته من ز، فاستقام المعنى.

(3) من هنا تستأنف مخطوطة ق، وسأقابل بينها وبين ع، و ز، إلى آخر التفسير إن شاء الله.

قوله عز وجل: ﴿ لَخَلْقُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ﴾ أي: أشد من خلق الناس، يعني شدة خلقها وكثافتها وعرضها وطولها، أي: فأنتم أيها المشركون تقرون بأن الله هو الذي خلقها وتجحدون البعث. قال عز من قائل: ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أنهم مبعوثون.

قوله عز وجل: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴾ الأعمى: الكافر، عمي عن الهدى، والبصير: المؤمن، أبصر الهدى. ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ وَلَا الْمُسِيءُ ﴾ أي: المشرك ﴿ قَلِيلًا مَّا يَتَذَكَّرُونَ ﴾ أي: أقلهم المتذكر، يعني أقلهم من يؤمن. ومن قرأها بالتاء فهو يقول: أقلكم المتذكر، أي: من يؤمن.

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ ﴾ أي: القيامة ﴿ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا ﴾ أي: لا شك فيها ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ أي: بالساعة.

قوله: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ كقوله: (فَادْعُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [غافر: 14] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [أي: صاغرين][1].

ذكروا عن عائشة رضي الله عنها قالت: سئل رسول الله ﷺ عن أفضل العبادات، فقال: دعاء المرء لنفسه[2].

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: المسلم من دعائه على إحدى ثلاث: إما أن يعطى مسألته، وإما أن يعطى مثلها من الخير، وإما أن يصرف عنه مثلها من الشر ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل. [قالوا: يا رسول الله، إذاً نكثر، قال: الله أكثر.

الحسن بن دينار عن الحسن عن النبي ﷺ نحو ذلك قال][3] قالوا: يا

(1) زيادة من ز، ورقة 305.
(2) أخرجه البخاري في الأدب عن عائشة.
(3) ما بين المعقوفين زيادة من ز، ورقة 305.

رسول الله كيف يستعجل؟ قال: يقول: قد دعوت الله فما أجابني، ودعوته فما أعطاني[1].

ذكروا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن أبخل الناس من بخل بالسلام، وإن أعجز الناس من عجز في الدعاء، وقد قال الله عز وجل: ادعوني استجب لكم[2].

قوله عز وجل: ﴿ اللهُ الذِي جَعَلَ لَكُمُ الَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ ﴾ يعني لتستقِرّوا فيه من النصب. ﴿ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً ﴾ أي: مضيئاً. ﴿ إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ ﴾ أي: لا يؤمنون.

﴿ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ أي: فكيف تصرفون عن الهدى. قال: ﴿ كَذَلِكَ يُوفَكُ ﴾ أي: يُصَد[3]، ﴿ الذِينَ كَانُوا بِئَايَتِ اللهِ يَجْحَدُونَ ﴾.

قوله: ﴿ اللهُ الذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَاراً ﴾ مثل قوله: (بِسَاطاً)، و (فِرَاشاً) و (مِهَاداً) ﴿ وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾ أي: جعل صوركم أحسن من صور البهائم والطيور. ﴿ وَرَزَقَكُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾. [قال السدي، يقول: جعل رِزقكم أطيب من رزق الدواب والطير والجن][4]. ﴿ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ تبارك من البركة، كقوله (تَعَالَى) من العلوّ، أي: ارتفع.

(1) حديث صحيح رواه أحمد عن أبي سعيد مرفوعاً وأخرجه البزار وأخرجه الترمذي عن أبي سعيد وعن عبادة بن الصامت ولفظه: ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم أو قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها.

(2) أخرجه أبو يعلى في مسنده عن أبي هريرة وأخرجه الطبراني في الأوسط، والبيهقي في الشعب عن أبي هريرة بلفظ: أعجز الناس من عجز في الدعاء وأبخل الناس من بخل بالسلام.

(3) كذا في ع و ع: «يصد»، وفي ز: «يصرف».

(4) زيادة من ز، ورقة 305.

قال: ﴿ هُوَ الحَيُّ ﴾ أي: الذي لا يموت ﴿ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَـٰلَمِينَ ﴾.

قوله عز وجل: ﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَن أَعْبُدَ الذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ يعني أوثانهم ﴿ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَـٰتُ مِن رَّبِي وَأُمِرْتُ أَن أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَـٰلَمِينَ ﴾.

﴿ هُوَ الذِي خَلَقَكُم مِّنْ تُرَابٍ ﴾ يعني خلق آدم ﴿ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ يعني نسل آدم ﴿ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ﴾ أي: الاحتلام ﴿ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخاً ﴾ يعني من يبلغ حتى يكون شيخاً ﴿ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي: من قبل أن يكون شيخاً ﴿ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُّسَمًّى ﴾ أي الموت ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ أي: لكي تعقلوا.

قال: ﴿ هُوَ الذِي يُحْيِـي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾.

قال: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِيءَايَـٰتِ اللهِ ﴾ أي: يجحدون بها ﴿ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴾ أي: كيف يُصرفون عنها.

﴿ الذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَـٰبِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ إِذِ الأَغْلَـٰلُ فِي أَعْنَـٰقِهِمْ وَالسَّلَـٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴾ أي: تسحبهم الملائكة على وجوههم. ﴿ فِي الحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ أي: كسجر التَّنّور بالحطب. [أي: توقد بهم النار].

﴿ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ كقوله: (أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون). [الشعراء: 92-93] ﴿ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئاً ﴾ ينفعنا ولا يضرنا. قال الله: ﴿ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللهُ الْكَـٰفِرِينَ ﴾ أي بكفرهم.

ثم رجع إلى قصتهم فقال: ﴿ ذَٰلِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾. والمرح والفرح واحد[2]. وهو الأشر والبطر. أي بما كنتم

(1) زيادة من ز ورقة 305.

(2) كذا في ع وز، وهو أصح، وفي ق: «والمرح والبطر واحد».

أشرين بطرين. وهؤلاء المشركون. وقال في آية أخرى: (وَفَرِحُوا بِالحَيَوٰةِ الدُّنْيَا) [الرعد: 26].

قال: ﴿ فَادْخُلُوا أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ أي: لا تخرجون منها أبداً. ﴿ فَبِيسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ أي: منزل المتكبرين، يثوون فيها أبداً.

قوله عز وجل: ﴿ فَاصْبِرِ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الذِي نَعِدُهُمْ ﴾ أي: من العذاب ﴿ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ﴾ فيكون بعد وفاتك ﴿ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ أي: يوم القيامة.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّنْ قَبْلِكَ مِنْهُم مَّنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾. ذكر إبراهيم بن محمد بإسناد قال: قيل: يا رسول الله، كم كان المرسلون. قال: ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، جمٌّ غفير. قيل: يا رسول الله، أكان آدم نبياً مكلّماً؟ قال: كان نبيّاً مكلّماً[1].

قال: ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِئَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ ﴾ أي: حتى يأذن الله له فيها، وذلك أنهم كانوا يسألون النبي عليه السلام أن يأتيهم بآية، وأن الآية إذا جاءت فلم يؤمن القوم أهلكهم الله. وقد أخر الله عذاب كفار هذه الأمة بالاستئصال إلى النفخة الأولى، بها يكون هلاكهم.

﴿ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللهِ ﴾ أي: العذاب ﴿ قُضِيَ بِالْحَقِّ ﴾ وقضاء الله بالحق أن يهلكهم بتكذيبهم، يعني من نزل بهم العذاب ممن سألوا الآية فجاءتهم فلم يؤمنوا. قال: ﴿ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ﴾ أي حين جاءهم العذاب ﴿ الْمُبْطِلُونَ ﴾ أي: المشركون.

قوله: ﴿ اللهُ الذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَنْعَـٰمَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ ﴾ أي ألبانها وما ينتفع به منها. ﴿ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ ﴾ يعني الإبل، ويعني بالحاجة السفر، أي تسافرون عليها. قال: ﴿ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾.

(1) انظر تخريجه فيما سلف، ج 1 ص 238.

﴿ وَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِ ﴾ [يعني من السماء والأرض والخلائق وما في أنفسكم من الآيات وما سخر لكم من شيء][1] ﴿ فَأَيَّ ءَايَـٰتِ اللهِ تُنكِرُونَ ﴾ أي: فأي ذلك تنكرون أنه ليس من خلقه.

قوله عز وجل: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾. كان عاقبتهم أن دمّر الله عليهم ثم صيّرهم إلى النار ﴿ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَاراً فِي الْأَرْضِ ﴾ أي: ما عملوا من المدائن وغيرها من آثارهم. كقوله: (ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ) تراه (وَمِنْهَا حَصِيدٌ) [هود: 100] لا تراه[2]. قال: ﴿ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ أي: من الدنيا حين جاءهم العذاب، أي: لم يغن عنهم كسبهم شيئاً.

﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَـٰتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ ﴾ يعني علمهم عند أنفسهم هو قولهم لن نبعث ولن نعذّب ﴿ وَحَاقَ بِهِم ﴾ أي: وجب عليهم ﴿ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ أي: بالنبي عليه السلام والمؤمنين، أي: وجب عليهم عقاب ما كانوا به يستهزءون، أي: فأهلكهم الله.

قال: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾ أي: عذابنا ﴿ قَالُوا ءَامَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴾ أي بما كنا به مصدّقين من الشرك.

قال الله عز وجل: ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾ أي: عذابنا ﴿ سُنَّتَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ﴾ المشركين، أي أنهم إذا كذبوا رسلهم أهلكهم الله بالعذاب، ولا يقبل إيمانهم عند نزول العذاب. قال: ﴿ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَـٰفِرُونَ ﴾ ولا خسارة هي أعظم منها إذا صاروا إلى النار.

(1) زيادة من ز، ورقة 305.

(2) في ق وع: ألا تراه، والصواب ما أثبته.

تفسير سورة حٓمٓ السّجدة[1]، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله عزّ وجلّ: ﴿ حٓمٓ ﴾ قد فسّرناه في حٓمٓ المؤمن. ﴿ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ يعني القرآن. ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَت ءَايَـٰتُهُ ﴾ أي: فسّرت آياته بالحلال والحرام والأمر والنهي. ﴿ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ أي: يؤمنون. ﴿ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾ أي: بشيراً بالجنة ونذيراً من النار ﴿ فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ ﴾ أي عنه ﴿ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ أي: لا يسمعون الهدى سمعَ قبول.

﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ ﴾ أي: في غلف. وقال مجاهد: على قلوبنا أكنة كالجعبة للنبل ﴿ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ ﴾ يا محمد، فلا نفعله[2] ﴿ وَفِي ءَاذَانِنَا وَقْرٌ ﴾ أي: صمم عنه فلا نسمعه. ﴿ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ ﴾ فلا نفقه ما تقوله. ﴿ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَـٰمِلُونَ ﴾ أي: فاعمل على دينك، إننا عاملون على ديننا[3].

قال الله تعالى للنبي عليه السلام: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾ أي: إنما أنا بشر مثلكم، غير أنه يوحى إلي ﴿ أَنَّمَا إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ ﴾ بالتوحيد والعمل الصالح ﴿ وَاسْتَغْفِرُوهُ ﴾ أي: من الشرك والنفاق والعمل السوء.

---

(1) جاء اسم السورة في ق هكذا: «سورة فصلت»، وفي ع سورة السجدة، كما في معاني الفراء، وفي ز وتفسير الطبري ومجاز أبي عبيدة ومخطوطة تفسير ابن قتيبة: «سورة حٓمٓ السجدة».

(2) كذا في ق وفي ع: فلا نفعله، وجاءت الكلمة مطموسة في ز، ويبدو أن صوابها: فلا نعقله.

(3) كذا في ق و ع: «اعمل على دينك»، وفي ز: «اعمل بدينك إنا عاملون على ديننا». وقال الفراء في المعاني ج 3 ص 12: «يقول: بيننا وبينك فرقة في ديننا، فاعمل في هلاكنا إنا عاملون في ذلك منك، ويقال: فاعمل بما تعلم من دينك فإننا عاملون بديننا».

﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴾ أي: في النار ﴿ الذِينَ لاَ يُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ ﴾ أي: لا يوحّدون الله ولا يعملون الصالحات[1]. ﴿ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴾. وهي مثل قوله: (إِنَّ الذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) [فصّلت: 30] أي: على التوحيد والفرائض ولم يشركوا.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ إِنَّ الذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ ﴾ أي: ثواب، يعني الجنة ﴿ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ أي: غير محسوب في تفسير مجاهد؛ كقوله: (يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ) [غافر: 40]. وتفسير الحسن: غير ممنون عليهم مَنَّ أذًى.

قوله عز وجل: ﴿ قُلْ أَئِنَّكُم لَتَكْفُرُونَ بِالذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ يقوله على الاستفهام، أي: قد فعلتم، يقوله للمشركين ﴿ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَاداً ﴾ أي: أعدالاً تعدلونهم بالله فتعبدونهم دونه. ﴿ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَـٰلَمِينَ ﴾ أي: الذي خلق الأرض في يومين.

قال: ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِنْ فَوْقِهَا ﴾ يعني فوق الأرض. والرواسي الجبال أرساها حتى لا تتحرك بكم، وجعل فيها أنهارها وأشجارها.

ذكروا عن الحسن قال: لما خلق الله الأرض جعلت تميد [فأرساها بالجبال][2].

قال: ﴿ وَبَـٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَٰتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ﴾ فأما قوله: (وَبَارَكَ فِيهَا) فهو من باب البركة، يعني ما جعل فيها من الأرزاق والأقوات، أرزاق من فيها. والقوت الرزق. وقال مجاهد: الأقوات من المطر. وقال بعضهم: أقواتها: ما يحمل من هذا البلد إلى هذا البلد، ومن هذا إلى هذا. (فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ): أي في تتمة أربعة أيام. ﴿ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴾ أي: لمن كان سائلاً عن ذلك. وقال بعضهم: لمن يسأل

(1) كذا جاء تأويل هذه الآية في ق وع، وفي ز: «لا يوحدون الله». وقال الفراء في المعاني: «والزكاة في هذا الموضع: أن قريشاً كانت تطعم الحاج وتسقيهم، فحَرَموا ذلك من آمن بمحمد ﷺ؛ فنزل هذا فيهم، ثم قال: وفيهم أعظم من هذا كفرهم بالآخرة».

(2) زيادة لا بد منها ليتم المعنى.

الرزق. وهي تقرأ على وجه آخر: (فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءٍ لِّلسَّائِلِينَ) أي: مستويات، يعني الأيام(1). واليوم منها ألف سنة، كقوله: (وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ) [الحج: 47]. أي: خلق الأرض في يومين، وقدر الأقوات في يومين، ثم جمع الأربعة الأيام فقال: (فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ)(2).

قال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ بدء(3) خلق الأرض إنما كانت طينة في موضع بيت المقدس قبل أن يبسطها الله، ثم استوى إلى السماء [يعني عمد لها وقصد](4) وهي ملتزقة بالأرض في تفسير الحسن؛ وهو قوله: (كَانَتَا رَتْقاً) أي ملتزقة (فَفَتَقْنَاهُمَا) [الأنبياء: 30] أي: فتق إحداهما عن الأخرى، فكان خلق الأرض قبل خلق السماء، أي: بسطها، فقال لهما: اذهبي أنت كذا واذهبي أنت كذا. ويقال: دُحِيت الأرض: أي بُسطت من مكة، وقدّر فيها أقواتها.

قال مجاهد: كان البيت قبل الأرض بألفي عام، ومدّت الأرض من تحته، وقدر فيها أقواتها. وهو قوله: (ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاءُ بَنَيْهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّيْهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَيْهَا وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَيْهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَيْهَا والجِبَالَ أَرْسَيْهَا مَتَاعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ) [النازعات: 27-32] يعني أرزاقكم، فخلق الأرض في يومين وأقواتها في يومين.

قال: ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائِتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً ﴾ على وجه السخرة والقدرة. قال هذا لهما قبل خلقه إياهما، وهو كلام فيه تقديم وتأخير. ﴿ قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ يعني بما فيهما.

---

(1) قال ابن أبي زمنين في مخطوطة ز، ورقة 306: «من نصب (سواءً) فعلى المصدر: استوت سواءً، ومن جر (سواءٍ) فعلى أنها نعت (لأرْبَعَةِ) أو (لأَيَّامٍ). وانظر مختلف وجوه الإعراب في تفسير القرطبي، ج 15 ص 343.

(2) في ع وق اضطراب في الجمل وتكرار أثبت التصحيح من ز، ورقة 306.

(3) كذا جاءت الكلمة في ع: «بذي» وفي العبارة فساد، وأنا غير مطمئن لما جاء فيها، وفي ق بياض قدر كلمة ولعل في الجملة خرما، والله أعلم.

(4) زيادة من ز، والقول لابن أبي زمنين.

قال: ﴿ فَقَضَيٰهُنَّ ﴾ يعني خلقهن (سَبْعَ سَمٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ﴾ [قال مجاهد: يعني أمره][1] الذي جعل فيها مما أراد[2].

قال: ﴿ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ ﴾ يعني النجوم ﴿ وَحِفْظاً ﴾ أي: وجعلنا النجوم حفظاً للسماء من الشياطين، أي: لا يسمعون الوحي. وذلك منذ بعث محمد ﷺ: قال: ﴿ ذٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾.

ذكروا عن أبي رجاء العطاردي قال: كنا قبل أن يبعث محمد ما نرى نجماً يُرمى به. فبينما نحن ذات ليلة إذ النجوم قد رُمي بها. فقلنا: ما هذا؟ إن هذا إلا أمر حدث. فجاءنا أن النبي ﷺ قد بعث. وأنزل الله هذه الآية في سورة الجن: (وَإِنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَّصَداً) [الجن: 9].

قوله: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا ﴾ أي: المشركون ﴿ فَقَدْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾. والصاعقة العذاب؛ جاءتهم بفزع فماتوا.

ذكروا عن عطاء بن السايب أنه قال: سمعت أبا عبد الرحمان السلمي وإبراهيم يقرآن هذا الحرف: (أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةَ عَادٍ وَثَمُودَ) يعني فَزْعة مثل فزعة عاد وثمود. ﴿ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ) يحذرونهم وقائع الله في الكفار حين كذبوا رسلهم. ويعني بـ(مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ) قوم نوح ومن أهلك بعدهم، وبـ(مِنْ خَلْفِهِمْ) عذاب الآخرة، أي أنذروهم عذاب الدنيا وعذاب الآخرة[3].

---

(1) زيادة من ز، ورقة 306.

(2) كذا في ع وق، وقال الفراء في المعاني، ج 3 ص 13: «يقول: جعل في كل سماء ملائكة، فذلك أمرها».

(3) هذا وجه من وجوه تأويل الآية. وقال الفراء: «أتت الرسل آباءهم، ومن كان قبلهم، (ومن خلفهم) يقول: وجاءتهم أنفسَهم رسل من بعد أولئك الرسل، فتكون الهاء والميم في (خَلْفِهِمْ) للرسل، وتكون لهم، تجعل من خلفهم لما معهم».

﴿ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لأَنْزَلَ مَلَـٰئِكَةً ﴾ كقولهم للنبي عليه السلام: (أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلاَئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ) [الزخرف: 53] أي: فيخبرون أنه رسول الله. ومثل قولهم: (لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلاَئِكَةِ إِنْ كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) [الحجر: 7] أي: فتخبرنا أنك رسول الله؛ أي: يقوله كل قوم لرسولهم. ﴿ فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَـٰفِرُونَ ﴾.

قال الله: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْـرِ الحَقِّ ﴾ يعني كفرهم وتكذيبهم رسلهم. ﴿ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾ عجبوا من شدتهم وقوتهم. قال الله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوا أَنَّ اللهَ الذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِئَايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾.

قال: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً ﴾ قال الحسن: الصرصر: شديدة البرد، [وهي الدبور][1].

ذكروا عن رسول الله ﷺ قال: نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور[2].

قال: ﴿ فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ ﴾ أي: مشؤومات، وهي الثمانية الأيام التي في الحاقة. قال الله: (سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً) [الحاقة: 7] أي: تباعاً، ليس فيهن تفتّر؛ كان أولها يوم الأربعاء إلى الأربعاء الأخرى.

قال: ﴿ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزَىٰ ﴾ من عذاب الدنيا. ﴿ وَهُمْ لاَ يُنْصَرُونَ ﴾.

قال: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَـٰهُمْ ﴾ أي: فبصّرناهم، وهو في تفسير العامة بيّنّا لهم سبيل الهدى وسبيل الضلالة ﴿ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ ﴾ أي: الضلالة ﴿ عَلَى الْهُدَىٰ ﴾ أي: اختاروا الضلالة على الهدى ﴿ فَأَخَذَتْهُمْ صَـٰعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ ﴾ أي من الهوان ﴿ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ أي: بما كانوا يعملون.

قال: ﴿ وَنَجَّيْنَا الذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ وكذلك قضى الله أنه إذا أهلك قوماً

(1) زيادة من ز، ورقة 307. وقال الفراء في المعاني ج 3 ص 13: «باردة تحرق كما تحرق النار». وقال أبو عبيدة: «الشديدة الصوت العاصف».
(2) انظر الإشارة إليه فيما سلف، ج 3 ص 356.

أنجى رسولهم والمؤمنين معه؛ كقوله: (وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا) أي: عذابنا (نَجَّيْنَا هُوداً وَالذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا) [هود: 58]، وقوله: (فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحاً وَالذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا) [هود: 66]، وقوله: (فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْباً وَالذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا) [هود: 94].

قوله: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ أَعْدَاءَ اللهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾. قال بعضهم: وزعه إياهم أن يرد أولهم على آخرهم[1].

قال: ﴿ حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَـٰرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ ﴾ أي: جوارحهم ﴿ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ كقوله: (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) [يٰسٓ: 65]. لمّا قالوا: (وَاللهِ مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ) [الأنعام: 23] ختم الله على أفواههم وقال للجوارح: انطقن. فأوّل ما يتكلم من أحدهم فخذه. كقوله: (كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ) النساء: 56]، تأكل النار منهم كل شيء حتى تنتهي إلى الفؤاد، ثم يجدد خلقهم، فثمّ هكذا أبداً.

قال: ﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللهُ الذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [انقطع][2] ذكر كلامهم هاهنا في هذا الموضع. قال الله عز وجل: ﴿ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [يقوله للأحياء][3] ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ أي: يوم القيامة.

قال: ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ ﴾ أي: لم تكونوا تستترون من الله ﴿ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ ﴾ أي: حتى لا يشهد عليكم سمعكم ﴿ وَلَآ أَبْصَـٰرُكُمْ وَلَآ

---

(1) وقال الفراء في المعاني، ج 3 ص 15: «هي من وزعتُ، ومعنى وزعتُه: حبسته وكففته، وجاء في التفسير: يحبس أولهم على آخرهم حتى يدخلوا النار. قال: وسمعت بعض العرب يقول: لأبعثن عليكم من يَزَعُكم ويحكِمُكم، من الحَكَمَة التي للدابة...».

(2) زيادة لا بد منها لتستقيم العبارة.

(3) زيادة من ز، ورقة 307.

جُلُودُكُمْ ﴾. وقال مجاهد: (وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ ﴾ أي: تخفون[1]. ﴿ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللهَ لاَ يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾.

ذكروا عن الأعمش عمن حدثه[2] عن عبد الله بن مسعود قال: بينما أنا عند الكعبة إذ جاء ثلاثة نفر: قرشيان وثقفي، أو ثقفيان وقرشي، كثير شحم بطونهم، قليل فقه قلوبهم، فدخلوا في أستار الكعبة. فتحدثوا حديثاً لم أفقهه؛ فقال بعضهم لبعض: أترون أن الله يسمع ما نقول؟ فقال أحدهم: لا يسمع شيئاً. فقال الآخر: أراكم إذا رفعتم أصواتكم يسمع، وإذا لم ترفعوا أصواتكم لم يسمع، وقال الثالث: لئن كان يسمع منه شيئاً إنه يسمعه كله. قال فأقبلت إلى النبي ﷺ فأخبرته، فأنزل الله: (وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلاَ أَبْصَارُكُمْ وَلاَ جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللهَ لاَ يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ). وقوله: (ظَنَنتُمْ) أي: حسبتم[3].

قال: ﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَيكُمْ ﴾ أي: باعدكم من الله، في قول بعضهم. وقال بعضهم: أهلككم. ﴿ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَسِرِينَ ﴾.

قال: ﴿ فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا ﴾ أي: يطلبوا إلى الله أن

---

(1) كذا في ع وق: «تخفون». وفي ز: «أي: تتقون». وكذلك جاء في تفسير الطبري ج 24 ص 108: «قال بعضهم: معناه: وما كنتم تستخفون. . . وقال آخرون: معناه: وما كنتم تتقون». ثم زاد الطبري. . . «حدثنا سعيد عن قتادة (وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ) يقول: وما كنتم تظنون (أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلاَ أَبْصَارُكُمْ) حتى بلغ (كَثِيراً مِمَّا تَعْمَلُونَ) والله إن عليك يا ابن آدم لشهوداً غير متّهمة من بدنك، فراقبهم، واتق الله في سر أمرك وعلانيتك، فإنه لا يخفى عليه خافية، الظلمة عنده ضوء، والسر عنده علانية، فمن استطاع أن يموت وهو بالله حسن الظن فليفعل، ولا قوة إلا بالله». وهذا كلام نفيس وفيه عظة وعبرة لمن اعتبر.

(2) روى الطبري في تفسيره ج 24 ص 109 هذا الخبر بسند من طريقين: . . . عن مجاهد عن أبي معمر الأزدي عن عبد الله بن مسعود، ورواه من طريق الأعمش عن عمارة بن عمير، عن وهب ابن ربيعة، عن عبد الله بن مسعود.

(3) وقع اضطراب وحذف لبعض الآية عند تفسير هاتين الآيتين في ق و ع، فاستعنت بمخطوطة ز لجعل كل شيء في مكانه وإتمام ما نقص حتى يستقيم المعنى ويتضح.

يخرجهم من النار إلى الدنيا ليؤمنوا ﴿ فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ ﴾ كقوله: (فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ)[1] [الجاثية: 35].

قال: ﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ ﴾ أي: نسبنا لهم قرناء[2]، يعني الشياطين. كقوله: (أَلَمْ تَرَانَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا) [مريم: 83] أي: تزعجهم إزعاجاً في معاصي الله.

قال: ﴿ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ قال الحسن: (مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ) أي: حبّ ما كان عليه آباؤهم من الشرك وتكذيبهم الرسل. (وَمَا خَلْفَهُمْ) تكذيبهم بالبعث. وقال الكلبي: (مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ): من أمر الآخرة، فأخبروهم أنه لا بعث ولا جنة ولا نار، (وَمَا خَلْفَهُمْ): زيّنوا لهم أمر الدنيا فلم يريدوا غيرها[3].

﴿ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ ﴾ أي: وجب عليهم القول. وتفسير القول: الغضب، في قول بعضهم. وقال الحسن: القول من الله أنهم من أهل النار؛ كقوله: (وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ عَلَى الذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ) [غافر: 6] أي: بكفرهم.. قال: ﴿ فِي أُمَمٍ ﴾ أي: مع أمم ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴾ والخاسرون: أهل النار، خسروا أنفسهم فصاروا في النار.

قوله: ﴿وَقَالَ الذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْءَانِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [قال السدي: نزلت في أبي جهل بن هشام، كان يقول لأصحابه: إذا سمعتم بقراءة

---

(1) (إِنْ يَسْتَعْتِبُوا) أي: إن يطلبوا العتبى، وهي الرضا، فإنهم لا يجابون إلى ما يطلبون. تقول: استعتبته فأعتبني: إذا طلبت منه أن يرضيك فأرضاك.

(2) كذا في ق: «نسبنا»، وفي ع: «سمينا» وفي تفسير الطبري: «سببنا». وكلها متقاربة المعنى. يقال: قيض الله فلاناً لفلان: إذا جاء به وأتاحه له.

(3) وقال الفراء في المعاني، ج 3 ص 17: «(مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ) من أمر الآخرة فقالوا: لا جنة ولا نار، ولا بعث ولا حساب، وما خلفهم من أمر الدنيا، فزيّنوا لهم اللذات، وجمع الأموال، وترك النفقات في وجوه البر، فهذا ما خلفهم. وبذلك جاء التفسير. وقد يكون (مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ) ما هم فيه من أمر الدنيا، (وَمَا خَلْفَهُمْ) من أمر الآخرة».

محمد فارفعوا أصواتكم بالأشعار حتى تلتبس على محمد قراءته][1] وهو مثل قوله: (وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِنْدَ البَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً) [الأنفال: 35]؛ المكاء: التصفير، والتصدية: التصفيق؛ يميلون خدودهم إلى الأرض يخلطون على النبي ﷺ بذلك صلاته. وقوله: (لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ) أي: لعل دينكم أن يغلب دين محمد.

قال الله تعالى: ﴿ فَلَنُذِيقَنَّ الذِينَ كَفَرُوا عَذَاباً شَدِيداً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي: لا يجازيهم في الآخرة بأحسن ما كانوا يعملون في الدنيا. ولكن: يبطله، وقد استوفوه في الدنيا. وهو مثل قوله: (نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا) [هود: 15] أي: في الدنيا، ونجزيهم في الآخرة بأسوأ أعمالهم.

قال: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِئَايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَقَالَ الذِينَ كَفَرُوا ﴾ في النار ﴿ رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلاَّنَا ﴾ وهي تقرأ على وجهين؛ فمن قرأها (أَرِنَا) بكسر الراء، فهي من الرؤية، ومن قرأها (أَرْنا)، بتسكين الراء، فهو يقول: أعطنا اللذين أضلانا. ﴿ مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الأَسْفَلِينَ ﴾ يعنون إبليس وقابيل بن آدم الذي قتل أخاه. يقولون ذلك من شدّة الغيظ عليهما، وهما في الدرك الأسفل من النار.

وذكر بعضهم قال: لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم كفل من دمها لأنه سنّ القتل. وبلغنا أن ثلاثة لا تقبل منهم توبة: إبليس، وابن آدم الذي قتل أخاه، ومن قتل نبيّاً.

قوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ﴾ مخلصين له ﴿ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ عليها وعلى العمل بالفرائض ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَٰئِكَةُ ﴾ عند الموت ﴿ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ التِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ أي: إذ كنتم في الدنيا.

(1) زيادة من ز ورقة 307.

ذكروا أن أبا بكر الصديق قرأ هذه الآية فقالوا له: يا خليفة رسول الله ﷺ، ما الاستقامة؟ قال: ألا تشركوا به شيئاً[1].

ذكروا أن عمر بن الخطاب قال: ثم استقاموا على الفرائض ولم يروغوا روغان الثعالب، أي: لم ينتقصوا دين الله حتى أكملوا فرائضهم ووفوا بها.

قال: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ أي: عند الموت في تفسير بعضهم.

وتفسير الحسن أن قول الملائكة لهم: ﴿لَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ وأنتم آمنون، تستقبلهم بهذا إذا خرجوا من قبورهم إلى الموقف.

وفي تفسير بعضهم ﴿أَلَّا تَخَافُوا﴾ أي أمامكم، ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ أي: على ما خلّفتم، نحن نخلفكم فيه.

ذكروا عن الحسن أن عمر بن الخطاب قال: احضروا موتاكم وألزموهم قول لا إله إلا الله، فإنهم يسمعون أو يرون ما يقال لهم.

ذكروا عن الحسن أنه دخل على أبي الشعثاء جابر بن زيد وهو مدنَف[2] فقال له: يا أبا الشعثاء، فرفع رأسه فقال له: قل لا إله إلا الله. فسكت أبو الشعثاء. فأعاد له القول فقال له: قل لا إله إلا الله، فسكت أبو الشعثاء، ثم أعاد الحسن فقال أبو الشعثاء في الثالثة، يا أبا سعيد، أنا من أهلها، ولكني أعوذ بالله من النار ومن سوء الحساب. فخرج الحسن من عنده وهو يقول: تالله ما رأيت كاليوم قط رجلاً أفقه حتى عند الموت[3].

ذكر بعضهم حديثاً عن عيسى بن مريم بإسناده أنه قال: عجبت للمؤمن كيف

(1) وقد نسب إلى أبي بكر قول آخر أيضاً في تفسير الاستقامة هو قوله: «استقاموا فعلاً كما استقاموا قولاً».

(2) أي: براه المرض ولازمه حتى أشفى على الموت.

(3) ليتني أعثر على أصل تفسير ابن سلام كاملاً حتى أحقق سند هذا الخبر، وهو خبر صحيح رواه كثير ممن ترجموا لجابر بن زيد. وأنا أميل إلى أنه من زيادات الشيخ هود الهواري.

يحفظ ولده من بعده، أي إنه يحفظ بعده[1].

قال: ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾ أي: نحن كنا أولياءكم في الحياة الدنيا إذ كنتم في الدنيا، ونحن أولياؤكم في الآخرة. وبعضهم يقول: تقوله لهم الملائكة الذين كانوا يكتبون أعمالهم[2].

﴿ وَلَكُمْ فِيهَا ﴾ أي: في الجنة ﴿ مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾ أي: تشتهون[3]. ﴿ نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ أي: الجنة، نزلاً لكم أنزلكموها غفور رحيم[4].

قوله: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَٰلِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾. وهذا على الاستفهام، أي: لا أحد أحسن قولاً منه.

قوله: ﴿ وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ﴾ الحسنة في هذا الموضع العفو والصفح، والسيئة ما يكون بين الناس من الشتم والبغضاء والعداوة.

قوله: ﴿ اِدْفَعْ بِالتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ يقول: ادفع بالعفو والصفح القول القبيح والأذى. كان ذلك فيما بينهم وبين المشركين قبل أن يؤمر بقتالهم. كقوله: (قُل لِّلذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلذِينَ لاَ يَرْجُونَ أَيَّامَ اللهِ) [الجاثية: 14] يعني المشركين، ثم نسخت، فأمر بقتالهم، فصارت بين المسلمين.

ذكر عن أبي الأحوص عن أبيه قال: قلت يا رسول الله، إن لي جاراً وإنه يسيء

---

(1) كذا ورد هذا الخبر في ع. وفي ق: «أي: «لم يحفظ بعده». والصحيح ما أثبته كما ورد في ع. أي: إن الله بعث إليه على لسان ملائكته ألا يحزن على أولاده من بعده، فالله حافظهم ورازقهم، والله أعلم.

(2) في ق و ع بعض التقديم والتأخير في تفسير الآية وبعض التكرار، فأثبت التصحيح من ز.

(3) كذا في ق و ع و ز: ما تدّعون. أي: ما تشتهون، وفيه تكرار لفظي. وفي تفسير القرطبي وغيره (تَدَّعُونَ) أي: تسألون وتتمنون.

(4) وفي تفسير الكشاف، ج 4 ص 199: والنُّزُل: رزق النَّزِيل، وهو الضيف.

مجاورتي، أفأفعل به كما يفعل بي. قال: لا، إن اليد العليا خير من اليد السفلى[1].

ذكروا عن مجاهد في قوله: (اِدْفَعْ بِالتِي هِيَ أَحْسَنُ)، يعني السلام، يسلّم عليه إذا لقيه.

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: ألا لا تهاجروا، فإن كنتم ولا بد فاعلين فلا تهاجروا فوق ثلاثة أيام؛ ألا وإن ماتا وهما متهاجران لم يجتمعا في الجنة. الأول أفضلهم الذي يبدأ بصاحبه[2].

ذكروا عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: إن الأعمال ترفع كل يوم اثنين وخميس، فإذا مرّ بأعمال المتصارِمَين عزلت أعمالهما[3].

ذكروا عن رسول الله ﷺ أنه قال: إذا كان كل ليلة اثنين وخميس تاب الله على التائبين، وترحم على المتراحمين وترك أصحاب الغلّ.

قوله: ﴿ فَإِذَا الذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ أي: كأنه ولي قريب.

قوله: ﴿ وَمَا يُلَقَّيهَا إِلاَّ الذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّيهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ أي: لا يعفو العفو الذي يقبله الله إلا أهل الجنة، وهو الحظ العظيم[4].

(1) أخرجه ابن سلام بالسند التالي: «يحيى عن فطر عن أبي إسحاق الهمداني عن أبي الأحوص عن أبيه قال... وانظر ما سلف، ج 2 ص 305.

(2) حديث صحيح متفق عليه، أخرجه أصحاب السنن من طرق وبألفاظ متقاربة. أخرجه البخاري مثلاً في كتاب الأدب، باب الهجرة وقول رسول الله ﷺ لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث، عن أنس بن مالك، وعن أبي أيوب الأنصاري، وأخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعي، عن أبي أيوب الأنصاري، وعن ابن عمر (رقم 2560، 2561) وأخرجه أحمد بن حنبل، وفيه: «فإن ماتا على صرامهما لم يجتمعا في الجنة أبداً».

(3) حديث صحيح أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الجامع، باب ما جاء في المهاجرة، وأخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن الشحناء والتهاجر، (رقم 2565) وأخرجه أبو داود في كتاب الآداب، باب فيمن يهجر أخاه المسلم (رقم 4916) وغيرهم، كلهم يرويه من حديث أبي هريرة.

(4) كذا في ق و ع، وفي ز ورقة 308 «وهي الحظ العظيم». وقال الفراء في المعاني، ج 3 ص 18: =

قوله: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ قال الحسن: إن نزغه وسوسته، يقول للنبي عليه السلام: إن وسوس إليك الشيطان أن تدع ما أنت فيه من الإيمان ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ أي فلا أسمع منه ولا أعلم منه. وهي كقوله: (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ) [الأعراف: 201] أي: يطوف عليهم بوساوسه. وقال بعضهم: النزغ: الغضب.

قوله: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ الَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ أي: خلق آياته؛ فرجع إلى قوله: (وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ)، فلذلك صارت (خَلَقَهُنَّ) [ولم يقل] [1] خلقهم، ولولا أنه رجع إلى الآية لكانت الذي خلقهم، لأن المذكر والمؤنث إذا اجتمعا غلب عليه المذكر. والليل والنهار مذكران، والشمس مؤنث، والقمر مذكر[2]. قال: ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

قال: ﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا﴾ يعني المشركين عن السجود لله ﴿فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ يعني الملائكة ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُ بِالَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ كقوله: (وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ) [الأنبياء: 19-20].

قال مجاهد: سألت ابن عباس عن السجدة في حمٓ، فقال: اسجد بالآخرة من الآيتين. وكان الحسن يسجد بالآية الأولى.

= «يريد ما يلقّى دفع السيئة بالحسن إلا من هو صابر، أو ذو حظ عظيم، فأنثها لتأنيث الكلمة، ولو أراد الكلام فذكر كان صواباً».

(1) زيادة لا بد منها ليستقيم المعنى.

(2) وردت هذه الجملة: «والليل والنهار مذكران»... في ع دون ق. وقلّما يتعرض المؤلف لمثل هذه الملاحظات اللغوية، فهل هي من أصل التفسير، أم من زيادات بعض الشراح والنساخ، وهي شبيهة بزيادات ابن أبي زمنين وتعليقاته اللغوية، لكنها غير واردة في ز، وإنما جاء فيه: «أي خلق آياته» فقط. على أن رجوع الضمير إلى الآيات غير متّفق عليه عند المفسرين، بل ذهب بعضهم إلى أن الضمير في (خَلَقَهُنَّ) يشمل الليل والنهار والشمس والقمر. انظر في هذا مثلاً معاني الفراء، ج 3 ص 18، وكشاف الزمخشري ج 4 ص 200، والألوسي، روح المعاني ج 24 ص 125.

ذكروا عن ابن عباس أنه قال: ليس في المفصّل سجود. والمفصّل من سورة محمد عليه السلام إلى (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ).

ذكروا عن مجاهد عن ابن عباس أنه كان يسجد في صّ، [وفي حم السجدة][1] ولا يسجد في شيء من المفصل.

ذكروا عن الحارث عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: عزائم القرآن أربع: ألَمّ السجدة، وحَمّ السجدة، والنجم، واقرأ باسم ربك.

قوله: ﴿ وَمِن ءَايَٰتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَٰشِعَةً ﴾ أي هامدة متهشمة[2] وتفسير الحسن: ميّتة، وهو واحد. قال: ﴿ فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ ﴾ بالمطر ﴿ وَرَبَتْ ﴾ (اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ) فيها تقديم وتأخير. (وَرَبَتْ): انتفخت للنبات (وَاهْتَزَّتْ): أي بنباتها إذا أنبتت[3].

قال: ﴿ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ وهذا مثل للبعث.

قوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي ءَايَٰتِنَا ﴾ والإلحاد الشرك، أي: يعبدون الأوثان من دون الله. وقال بعضهم: الإلحاد أن يصف الله بغير صفته.

وقال الكلبي: (يُلْحِدُونَ) يعني: يميلون إلى غير الحق. وهو أيضاً الشرك.

وقال: (لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا) أي: نحن نعلم ما يعملون وما يلحدون وسنجزيهم بأعمالهم وإلحادهم.

قال: ﴿ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّنْ يَأْتِي ءَامِناً يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ ﴾ أي: إن الذي يأتي آمنا خير. قال: ﴿ إِعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾. وهذا وعيد. كقوله في سورة الكهف: (فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ) وهذا وعيد أيضاً. وأخبر بما

(1) زيادة لا بد من إثباتها.

(2) كذا في ق وع، وفي ز، ورقة 308: «غبراء متهشمة».

(3) وقال الفراء: (اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ) زاد ريعها، أي: إنها تنتفخ، ثم تصدّع عن النبات.

للمؤمنين وما للكافرين فقال: (إِنَّا اعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا). . . إلى آخر الآية. وقال: (إِنَّ الذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ) إلى آخر الآية. [الكهف: 29-30-31].

قوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ ﴾ أي: بالقرآن ﴿ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَٰطِلُ ﴾ أي إبليس ﴿ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾ أي: لا يأتي القرآن من بين يديه فينقص منه شيئاً (وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ) فيزيد فيه شيئاً. أي: حفظه الله من ذلك. وقال في آية أخرى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) [الحجر: 9].

وتفسير الكلبي: (لَا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ) أي: من قبل التوراة، ولا من قبل الإنجيل، ولا من قبل الزبور، وليس منها شيء يكذب القرآن ولا يبطله. (وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ) أي: لا يأتي من بعده كتاب يبطله[1].

قوله: ﴿ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ ﴾ أي: في أمره ﴿ حَمِيدٍ ﴾ أي: استحمد إلى خلقه، أي: استوجب عليهم أن يحمدوه.

قوله: ﴿ مَا يُقَالُ لَكَ إِلاَّ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ﴾ أي: ما قال لهم قومهم من الأذى؛ كانوا يقولون للرسول: إنك مجنون وإنك ساحر، وإنك كاذب[2]. قال: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ ﴾ أي: لمن تاب وآمن. ﴿ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾ أي: لمن لم يتب ولم يؤمن.

---

(1) تفسير الباطل بإبليس وجه من وجوه تأويل الآية ذهب إليه قتادة ومجاهد. وأولى من ذلك أن يكون الباطل بمعنى التكذيب أو ما ليس بحق؛ وهذا ما ذهب إليه سعيد بن جبير والكلبي. وقال الطبري في تفسيره ج 24 ص 125: «وأولى الأقوال بالصواب أن يقال: معناه: لا يستطيع ذو باطل بكيده تغييره بكيده، وتبديل شيء من معانيه عما هو به. . .».

(2) وهذا أيضاً وجه من وجوه تأويل الآية إذ جعل المؤلف القول صادراً من المشركين. وهو تأويل ذهب إليه جمع من المفسرين. وقيل: إن القول هنا بمعنى ما يقوله الله للنبي عليه السلام وللأنبياء قبله، أي: ما يوحى إليهم من التوحيد والإيمان. وبناء الفعل للمجهول في الآية يوحي بالمعنيين معاً. انظر تفسير ابن عاشور، ج 24 ص 310.

قوله: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَهُ قُرْءاناً أَعْجَمِياً لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَت ءَايَتُهُ ﴾ أي: هلا فسّرت آياته وَبُيِّنَتْ ﴿ ءَآعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ﴾ أي: بالعجمية والعربية، على مقرأ من قرأها بغير استفهام. ومن قرأها على الاستفهام يمدها: آعجمي وعربي؟ يقول: أكتاب أعجمي ونبي عربي. أي: يحتجون بذلك. أي: كيف يكون ذلك؟ والمقرأ الأول تفسيره عن الحسن، والمقرأ الأخير تفسيره عن ابن عباس.

قال الله عز وجل: ﴿ قُلْ هُوَ لِلذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ﴾ لما في صدورهم. أي: يشفيهم مما كانوا فيه من الشرك والنفاق(1). والشرك مرض. والنفاق مرض دون مرض الشرك. وهو مثل يَقول: فكما أن المريض ليس كالصحيح، كذلك الذي قلبه على الكفر ليس كالذي قلبه على الإيمان.

قال: ﴿ وَالذِينَ لَا يُومِنُونَ ﴾ أي: لا يصدقون ﴿فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾ أي: صمم عن الإيمان ﴿ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ﴾ أي: يزدادون عمى إلى عماهم ﴿ أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ أي: هم بمنزلة الأصم الذي ينادى من مكان بعيد، فهو لا يسمع النداء، أي: سمع قبول. وقال بعضهم: (يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ) من قلوبهم: أي: الإيمان بعيد من قلوبهم(2).

قوله: ﴿ وَلَقَدَ ءاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَبَ﴾ يعني التوراة ﴿ فَاخْتُلِفَ فِيهِ ﴾ يعني آمن به قوم وكفر به قوم ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ ﴾ أي: ألا يحاسب بحساب الآخرة في الدنيا ﴿ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ أي: لحاسبهم في الدنيا فأدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار. وهذا تفسير الحسن.

وقال الكلبي: (وَلَوْلَا كَلِمَة سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ) لكفار هذه الأمة ألا يهلكهم بالعذاب قبل يوم القيامة، كما أهلك من كان قبلهم من الكفار، لقضي بينهم، أي:

(1) كذا في ق و ع: «من الشرك والنفاق»، وفي ز ورقة 308: «من الشك والشرك».
(2) قال الفراء في المعاني، ج 3 ص 20: «تقول للرجل الذي لا يفهم قولك: أنت تُنادَى من بعيد، وتقول للفَهِم: إنك لتأخذ الشيء من قريب. وجاء في التفسير: كأنما ينادون من السماء فلا يسمعون».

لعذبهم كما عذب الأمم الأولى حين كذّبوا رسلهم. قال: ﴿ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ﴾ أي: من العقاب ﴿ مُرِيبٍ ﴾ أي: من الريبة.

قوله: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾ أي: فعلى نفسه. ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾.

قوله: ﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ أي: لا يعلم أحد متى قيام الساعة إلا هو. قوله: ﴿ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَـرٰتٍ مِّنَ أَكْمَامِهَا ﴾ وهي تقرأ أيضاً من ثمرة من أكمامها. تفسير الحسن قال: هذا في النخل خاصة [حين يُطل][1]. والأكمام كقوله: (وَالنَّخْلُ ذَاتُ الأَكْمَامِ) [الرحمن: 11] والأَكْمَامُ: الليف[2]. لا يعلم أحد كيف يخرجه الله..

قال: (وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ﴾. كقوله: (اللهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ) [الرعد: 8] أي: ولا يعلم وقت قيام الساعة وما بخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا هو [لا إله إلا هو][3].

قوله: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ ﴾ يعني المشركين ﴿ أَيْنَ شُرَكَائِي ﴾ الذين زعمتم أنهم شركائي ﴿ قَالُوا ءَاذَنَّـٰكَ ﴾ أي: أعلمناك وأسمعناك ﴿ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴾ أي: يشهد اليوم أن معك إلهاً.

قال الله عز وجل: ﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي: في الدنيا، أي: ضلّت عنهم أوثانهم التي كانوا يعبدون من قبل فلم تنفعهم. كقوله: (وَقِيلَ ادْعُوا

(1) زيادة من ز، ورقة 309.

(2) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 198: «(مِن أَكْمَامِهَا) أي: أوعيتها، واحدها كُمّة، وهو ما كانت فيه، وكُمّ وكُمّة واحد، وجمعها أكمام وأكمة». وقال الفراء في المعاني ج 3 ص 20: «قشر الكُفُرّاة كِمٌّ». والكُفَرّاة، بالضم وفتح الفاء وضمّها وتشد يد الراء هي وعاء الطلع وقشره الأعلى». وأصل معنى الكم هو وعاء الثمرة مطلقاً. وقال الطبري في تفسيره، ج 25 ص 1: «والأكمام جمع كمة، وهو كل ظرف لماء أو غيره؛ والعرب تدعو قشر الكفراة كِما». وانظر اللسان: (كمم) و (كفر).

(3) زيادة من ز ورقة 309.

شُرَكَاءَكُمْ) أي الذين أشركتموهم بالله (فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ) [القصص: 64] ﴿ وَظَنُّوا ﴾ [أي: علموا][1] ﴿ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴾ أي: من ملجأ من النار دون أن يدخلوها.

قوله: ﴿ لَا يَسْأَمُ ﴾ أي: لا يمل ﴿ الإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ﴾. والخير عند المشرك الدنيا والصحة فيها والرخاء. (وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ) أي في ذهاب مال أو مرض لم تكن له حسبة[2] ولم يرج ثواباً ويئس من كل خير، أي: لا يرجو ثواباً في الآخرة، ولا أن يرجع إلى ما كان فيه من الرخاء.

قال الله عز وجل: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا ﴾ أي: رخاء وعافية ﴿ مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ ﴾ أي شدة ﴿ مَسَّتْهُ ﴾ أي: في ذهاب مال أو مرض ﴿ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي ﴾ [أي بعلمي][3] وأنا محقوق بهذا. إنما همته الدنيا، فإن أصابته رحمة، أي: رخاء وعافية قال: لا تذهب عني هذه أبداً.

قال: ﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ﴾ أي: ليست بقائمة ﴿ وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيَ ﴾ كما تقولون ﴿ إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ ﴾ أي: الجنة، إن كانت جنة؛ كقوله تعالى: (وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي) كما يقول الرجل لصاحبه، وهما اللذان في سورة الكهف (لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهُمَا مُنقَلَباً) [الكهف: 36] ولكن ليس ثمة رجعة.

قال الله عزَّ وجل: ﴿ فَلَنُنَبِّئَنَّ الذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا ﴾ أي يوم القيامة ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ أي: شديد، يعني جهنم. وقوله: (وَلَنُذِيقَنَّهُم) أي: ولنعذبنهم.

قوله: ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنْسَانِ أَعْرَضَ ﴾ أي: عنا ﴿ وَنَئَا بِجَانِبِهِ ﴾ أي:

---

(1) زيادة من ز، ورقة 309.

(2) في ع وق: خشية، وأثبت ما جاء في ز: حسبة، وهو أصح معنى. أي احتساب الأجر عند الله.

(3) زيادة من ز، ولعل صوابه: «هذا بعملي». بل أكاد أجزم أنه كذلك: «بعملي» كما رواه الطبري في تفسيره ج 25 ص 3، عن مجاهد. وإن جاء اللفظ في تفسير مجاهد ص 527: «بعلمي».

تباعد. وهو مثل قوله: (وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَائِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ) أي أعرض (كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ) [يونس: 12]. قال: ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴾ أي: كثير.

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُم إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ﴾ يعني القرآن ﴿ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ ﴾ أي: بالقرآن ﴿ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ أي: في فراق للنبي عليه السلام وما جاء به، (بَعِيدٍ) إلى يوم القيامة. أي: من يموت على كفره. أي: لا أحد أضل منه. وقال بعضهم: بعيد عن الحق.

قوله: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِي الأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ ﴾. قال بعضهم: يعني أن النبي عليه السلام يظهر على الآفاق وعليهم.

وقال الحسن: يعني ما أهلك الله به الأمم السالفة في الآفاق، أي: في البلدان؛ أي: قد رأوا آثار ذلك[1]. (وَفِي أَنْفُسِهِمْ) أي: أخبرهم بأنهم يموتون وتصيبهم البلايا. فكان ذلك كما قال الله عز وجل، وأظهرهم الله عزّ وجل عليهم، وابتلاهم بما ابتلاهم به، يعني من الجوع بمكة والسيف يوم بدر.

قال: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ أي: شاهد على كفرهم وأعمالهم، أي: بلى، كفى به شهيداً عليهم.

قال: ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ ﴾ أي: في شك ﴿ مِّنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ ﴾ أي: يقولون: لا نبعث ولا نلقى الله. ﴿ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴾ أي: أحاط علمه بكل شيء.

---

(1) يرى المؤلف هنا أن الضمير في قوله تعالى: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ) راجع إلى الكفار في زمن الرسول عليه السلام، وهذا ما ذهب إليه الطبري ومفسّرون آخرون. ومن محققي المفسرين من يرجع الضمير إلى العباد وإلى الناس كافة، ويجعل آيات الله في الأكوان والأبدان أعم من أن تنحصر في قوم معينين أو في أزمان معينة. وهذا التأويل أنسب وأليق بعموم النص القرآني إذ يجعله صالحاً لكل زمان ومكان. اقرأ كلاماً ممتعاً مفيداً في هذا المعنى كتبه سيد قطب في ظلال القرآن ج 24 ص 143، وانظر تفسير ابن عاشور، ج 25 ص 18-20.

تفسير سورة حٓمٓ عٓسٓقٓ، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ حٰمٓ عٓسٓقٓ ﴾ كان بعضهم يقول في هذه الحروف وأشباهها: ذكر الحروف من الاسم من أسماء الله، ثم ذكر الحروف من الاسم في موضع آخر، ثم ذكر تمام ذلك الاسم من حرف آخر حتى صار اسماً، مثل قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (الٓر)، وَ(حٰمٓ)، وَ(نٓ): الرحمٰن.

وقال بعضهم: ذكر الحروف من الاسم فجعله اسماً، كقوله: (كٓهيعٓصٓ): كاف، هاد، عالم، صادق. وقوله: (يسٓ): يا إنسان، والسين حرف من اسم الإنسان.

وكان الحسن يقول في أشباه ذلك: ما أدري ما تفسيره، غير أن قوماً من السلف كانوا يقولون: أسماء السور ومفاتيحها.

قال: ﴿ كَذٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الذِينَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ أي: هكذا يوحي إليك كما أوحى إلى الذين من قبلك من الأنبياء؛ كقوله: (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيئِينَ مِن بَعْدِهِ) [النساء: 163] ﴿ اللهُ الْعَزِيزُ ﴾ في نفسه، ﴿ الحَكِيمُ ﴾ في أمره.

قوله: ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ ﴾ أي: فلا أعلى منه ﴿ العَظِيمُ ﴾ فلا أعظم منه.

قوله: ﴿ تَكَادُ السَّمٰوٰتُ يَتَفَطَّرْنَ ﴾ أي: يتشقّقن، وهي تقرأ أيضاً: ينفطرن، أي: ينشققن ﴿ مِنْ فَوْقِهِنَّ ﴾ أي: من مخافة من فوقهن، وهو الله تبارك وتعالى. وبلغنا أن ابن عباس كان يقرأها: يكاد السماوات ينفطرن مِمَّن فوقهن.

قال: ﴿ وَالْمَلٰئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾ أي: من المؤمنين؛ كقوله في حمٓ المؤمن: (وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا) [غافر: 7] ﴿ أَلَا إِنَّ اللهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾.

قوله: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ﴾ [يعني آلهة][1] يتولونهم، أي: يعبدونهم من دون الله، ﴿ اللهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: يحفظ عليهم أعمالهم حتى يجازيهم بها، فيدخلهم النار. ﴿ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴾ أي: بحفيظ تحاسبهم وتجازيهم بأعمالهم. أي: الله هو الذي يفعل ذلك بهم، إنما أنت منذر.

قوله: ﴿ وَكَذٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ ﴾ أي: مكة، ومنها دحيت الأرض ﴿ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ يعني الآفاق كلها. ﴿ وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ ﴾ أي: يوم القيامة[2]. يجتمع فيه الخلائق، أهل السماوات وأهل الأرض ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ أي: لا شك فيه أنه آت. ﴿ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ أي: في النار.

قوله: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ أي: على الإيمان. كقوله: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً) [يونس: 99]. قال: ﴿ وَلٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ﴾ أي: في دينه الإسلام. ﴿ وَالظّٰلِمُونَ ﴾ أي: المشركون ﴿ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ ﴾ أي: يمنعهم من عذاب الله ﴿ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ أي: ينتصر لهم.

قوله: ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ﴾ يعني أوثانهم، على الاستفهام. يقول: قد اتخذوا من دونه آلهة فعبدوهم من دونه. ﴿ فَاللهُ هُوَ الْوَلِيُّ ﴾ دون الأوثان ﴿ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ ﴾ وأوثانهم لا تحيي الموتى ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾، وأوثانهم لا تقدر على شيء.

---

(1) زيادة من ز، ورقة 309.

(2) قال الفراء في المعاني، ج 3 ص 22: «وأم القرى: مكة، ومن حولها من العرب. (وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ) معناه: وتنذرهم يوم الجمع، ومثله قوله: (إِنَّمَا ذٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ) [آل عمران: 175] معناه: يخوّفكم أولياءه».

قوله: ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ ﴾ يعني ما اختلفتم فيه من الكفر والإيمان، فحكمه إلى الله، أي: فهو يحكم بينهم فيه، يعني المؤمنين والمشركين، فيدخل المؤمنين الجنة، ويدخل المشركين النار[1]. ﴿ ذَٰلِكُمُ اللهُ رَبِّي ﴾ يقوله النبي عليه السلام، أي: قل لهم: ذلكم الله ربي، أي: الذي الحكم إليه. ﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ أي: إليه أرجع.

﴿ فَاطِرُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجاً ﴾ يعني النساء، أي: تتوالدون فيكثر عددكم ﴿ وَمِنَ الْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجاً ﴾ ذكوراً وإناثاً في تفسير الحسن؛ أي: جعل معايشكم فيها. وقال الكلبي: (وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجاً) أي: من الضأن اثنين ومن المعز اثنين، ومن الإبل اثنين، ومن البقر اثنين، الواحد منها زوج. ﴿ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ﴾ أي: يخلقكم فيه نسلاً بعد نسل من الناس والأنعام. ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ[2] وَهُوَ السَّمِيعُ ﴾ أي: فلا أسمع منه ﴿ الْبَصِيرُ ﴾ فلا أبصر منه.

﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي: مفاتيح السماوات والأرض في تفسير مجاهد وغيره. وقال مجاهد: هي بالفارسية. وقال الحسن: المفاتيح والخزائن. وقال الكلبي: الخزائن؛ ﴿ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾ أي: ويقتر، نظراً منه للمؤمن، فيقتر عليه الرزق. ﴿ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

قوله: ﴿ شَرَعَ لَكُم ﴾ أي: فرض لكم، في تفسير الحسن. وقال بعضهم اختار لكم. ﴿ مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحاً ﴾ أي: ما أمر به نوحاً ﴿ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا

(1) قصر المؤلف الاختلاف في الآية على الاختلاف بين الكفر والإيمان، ويبدو أنه أعمّ من ذلك وأشمل، وأنه يتناول كل أنواع الاختلاف. فالنكرة (شَيْءٍ)، وقد جاءت بعد (مِنْ) المبيّنة لما أبهمته (ما) من أقوى ألفاظ العموم. فتأمل!

(2) قال ابن أبي زمنين في ز، ورقة 310: «هذه الكاف مؤكدة، المعنى: ليس مثله شيء». وقال ابن عاشور في تفسيره ج 25 ص 46: «أقحمت كاف التشبيه على (مِثْل) وهي بمعناه لأن معنى المِثل هو النسبية، فتعين أن الكاف مفيدة تأكيداً لمعنى المثل، وهو من التأكيد اللفظي باللفظ المرادف من غير جنسه...».

وَصَّيْنَا به ﴾ أي: ما أمرنا به ﴿ إِبْرٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ﴾ وهؤلاء هم أولو العزم من الرسل. ﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ ﴾ أي: الإسلام ﴿ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ وهذا ما فرض الله على جميع أنبيائه، وبعث به رسله إلى خلقه. وهو كقوله: (وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) الأنعام: 153] إلى آخر الآية. وقال في آية أخرى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا يُوحَىٰ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) [الأنبياء: 25]. وقال في آيـة أخرى: (وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [آل عمران: 85].

قوله: ﴿ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴾ من عبادة الله وترك عبادة الأوثان. ﴿ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ ﴾ [أي: يختار لنفسه][1] يعني الأنبياء. قال مجاهد: يستخلص لنفسه من يشاء. والاستخلاص والاختيار والاصطفاء واحد. قال الحسن: هو كقوله: (اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ) [الحج: 75] وقال بعضهم: يجتبي إليه، أي: إلى دينه من يشاء. ﴿ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ أي: من يُخلص له.

قوله: ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوا ﴾ يعني أهل الكتاب ﴿ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ ﴾ [أي: حسداً فيما بينهم][2]؛ أرادوا الدنيا ورخاءها فغيّروا كتابهم فأحلّوا فيه ما شاءوا وحرّموا ما شاءوا، فترأّسوا على الناس يستأكلونهم، فاتبعوهم على ذلك؛ كقوله: (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّنْ دُونِ اللَّهِ) [التوبة: 13] أي: يُحِلون لهم ما حرّم الله عليهم فيستحلّونه، ويُحرّمون ما أحلّ الله لهم فيُحرّمونه.

قوله: ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ أي: إلى القيامة ﴿ لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾. وقد فسّرناه في الآية الأولى قبلها[3]. قال: ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَٰبَ مِن بَعْدِهِمْ ﴾ يعني اليهود والنصارى من بعد أوائلهم ﴿ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ﴾ أي من القرآن ﴿ مُرِيبٍ ﴾ أي: من الريبة. وقال الكلبي: يعني مشركي العرب.

(1) و (2) زيادة من ز، ورقة 310.

(3) انظر ما سلف قريباً في هذا الجزء ص 87.

قوله: ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ ﴾ أي: إلى الله ﴿ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ أي: على الإسلام ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ أي: الشرك ﴿ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴾ أي: لا أظلم منكم أحداً ﴿ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ﴾ أي: لا خصومة بيننا وبينكم، أي: في الدنيا ﴿ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ﴾ أي: يوم القيامة ﴿ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ أي: المرجع. أي: نجتمع عنده فيجزينا ويجزيكم بها الثواب والعقاب.

قوله: ﴿ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ ﴾ يعني المشركين يحاجون المؤمنين في الله، أي: في عبادتهم الأوثان[1]. ﴿ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ ﴾ يعني من بعد ما استجاب له المؤمنون ﴿ حُجَّتُهُمْ ﴾ أي خصومتهم ﴿ دَاحِضَةٌ ﴾ أي ذاهبة باطلة ﴿ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾. وقال مجاهد: هم المشركون، طمعوا أن تعود الجاهلية. قال: ﴿ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ أي: في الآخرة.

قوله: ﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَٰبَ ﴾ أي: القرآن ﴿ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ﴾ أي: العدل ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾[2].

قال: ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ﴾ أي: استهزاءً وتكذيباً لا يقرّون بها ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا ﴾ أي: خائفون ﴿ وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ ﴾ أي: كائنة ﴿ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ ﴾ أي: يكذبون بها. كقوله: (وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا

---

(1) ما ذهب إليه الشيخ ابن عاشور في معنى محاجة المشركين المؤمنين أحسن تأويلاً. قال في تفسيره، ج 25 ص 65: «يحاجون في شأن الله، وهو التوحيد... فمعنى محاجتهم في الله محاجتهم في دين الله. أي: إدخالهم على الناس الشك في صحة دين الإسلام، أو في كونه أفضل من اليهودية والنصرانية، ومحاجتهم هي ما يلبسوه (كذا) به على المسلمين لإدخال الشك عليهم في اتّباع الإسلام...».

(2) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 199: «لم يجىء مجازها على صفة التأنيث فيقول: إن الساعة قريبة. والعرب إذا وصفوها بعينها كذلك يصنعون، وإذا أرادوا ظرفاً لها أو أرادوا بها الظرف جعلوها بغير الهاء، وجعلوا لفظها لفظاً واحداً في الواحد والاثنين والجميع من الذكر والأنثى. تقول هما قريب وهي قريب».

فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ) [القمر: 36] أي: كذّبوا الأنبياء. قال: ﴿ لَفِي ضَلَـٰلٍ بَعِيدٍ ﴾ أي: من الحق.

قال: ﴿ اللهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ ﴾ فبلطفه ورحمته خلق الكافر، ورُزق وعُوفِيَ وأقبل وأدبر. قال: ﴿ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ ﴾ أي: فلا أقوى منه ﴿ الْعَزِيزُ ﴾ فلا أعزّ منه.

قوله: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْأَخِرَةِ ﴾ يعني العمل الصالح يرجو به ثواب الآخرة ﴿ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ﴾ وهو تضعيف الحسنات، في تفسير الحسن. ﴿ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا ﴾ أي: من الدنيا. وليس كل ما أراد من الدنيا يُؤتى، كقوله: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ) [الإسراء: 18] [قال: ﴿ وَمَا لَهُ فِي الْأَخِرَةِ ﴾ يعني في الجنة ﴿ مِن نَّصِيبٍ ﴾ وهو المشرك، لا يريد إلا الدنيا، لا يريد الآخرة][1].

ذكروا أن علياً قال: حرث الآخرة الأعمال الصالحات، وحرث الدنيا المال؛ وقد يجمعهما الله لمن يشاء من خلقه.

ذكروا أن عبد الله بن مسعود قال: [قال رسول الله ﷺ][2] إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم معايشكم، وإن الله يعطي الدنيا لمن يحب ولمن لا يحب، ولا يعطي الإيمان إلا من يحب، فإذا أحبه أعطاه الإيمان. فمن اشتد عليه الليل أن يكابده، وجبن عن العدو أن يجاهده، وضن بالمال أن ينفقه فليكثر من قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

قوله: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰؤُا شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ ﴾ على الاستفهام، أي: نعم، لهم شركاء، يعني الشياطين، جعلوهم شركاء لله، فعبدوهم، لأنهم دعوهم إلى عبادة الأوثان. قال الله: (إِن يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا) أي: إلا أمواتاً

(1) ما بين المعقوفين ساقط كله من ق وع، فأثبته من ز، ورقة 310.

(2) ورد هذا الحديث موقوفاً في ق وع، والصواب رفعه، فقد رواه أحمد في المسند، وروى الحاكم بعضه بمعناه وصححه، وانظر البغوي، شرح السنة، ج 8 ص 10.

ليس فيهم روح، (وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شيطاناً مَّرِيداً) [النساء: 117].

قوله: ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الفَصْلِ ﴾ أي: ألا يعذّب بعذاب الآخرة في الدنيا ﴿ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ في الدنيا، فأدخل المؤمنين الجنة، وأدخل المشركين النار. قال: ﴿ وَإِنَّ الظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي: موجع.

قوله: ﴿ تَرَى الظَّـٰلِمِينَ ﴾ أي: المشركين ﴿ مُشْفِقِينَ ﴾ أي: خائفين ﴿ مِمَّا كَسَبُوا ﴾ أي: مما عملوا في الدنيا إذ أخرجته كتبهم ﴿ وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ ﴾ أي: الذي خافوا منه من عذاب الله. ﴿ وَالذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوضَاتِ الجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ أي: في الجنة ﴿ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الكَبِيرُ ﴾ قال: ﴿ ذَلِكَ الذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ الذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾ يبشرهم في الدنيا بروضات الجنات، لهم ما يشاءون فيها، أي: في الجنة.

قوله: ﴿ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾. ذكروا عن عكرمة قال: كان النبي عليه السلام واسطاً في قريش؛ ليس من بطون قريش بطن إلا وقد ولده؛ فقال: (قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ) أي: إلا أن تراعوا ما بيني وبينكم من القرابة [فتصدقوني][2].

وقال الحسن: (إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ) أي: إلا أن يتقرّبوا إلى الله بالعمل الصالح، وهو كقوله: (قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنَ اجْرٍ إِلاَّ مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً) [الفرقان: 57] أي: بطاعته.

---

(1) أورد الفراء في المعاني ج 3 ص 22 سبباً لنزول الآية فقال: «ذكر أن الأنصار جمعت للنبي ﷺ نفقة يستعين بها على ما ينوبه في أصحابه، فأتوا بها النبي ﷺ، فقالوا: إن الله عز وجل قد هدانا بك، وأنت ابن أختنا، فاستعن بهذه النفقة على ما ينوبك، فلم يقبلها، وأنزل الله في ذلك: قل لهم: لا أسألكم على الرسالة أجراً إلا المودة في قرابتي بكم. وقال ابن عباس: (لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ المَوَدة في القُرْبَى) في قرابتي من قريش». وقد روى الواحدي في أسباب النزول، ص 395 هذا الخبر بتفصيل أكثر عن ابن عباس.

(2) زيادة من تفسير القرطبي ج 16 ص 21، حيث ورد القول منسوباً إلى ابن عباس وعكرمة ومجاهد.

قوله: ﴿ وَمَن يَقْتَرِفْ ﴾ أي: ومن يعمل ﴿ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً ﴾ أي: تضعيف الحسنات ﴿ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ ﴾ أي: للذنوب ﴿ شَكُورٌ ﴾ أي: للعمل.

قوله: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ﴾ يعني المشركين ﴿ افْتَرَىٰ ﴾ أي: محمد ﴿ عَلَى اللهِ كَذِباً ﴾ بما جاء، أي: قد قالوه ﴿ فَإِن يَشَإِ اللهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ فيذهب عنك النبوة التي أعطاكها، وهذا موضع القدرة، ولا تنزع منه النبوّة، كقوله: (لَوْ أَرَادَ اللهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ) [الزمر: 4].

قوله: ﴿ وَيَمْحُ اللهُ البَاطِلَ ﴾ قال الحسن: فلا يجعل لأهله في عاقبته خيراً ولا ثواباً[1]، يعني ما عليه المشركون. ﴿ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِ ﴾ فينصر النبي والمؤمنين. قال: ﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ أي: بما في الصدور.

قوله: ﴿ وَهُوَ الذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾ أي: إذا تابوا ﴿ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ فمن قرأها بالتاء فهو يقول للنبي عليه السلام: ويعلم ما تفعلون، ومن قرأها بالياء فهو يقول للناس: ويعلم ما يفعلون.

ذكروا عن بعضهم قال: التائب من الذنب كمن لا ذنب له. ثم تلا هذه الآية: (إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ) [البقرة: 222]. فإذا أحب الله عبداً لم يضرّه ذنبه.

قوله: ﴿ وَيَسْتَجِيبُ الذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾ أي: يستجيبون لربهم، أي: يؤمنون به، كقوله: (لِلذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ) أي: المشركون لا يستجيبون له (وَالذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوَ انَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ)... إلى آخر الآية [الرعد: 18]. قال: ﴿ وَيَزِيدُهُم مِّنْ فَضْلِهِ ﴾ يعني المؤمنين، أي: تضعيف الحسنات. ﴿ وَالْكَـٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ أي: جهنم.

---

(1) قال الفراء في المعاني ج 3 ص 23: «وقوله: (وَيَمْحُ اللهُ الْبَاطِلَ) ليس بمردود على (يختم) فيكون مجزوماً، هو مستأنف في موضع رفع، وإن لم تكن فيه واو في الكتاب. ومثله مما حذفت فيه الواو وهو في موضع رفع قوله: (وَيَدْعُ الإِنْسَانُ بِالشَّرِّ) [الإسراء: 11]، وقوله: (سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ) [العلق: 18].

قوله: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾. ذكروا أن علياً رضي الله عنه قال: إن هذا الرزق ينزل من السماء كقطر المطر إلى كل نفس بما كتب الله لها.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: إني لا أعلم شيئاً يقرّبكم من الجنة ويباعدكم من النار إلا وقد أمرتكم به، ولا أعلم شيئاً يباعدكم من الجنة ويقرّبكم من النار إلا وقد نهيتكم عنه. إن الروح الأمين نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يمنعنّكم استبطاءُ شيءٍ من الرزق أن تطلبوه بمعصية الله، فإن الله لا يُنال ما عنده بمعصيته[1].

ذكروا عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: إن هذا الرزق مقسوم فأجملوا في الطلب[2].

قوله: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ ﴾ أي: المطر ﴿ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا ﴾ أي: من بعد ما يئسوا ﴿ وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ ﴾ أي: المطر ﴿ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ أي: المستحمد إلى خلقه، أي استوجب عليهم أن يحمدوه.

قال: ﴿ وَمِن ءَايَـٰتِهِ خَلْقُ السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾ أي: وما خلق[3] فيهما، أي: في السماوات والأرض[4]. وتفسير مجاهد: أي: من الملائكة

(1) أخرجه ابن ماجه مختصراً من رواية جابر بن عبد الله في كتاب التجارة، باب الاقتصاد في طلب المعيشة (رقم 2144)، ورواه البغوي في شرح السنة، ج 14 ص 303-304 عن عبد الله بن مسعود من طرق مختلفة، وقد صحح ابن حبان هذا الحديث. وأغلب روايات الحديث مبدوءة بقوله عليه السلام: أيها الناس.

(2) رواه ابن ماجه في الباب بلفظ: «أجملوا في الطلب فإن كلاً ميسر لما خلق له» من حديث أبي حميد الساعدي.

(3) كذا في ق و ع: «وما خلق»، ويبدو أن صوابه «وما فرق»، وبهذا اللفظ ورد في تفسير الطبري، ج 25 ص 31.

(4) هذا وجه من التأويل صحيح، يؤيده قول مجاهد. وقال الفراء في المعاني، ج 3 ص 24: «أراد: وما بث في الأرض دون السماء، بذلك جاء في التفسير؛ ومثله مما ثنى ومعناه واحد قوله: =

والناس. قال: ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴾ يعني أنه يجمعهم يوم القيامة.

قوله: ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ أي: فبما عملتم[1] ﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ وهو مثل قوله: (مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّنْ قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا) [الحديد: 22] أي: من قبل أن نخلق تلك المصيبة.

في تفسير الحسن: إن الله كتب عنده كتاباً: إن ذنب كذا عقوبته كذا، فيعفو الله عن أكثر ذلك، ويعاقب من ذلك ما يشاء.

ذكروا عن علي بن أبي طالب قال: سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً حق على المسلمين أن يعوه، سمعته يقول: ما عاقب الله عليه في الدنيا ثم عفا عن صاحبه بعد التوبة فالله أحلم من أن يثني عقوبته في الآخرة، وما عفا عنه في الدنيا فالله أكرم من أن يرجع في عفوه[2].

ذكروا عن رسول الله ﷺ أنه رأى بوجه رجل خدشاً فقال: ما هذا؟ قال يا رسول الله، كنت في طريق، فرأيت امرأة فجعلت انظر إليها حتى صدمت بوجهي الحائط ولم أشعر. فقال رسول الله ﷺ: إن أراد الله بعبد خيراً عجّل عقوبة ذنبه في الدنيا، وإذا أراد الله بعبد شراً أمسك عليه بذنبه حتى يوافيه يوم القيامة[3].

ذكروا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: لا تزال البلايا للمؤمن في جسده وماله وولده حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة[4].

= (يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ) [الرحمٰن: 22] وإنما يخرج من الملح دون العذب».

(1) كذا في ع وق: «فبما عملتم»، وفي ز: «فبما عملت أيديكم».

(2) حديث صحيح أخرجه ابن أبي حاتم مرفوعاً وموقوفاً، ورواه أحمد والترمذي والحاكم عن علي ابن أبي طالب بلفظ أطول مما هو هنا.

(3) حديث صحيح، أخرجه أحمد والترمذي والحاكم عن عبد الله بن مغفل الأنصاري. وأخرجه الترمذي والحاكم أيضاً عن أنس بن مالك، وانظر ابن حمزة الحسيني الدمشقي، البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث، ج 1 ص 123-124.

(4) حديث حسن صحيح، أخرجه أحمد في مسنده، وأخرجه الترمذي في الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، كلاهما يرويه من حديث أبي هريرة.

قوله: ﴿ وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾ يقوله للمشركين، أي: وما أنتم بالذين يسبقوننا حتى لا نبعثكم ثم نعذبكم ﴿ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللهِ مِن وَلِيٍّ ﴾ أي: يمنعكم من عذابه ﴿ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ أي: ينتصر لكم.

قوله: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ الْجَوَارِ ﴾ أي: السفن، كقوله: (وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ) [الحج: 65] قال: ﴿ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾ أي: كالجبال، وهي كقوله: (وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَئَاتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ) [الرحمن: 24]، وهي السفن إذا كان عليها قلوعها.

قوله: ﴿ إن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيَـٰحَ فَيَظْلَلْنَ ﴾ يعني السفن ﴿ رَوَاكِدَ ﴾ أي: سواكن ﴿ عَلَىٰ ظَهْرِهِ ﴾ أي: على ظهر البحر. قال: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ أي: لكل مؤمن.

قال: ﴿ أَوْ يُوبِقْهُنَّ ﴾ أي: يغرقهن[1]، يعني السفن، أي يغرق أهلها ﴿ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴾.

قال: ﴿ وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِي ءَايَـٰتِنَا ﴾ يعني المشركين يجحدون بها ﴿ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴾ أي: من ملجأ يلجأون إليه من عذاب الله.

قوله: ﴿ فَمَا أُوتِيتُم مِّنْ شَيْءٍ ﴾ يعني المشركين ﴿ فَمَتَـٰعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ﴾ أي: ينفد ويذهب ﴿ وَمَا عِنْدَ اللهِ ﴾ في الآخرة، يعني الجنة ﴿ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ أي: يبقى، وما في الدنيا يذهب ﴿ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾.

قوله: ﴿ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰئِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَٰحِشَ ﴾ أي: ويجتنبون الفواحش، وقد فسّرنا ذلك في سورة النساء[2]. قال: ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾.

كان هذا بمكة قبل الهجرة يغفرون للمشركين، كقوله: (قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا

---

(1) قال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ص 393: «(أَوْ يُوبِقْهُنَّ): يُهلكهن يقال: فلان قد أوبقته ذنوبه، وأراد أهل السفن».

(2) انظر ما سلف، ج 1 ص373 - 374.

لِلذِينَ لاَ يَرْجُونَ أَيَّامَ اللهِ﴾ [الجاثية: 14]، وهو منسوخ، نسخه القتال، فصار ذلك العفو فيما بين المؤمنين.

قوله: ﴿وَالذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ أي: آمنوا ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ﴾ كانت الصلاة يوم نزلت هذه الآية ركعتين غدوة وركعتين عشية قبل أن تفرض الصلوات الخمس.

قوله: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ تفسير الحسن: يتشاورون في كتاب الله. وقال بعضهم: (وَأَمْرُهُمْ) يعني التوحيد[1]، (شُورَىٰ بَيْنَهُمْ) ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ أي: الزكاة، ولم تكن يومئذ شيئاً موقتاً.

قوله: ﴿وَالذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ﴾ أي: بغى عليهم المشركون، أي: ظلموهم ﴿هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ أي: بألسنتهم؛ أي إنهم لم يكونوا أمِروا بالقتال يومئذ. وقال بعضهم: كانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم.

قال: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ أي: ما يسيء إليهم المشركون، أن يفعلوا بهم كما يفعلون بهم[2]. قال: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ﴾ أي: فمن ترك مَظْلِمته، ﴿فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ﴾ أي: فثوابه على الله. ﴿إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّـٰلِمِينَ﴾ أي: المشركين. قال: ﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ﴾ أي: من بعد ما ظُلِم ﴿فَأُولَـٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّنْ سَبِيلٍ﴾. تفسير الحسن: ما عليهم من حجة.

﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ أي: بكفرهم وتكذيبهم، يعيبهم بذلك. ﴿أُولَـٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: موجع ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾.

(1) كذا في ق و ع: «يعني التوحيد» ولم أر لهذا التأويل معنى ولا وجهاً، ولم أجد من بين المفسرين من فسّر الأمر هنا بالتوحيد، فالشورى إنما تكون بين المسلمين في الأمور العامة من شؤون المسلمين كالحروب والخلافة، مثل موقف عمر حين حضرته الوفاة فجعل الأمر بعده شورى في نفر من الصحابة. وهذه الآية أصل من أصول ما يسمى الآن بالتشريع الدستوري في الإسلام.

(2) في ق: «أن يفعلوا بهم مثل ذلك»، وأثبت ما جاء في ز، ورقة 312 فهو أوضح تعبيراً.

وهذا كله منسوخ فيما بينهم وبين المشركين، نسخه القتال وصار العفو فيما بين المؤمنين. أمرنا بالعفو فقال: (وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ) [آل عمران: 134]، وقال: (وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا) [النور: 22].

ذكروا عن أبي الأحوص عن أبيه قال: قلت يا رسول الله، إن لي جاراً يسيء مجاورتي، أفأفعل به كما يفعل بي. قال: لا، إن اليد العليا خير من اليد السفلى[1].

قوله: ﴿ وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِن بَعْدِهِ ﴾ أي: من بعد الله، أي: من ولي يمنعه من عذاب الله.

قوله: ﴿ وَتَرَى الظَّـٰلِمِينَ ﴾ أي: المشركين ﴿ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَل إِلَىٰ مَرَدٍّ ﴾ أي: إلى الدنيا ﴿ مِّنْ سَبِيلٍ ﴾ أي: فنؤمن. تفسير الحسن: إنهم يقولون ذلك وهم في النار. قال: ﴿ وَتَـرَٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا ﴾ أي: على النار ﴿ خَـٰشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ ﴾ أي: أذلاء ﴿ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ ﴾ أي يسارقون النظر.

قوله: ﴿ وَقَالَ الذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَـٰسِرِينَ الذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ خسروا أنفسهم أن يغنموها فصاروا في النار، وخسروا أهليهم، أي: من الحور العين. وقد فسّرناه في سورة الزمر[2]. قال: ﴿ أَلَا إِنَّ الظَّـٰلِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴾ أي: دائم لا ينقطع.

قال: ﴿ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّنَ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ ﴾ أي: يمنعونهم ﴿ مِّنْ دُونِ اللهِ ﴾ أي: من عذابه. قال: ﴿ وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ أي: إلى الهدى.

قوله: ﴿ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ ﴾ أي آمنوا بربكم ﴿ مِّنْ قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ ﴾ يعني يوم القيامة، أي لا يرده أحد من بعد ما حكم الله به[3] وجعله أجلاً ووقتاً. ﴿ مَا لَكُمْ مِّن مَّلْجَإٍ يَّوْمَئِذٍ ﴾ أي تلجأون إليه؛ يقوله للمشركين، أي: يمنعكم

(1) انظر ما سلف في هذا الجزء ص 82 - 83 تعليق: 1

(2) انظر ما سلف في هذا الجزء ص 35.

(3) هذا هو الصواب كما جاء في ز، وفي ق و ع: «من بعدما جاءكم الله به». وفيه تصحيف.

من عذاب الله ﴿ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴾ [أي: من نصير][1] قال الحسن: ليست لهم منعة، وقال مجاهد: نصرة.

قال: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا ﴾ أي: لم يؤمنوا ﴿ فَمَا أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً ﴾ أي تحفظ عليهم أعمالهم حتى تجازيهم بها. ﴿ إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلَـٰغُ ﴾ وليس عليك أن تكرههم على الإيمان، كقوله: (أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُومِنِينَ) [يونس: 99]. وقد أمر بقتالهم بعد، ولكن لم يكن عليه إلا القتال، والله يهدي من يشاء.

قوله: ﴿ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الإِنسَـٰنَ ﴾ يعني المشرك ﴿ مِنَّا رَحْمَةً ﴾ وهذه رحمة الدنيا، أي: ما فيها من الرخاء والعافية ﴿ فَرِحَ بِهَا ﴾ لأنه لا يهمه إلا الدنيا ولا يقر بالآخرة، كقوله: (وَفَرِحُوا بِالْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا) [الرعد: 26].

﴿ وَإِن تُصِبْهُـمْ سَيِّئَةٌ ﴾ أي: شدة من ذهاب مال أو مرض ﴿ بِمَا قَدَّمَت أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الإِنسَانَ كَفُورٌ ﴾ يعني المشرك. أي: ليس له صبر على المعصية ولا حسبة، لأنه لا يرجو ثواب الله في الآخرة ولا يؤمن بها.

قوله: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَـٰوَٰتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ ما يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَّشَاءُ إِنَـٰثاً ﴾ يعني الجواري ﴿ وَيَهَبُ لِمَن يَّشَاءُ الذُّكُورَ ﴾ أي: الغلمان.

ذكروا عن ابن عباس قال: وهب للوط بنات ليس فيهن ذكر، ووهب لإبراهيم ذكوراً ليس معهم بنات، ووهب لنبيكم ﷺ أربعة بنين: القاسم، وإبراهيم، وطاهراً، ومطهراً[2]، وأربع بنات[3]. ويجعل من يشاء عقيماً، يعني يحيـى بن زكريا، لا يشتهي النساء ولا يريدهن.

---

(1) زيادة من ز، ورقة 312، وفي تفسير مجاهد ص 577: «من ناصر ينصر لكم».

(2) كذا في ق وع، وقيل إن طاهراً ومطهراً لقبان لابنه عبد الله الذي ولد في الإسلام، وأن الابن الآخر هو الطيّب، انظر ابن الجوزي، الوفا بأحوال المصطفى ص 656، وابن قتيبة، المعارف ص 141.

(3) هن زينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة، وكل أولاده عليه السلام من خديجة إلا إبراهيم فإنه من مارية.

قوله: ﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَـٰثاً ﴾ [أي: يخلط بينهم][1] يعني من يشاء، فيهب له ذكراناً، أي غلماناً، وإناثاً، أي: جواري ﴿ وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيماً ﴾ أي: لا يولد له ﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾.

قوله: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ [فكان موسى ممن كلمه الله من وراء حجاب][1].

ذكر جماعة من العلماء أن الحجاب بيّن، والوحي منه وحي بإرسال ووحي بإلهام؛ وذلك قول الله: (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنَ ارْضِعِيهِ) [القصص: 7] فهذا وحي إلهام، وكذلك: (وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ) [النحل: 68] أي: ألهم ربك النحل. والوحي بإرسال: الذي أوحى الله تبارك وتعالى إلى أنبيائه مع الروح الأمين؛ فربما ظهر للرسول جبريل، وربما جاء بالوحي يُسمعه إياه ولا يراه. وهو قوله: إلا وحياً إلهاماً، أو من وراء حجاب. جبريل احتجب عن محمد عليه السلام غير مرة، فربما ظهر له وربما ناداه فلم يره محمد فهو قوله: (أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ).

حدثنا أبو داود عن عطاء بن السايب عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب أنه مرّ بالقصابين فسمع أحدهم يقول: والذي احتجب عن خلقه بسبع طبقات، فعلاه بالدرة وقال له: تب، إن الله أقرب إليه من حبل الوريد. قال القصّاب، أفلا أكفّر بشيء؟ قال: لا، لأنك حلفت بغير الله.

وحدثنا أبو عبد الرحمن البصري عن يوسف أبي الفضل عن إسحاق الهمداني عن الحارث، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بنحو ذلك إلا أنه قال: أخطأت، ثكلتك أمك، إن رب العالمين ليس بينه وبين خلقه حجاب، لأنه معهم أين ما كانوا. فقال: ما كفارة ما قلت؟ قال: أن تعلم أنه معك أين ما كنت؛ فالمتكلم الله على لسان جبريل، والمحتجب جبريل.

(1) زيادة من ز، ورقة 312. وقال ابن أبي زمنين: «المعنى: يجعل بعضهم ذكوراً وبعضهم إناثاً. تقول العرب: زوجت إبلي إذا قرنت بعضه إلى بعض، وزوجت الصغار بالكبار إذا قرنت كبيراً بصغير، وهو الذي أراد مجاهد».

وقوله: ﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً﴾ تكرير في القول سبحانه. كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج : 77] وفعل الخير عبادته، وكرّر الكلام عز وجل.

قال: ﴿ فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾ يعني جبريل، يرسله إلى من يشاء من رسله، فيوحي إليهم معه ما يشاء. ﴿ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾.

قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنَ اَمْرِنَا ﴾ يعني القرآن ﴿ مَا كُنتَ تَدْرِي ﴾ من قبل أن يوحى إليك ﴿ مَا الْكِتَٰبُ وَلاَ الإِيمَٰنُ وَلَكِنْ جَعَلْنَٰهُ﴾ أي: القرآن ﴿ نُوراً ﴾ [أي: ضياء من الظلمة][1] ﴿ نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي ﴾ أي: لتدعو ﴿ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ أي إلى الجنة.

﴿ صِرَٰطِ اللهِ ﴾ أي طريق الله ﴿ الذِي لَهُ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلاَ إِلَى اللهِ تَصِيرُ الأُمُورُ ﴾ [يعني أمور الخلائق] أي يوم القيامة.

(1) زيادة من ز، ورقة 312.

تفسير سورة الزخرف، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ حٰمٓ ﴾ قد فسّرناه فيما مضى من الحواميم. ﴿ وَالْكِتَٰبِ الْمُبِينِ ﴾ أي القرآن البيّن، [وهذا قسم][1]. ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ ﴾ يعني القرآن ﴿قُرْءاناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ أي: لكي تعقلوا.

﴿ وَإِنَّهُ ﴾ يعني القرآن ﴿ فِي أُمِّ الْكِتَٰبِ لَدَيْنَا ﴾ أي: عندنا ﴿ لَعَلِيٌّ ﴾ أي: رفيع ﴿ حَكِيمٌ ﴾ أي: محكم.

وقوله: ﴿جَعَلْنَٰهُ﴾ أي: خلقناه، كقوله: (وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَّحْفُوظاً) [الأنبياء: 32]، وقوله: (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ) [الإسراء: 12]، وقوله: (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ) [الأنبياء: 30] ونظيره في كتاب الله كثير.

وأمّ الكتاب اللوح المحفوظ. وتفسير أم الكتاب جملة الكتاب وأصله.

ذكروا عن ابن عباس أنه قال: أول ما خلق الله القلم فقال: اكتب، قال: رب وما أكتب؟ قال: ما هو كائن. فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة. قال: فأعمال العبد تعرض كل يوم الاثنين والخميس، فيجدونها على ما هي في الكتاب.

قوله: ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ ﴾ أي القرآن ﴿ صَفْحاً أَنْ كُنتُمْ قَوْماً مُّسْرِفِينَ ﴾ فيها إضمار، أي حتى لا تفهموه ولا تفقهوه، أي: فقد فعلنا ذلك. أن كنتم قوماً مسرفين، أي مشركين. وهذا تفسير الحسن.

(1) زيادة من ز ورقة 312.

وقال الكلبي: (أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفحاً) الذكر يعني القرآن (عَنْكُمْ) أي: من أجلكم (أَنْ كُنتُمْ) أي: لأنكم[1] قوم مسرفون. أي: مشركون. أي: لا نذره[2].

قوله: ﴿ وَكَمَ ارْسَلْنَا مِن نَّبِي فِي الأوَّلِينَ ﴾ أي: وكم أرسلنا منهم من الأنبياء. ذكروا عن أبي قلابة قال: قيل: يا رسول الله، كم المرسلون؟ قال: ثلاثمائة وبضعة عشر، جم غفير[3]. قال: ﴿ وَمَا يَأتِيهِم مِّن نَّبي إلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ كقوله: (يَا حَسْرَةً عَلَى العِبَادِ مَا يَأتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ) [يس: 30].

قال: ﴿ فَأهْلَكْنَا أشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشاً ﴾ أي: أشد من مشركي العرب قوة. يعني من أهلك من الأمم السالفة؛ كقوله: (كَانُوا أشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً) [الروم: 9] ﴿ وَمَضَىٰ مَثَلُ الأوَّلِينَ ﴾ يعني وقائعه في الأمم السالفة بتكذيبهم رسلهم.

قوله: ﴿ وَلَئِنْ سَألْتَهُم ﴾ يعني المشركين ﴿ مَّنْ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ العَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ ثم قال: ﴿ الذِي جَعَلَ لَكُمُ الأرْضَ مِهَاداً ﴾ كقوله: (الذِي جَعَلَ لَكُمُ الأرْضَ فِرَاشاً) [البقرة: 22] ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً ﴾ أي: طرقاً ﴿ لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ أي: لكي تهتدوا الطرق.

﴿ وَالذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ ﴾ ذكروا عن ابن عباس قال: ما عام بأكثر من عام ماء، أو قال: مطراً، ولكن الله يصرفه في الأرض حيث يشاء؛ ثم تلا هذه الآية: (وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا) [الفرقان: 50] قال: ﴿ فَأنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً ﴾ يعني

---

(1) وهذا على قراءة من قرأ «أنكم» بفتح الهمزة، وهي قراءة عاصم والحسن، على العلة مفعولاً لأجله، وقرأ نافع وآخرون بالكسر، على الشرط. وانظر ابن خالويه: الحجة ص 293-294.

(2) قال الفراء في المعاني، ج 3 ص 28: «والعرب تقول: قد أضربت عنك وضربت عنك إذا أردت به: تركتك وأعرضت عنك». وقال ابن عاشور في تفسيره ج 25 ص 163: «والاستفهام إنكاري؛ أي لا يجوز أن نضرب عنكم الذكر صفحاً من جراء إسرافكم. . . لا نترك تذكيركم بسبب كونكم مسرفين بل لا نزال نعيد التذكير رحمة بكم».

(3) أخرجه ابن أبي حاتم عن أبي أمامة بإسناد ضعيف، وانظر ما سلف من هذا التفسير ج 1 ص 238.

فأحيينا به بلدة ﴿ مَّيْتاً ﴾ يعني الميتة اليابسة التي ليس فيها نبات. ﴿ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ يعني البعث. يرسل الله مطراً منياً كمني الرجال فتنبت جسمانهم ولحمانهم كما ينبت الأرض الثرى.

قال: ﴿ وَالذِي خَلَقَ الأَزْوَٰجَ كُلَّهَا ﴾ تفسير الحسن: الشتاء والصيف، والليل والنهار، والسماء والأرض، وكل اثنين منها زوج. قال: ﴿ وَجَعَلَ لَكُم ﴾ أي: وخلق لكم ﴿ مِّنَ الْفُلْكِ وَالأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ﴾ أي: ظهور ما سخر لكم أن تركبوه ﴿ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ الذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾ أي: مطيقين[1]. ﴿وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾.

ذكروا عن الحسن أنه كان يقول: الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وعلّمنا القرآن، ومنّ علينا بمحمّد عليه السلام، ويقول: (سُبْحَانَ الذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ) لولا أن الله سخّره لنا.

ذكروا عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان إذا سافر ركب راحلته فكبر ثلاثاً ثم قال: (سُبْحَانَ الذِي سَخَّرَ لَنَا هذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ) اللّهمّ إني أسألك في سفري هذا البرّ والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم اصحبنا في سفرنا، واخلفنا في أهلنا. اللهم هوّن علينا السفر، واطْوِ لنا بُعْدَ الأرض. اللهم أنت الصاحب في السفر والحضر، والخليفة في الأهل[2].

ذكروا عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقول أحياناً إذا قرب راحلته ليركب، وأحياناً إذا ركب راحلته: بسم الله، اللهم ازو لنا الأرض وهوّن علينا السفر. اللهم

---

(1) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 202: «(وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ) ضابطين، يقال: فلان مقرن لفلان أي: ضابط له مطيق».

(2) حديث صحيح أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره عن ابن عمر (رقم 1342) وجاء في آخر الحديث: «وإذا رجع قالهن، وزاد فيهن: آيبون، تائبون، عابدون، لربنا حامدون». وقد روى هذا الحديث أحمد وأبو داود والنسائي، ولم أجده فيما بين يدي من المصادر من رواية أبي هريرة، ولعل هذا مما انفرد بروايته ابن سلام من هذه الطريق.

أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل. اللهم إنا نعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والولد والمال.

وقال بعضهم: قد بيّن الله لكم ما تقولون إذا ركبتم في البرّ، وما تقولون إذا ركبتم في البحر. إذا ركبتم في البرّ قلتم: (سُبْحَانَ الذِي سَخَّرَ لَنَا هٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ)، وإذا ركبتم في البحر قلتم: (بِسْمِ اللهِ مُجْرَيٰهَا وَمُرْسَيٰهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ) [هود: 41].

قوله: ﴿ وَجَعَلُوا لَهُ ﴾ يعني المشركين ﴿ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءاً ﴾ يعني الملائكة جعلوهم بنات لله. قال: ﴿ إِنَّ الإِنْسَـٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴾.

قال: ﴿ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ ﴾ على الاستفهام ﴿ وَأَصْفَيٰكُمْ بِالْبَنِينَ ﴾ أي: لم يفعل ذلك.

قال: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَـٰنِ مَثَلاً ﴾ أي: بالأنثى، لقولهم إن الملائكة بنات الله، وكانوا يقولون: إن الله صاحب بنات، فألحقوا البنات به، فيقتلون بناتهم ﴿ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً ﴾ أي: مغبراً ﴿ وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ أي: قد كظم على الغيظ والحزن، أي: رضوا لله ما كرهوا لأنفسهم.

قال: ﴿ أَوَمَن يُّنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ ﴾ وهذا تبع للكلام الأول: (أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ)، يقول: أو يتّخذ من ينشأ في الحلية، يعني النساء، بنات، لقولهم: الملائكة بنات الله. قال الله عز وجل: ﴿ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ أي: لا تبين عن نفسها من ضعفها، (وَأَصْفَيٰكُم بِالْبَنِينَ) أي: لم يفعل.

قال الكلبي في قوله: (أَوَمَن يُّنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ)، يقول: هؤلاء النساء اتخذهن منكم، جعلتم لله بنات مثلهن.

قوله: ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَـٰئِكَةَ الذِينَ هُمْ عِبَدَ الرَّحْمَـٰنِ إِنَاثاً ﴾ كقوله: (وَمَنْ عِنْدَهُ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ) [الأنبياء: 19] يعني الملائكة. وقرأ ابن عباس (الذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثاً) كقوله: (سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ) [الأنبياء: 26].

قال: ﴿ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ﴾ أي: إنهم لم يشهدوا خلقهم ﴿ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْئَلُونَ ﴾ أي: عنها يوم القيامة.

﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُم ﴾ أي: لو كره الله هذا [الدين][1] الذي نحن عليه لحوّلنا عنه إلى غيره. قال الله: ﴿ مَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ ﴾ أي بأني أمرتهم أن يعبدوا غيري، إنما قالوا ذلك على الشك والظنّ ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ أي: يكذبون.

قال: ﴿ أَمْ ءَاتَيْنَاهُمْ كِتَاباً مِّنْ قَبْلِهِ ﴾ أي: من قبل هذا القرآن، فيه ما يدّعون من أن الملائكة بنات الله، وقولهم: لو كره الله ما نحن عليه لحوّلنا عنه إلى غيره ﴿ فَهُم بِهِ ﴾. أي: بذلك الكتاب ﴿ مُسْتَمْسِكُونَ ﴾ أي: يحاجّون به، أي: لم نؤتهم كتاباً فيه ما يقولون فهم به مستمسكون.

﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ ﴾[2] أي: على ملّة، وهي ملة الشرك. ﴿ وَإِنَّا عَلَى ءَاثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ أي: إنهم كانوا على هدى، ونحن نتّبعهم على ذلك الهدى.

قال الله: ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ ﴾ أي: من نبي ينذرهم العذاب ﴿ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا ﴾ أي: جبابرتها وعظماؤها، أي: مشركوها، وهم أهل السعة[3] والقادة في الشرك، فاتبعهم من دونهم ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ ﴾ أي: على ملة ﴿ وَإِنَّا عَلَى ءَاثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ أي إنهم كانوا مهتدين، فنحن مقتدون بهداهم.

قال الله للنبي عليه السلام: ﴿ قُل ﴾ لهم يا محمد ﴿ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَى مِمَّا

---

(1) زيادة من ز، ورقة 314.

(2) قال الفراء في المعاني ج 3 ص 30: «قرأ القراء بضم الألف من أُمّةٍ، وكسرها مجاهد وعمر بن عبد العزيز. وكأن الأمة مثل السنة والمِلة. وكأن الإمة الطريقة، والمصدر من أممت القوم، فإن العرب تقول: ما أحسن إمته وعِمته وجِلسته إذا كان مصدراً. والإمة أيضاً المُلك والنعيم».

(3) في ع وق «أهل السفه» وفي الكلمة تصحيف صوابه «السعة» كما جاء في ز.

وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَاءَكُمْ ﴾. ثم رجع إلى قصة الأمم السالفة فأخبر بما قالوا لأنبيائهم: ﴿ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَـٰفِرُونَ ﴾.

قال: ﴿ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ يعني الذين كذّبوا رسلهم، أي: فأهلكناهم. ﴿ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ أي: كان عاقبتهم أن دمّر الله عليهم ثم صيّرهم إلى النار.

قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْـرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ[1] مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ أي لكن أعبد الذي فطرني، أي: الذي خلقني، كقوله: (فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَلٰكِنْ اعْبُدُ اللهَ الَّذِي يَتَوَفَّيٰكُمْ) [يونس: 104] قال: ﴿ فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴾ أي يثبتني على الإيمان.

﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ ﴾ أي: في ذريته، والكلمة لا إله إلا الله. كقوله: ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ) [البقرة: 128] وقوله: (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ) [البقرة: 129] ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ أي: لكي يرجعوا إلى الإيمان.

قوله: ﴿ بَلْ مَتَّعْتُ هؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ ﴾ يعني قريشاً، أي: لم أعذّبهم. كقوله: (بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ) [سورة صٓ: 8] قال: ﴿ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ ﴾ أي: القرآن ﴿ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴾ أي محمد ﷺ.

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ ﴾ أي القرآن ﴿ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَـٰفِرُونَ ﴾ أي: جاحدون.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا﴾ أي: هلّا ﴿نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْءانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ والقريتان مكة والطائف. أي: لو كان هذا القرآن حقاً لكان هذان الرجلان أحقّ به منك يا محمد، يعنون الوليد بن المغيرة المخزومي وأبا مسعود الثقفي.

(1) قال الفراء في المعاني ج 3 ص 30: «العرب تقول: نحن منك البراء والخلاء، والواحد والاثنان والجميع من المؤنث والمذكر يقال فيه براء، لأنه مصدر، ولو قال: بريء لقيل في الاثنين: بريئان، وفي القوم: بريئون وبرءاء...».

قال الله: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ يعني النبوة، على الاستفهام، أي: ليس ذلك في أيديهم فيضعوا النبوة حيث شاءوا ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ ﴾ أي: في الرزق ﴿ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً ﴾ [أي: يملك بعضهم بعضاً][1] من باب السخرة. قال: ﴿ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ أي: مما يجمع المشركون من الدنيا.

قال: ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ ذكروا عن الحسن أنه قال: ولولا أن يجتمعوا على الكفر ﴿ لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ ﴾ أي: ودرجا ﴿ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴾ أي: عليها يرقون إلى ظهور بيوتهم.

﴿ وَلِبُيُوتِهِمْ ﴾ أي: ولجعلنا لبيوتهم ﴿أَبْوَٰباً﴾ من فضة ﴿ وَسُرُراً ﴾ من فضة ﴿ عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ وَزُخْرُفاً ﴾ والزخرف الذهب. ﴿ وَإِنْ كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ﴾ أي: يُستَمتَع به ثم يذهب ﴿ وَالآخِرَةُ ﴾ يعني الجنة ﴿ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾.

ذكروا عن الحسن قال: دخل عمر بن الخطاب على رسول الله ﷺ وهو على سرير مرمول[2] بشريط من شرط المدينة، وتحته وسادة من أدم حشوها ليف، وقد أثّر في جسمه، وفي البيت أُهُب فيها إهاب قد عطن، أي: أنتن. فقال: يا رسول الله، أتجد ما أجد. قال: متاع البيت وما لا بد لهم منه. قال عمر: أما أنا فأشهد أنكَ رسول الله وأنك أكرم على الله من كسرى وقيصر، وهما متكئان على سرر الذهب. فقال: يا ابن الخطاب، أما ترضى بأن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة. قال: بلى. قال: كذلك[3].

---

(1) زيادة من ز، ورقة 314.

(2) أي: منسوج بشُرَط من سعف نخل المدينة. يقال: رملت الحصير وأرملته إذا نسجته. انظر ابن قتيبة، غريب الحديث، ج 1 ص 598، وانظر اللسان: (رمل).

(3) حديث صحيح متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، سورة التحريم، وأخرجه مسلم مطولاً في كتاب الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن وقوله تعالى: وإن تظاهرا عليه (رقم 1479) كلاهما يرويه من حديث عمر، ولم أجد في كتب الحديث الجملة الأخيرة: «قال: كذلك».

ذكر الحسن قال قال رسول الله ﷺ: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر(1).

ذكروا عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: لو كانت الدنيا عند الله تعدل جناح ذبابة، أو بعوضة، ما أعطى الكافر منها شيئاً(2).

ذكروا أن كعباً قال: يقول الله: لولا أن أحزن عبدي المؤمن لأعطيت الكافر منها كذا وكذا. قال صاحب الحديث: لجعلت على رأسه غطاء من حديد لا يصدع رأسه.

قوله: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ ﴾ أي: ومن يعمَ عن ذكر الرحمٰن، وهذا المشرك ﴿ نُقَيِّضْ ﴾ أي: نسبب(3) ﴿ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾.

قوله: ﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ(4) عَنِ السَّبِيلِ ﴾ أي: عن سبيل الهدى ﴿ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾.

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَانَا﴾ أي: هو وقرينه، يعني شيطانه. وهي تقرأ على وجه آخر: (حَتَّى إِذَا جَاءَنَا) [أي: العاشي عن ذكر الرحمٰن]. ﴿ قَالَ ﴾: أي: لقرينه ﴿يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴾.

[قال بعضهم: إن الكافر إذا خرج من قبره وجد عند رأسه شيطانه فيأخذ بيده فيقول: أنا قرينك حتى أدخل أنا وأنت جهنم. قال محمد: عند ذلك يقول: (يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ المَشْرِقَيْنِ فَبِيسَ القَرِينُ)](5).

قال الله عز وجل: ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ ﴾ أي: أشركتم ﴿ أَنَّكُمْ فِي

(1) انظر ما سلف، ج 3 ص 311، وج 1 ص 522.
(2) انظر ما سلف، ج 3 ص 311 أيضاً.
(3) في ع: «ننسب» وفيه تصحيف صوابه ما أثبته: «نسبب» كما أورده ابن الجوزي في زاد المسير، ج 7 ص 315. وانظر اللسان: (قيض).
(4) قال الفراء في المعاني، ج 3 ص 32: «يريد الشيطان وهو في مذهب جمع، وإن كان لفظ به واحداً، يقول: وإن الشياطين ليصدونهم عن السبيل ويحسبون هم أنهم مهتدون».
(5) وقع اضطراب ونقص في مخطوطة ج، فأثبت تصحيحه وإكماله من كتب التفسير. والزيادة من كتاب الحجة لابن خالويه، ص 295. وقد سقط ما بين المعقوفين كله فأثبته من ز، ورقة 315.

﴿الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ أي: يقرن هو وشيطانه في سلسلة واحدة يتبرأ كل منهما من صاحبه [ويلعن كل منهما صاحبه][1].

قوله: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ يعني النبي عليه السلام (تُسْمِعُ الصُّمَّ) أي عن الهدى ﴿أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ﴾ أي: عن الهدى ﴿وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾، يقوله على الاستفهام، أي: إنك لا تسمعهم ولا تهديهم، يعني من لا يؤمن.

قوله: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ أي: نتوفَّينك ﴿فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَـٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾.

ذكروا عن الحسن قال: كانت بعده نقمة شديدة؛ أكرم الله نبيّه من أن يريه ما كان من النقمة في أمته بعده.

قال بعضهم: وقد أنزل الله آية في المشركين: (فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ) [غافر: 77] وأشباه ذلك مما أوعدهم الله من العذاب، فكان بعض ذلك يوم بدر وبعده، وبعضه يكون مع قيام الساعة بالنفخة الأولى، بها يكون هلاك كفار آخر هذه الأمة.

قال: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ أي القرآن ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ وهو الإسلام، أي: الطريق إلى الجنة.

قال: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ يعني القرآن شرف لكي ولقومك، يعني قريشاً. تفسير الحسن: أن يذكروا به الحلال والحرام والأحكام فيعلمون ما يحلّون وما يحرّمون. ﴿وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ﴾ يوم القيامة، أي: أستمسكتم بهذا الدين أم ضيّعتموه. وقال بعضهم: تسألون عن أداء شكره.

وقال بعضهم: عما وليتم من أمر هذه الأمة. ذكروا عن الحسن وعن سليمان ابن يسار أن عمر بن الخطاب قال: لو ضاع شيء بشاطىء الفرات لخشيت أن يسألني الله عنه.

(1) زيادة من ز.

ذكروا عن الزهري أنه قال: قال رسول الله ﷺ: قدّموا قريشاً ولا تتقدّموها، وتعلّموا منها ولا تُعلّموها[1].

ذكروا عن أبي هريرة قال قال: قال رسول الله ﷺ: الناس في هذا الأمر تبع لقريش[2].

قوله عز وجل: ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا﴾ أي: واسأل الناس عمن أرسلنا من قبلك من رسلنا، أي: واسأل جبريل، فإنه هو الذي كان يأتيهم بالرسالة. أي: هل أرسلنا من رسول إلا بشهادة ألا إله إلا الله وأنك رسول الله. كقوله: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا يُوحَى إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنا فَاعْبُدُونِ) [الأنبياء: 25].

وتفسير الكلبي: اسأل الذين أرسلنا إليهم الرسل قبلك، يعني أهل الكتاب، من آمن منهم.

﴿أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ فلم يسأل ولم يشك. قال بعضهم: هو مثل قوله (فَإِنْ كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الذِينَ يَقْرَأُونَ الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ) [يونس: 94] فقال رسول الله ﷺ: لا أشك ولا أسأل[3]. وبعضهم يقول: كان هذا ليلة أُسري به وصلّى بالنبيين.

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِئَايَتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ﴾ يعني قومه ﴿فَقَالَ إِنِّي

---

(1) حديث صحيح، أخرجه الطبراني عن عبد الله بن السايب، وأخرجه ابن عدي في الكامل عن أبي هريرة.

(2) حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري بأطول مما هو هنا في المناقب، باب قول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إنا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ) وأخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش من حديث أبي الزناد وعن الأعرج عن أبي هريرة (رقم 818) ولفظه: الناس تبع لقريش في هذا الشأن، مسلمهم لمسلمهم وكافرهم لكافرهم.

(3) أخرجه ابن جرير الطبري من طريقين عن قتادة مرسلاً. انظر تفسير الطبري ج 15 ص 202 ط دار المعارف.

رَسُولُ رَبِّ الْعَـٰلَمِينَ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِئَايَٰتِنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴾ أي استهزاءً وتكذيباً.

قال الله: ﴿ وَمَا نُرِيهِم مِّن ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ كانت اليد أكبر من العصا في تفسير الحسن. وقال الكلبي: الآيات التي عذّبوا بها، يعني الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدّم. قال: ﴿ وَأَخَذْنَـٰهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ أي: لعل من بعدهم ممن كان على دينهم من الكفار يرجعون إلى الإيمان.

قوله عز وجل: ﴿ وَقَالُوا يَـٰأَيُّهَـا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ ﴾ أي: فيما تدّعي ﴿ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴾ أي: لمؤمنون. أخذ الله آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون، فأجدبت أرضهم، وهلكت مواشيهم، ونقصت ثمارهم، فقالوا هذا ما سحرنا به هذا الرجل. قالوا يا موسى (مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنَ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤمِنِينَ) [الأعراف: 132] أي: بمصدّقين. فأرسل الله عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصّلات. وقد فسّرنا ذلك في سورة المَصّ[1].

قال الله عز وجل: ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴾ [أي: ينقضون عهدهم][2].

قال: ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ ﴾ أي: حين جاءه موسى يدعوه إلى الله؛ ﴿ قَالَ يَـٰقَـوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِيَ ﴾ أي: في ملكي ﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ فيها إضمار، أفلا تبصرون [أم تبصرون][3].

ثم استأنف الكلام فقال: ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ ﴾ أي: بل أنا خير[4] ﴿ مِّنْ هَـٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ ﴾ أي: ضعيف ﴿ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ يعني العقدة التي كانت في لسانه من الجمرة التي ألقاها في فيه وهو صغير حين تناول لحية فرعون، فأراد أن يقتله فقالت له

(1) انظر تفصيل ذلك فيما سلف، ج 2 ص38 - 41.

(2) زيادة من ز، ورقة 316.

(3) زيادة يقتضيها سياق الكلام من بعض الوجوه. انظر تفسير القرطبي، ج 16 ص 99.

(4) هذا هو التأويل الصحيح، وانظر وجوهاً أخرى من تأويل (أَمْ)، في معاني الفراء، ج 3 ص 35، وفي تفسير القرطبي، ج 16 ص 99-100، واختلاف القراء في موضع الوقف من الآيتين.

امرأته: هذا صغير لا يعقل، فإن أردت أن تعلم ذلك فادع بتمرة وجمرة فاعرضهما عليه؛ فأتي بتمرة وجمرة فعرضنا عليه فأخذ الجمرة فألقاها في فيه. فمنها كانت العقدة التي في لسانه. وقال الكلبي: كانت رتّة شديدة[1].

قال: ﴿فَلَوْلَا﴾ أي: فهلا، يقوله فرعون ﴿أُلْقِيَ عَلَيْهِ﴾ أي: على موسى ﴿أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ﴾ تفسير الحسن: كنز. أي مال من ذهب ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ أي جماعة الملائكة يمشون جميعاً عياناً يصدّقونه بمقالته أنه رسول الله.

قال الله عز وجل: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَٰسِقِينَ﴾ أي: عاصين.

﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا﴾ أي: أغضبونا ﴿انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً لِلأَخِرِينَ﴾. قال مجاهد: يقول: فجعلنا كفارهم سلفاً لكفار أمة محمد عليه السلام (وَمَثَلاً لِلآخِرِينَ) [أي: عبرة لمن بعدهم][2].

قوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [أي: يضحكون في قراءة من قرأ بكسر الصاد؛ ومن قرأها برفعها فهو من الصدود؛ أي: يفرّون][3].

تفسير الكلبي قال: لما نزلت (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ) [الأنبياء: 98] قام رسول الله ﷺ مقابل الكعبة فقرأ هذه الآية، فوجد منها أهل مكة وجداً شديداً. فدخل عليهم ابن الزبعرى الشاعر، وقريش يخوضون في ذكر هذه الآية فقال: أمحمد تكلم بهذا؟ قالوا: نعم. فقال والله لئن اعترف لي بهذا

(1) في ع وق: «رنّة» وفيه تصحيف صوابه ما أثبته. «رُتّة» بضم الراء، وهي من عيوب الكلام، وقيل: «هي عجلة في الكلام وقلة أناة».

(2) زيادة من ز، ورقة 316.

(3) ما بين المعقوفين زيادة من ز. وقال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 205: «من كسر الصاد فمجازها يضجّون، ومن ضمها فمجازها يعدلون».

لأخصمنّه. فلقيه فقال: يا محمد، أرأيت الآية التي قرأت آنفاً، أفينا وفي آلهتنا نزلت خاصة، أم في الأمم وآلهتهم معنا؟ فقال: لا، بل فيكم وفي آلهتكم وفي الأمم وآلهتهم[1]. فقال: خصمتك والذي يحلف به. قال بعضهم: خصمتك ورب الكعبة. أليس تثني على عيسى ومريم والملائكة خيراً، وقد علمت أن النصارى يعبدون عيسى وأمه، وأن طائفة من النار يعبدون الملائكة، أفليس هؤلاء مع آلهتنا في النار. فسكت رسول الله ﷺ، وتضاحكت قريش وضجّوا. فذلك قول الله عز وجل: (وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ) أي: من الصدود.

﴿ وَقَالُوا ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ﴾ قال الكلبي: يعنون عيسى. قال الله للنبي عليه السلام ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ يقول: ما ضربوه لك إلا ليجادلوك به، وهم أهل خصومة وجدال. فقال الله عز وجل جواباً لهم: (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ) [الأنبياء: 101] إلى آخر الآيات[2].

وتفسير مجاهد في قوله: (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ) يعني عيسى وعزير والملائكة.

وتفسير الحسن: (وَقَالُوا أَءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ) أي: محمد ﷺ. وذلك أن المشركين قالوا: إنما تريد يا محمد أن نتخذك رباً كما اتخذ النصارى عيسى بن مريم. فآلهتنا أحق بذلك منك. فقال الله عز وجل: (مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا) يعني ما هذا الذي قالوه إلا جدل (بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) أي يخاصمونك في غير الحق.

قال الله عز وجل: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴾ أي: بالنبوّة، يعني عيسى ﴿ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَٰءِيلَ ﴾ أي جعله الله مثلاً لهم، يعني عبرة لبني إسرائيل أي بما كان يصنع من تلك الآيات مما يحيي الموتى، ويبرىء الأكمه والأبرص، ومما

(1) انظر ما سلف، ج 3 ص 92.

(2) وردت هنا في ع وق جملة لا صلة لها بتفسير الآية وهي هذه: «قال الله عز وجل: فلولا إذ سألتك أولاً قلت هذا. ولكن ادكرت إذ حلوت» (كذا) ولم أفهم لمناسبتها هنا معنى، ويبدو أن ذلك سهو من ناسخ لذلك حذفتها ونبهت عليها بالهامش.

علمه الله، وما كان يخبرهم به مما يأكلون وما يدّخرون في بيوتهم.

قوله عزّ وجل: ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴾ أي: ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يعمرون الأرض بدلاً منكم[1].

قوله: ﴿ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ رجع إلى قصة عيسى عليه السلام، يعني نزول عيسى. [قال محمد: قوله: (لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ) في قراءة من قرأ بكسر العين. المعنى: نزوله يُعلم به قرب الساعة][2] ﴿ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا ﴾ أي: فلا تشكّن فيها ﴿ وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ أي: إلى الجنة، والطريق الإسلام. ﴿ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ ﴾ أي: عن الطريق المستقيم ﴿ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ أي: بيّن العداوة.

قوله عز وجل: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴾ يعني تبديلهم التوراة في تفسير مجاهد[3].

وقال الحسن: كان من البينات إحياؤه الموتى بإذن الله، وإبـراؤه الأكمة والأبرص، وما كان يخبرهم به مما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم. ومن البينات التي جاء بها أيضاً الإنجيل، فيه ما أمروا به وما نهوا عنه.

قال: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ يقوله عيسى لهم ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ أي: إلى الجنة، يعني الإسلام.

قال: ﴿ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ ﴾ يعني النصارى ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ أي: اشركوا ﴿ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾[4].

---

(1) في ع وق: «لجعلنا خلفاء منكم يعمرون الأرض مكانكم». وفي العبارة اضطراب ونقص. فأثبت ما جاء في ز ورقة 316، وهو أصح عبارة وأوضح وأتم معنى. والقول لمجاهد كما ورد في تفسيره ص 583.

(2) زيادة من ز، والقول لابن أبي زمنين. وجاء في تفسير القرطبي ج 16 ص 105 ما يلي: «وقرأ ابن عباس وأبو هريرة وقتادة ومالك بن دينار والضحاك: (وإنه لعَلَم للساعة) أي: أمارة».

(3) في تفسير مجاهد ص 583: «يعني به تبديل اليهود التوراة».

(4) جاء في ز قول لقتادة في اختلاف النصارى إلى طوائف: اليعقوبية والنسطورية والاسرائيلية. =

قوله عز وجل: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَنْ تَأتِيَهُمْ بَغْتَةً ﴾ أي: فجأة ﴿ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ ﴾.

قال: ﴿ الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ ﴾ الإخلاء من باب الخلال[1]، الواحد خليل، والجماعة أخلاء. [استثنى من الأَخِلاَّء المتقين فقال: إلا المتقين منهم فإنهم ليسوا بأعداء بعضهم لبعض][2].

قوله: ﴿ يَـٰعِبَـادِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ﴾ يقوله يوم القيامة ﴿ وَلاَ أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ الذِينَ ءَامَنُوا بِئَايَـٰتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَٰجُكُـمْ تُحْبَرُونَ ﴾ تفسير الكلبي: تكرمون. وتفسير الحسن: تفرحون.

قال: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ ﴾ أي: يغدى عليهم بها، في كل واحدة منها لون ليس في صاحبتها، يأكل من أخراها كما يأكل من أولها، ويجد طعم آخرها كما يجد طعم أولها، لا يشبه بعضها بعضاً، ويراح عليهم بمثلها. ويطوف على أرفعهم درجة كل يوم سبعمائة ألف غلام، مع كل غلام صحفة من ذهب فيها لون من الطعام ليس في صاحبتها، يأكل من آخرها كما يأكل من أولها، ويجد طعم أولها كما يجد طعم أخرها، ولا يشبه بعضه بعضاً.

قال: ﴿ وَأَكْوَابٍ ﴾ والكوب المدوّر، القصير العنق، القصير العروة، والإبريق المستطيل، الطويل العنق، الطويل العروة.

قال: ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ ﴾ أي: ما خطر على بالهم شيء أتاهم من غير

= ومحاجّة المسلم لهم حتى حجهم. انظر ذلك في تفسير قوله تعالى من سورة مريم: الآية: 37 فيما سلف، ج 3 ص 14.

(1) في ق و ع: من الخلل، والصحيح ما أثبته، خلال، يقال: خاللت الرجل مخالة وخِلالاً. «والخُلة: الصداقة والمحبة التي تخللت القلب فصارت خلاله أي في باطنه». والخلال في قوله تعالى: (يَوْمَ لاَ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خِلاَلٌ) إما مصدر، وإما جمع خُلة. انظر اللسان (خلل).

(2) زيادة من ز، ورقة 317.

أن يدعوه، وإن أحدهم ليكون الطعام في فيه فيخطر على باله طعام آخر فيتحول ذلك الطعام في فيه. قال: ﴿ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ﴾.

ذكروا أن كعباً قال: إن الملك يأتي من عند الله إلى ولي الله فيستأذن عليه فيقول ولي الله: ائذنوا له، فيؤذن له، حتى ينتهي إليه وبين اصبعه سبعون حلة خير من الدنيا وما فيها، فينظر ولي الله فيقول: لقد أعطاني الله ما اشتهت نفسي ولذت عيني، ما رأيت في الجنة مثل هذا، فيقول له الملك: أبشر، كان يكون لكل مثل هذا إن اشتهيت، فيقول: نعم. فيقول الملك لمن حوله من الشجر: أنا رسول ربي إليكن، لتعطوا فلاناً مثل هذا إذا شاء. فما يمد يده إلى مثلها إلا أخذها.

ذكروا عن أبي هريرة قال: دار المؤمن درة مجوَّفة(1)، في وسطها شجرة تنبت الحلل، ويمسك بين أصبعين من أصابعه سبعين حلة منظومة باللؤلؤ والمرجان.

قال: ﴿ وَأَنتُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ أي: لا تموتون ولا تخرجون منها.

قال: ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أي: على قدر أعمالهم ورث الله المؤمنين منازل الكافرين التي أعدت لهم، لو آمنوا، مع منازلهم، وهي مثل التي في المؤمنون: (أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ) [المؤمنون: 10].

قوله عز وجل: ﴿ لَكُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾. ذكروا عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: والذي نفسي بيده إن أهل الجنة ليتناولون من قطوفها وهم متكئون في فرشهم، فما تصل إلي في أحدهم حتى يبدل الله مكانها أخرى(2).

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴾ يعني المشركين خالدين في جهنم لا يموتون ولا يخرجون منها. ﴿ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ ﴾ أي العذاب ﴿ وَهُمْ فِيهِ ﴾ أي: في العذاب ﴿ مُبْلِسُونَ ﴾ أي: آيسون من أن يخرجوا منها.

(1) في ق و ع: درة محفوفة، والصواب ما أثبته: «مجوفة».

(2) رواه يحيى بن سلام عن عثمن عن نعيم بن عبد الله عن أبي هريرة، وانظر ما سلف ج 2 ص 312.

قال: ﴿ وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ ﴾ [يعني كفار الأمم كلها فيعذبهم في الآخرة بغير ذنب][1] ﴿ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّـٰلِمِينَ ﴾ أي لأنفسهم بكفرهم.

﴿ وَنَادَوْا يَـٰمَـٰلِكُ ﴾ ولمالك خازن النار أعوان من الملائكة. وخزنة النار تسعة عشر، أحدهم مالك، وهو رأسهم. ﴿ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴾. وذلك أنهم يدعون مالكاً فلا يجيبهم مقدار أربعين عاماً[2] ثم يجيبهم (إِنَّكُم مَّاكِثُونَ). ثم يدعون ربهم فيذرهم مقدار عمر الدنيا مرتين، ثم يجيبهم (اخْسَأُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ) [المؤمنون: 108] فأيسوا بعدها، فما نبس القوم بعدها بكلمة، ما كان إلا الزفير والشهيق. شبه أصواتهم بأصوات الحمير، أوله زفير وآخره شهيق.

قوله: ﴿ لَقَدْ جِئْنَـٰكُم بِالْحَقِّ ﴾ أي: بالقرآن، يقوله للأحياء، وانقطع كلام أهل النار: ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ ﴾ يعني من لم يؤمن.

قال: ﴿ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْراً ﴾ أي: كادوا كيداً بمحمد ﴿ فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴾ أي: فإنا كائدون. وذلك ما كانوا اجتمعوا له في دار الندوة في أمر النبي ﷺ في قوله: (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) [الأنفال: 30]. وقد فسّرنا ذلك في سورة الأنفال[3].

قوله: (فَإِنَّا مُبْرِمُونَ) أي: فإنا كائدون لهم بالعذاب. قال مجاهد: فإنا مجمعون.

قال: ﴿ أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَيٰهُمْ ﴾ أي: ما كانوا يتناجون فيه من أمر النبي عليه السلام. ﴿ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا ﴾ يعني الحفظة ﴿ لَدَيْهِـمْ ﴾ أي: عندهم ﴿ يَكْتُبُونَ ﴾ أي: يكتبون عليهم أعمالهم.

---

(1) زيادة من ز، ورقة 317.
(2) كذا في ع وق ورقة 318: «ثمانين عاماً».
(3) انظر ما سلف، ج 2 ص 84 - 85.

قوله: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمٰنِ وَلَدٌ ﴾ أي: ما كان للرحمٰن ولد[1]. ثم انقطع الكلام، ثم قال: ﴿ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَـٰبِدِينَ ﴾ تفسير بعضهم: فأنا أول الدائنين من هذه الأمة بأنه ليس له ولد.

قال: ﴿ سُبْحَـٰنَ رَبِّ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ ينزّه نفسه عما يكذبون. ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا ﴾ أي: فقد أقمت عليهم الحجة ﴿ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الذِي يُوعَدُونَ ﴾ أي: يوم القيامة. وهذا قبل أن يؤمر بقتالهم.

قوله عز وجل: ﴿ وَهُوَ الذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ أي: هو إله أهل السماء وإله أهل الأرض ﴿ وَهُوَ الْحَكِيمُ ﴾ في أمره ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ بخلقه.

﴿ وَتَبَارَكَ الذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ أي: علم مجيء الساعة، لا يعلم علم مجيئها إلا هو ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ أي: يوم القيامة.

﴿ وَلَا يَمْلِكُ الذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَـٰعَةَ ﴾ أي: الأوثان، في تفسير الحسن، أي: لا تملك أن تشفع لعابدها، يقول: ليست الشفاعة لمن كان يدعو الأوثان، أي: يعبدها من دون الله في الدنيا. قال: ﴿ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ ﴾ في

(1) لهذه الآية وجوه من التأويل لم يورد المؤلف هنا إلا واحداً منها. قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 206: «(قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ). (إِنْ) في موضع (ما) في قول بعضهم: ما كان للرحمٰن ولد، والفاء مجازها مجاز الواو: ما كان للرحمن ولد وأنا أول العابدين. . . وقال آخرون: مجازها: إن كان في قولكم للرحمٰن ولد فأنا أول العابدين أي الكافرين بذلك والجاحدين لما قلتم، وهي من عبد يعبد عبداً». وقال مجاهد في تفسيره ص 584: (قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمٰنِ وَلَدٌ) يقول: إن كان له ولد كما تقولون فأنا أول العابدين، يقول: أنا أول المؤمنين بالله عز وجل، فقولوا ما شئتم». وفي قول لمجاهد أيضاً رواه الطبري ج 25 ص 101: «فأنا أول من عبد الله ووحده وكذبكم». وانظر اللسان (عبد) ففيه تلخيص واف لهذه الأقوال. وقد رجح الأزهري فيه قول مجاهد وقال عنه: «وهو الذي لا يجوز عندي غيره». وانظر كذلك ابن الجوزي، زاد المسير، ج 7 ص 331-332، وانظر ابن الأنباري، البيان في غريب إعراب القرآن، ج 2 ص 355.

الدنيا. يقول إنما الشفاعة لمن شهد بالحق ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ أنه الحق.

قال الكلبي: (وَلَا يَمْلِكُ الذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ) يعني الملائكة، أي: لا يملك الملائكة أن يشفعوا إلا لمن شهد بالحق، أي: لا إله إلا الله مخلصاً وصلّى الخمس، أي: فأولئك تشفع لهم الملائكة.

وتفسير مجاهد: (وَلَا يَمْلِكُ الذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ) أي: الملائكة وعزير، وعيسى.

قوله عز وجل: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ ﴾ يعني المشركين ﴿ مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ أي: فكيف يصدون فيعبدون غيره.

قوله: ﴿ وَقِيلَهُ ﴾ وهي تقرأ على ثلاثة أوجه: (وقيلَه، وقيلُه، وقيلِه) فمن قرأها بالنصب رجع إلى قوله: (أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَيٰهُمْ) وقيلَه، أي ولا نسمع قيلَه. ومن قرأها بالرفع، فهو كلام مبتدأ، يخبر بقوله. ومن قرأها بالجر رجع إلى قوله: (وَتَبَارَكَ الذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) وعلم قيلِه.

وقيله: ﴿ يَـٰرَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [هذا قول النبي يشكو قومه إلى الله][1].

قال الله: ﴿ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ ﴾ وهي منسوخة، نسخها قوله: (وَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ) [التوبة: 3] ﴿ وَقُلْ سَلَـٰمٌ ﴾ كلمة حلم بين المؤمنين والمشركين؛ وكان ذلك قبل أن يؤمر بقتالهم، ثم أمر بقتالهم. قال: ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ أي: يوم القيامة، وهي كلمة وعيد.

---

(1) زيادة من ز، ورقة 318.

تفسير سورة الدخان، وهي مكية كلها.

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ حٰمٓ ﴾ قد فسّرنا ذلك فيما مضى من الحواميم. قوله عز وجل: ﴿ وَالْكِتٰبِ الْمُبِينِ ﴾، قسم، أقسم بالقرآن المبين.

ذكر الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: نزل القرآن إلى السماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة، ثم جعل بعد ذلك ينزل نجوماً: ثلاث آيات، وأربع آيات وخمس آيات وأقل من ذلك وأكثر. ثم تلا هذه الآية: (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ) [الواقعة: 75].

ذكروا عن الأعمش قال: نزل به جبريل ليلة القدر جملة واحدة في سماء الدنيا، فوضعه في البيت المعمور، ثم جعل ينزل بعد ذلك الأول فالأول.

قوله: ﴿ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ﴾ أي منذرين العباد من النار.

﴿ فِيهَا ﴾ يعني ليلة القدر ﴿ يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ أي: يفصل كل أمر حكيم أي: مُحكَم.

قال بعضهم: يدبّر فيها أمر السنة إلى السنة، ثم يدفع إلى الحفظة فيعملون عليها. وفيها يدبر الله ما يدبر، وينزل من الوحي ما ينزل مما يريد من الأمور في سمائه وأرضه وخلقه تلك السنة، من الحياة والموت، وما ينزل من المطر، وما يقبض ويبسط، وما يحدث في خلقه تلك السنة، فينزله في ليلة القدر إلى بعض سمائه، ثم ينزله في الليالي والأيام على ما قدر حتى يحول الحول من تلك السنة من قابل ليلة

القدر[1]. وذلك إلى اليوم على هذه الصفة إلا الوحي فإنه قد انقطع بموت النبي عليه السلام.

قال: ﴿ أَمْراً مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ أي: مرسلين الرسل إلى العباد. ﴿ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ ﴾ أي: لا أسمع منه ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ أي: لا أعلم منه.

﴿ رَبِّ السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضِ ﴾ ومقرأ الحسن: رب السماوات والأرض[2] ﴿ لَآ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَائِكُمُ الأَوَّلِينَ ﴾.

قال: ﴿ بَلْ هُمْ ﴾ أي: المشركون ﴿ فِي شَكٍّ ﴾ يعني من البعث ﴿ يَلْعَبُونَ ﴾.

ثم قال للنبي عليه السلام: ﴿ فَارْتَقِبْ ﴾ أي: فانتظر ﴿ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ يعني الجدب وإمساك المطر عن قريش. ﴿ رَبَّنَا ﴾ أي: يقولون: ربنا ﴿ اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾.

قال الله عز وجل: ﴿ أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ ﴾ أي: كيف لهم الذكرى، أي: الإيمان، بعد نزول العذاب ﴿ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴾ أي: محمد عليه السلام.

﴿ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴾ أي: إنما يعلّمه عبد بني الحضرمي، وكان كاهناً في تفسير الحسن. وقال بعضهم: عداس، غلام عتبة بن ربيعة، وكان يقرأ الكتب.

(1) جاءت العبارة مضطربة في ق و ع، ولعل صوابها: إلى قابل ليلة القدر. وفي ز، ورقة 318 جاءت العبارة مختصرة واضحة هكذا: «قال الحسن: ما يريد الله أن ينزل من الوحي وينفذ من الأمور في سمائه وأرضه وخلقه تلك السنة ينزله في ليلة القدر إلى سمائه، ثم ينزله في الأيام والليالي على قدر حتى يحول الحول من تلك الليلة».

(2) من هنا تتوقف مخطوطة ع وتسقط فيه نحو ورقتين أو ثلاث من القطع الكبير فيها تفسير بقية سورة الدخان، وسورة الجاثية إلى الآية 25 منها. ومن حسن الحظ أن ما سقط من ع موجود كله في مخطوطة ق في خمس ورقات من القطع المتوسط، وموجود مختصراً في ز من ورقة 318 إلى ورقة 322.

قال الله عزّ وجل: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ أي: من أعدائنا يوم القيامة.

ذكر بعضهم عن مسروق عن عبد الله بن مسعود أنه قيل له: هاهنا رجل يزعم أنه يأتي دخان قبل يوم القيامة فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم، ويأخذ المؤمنين منه كهيئة الزكام. وكان متكئاً فغضب وجلس ثم قال: أيها الناس اتقوا الله؛ من علم علماً فليقل به، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإن من العلم أن يقول العبد فيما لا يعلم: الله أعلم. قال الله لنبيه عليه السلام: (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ) [سورة صٓ: 86][(1)].

وسأخبركم عن الدخان. إن قريشاً، لما أبطأوا عن الإسلام، دعا عليهم رسول الله فقال: اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف[(2)]. فأصابهم الجوع حتى أكلوا الميتة والعظام، حتى كان أحدهم يرى ما بينه وبين السماء دخاناً من الجهد[(3)]. فذلك قوله: (فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُومِنُونَ). فسألوا أن يكشف عنهم العذاب فيؤمنوا. قال الله: (أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ إِنَّا كَاشِفُو

(1) ورد هذا الخبر مضطرباً في ق فأثبت تصحيحه من ز، ورقة 319، ومن تفسير الطبري ج 25 ص 86.

(2) حديث صحيح متفق عليه رواه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي. أخرجه البخاري من طرق متعددة في كتاب التفسير، سورة الدخان. وأخرجه مسلم كذلك في تفسير سورة الدخان، باب في قوله (فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بدخانٍ مُبِينٍ)، وأخرجه الترمذي أيضاً في تفسير سورة الدخان، كلهم يرويه من حديث مسروق عن عبد الله بن مسعود. ورواه يحيى بن سلام في ز بهذا السند: «يحيى عن المعلى عن الأعمش عن أبي وائل عن أبي الضحا عن مسروق عن عبد الله بن مسعود. . .».

(3) قال الفراء في المعاني ج 3 ص 39: «كان النبي ﷺ دعا عليهم فقال: اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم سنين كسني يوسف، فأصابهم جوع، حتى أكلوا العظام والميتة، فكانوا يرون فيما بينهم وبين السماء دخاناً».

﴿الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾، فكشف عنهم العذاب، فعادوا في كفرهم. فأخذهم يوم بدر، فهو قوله: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾.

قال عبد الله بن مسعود: قد مضت البطشة الكبرى والدخان واللزام والروم والقمر. ذكروا عن محمد بن سيرين عن عبد الله بن مسعود أنه قال: قد مضى الدخان سنين كسني يوسف.

وكان الحسن يحلف ما جاء الدخان، وليأتينّ حتى يدخل في سمع الكافر والمنافق وبصره، ويأخذ المؤمن منه كهيئة الزكام.

ذكروا عن عبد الرحمن بن البيلماني[1] أنه قال: سمعت ابن عمر: يذكر خروج الدابة، قال: ثم يخرج الدخان فيأخذ المؤمن منه شبه الزكمة فيدخل في مسامع الكافر والمنافق وفي جلده حتى يكون كالرأس الحنيذ، وإن التوبة لمفتوحة، ثم تطلع الشمس من مغربها فترفع التوبة[2].

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ قال الحسن: ابتليناهم بالدين. كقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ [المؤمنون: 30] أي: لمختبرين. قال الله عز وجل: ﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ أي: على الله، يعني موسى.

﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللهِ﴾ أي: ارسلوا معي بني إسرائيل ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ أي: على ما أتاني من الله، لا أزيد شيئاً ولا أنقص منه شيئاً ﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللهِ﴾ أي: لا تستكبروا على عبادة الله ﴿إِنِّي ءَاتِيكُمْ﴾ أي: قد أتيتكم ﴿بِسُلْطَـٰنٍ مُبِينٍ﴾ أي: بحجة بينة.

﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ﴾ يعني القتل بالحجارة ﴿وَإِنْ لَمْ

(1) جاء الاسم في ق هكذا: عبد الرحمٰن السماني، وفيه تصحيف صوابه ما أثبته: عبد الرحمٰن بن البيلماني، وهو مولى عمر، تابعي ثقة وإن تكلم فيه بعض العلماء. أما ابنه محمد فضعيف جداً يروي المناكير.

(2) اقرأ ترجيح الطبري لقول ابن مسعود في تفسير هذا الدخان، في تفسيره ج 25 ص 114.

تُومِنُوا لِيَ ﴾ أي تصدقوني ﴿ فَاعْتَزِلُونِ ﴾ حتى يحكم الله بيني وبينكم.

﴿ فَدَعَا ﴾ موسى ﴿ رَبَّهُ أَنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴾ أي: مشركون. وإذا أراد الله أن يهلك قوماً أذن لنبيهم أن يدعـو عليهم.

قال الله عز وجل: ﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلاً إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴾ أي: يتبعكم فرعون وجنوده ﴿ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْواً ﴾ أي: طريقاً في تفسير الحسن. وقال مجاهد: منفرجاً[1]. وقال بعضهم: ساكناً[2]، [بعد أن ضربه موسى بعصاه][3] ﴿ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴾ فأغرقهم الله وأنجى موسى ومن معه.

قال: ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ [أي: ومنزل حسن] ﴿ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴾ أي: مسرورين.

قال الله عزّ وجل: ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ قال الحسن: أي: هكذا كان الخبر. قال: ﴿ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْماً ءَاخَرِينَ ﴾ يعني بني إسرائيل.

قال الله عز وجل: ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ ﴾ ذكروا عن أنس بن مالك أنه قال: للمؤمن بابان مفتوحان في السماء، يصعد من أحدهما عمله، والآخر ينزل منه رزقه، فإذا مات بكيا عليه أربعين صباحاً[4]. ﴿ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴾ أي: مؤخرين بالعذاب، يعني الغرق.

قوله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَٰءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ أي: من

---

(1) وفي تفسير مجاهد ص 589 قول آخر لمجاهد: «يقول: يعني طريقاً يابساً كهيئته بعدما ضربه، يقول: لا تأمره أن يستوي، اتركه حتى يدخله آخرهم». وفي الدر المنثور، ج 6 ص 30 عن مجاهد قال «طريقاً منفرجاً».

(2) هذا لفظ لقتادة، وقال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 208: «(واتْرُكِ البَحْرَ رَهْواً) ساكناً؛ يقال: أَرْهِ على نفسك، أي: ارفق بها ولا تخرق. يقال: عيشٌ راهٍ. . .» وانظر اللسان: (رهو).

(3) زيادة من ز، ورقة 319.

(4) روى الفراء في المعاني ج 3 ص 41 بسند عن سعيد بن جبير قال: «يبكي على المؤمن من الأرض مصلّاه، ويبكي عليه من السماء مصعد عمله».

الهوان ﴿ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِياً مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ أي: من المشركين. والعلو هاهنا الشرك[1].

قال: ﴿ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَـٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَـٰلَمِيـنَ ﴾ يعني اخترنا بني إسرائيل على العالمين، يعني على عالم زمانهم، ولكل زمان عالم. قال: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُمْ﴾ يعني أعطينا بني إسرائيل ﴿ مِّنَ الأَيَـٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰؤُا مُّبِينٌ ﴾ أي: نعمة بيّنة[2].

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ﴾ أي: مشركي العرب ﴿ لَيَقُولُونَ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ ﴾ أي: بمبعوثين. ﴿ فَأتُوا بِئَابَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ أي فأحيوا لنا آباءنا حتى نصدقكم بمقالتكم إن الله يحيـي الموتى إن كنتم صادقين.

قال الله: ﴿ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ من الكفار، أي: إنهم ليسوا بخير منهم ﴿ أَهْلَكْنَـٰهُمْ ﴾ أي: بذنوبهم ﴿ إِنَّهُمْ كَانُـوا مُجْرِمِينَ ﴾ أي: مشركين، يخوفهم بالعذاب.

قوله عزّ وجل: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ ﴾.

﴿ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ أي: للبعث والحساب والجنة والنار ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ ﴾ أي: جماعتهم، جماعة المشركين ﴿ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أي إنهم مبعوثون ومُحاسَبون ومجازَوْن.

قال: ﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ ﴾ [أي: القضاء][3] ﴿ مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾. هذا جواب لقولهم: (فَأتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ). قال الله عزّ وجل: (إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ) أي ميقات بعثهم.

(1) كذا في ق: «والعلو هاهنا الشرك». ولم أر له وجهاً، وأرى أن الصواب معناه الاستكبار والطغيان، كقوله تعالى: (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الأَرْضِ) [القصص: 4]، وما فسّر القرآن مثل القرآن.

(2) قال الفراء في المعاني، ج 3 ص 42: «يريد نِعم مبيّنة، منها أن أنجاهم من آل فرعون، وظللهم بالغمام، وأنزل عليهم المنّ والسلوى، وهو كما تقول للرجل: إن بلائي عندك لحسن. وقد قيل: إن البلاء عذاب، وكل صواب».

(3) زيادة من ز، ورقة 320.

قال: ﴿ يَوْمَ لاَ يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئاً ﴾ أي: ولي عن ولي شيئاً؛ أي: لا يحمل عنه ذنوبه شيئاً. كقوله: (وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لاَ يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ) [فاطر: 18] قال: ﴿ وَلاَ هُمْ يُنْصَرُونَ ﴾ أي: لا يمنعون من العذاب.

قال: ﴿ إِلاَّ مَن رَّحِمَ اللهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ تفسير الحسن: إن المؤمنين يستغفر بعضهم لبعض فينفعهم ذلك عند الله.

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الأَثِيمِ ﴾ يعني المشرك ﴿ كَالْمُهْلِ ﴾ [المهل ما كان ذائباً من الفضة والنحاس وما أشبه ذلك][1].

ذكروا عن عبد الله بن مسعود أنه أهديت له فضة فأمر بها فأذيبت، حتى أزبدت وماعت قال لغلامه: ادع لي من حضر من أهل الكوفة. فدخل عليه نفر من أهل الكوفة فقال: ما شيء أشبه بالمهل من هذا.

قال: ﴿ تَغْلِي ﴾ أي الشجرة. فمن قرأها (تَغْلِي) يعني الشجرة، ومن قرأها: (يَغْلِي) يعني المهل. ﴿ فِي الْبُطُونِ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴾ يعني الماء الشديد الحر.

﴿ خُذُوهُ ﴾ يعني المشرك ﴿ فَاعْتُلُوه ﴾ تفسير الحسن: فجروه. وتفسير مجاهد: فادفعوه ﴿ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾ أي: إلى وسط الجحيم. وتفسير بعضهم: إلى معظمها، أي: حيث يصيبه الحر من جوانبها.

﴿ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴾ هو كقوله: (يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ) [الحج: 19-21]. يقمع بالمقمعة فتخرق رأسه فيصب على رأسه الحميم، فيدخل فيه حتى يصل إلى جوفه.

قال: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ يعني المنيع الكريم عند نفسك إذ كنت في الدنيا، ولست كذلك. قال بعضهم: نزلت في أبي جهل، كان يقول: أنا أعز

---

(1) زيادة من ز، ورقة 320.

قريش وأكرمها[1]. قال: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ﴾ أي: العذاب ﴿ مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ ﴾ أي: تشكّون في الدنيا أنه كائن.

قال: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ ﴾ أي: في منزل[2] ﴿ أَمِينٍ ﴾ أي: هم آمنون فيه من الغير. ﴿ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾.

ذكروا عن عكرمة قال: أما السندس فقد عرفتموه، وأما الإستبرق فالديباج الغليظ. قال بعضهم: السندس يعمل بسوس العراق، وهو الخز المرقوم. وتفسير الحسن أنهما جميعاً حرير. قال: يعني (وَلِبَاسُهُمْ فيها حرير) [الحج: 23].

قال: ﴿ مُتَقَٰبِلِينَ ﴾ قال بعضهم: لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض. وتفسير الحسن أنهم يقابل بعضهم بعضاً على الأسرة. وبعضهم يقول: ذلك في الزيارة إذا تزاوروا.

﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ أي: هكذا ﴿ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ تفسيره: كذلك حكم الله لأهل الجنة بهذا. قوله: (بِحُورٍ عَينٍ)، وهي كلمة عربية. تزوج فلان فلانة، وفلانة فلاناً. و(الحُورُ) البيض في تفسير بعضهم. [و(العينُ) عظام العيون][3]. وتفسير مجاهد: (الحُورُ) اللاتي يحار فيهن البصر، وينظر الناظر وجهه في جيدها.

قال: ﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ﴾ أي يأتيهم ما يشتهون منها ﴿ ءَامِنِينَ ﴾ أي: من الموت.

﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ ﴾ وليس ثمة موتة إلا هذه الموتة الواحدة في الدنيا. وهو كقوله: (وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الأُولَىٰ) [النجم: 50]، ولم يكن قبلها عاد.

---

(1) انظر الفراء، معاني القرآن، ج 3 ص 43 في سبب نزول الآية.
(2) هذا على قراءة من قرأ «مَقام» بفتح الميم، وقراء المدينة يقرأون بضمها بمعنى الإقامة.
(3) زيادة من ز، ورقة 320، وهو جمع عيناء.

قال: ﴿ وَوَقَيٰهُمْ ﴾ أي: وصرف عنهم ﴿ عَذَابَ الْجَحِيمِ فَضْلاً مِّن رَّبِّكَ ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ العَظِيمُ ﴾ أي النجاة العظيمة من النار إلى الجنة.

قوله عز وجل: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ ﴾ يعني القرآن ﴿ بِلِسَانِكَ ﴾ يعني النبي عليه السلام. [أي: لولا أن الله يسره بلسان محمد][1] ما كانوا ليقرأوه ولا ليفقهوه. قال: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ أي لكي يتذكروا.

قوله عز وجل: ﴿ فَارْتَقِب ﴾ أي: فانتظر العذاب فإنه واقع بهم ﴿ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴾ أي منتظرون. كقوله: (وَانْتَظِرِ اِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ) [السجدة: 30].

---

(1) سقط ما بين المعقوفين من ق، ولا بد من إثباته حتى يتضح المعنى ويتم، وهو موجود في ز.

تفسير سورة الجاثية، وهي مكية كلها.

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ حٰمٓ ﴾ قد فسّرناه فيما مضى من الحواميم. قال: ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَٰبِ ﴾ يعني القرآن ﴿ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾.

﴿ إِنَّ فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي: فيما يرون مما خلق الله فيهما ﴿ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

﴿ وَفِي خَلْقِكُمْ ﴾ أي: في بدء خلقكم من تراب يوم خلق آدم، ثم من نطفة، أي: نسل آدم، ثم من علقة، ثم من مضغة، وفي الاسماع والابصار وما لا يحصى من خلق الله في الإنسان ﴿ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ ﴾ أي: وما يخلق من دابة(1) من صغير وكبير في البرّ والبحر ﴿ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ أي: يؤمنون.

قال: ﴿ وَاخْتِلَٰفِ ﴾ أي: وفي اختلاف ﴿ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِن

(1) كذا في ق: «أي: وما يخلق من دابة». وكنت ظننت أن في كلمة «خلق» التي جاءت في صفحة 99 من هذا الجزء تصحيفاً وقلت إن صوابها: «فرق» اعتماداً على بعض التفاسير. ثم تتبعت أغلب المواضيع التي وردت فيها كلمة (بَثَّ) في آي القرآن فوجدت أن المؤلف يفسرها بقوله: خلق. والحق أن لفظ خلق لا يؤدي معنى (بث) إلا تجوزا، وأصح منه تأويلاً وأحسن تفسيراً وأدق لفظاً كلمة «فرق»، فمعنى بث، نشر وفرق مع إكثار، واقرأ قوله تعالى (وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ) [الشورى: 29] يتضح لك ذلك. فإن الجمع يكون أنسب لما هو مفرق ومنشور منه لما هو مخلوق، وإن كان الكل مخلوقاً لله. تأمل هذا تجده صواباً إن شاء الله.

السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ ﴾ [يعني المطر، فيه أرزاق الخلق][1] ﴿ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ أي بعد إذ كانت يابسة ليس فيها نبات ﴿ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ ﴾ في الرحمة والعذاب ﴿ ءَايَـٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ وهم المؤمنون.

قال الله عز وجل: ﴿ تِلْكَ ءَايَـٰتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللهِ وَءايٰتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ أي: يصدقون. أي: ليس بعد ذلك إلا الباطل. كقوله: (فَمَاذَا بَعْدَ الحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ) [يونس: 33].

قوله: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ ﴾ أي: كذّاب ﴿ أَثِيمٍ ﴾ يعني المشرك ﴿ يَسْمَعُ ءَايَـٰتِ اللهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ ﴾ على ما هو عليه من الشرك ﴿ مُسْتَكْبِراً ﴾ أي: عن عبادة الله ﴿ كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ﴾ يعني آيات الله، أي: بلى قد سمعها وقامت عليه الحجة بها. وقال مجاهد: يعني جميع المصرّين. ﴿ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ أي: موجع.

قال: ﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِن ءَايَـٰتِنَا شَيْئاً اتَّخَذَهَا هُزُواً ﴾ قال بعضهم هو النضر بن الحارث ﴿ أُولَـٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾.

﴿ مِن وَّرَائِهِمْ جَهَنَّمُ ﴾ أي: أمامهم، كقوله: (وَمِن وَّرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ) [سورة إبراهيم: 17]. وهي كلمة عربية، تقول للرجل: من ورائك كذا، لأمر سيأتي عليه[2]. قال: ﴿وَلَا يُغْنِي عَنهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئاً﴾. تفسير الحسن: ما عملوا من الحسنات يبطل الله أعمالهم في الآخرة. قال: ﴿ وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ ﴾ قال: ولا يغني عنهم تلك الأوثان التي عبدوها من دون الله شيئاً ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾.

قوله: ﴿ هَـٰذَا ﴾ يعني القرآن ﴿ هُدًى ﴾ أي: يهتدون به إلى الجنة ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِئَايـٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٍ ﴾ أي: موجع.

---

(1) زيادة من ز، ورقة 321.

(2) وقال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 210: «(مِن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ)» أي: من بين أيديهم.

قوله: ﴿ اللهُ الذِي سَخَّر لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ يعني طلب التجارة في السفر ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ أي: لكي تشكروا، أي: تؤمنوا. كقوله: (لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ) [النحل: 81].

قال: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ ﴾ أي: من الله، أي: كل ذلك تفضّلاً منه، أي: ما سخر لكم من السماوات، أي: الشمس والقمر والنجوم والمطر، وما في الأرض، أي: الأنهار والبحار وما ينبت في الأرض من النبات، وما يستخرج من الذهب والفضة والصفر والحديد والنحاس وغير ذلك مما ينتفع به مما في الأرض، فذلك كله تسخير الله. ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ وهم المؤمنون.

قوله: ﴿ قُل لِّلذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلذِينَ لاَ يَرْجُونَ أَيَّامَ اللهِ ﴾، وهم المشركون. [أمر الله المؤمنين أن يغفروا لهم][1]، وهي منسوخة، نسختها (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ) [التوبة: 5] قال: ﴿ لِيَجْزِيَ قَوْماً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ أي: يعملون؛ يجزي المؤمنين بحلمهم عن المشركين، ويجزي المشركين بشركهم، وكان هذا قبل أن يؤمروا بقتالهم، ثم نسخ بالقتال.

قوله: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحاً فَلِنَفْسِهِ ﴾ أي: يجده عند الله ﴿ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾ أي: فعلى نفسه. ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ يوم القيامة.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا ﴾ أي: أعطينا ﴿ بَنِي إِسْرَٰءِيلَ ﴾ أي: أنـزلنا عليهم ﴿ الكِتَـٰبَ وَالْحُكْمَ ﴾ قال بعضهم: الحكمة وهي السّنّة[2]. ﴿ وَالنُّبُـوَّةَ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ

(1) زيادة من ز، ورقة 321.

(2) هذا وجه من وجوه تأويل معنى الحكمة بالسنة. ويبدو أن المؤلف فسّر هنا كلمة الحكمة، كما جاءت مكتوبة خطأ في مخطوطة ق، فإن كان ذلك كذلك، فهو خطأ، لأن ما ورد في الآية هنا إنما هو (الحُكْم) لا الحكمة. نعم، إن كلمة (الحكم) قد تدل أحياناً على معنى الحكمة كما في قوله تعالى: ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً ﴾ [مريم: 12] أي: الفهم واللّب والعلم كما ذكره المفسّرون. ولكن قد يراد بالحكم أيضاً الحكم على الناس والملك والسلطان. ولعل هذا =

الطَّيِّبَٰتِ ﴾. أي: ما أحل الله لهم. وقال بعضهم: المنّ والسلوى. ﴿ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى الْعَٰلَمِينَ ﴾. أي: على عالم زمانهم الذي كانوا فيه، ولكل زمان عالم.

قال: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ الأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ ﴾ أي: إنهم أرادوا الدنيا ورخاءها، فغيروا كتابهم، فأحلوا فيه ما شاءوا، وحرموا فيه ما شاءوا، فترأسوا على الناس ليستأكلوهم، واتبعوهم على ذلك. كقوله: (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّنْ دُونِ اللهِ) [التوبة: 31] أي: يحلون لهم ما حرم الله عليهم فيستحلونه، ويحرمون عليهم ما أحلّ الله لهم فيحرمونه.

قال: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ فيكون قضاؤه فيهم أن يدخل المؤمنين منهم الذين يتمسكون بدينهم الجنة، ويدخل الكافرين منهم النار.

قوله عز وجل: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ ﴾ تفسير الحسن: الشريعة: الفريضة. وقال الكلبي: (عَلَىٰ شَرِيعَةٍ) أي: على سنة[1]. قال: ﴿ فَاتَّبِعْهَا وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ يعني المشركين، قال: أهواؤهم الشرك.

قال: ﴿ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئاً ﴾ أي إن اتبعت أهواءهم عذبتك، وإن

= المعنى يكون أولى بالصواب هنا، يؤيده قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكاً. . .) [المائدة: 20]. وقال القرطبي في تفسيره ج 16 ص 162: «(الحكم) الفهم في الكتاب، وقيل: الحكم على الناس والقضاء». وهذا المعنى الأخير هو الراجح عندي، والله أعلم.

(1) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 210: «(عَلَىٰ شَرِيعَةٍ) عل طريق وسنة». وقال الفراء في المعاني، ج 3 ص 46: «(عَلَىٰ شَرِيعَةٍ) على دين وملة ومنهاج، كل ذلك يقال». وقال الشريف الرّضيّ: «وهذه استعارة لأن الشريعة في أصل اللغة اسم للطريق المفضية إلى الماء المورود. وإنما سمّيت الأديان شرائع لأنها الطرق الموصلة إلى موارد الثواب، ومنافع العباد، تشبيهاً بشرائع المناهل التي هي مدرجة إلى الماء، ووصلة إلى الرِّواء. «انظر الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص 305.

عذبتك فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً. وقد عصمه الله من ذلك، وإنما أمره أن يثبت على ما هو عليه.

قال: ﴿ وَإِنَّ الظَّـٰلِمِينَ ﴾ يعني المشركين ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ أي في الحياة الدنيا، وهم أعداء في الآخرة، يتبرأ بعضهم من بعض ويلعن بعضهم بعضاً قال: ﴿ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ يعني المؤمنين.

قوله: ﴿ هَٰذَا بَصَـٰئِرُ لِلنَّاسِ ﴾ يعني القرآن، أي: لمن آمن به ﴿ وَهُدًى ﴾ يهتدون به إلى الجنة. ﴿ وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ وهم المؤمنون. والمؤمن والموقن واحد.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ أَمْ حَسِبَ الذِينَ اجْتَرَحُوا ﴾ أي اكتسبوا ﴿ السَّيِّئَـٰتِ ﴾ والسيئات هاهنا الشرك. ﴿ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾ وذلك كقول أحدهم (وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيَ)، كما تقولون، (إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ)، أي الجنة، إن كانت جنة، أي: لا نجعلهم مثلهم؛ الذين آمنوا وعملوا الصالحات في الجنة، والمشركون في النار.

قال: ﴿ سَوَاءٌ مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ﴾ وهي تقرأ على وجهين: مقرأ مجاهد بالرفع؛ سواءٌ محيا المؤمن ومماته، هو في الدنيا مؤمن وفي الآخرة مؤمن، والكافر في الدنيا كافر، وفي الآخرة كافر. ومقرأ الحسن: (سَوَاءً) بالنصب، على معنى أن يكونوا، يعني المؤمنين والمشركين، سواء فيما حسب المشركون، أي: ليسوا سواء[1]. أي: إن مات المؤمنون على الإيمان يرزقون الجنة، وأما المشركون الذين ماتوا على الشرك فهم يدخلون النار. قال الله عز وجل: ﴿ سَاءَ ﴾ أي: بئس ﴿ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ أي: أن نجعلهم سواء.

قوله: ﴿ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾ أي: للبعث والحساب والجنة

(1) انظر وجوه إعراب (سواء) المختلفة في معاني الفراء، ج 3 ص 47، وانظر ابن الأنباري، البيان في غريب إعراب القرآن، ج 2 ص 365.

والنار. قال الله عز وجل: ﴿ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾.

قال: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ ﴾ هو المشرك اتخذ إلهه هواه فعبد الأوثان من دون الله، وبعضهم يقرأها (اتَّخَذَ ءَالِهَةً هَوَاهُ) قال: ﴿ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ ﴾ أي: بكفره فلا يسمع الهدى سمع قبول. ﴿ وَقَلْبِهِ ﴾ أي: وختم على قلبه، أي: فلا يفقه الهدى. ﴿ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً ﴾ فلا يبصر الهدى ﴿ فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ﴾ أي: لا أحد. قال: ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ يقوله للمشركين.

قوله عز وجل: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾ أي: نموت ونولد. [قال محمد: يموت قوم ويحيى قوم][1] ﴿ وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ قال مجاهد: وما يهلكنا إلا الزمان. أي: هكذا كان أمر من قبلنا، وكذلك نحن نموت ولا نبعث.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ﴾ أي: بأنهم لا يبعثون ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ أي: إنْ ذلك منهم إلا ظن.

قوله: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا ﴾ أي: القرآن ﴿ بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أي: فأحيوا آباءنا حتى نصدّقكم بمقالتكم أي: بأن الله يحيي الموتى.

قال الله جواباً لقولهم: ﴿ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ﴾ يعني هذه الحياة ﴿ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ﴾ يعني الموت ﴿ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ أي: ليوم القيامة ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ أي: لا شك فيه، يعني البعث ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أي: إنهم مبعوثون.

قوله: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ ﴾ أي: المشركون المكذّبون بالبعث. خسروا أنفسهم أن يغنموها فصاروا في النار، وخسروا أهليهم من الحور العين.

---

(1) زيادة من ز، ورقة 322، والقول لابن أبي زمنين.

قوله عز وجل: ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ ﴾ يعني كفارها في تفسير الحسنى ﴿ جَاثِيَةً ﴾ أي: على ركبها في تفسير بعضهم. وقال مجاهد: أي: على الركب مستوفزين[1]. وقال الكلبي: (جَاثِيَةً): جميعاً، يعني: جُثًى، والجثوة عنده جماعة[2]. قال: ﴿ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ﴾ أي: إلى حسابها، وهو الكتاب الذي كتبته الملائكة من أعمالهم. ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ ﴾ أي: يقال لهم: اليوم تجزون ﴿ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

ذكروا عن الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس قال: أول ما خلق الله القلم، فقال: اكتب. قال: رَبِّ، وما أكتب؟ قال: ما هو كائن، فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة؛ فأعمال العباد تعرض كل يوم اثنين وخميس فيجدونه على ما في الكتاب. وزاد فيه بعضهم: (هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ). ثم قال: ألستم قوماً عرباً؟ هل يكون النسخ إلا من كتاب[3].

قال: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ﴾ أي: الجنة ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴾ أي: البيّن. والفوز: النجاة من النار إلى الجنة. كقوله: (فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ) [آل عمران: 185].

قال: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ أي: يقول الله لهم يوم القيامة: (أَلَمْ تَكُن ءَايَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ) ﴿ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْماً مُّجْرِمِينَ ﴾ أي: مشركين.

---

(1) يقال: استوفز في قعدته: إذا قعد قعوداً لم يطمئن إليه، وكأنه متهيِّء للوثوب، وانظر اللسان: (وفز).

(2) قال الفراء في المعاني، ج 3 ص 48: «وقوله: (وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً) يريد: كل أهل دين. (جَاثِيَةً) يقول مجتمعة للحساب». وانظر اللسان: (جثو).

(3) وقال الفراء في المعاني ج 3 ص 48: «الاستنساخ: أن الملكين يرفعان عمل الرجل صغيره وكبيره، فيثبت الله من عمله ما كان له ثواب أو عقاب، ويطرح منه اللغو الذي لا ثواب فيه ولا عقاب، كقولك: هلمّ، وتعال، واذهب، فذلك الاستنساخ».

﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ ﴾. أي: يوم القيامة ﴿ وَالسَّاعَةُ ﴾ أي: القيامة ﴿ لَا رَيْبَ فِيهَا ﴾ أي: لا شك فيها ﴿ قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّاً ﴾ ذكروا أنهم تدخلهم خلجات شك. قال بعضهم: إن نشك إلا شكاً. ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾ أي: إن الساعة آتية.

قال: ﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا ﴾ أي: حين غضب عليهم علموا أن أعمالهم كانت سيئات، ولم يكونوا يرون أنها سيئات. ﴿ وَحَاقَ بِهِم ﴾ أي: نزل بهم ﴿ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ أي: إنهم كانوا يستهزءون بالنبي والمؤمنين فحاق بهم عقوبة ذلك الاستهزاء، فصاروا في النار.

قوله: ﴿ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَيكُمْ ﴾ أي: نترككم في النار ﴿ كَمَا نَسِيتُمْ ﴾ أي: كما تركتم ﴿ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ﴾ فلم تؤمنوا به. قال بعضهم: نُسُوا من أهل الخير ولم يُنسوا من أهل الشر. ﴿ وَمَأْوَيٰكُمُ النَّارُ ﴾ والمأوى: المنزل ﴿ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴾ أي ينصرونكم من عذاب الله.

﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذتُّمْ ءَايَـٰتِ اللهِ هُزُواً وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا ﴾ فكنتم لا تقرون بالبعث ﴿ فَالْيَومَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا ﴾ أي: من النار ﴿ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾[1] أي: لا يخرجون فيستعتبون، أي ليعتبوا، أي ليؤمنوا، وقد فاتهم ذلك.

﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَـٰلَمِينَ ﴾ والعالمون: الخلق. ﴿ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ ﴾ أي: العظمة ﴿فِي السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ﴾. قال: ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ ﴾ في نقمته ﴿ الْحَكِيمُ ﴾ في أمره.

(1) هو مثل قوله: (وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ) [سورة فصّلت: 24] وانظر ما سلف في هذا الجزء ص 79، تعليق: (1).

تفسير سورة الأحقاف، وهي مكية كلها.

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ حٰمٓ ﴾، قد فسّرناه فيما مضى من الحواميم. قوله: ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَـٰبِ ﴾ أي: القرآن ﴿ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الحَكِيمِ ﴾ أي: العزيز في نقمته الحكيم في أمره.

﴿ مَا خَلَقْنَا السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ ﴾ أي: للبعث والحساب والجنة والنار. ﴿ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ أي: القيامة ﴿ وَالذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴾.

قوله عزّ وجل: ﴿ قُلْ أَرءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ يعني أوثانهم ﴿ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ ﴾ أي: لم يخلقوا منها شيئاً. ﴿ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَـٰوٰتِ ﴾ أي: هل خلقوا منها شيئاً؟ على الاستفهام، أي: لم يخلقوا شيئاً. ﴿ اِيتُونِي ﴾ يقول للنبي عليه السلام: قل لهم: ايتوني ﴿ بِكِتَـٰبٍ مِّنْ قَبْلِ هٰذَا ﴾ فيه أن هذه الأوثان خلقت من الأرض أو من السماوات شيئاً. ﴿ أَوَ أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ ﴾ أي: بهذا ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ أي: لستم بصادقين، وليس عندكم بهذا علم ولا أثارة من علم.

ومقرأ الحسن وتفسيره (أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ) أي من السنن التي قالها النبي عن الله غير منصوصة في الكتاب[1].

---

(1) كذا ورد هذا التأويل منسوباً إلى الحسن البصري. ولم أجد فيما بين يدي من مصادر التفسير من فسر أثارة العلم بعلم سنن الرسول ﷺ، بل نسب إلى الحسن قوله في هذا: هو الشيء يثيره مستخرجه».

وتفسير الكلبي: بقية من علم[1] قد كان قبل هذا القرآن (إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ).

وهي تقرأ على وجهين: أثارة وأثرة. فمن قرأها أثارة فهي البقية[2] ومن قرأ: أثرة فهو يقول: خاصة من علم.

ذكروا عن ابن عباس قال: سئل رسول الله ﷺ عن الخط فقال: هو أثرة من علم[3].

ذكروا عن عطاء بن يسار قال: إن رسول الله ﷺ سئل عن الخط فقال: كان نبي من الأنبياء يعلمه، فمن وافق مثل علمه[4] علم.

قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِن دُونِ اللهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَـٰمَةِ﴾ يعني أوثانهم ﴿وَهُمْ﴾ يعني الأوثان ﴿عَنْ دُعَائِهِمْ﴾ يعني عن دعاء من عبدها ﴿غَـٰفِلُونَ﴾.

قوله: ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ﴾. قال الحسن: إن الله يجمع يوم القيامة بين كل عابد ومعبود، فيوقفون بين يديه، يحشرها الله بأعيانها فينطقها لتخاصم من كان يعبدها، وهو قوله: (وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً) الأصنام والذين عبدوها (ثُمَّ نَقُولُ لِلذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ) أي فصلنا بينهم بالمسألة، فسألنا هؤلاء على حدة، وهؤلاء على حدة، (وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ) أي: ما كنا ندعوكم إلى عبادتنا (فَكَفَىٰ بِاللهِ شَهِيداً بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ) إيانا (لَغَافِلِينَ). [يونس: 28-29].

---

(1) هذا هو التأويل الذي عليه جمهور المفسرين، وهذا ما رجحه الطبري في تفسيره، ج 26 ص 3.

(2) كذا في ق، وفي ز ورقة 323: «فمن قرأ أثارة، يعني رواية».

(3) أخرجه أحمد وابن أبي حاتم والطبراني عن ابن عباس مرفوعاً وموقوفاً.

(4) كذا في ق: «مثل علمه»، وفي ع: «مثل عمله». والحديث أخرجه عبد بن حميد عن أبي هريرة مرفوعاً. وأخرجه ابن جرير في تفسيره، ج 26 ص 2 موقوفاً من طريق أبي سلمة عن ابن عباس قال: «خط كان يخطه العرب في الأرض. . .» وقال أبو بكر بن عياش: الخط هو العيافة. وانظر السيوطي، الدر المنثور، ج 6 ص 37-38، وانظر ابن الجوزي، زاد المسير، ج 7 ص 369.

قوله: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ الذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ ﴾ أي: للقرآن ﴿ لَمَّا جَاءَهُمْ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾.

قال الله عز وجل: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰهُ ﴾ أي: محمد، أي: قد قالوا افتراه محمد ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد لهم ﴿ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللهِ شَيْئاً ﴾ أي: لا تستطيعون أن تمنعوني من عذاب الله شيئاً ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ أي: بما تقولون فيه من الشرك، ﴿ كَفَىٰ بِهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ أي: أني جئت بالقرآن من عنده وأني لم أفتره. قال: ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ أي: لمن آمن بالله.

قال: ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِّنَ الرُّسُلِ ﴾ أي: ما كنت أولهم، قد كانت الرسل قبلي ﴿ وَلَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ﴾ تفسير الحسن: وما أدري ما يحكم لي ولكم الله من الأحكام والشرائع، وهل يتركني مقيماً بين أظهركم في دار الشرك أم يخرجني إلى دار الهجرة.

وقال الكلبي: إن النبي عليه السلام قال: لقد رأيت في منامي أرضاً أخرج إليها من مكة. فلما اشتد البلاء على أصحابه بمكة قالوا: يا نبي الله، حتى متى نلقي هذا البلاء، متى نخرج إلى الأرض التي رأيت. فقال رسول الله ﷺ: ما أدري ما يفعل بي ولا بكم، أنموت بمكة أم نخرج منها[1].

قال: ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾. قال بعضهم: أنزل الله بعد ذلك: (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً وَيَنْصُرَكَ اللهُ نَصْراً عَزِيزاً) [الفتح: 1-3].

ذكروا عن أنس بن مالك قال: إن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ مرجعه

(1) ذكر الواحدي في أسباب النزول، ص 401 هذا الخبر عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس بدون سند، وفيه: «أنه يهاجر إلى أرض ذات نخل وشجر وماء...» انظر اختلاف المفسرين في تأويل الآية وترجيح الطبري وآخرين لما ذهب إليه الحسن، انظر ذلك في تفسير الطبري ج 26 ص 5-8، وفي تفسير القرطبي ج 16 ص 186-187.

من الحديبية وأصحابه مخالطون الحزن والكآبة، قد حيل بينهم وبين مناسكهم، ونحروا الهدي بالحديبية فقال: لقد نزلت علي آية لهي أحب إلي من الدنيا وما فيها جميعاً(1). فتلاها عليهم، فقال رجل من القوم: هنيئاً لك يا رسول الله، قد بيّن الله لك ما يفعل بك، فما يفعل بنا؟ فأنزل الله: (لِيُدْخِلَ الْمُومِنِينَ وَالْمُومِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللهِ فَوْزاً عَظِيماً) [الفتح: 5].

قوله: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ﴾ يعني القرآن، ﴿ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَٰءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ ﴾ أي: على مثل القرآن يعني التوراة، ﴿ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ ﴾.

ذكر بعضهم فقال: الشاهد من بني إسرائيل هو موسى، شهد على التوراة، فآمن واستكبرتم. وقال بعضهم: هو من بني إسرائيل، آمن بموسى وبالتوراة وأنتم لا تؤمنون بمحمد والقرآن. فذكر ذلك للحسن فقال: ما نسمع إلا أنه عبد الله ابن سلام(2).

ذكروا عن أبي قلابة عن عبد الله بن سلام قال: أنزل الله فيَّ آيتين حيث يقول: (قُلْ كَفَىٰ بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ) [الرعد: 43] وقوله: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ).

قال: ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّٰلِمِينَ ﴾ أي المشركين الذين يلقون الله بشركهم.

---

(1) حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري في المغازي، باب غزوة الحديبية، عن زيد بن أسلم عن أبيه يرويه عن عمر بن الخطاب. وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية في الحديبية، من حديث أنس. رقم (1786). لفظه عند البخاري: «لقد أنزلت علي الليلة سورة لهي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس. ثم قرأ (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً)».

(2) وقال الفراء في المعاني ج 51: «شهد رجل من اليهود على مثل ما شهد عليه عبد الله بن سلام:

قوله: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ خَيْراً مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ ﴾ ذكروا عن أبي المتوكل الناجي قال: كان أول إسلام أبي ذر أنه جاء يطلب النبي ﷺ، فكان في أستار الكعبة خمسة عشر يوماً يخرج بالليل، يطوف بالبيت، ويشرب من ماء زمزم، ليس له طعام ولا شراب غيره. فبينما هو كذلك إذا نبي الله ذات ليلة ومعه أبو بكر، فرآهما فعرف النبي بالنعت. فعرض النبي عليه السلام الإسلام فأسلم. فقال له النبي عليه السلام: اذهب فادع قومك، فذهب، فلقى زعيماً لهم كانوا يأتمرون به ولا يعصونه في الأمر إذا أمرهم. فقال له أبو ذر: إني تركت الظهر[1] بمكة غالياً، فاجلب إليها ظهراً فإنك تصيب به بمنى. فجلب إليها ظهراً فأصاب به بمنى. فلقيه نبي الله عليه السلام، فعرض عليه الإسلام فأسلم. ثم قال له النبي عليه السلام: اذهب فادع لي قومك فأتاهم فقال: يا قوم، أطيعوني هذه المرة ثم اعصوني. قالوا: وما ذلك؟ قال: أسلموا تدن لكم العجم، وتعترف لكم العرب، فتفرقوا ونفروا عنه، وقالوا: ما كنا نراك تقول لنا هذا.

ثم تلاوموا بينهم وتراجعوا، ثم قالوا: أليس صاحبنا الذي عرفنا يمنه وحسن رأيه في الأمر إذا أمرنا، فما لنا هذه المرة؟ فرجعوا إليه فقالوا: ما هذا الذي تعرض علينا؟ فقال: أسلموا تدن لكم العجم وتعترف لكم العرب، فأسلموا. فبلغ ذلك قريشاً فقالوا: إن غفاراً لحلفاء[2]، فلو كان هذا خيراً ما سبقونا إليه، فأنزل الله في

= من التصديق بالنبي ﷺ وأنه موصوف في التوراة، فآمن ذلك الرجل واستكبرتم».

(1) الظهر: الرّكاب، أي الإبل التي يُركب عليها ويُحمل في السفر الطويل، وفي الحديث: من كان له فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له. أخرجه مسلم في كتاب اللقطة، باب استحباب المؤاساة بفضول المال (1729).

(2) كذا وردت هذه الكلمة في ق و ع: «لحلفاء»، ولست مطمئناً إليها، ولم أجد القصة مفصلة في بعض المصادر حتى أتحقق من صحتها. وجاء في معاني الفراء ج 3 ص 51 ما يلي في تفسير الآية: «لما أسلمت مزينة وجهينة وأسلم وغفار قالت بنو عامر بن صعصعة وغطفان وأشجع وأسد: لو كان هذا خيراً ما سبقنا إليه رعاة البهم، فهذا تأويل قوله: (لَّوْ كَانَ خَيْرَاً مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ)». ويبدو لي أن في الكلمة تصحيفاً صوابها «حنفاء». فإن من معاني الحنيف المائل عن الأديان إلى الإسلام. وانظر اللسان: (حنف).

ذلك: (وَقَالَ الذِينَ كَفَرُوا لِلذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ خَيْراً مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ).

قال الله عز وجل: ﴿ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ ﴾ أي: بالقرآن ﴿ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴾.

قال: ﴿ وَمِنْ قَبْلِهِ ﴾ أي: ومن قبل هذا القرآن ﴿ كِتَـٰبُ مُوسَىٰ إِمَاماً ﴾ يعني التوراة يهتدون به ﴿ وَرَحْمَةً ﴾ أي: لمن آمن به ﴿ وَهَذَا كِتَـٰبٌ ﴾ يعني القرآن ﴿ مُصَدِّقٌ ﴾ أي: للتوراة والإنجيل ﴿ لِّسَاناً عَرَبِياً لِتُنْذِرَ الذِينَ ظَلَمُوا ﴾ أي: أشركوا ﴿ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ يعني المؤمنين بالجنة.

قوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ أي: على ذلك وعلى الفرائض التي فرضها الله عليهم ﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.

ذكروا أن أبا بكر قرأ هذه الآية فقالوا له: وما الاستقامة يا خليفة رسول الله ﷺ؟ قال: لم يشركوا. وذكروا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: ثم استقاموا على الفرائض لم يروغوا روغان الثعلب.

قال: ﴿ أُولَئِكَ أَصْحَـٰبُ الْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ أي: لا يخرجون منها ولا يموتون. ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي: على قدر أعمالهم.

قال: ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنْسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْـهِ حُسْناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً ﴾ أي حملته بمشقة ووضعته بمشقة، ﴿ وَحَمْلُهُ ﴾ أي في البطن ﴿ وَفِصَالُهُ ﴾ أي: وفطامه ﴿ ثَلَـٰثُونَ شَهْراً حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ ﴾ أي: إذا احتلم، وبعضهم يقول: عشرين سنة[1]، ﴿ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ أي في السّنّ ﴿ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي ﴾ أي: ألهمني ﴿ أَنْ

(1) جاء في ز، ورقة 324 ما يلي: قال محمد: وجاء في الأشد هاهنا أنه بضع وثلاثون سنة وهو الأكثر. واقرأ هذا التعليل الذكي وهذا الترجيح البديع الذي كتبه الفراء في المعاني ج 3 ص 52؛ قال: «... إن الأشد هاهنا هو الأربعون. وسمعت بعض المشيخة يذكر بإسناد له في الأشد: ثلاث وثلاثون سنة، وفي الاستواء: أربعون. وسمعت أن الأشد في غير هذا الموضع: ثماني عشرة. والأول أشبه بالصواب. لأن الأربعين أقرب في النسق إلى ثلاث وثلاثين منها إلى ثماني =

اشْكُرَ نِعْمَتَكَ التِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحاً تَرْضَيٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾.

قال الحسن: هذا دعاء المؤمن لوالديه إن كانا مؤمنين، ودعاؤهما لذريتهما المؤمنين. وقال الكلبي: بلغنا أنها نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وهي بعدُ مرسلة في المؤمنين.

قال: ﴿ أُولَٰئِكَ الذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَـٰبِ الْجَنَّةِ ﴾ أي: مع أصحاب الجنة ﴿ وَعْدَ الصِّدْقِ الذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ أي: في الدنيا، وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَالذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِيَ أَنْ أُخْرَجَ ﴾ أي: أن أبعث ﴿ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي ﴾ أي: فلم يبعثوا. قال: ﴿ وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ ﴾ أي يقولان له: ويلك آمن ﴿ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ ﴾ أي القيامة، ﴿ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَـٰطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴾ أي: كذب الأولين وباطلهم.

نزلت في عبد الرحمٰن بن أبي بكر قبل أن يسلم، وفي أبويه أبي بكر وامرأته أم رومان، وهي أم عائشة، كانا يقولان له قبل أن يسلم هذا القول، فيقول هو هذا القول الذي أجابهما به(1).

قال الله عز وجل جواباً لقول عبد الرحمن في القرون التي قد خلت فلم يبعثوا: ﴿ أُولَٰئِكَ الذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ ﴾ [أي: وجب عليهم الغضب](2) ﴿ فِي أُمَمٍ قَدْ

= عشرة. ألا ترى أنك تقول: أخذت عامة المال أو كله، فيكون أحسن من أن تقول: أخذت أقل المال أو كله. ومثله قوله: (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثَي اللَّيْلِ وَنِصْفِهِ وَثُلُثِهِ) [المزمل: 20]، فبعض ذا قريب من بعض، فهذا سبيل كلام العرب. والثاني يعني ثماني عشرة، لو ضم إلى الأربعين كان وجهاً». وقد نقل الطبري في تفسيره، ج 26 ص 16 ما ذهب إليه الفراء ولم يذكره. وانظر اللسان: (شدد).

(1) انظر اختلاف المفسرين فيمن نزلت فيهم الآية في تفسير القرطبي، ج 16 ص 197.

(2) زيادة من ز، ورقة 324.

خَلَتْ ﴾ أي: مع أمم قد خلت ﴿ مِّنْ قَبْلِهِمْ مِّنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ ﴾ صاروا إلى النار ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا خَـٰسِرِينَ ﴾.

قوله: ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَـٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ﴾ أي: للمؤمنين وللمشركين؛ للمؤمنين درجات في الجنة على قدر أعمالهم، وللمشركين دركات في النار على قدر أعمالهم. قال: ﴿ وَلِنُوَفِّيَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴾ أي جزاء أعمالهم ﴿ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾.

قوله عز وجل: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ ﴾ وعرضهم، في تفسير الحسن، دخولهم النار. ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَـٰتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا ﴾. وهي تقرأ أيضاً على الاستفهام بمد: (آذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا)؟. فمن قرأها بغير مدّ فهو يقول [على الخبر][1]: قد فعلتم. ومن قرأها بالمدّ فهي على الاستفهام. وإضمارها: أي قد فعلتم. المعنى: إنكم أذهبتم طيباتكم، أي: من الجنة إذ كنتم في الدنيا، أذهبتموها بشرككم.

قال: ﴿ وَاسْتَمْتَعْـتُمْ بِهَا ﴾ أي: في الدنيا ﴿ فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأَرْضِ ﴾ أي: عن عبادة الله ﴿ بِغَيْرِ الحَقِّ ﴾ أي: بشرككم وتكذيبكم ﴿ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾ أي: فسق الشرك.

قوله: ﴿ وَاذْكُر أَخَا عَادٍ ﴾ يعني هوداً، أخوهم في النسب وليس بأخيهم في الدين، ﴿ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ ﴾ أي: أنذرهم عذاب الله ﴿ بِالأَحْقَافِ ﴾ وكانت منازلهم في أحقاف الرمال[2]. ﴿ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ﴾ وهذا بدء كلام مستقبل. يخبر الله أن الرسل قد خلت، أي: مضت، من بين يدي هود، أي: من

(1) زيادة من ز، ورقة 324.

(2) الأحقاف، جمع حقف، ويجمع على حقاف، وهو ما اعوج من الرمل، وقال الفراء: «الحقف: الرملة المستطيلة المرتفعة إلى فوق». والأحقاف منازل عاد، وهي رمال فيما بين عُمَان إلى حضرموت. وقال ابن عباس: «واد بين عمان ومهرة». انظر ياقوت، معجم البلدان ج 1 ص 115، واقرأ ما كتبه البكري رواية عن الكلبي في موضع الأحقاف في معجم ما استعجم ج 1 ص 119-120.

قبله ومن خلفه، أي من بعده، يدعون إلى ما دعا إليه هود من عبادة الله ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾. رجع إلى قصة هود فأخبر بقوله لقومه.

﴿ قَالُوا ﴾ أي قال له قومه ﴿ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا ﴾ أي: لتصرفنا ﴿عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾ أي: عن عبادتها. وهذا منهم على الاستفهام. أي: قد فعلت ﴿ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّـٰدِقِينَ﴾ أي: إنه كان يعدهم بالعذاب إن لم يؤمنوا.

﴿ قَالَ ﴾ لهم ﴿ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ ﴾ أي: علم متى يأتيكم العذاب. ﴿ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّيَ أَرَيكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ ﴾.

قوله: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ ﴾ أي رأوا العذاب ﴿ عَارِضاً مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ﴾ أي: حسبوه سحاباً، وكان قد أبطأ عنهم المطر.

قال الله عز وجل: ﴿ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ ﴾ أي: لما كانوا يستعجلون به هوداً من العذاب استهزاءً وتكذيباً. فقال: بل هو ما استعجلتم به ﴿ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾ أي: تدمر كل شيء أمرت به، وهي ريح الدبور.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور(1). وذكروا عن ابن عباس عن النبي عليه السلام مثل ذلك.

قال الله: ﴿ فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَـٰكِنُهُمْ﴾ يقوله للنبي عليه السلام؛ أي: لا تبصر إلا مساكنهم. وهي تقرأ على وجه آخر: (لَا تَرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنَهُمْ) أي: قد هلكت وبقيت مساكنهم. وهي تقرأ على وجه ثالث: (فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ)(2). قال الله ﴿ كَذَٰلِكَ تَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ أي: المشركين.

(1) حديث متفق على صحته، انظر الإشارة إليه فيما سلف، ج 3 ص 356.

(2) هذا الوجه الأخير من القراءة هو ما رجحه الفراء، وهي قراءة عاصم وحمزة ويعقوب. وقرأ الحسن (لا تُرى إلا مساكنُهم) انظر تفصيل وجوه هذه القراءات وعللها في معاني الفراء ج 3 ص 55.

قال: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّـٰكُمْ فِيهِ ﴾ أي: فيما لم نمكنكم فيه، يعني مشركي العرب، كقوله: (كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً) [التوبة: 69].

قال: ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصَـٰراً وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَـٰرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِئَايَـٰتِ اللهِ وَحَاقَ بِهِم ﴾ أي: ونزل بهم ﴿ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾. أي: نزل بهم عقوبة استهزائهم، يعني ما عذبهم به.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ ﴾ يقوله لأهل مكة، وهي أم القرى، منها دحيت الأرض، وما حولها البلاد كلها[1]. أخبر بهلاك من أهلك. قال: ﴿ وَصَرَّفْنَا الأَيَـٰتِ ﴾ أي: أخبرناكم كيف أهلكناهم. قال: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ أي: لعل من بعدهم يرجعون إلى الإيمان، يحذرهم بذلك، كقوله: (وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيراً) [الفرقان: 39]، وكقوله: (وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ) [إبراهيم: 45] يعني ما أهلك به من قبلهم من الكفّار، يحذّرهم بهذا كله.

﴿ فَلَوْلَا ﴾ أي: فهلا ﴿ نَصَرَهُمُ الذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ قُرْبَاناً ءَالِهَةً ﴾ يعني آلهتهم التي عبدوها من دون الله والتي يزعمون أنها تقربهم إلى الله زلفى ليصلح لهم معايشهم في الدنيا، ولم يكونوا يقرّون بالآخرة. قال: فهلّا نصروهم إذ جاءهم العذاب. ﴿ بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ ﴾ أي: كذبهم ﴿ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾.

ذكروا عن عبد الله بن كثير المكّيّ[2] أنه كان يقرأها: (وَذَٰلِكَ أَفَكَهُمْ)[3] أي: صَدُّهم عن الهدى.

---

(1) قيل هي ديار ثمود بالحِجر، ومدائن قوم لوط المؤتفكات، وغيرها من منازل الأمم المهلكة.

(2) في ق و ع: «عبد الله بن أبي كثير» وهو خطأ صوابه ما أثبته: عبد الله بن كثير المكي الداري، إمام أهل مكة في القراءة. قال عنه ابن مجاهد: «ولم يزل عبد الله هو الإمامَ المجتمع عليه في القراءة بمكة حتى مات سنة عشرين ومائة. انظر ابن الجزري، طبقات القراء ج 1، ص 443، ترجمته رقم (1852).

(3) وهذه قراءة نسبت أيضاً إلى ابن عباس وأبي عياض وعكرمة وغيرهم. ويبدو أن ابن كثير أخذ هذه القراءة على درباس، مولى عبد الله بن عباس، انظر ابن جني، المحتسب، ج 2 ص 267.

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا﴾ أي: يقوله بعضهم لبعض ﴿فَلَمَّا قُضِيَ﴾ أي: فلما قرأه عليهم النبي عليه السلام وأسلموا ﴿وَلَّوا﴾ أي: رجعوا ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ وهم أهل نصيبين[1].

ذكر بعضهم أن جن نصيبين أتوا النبي عليه السلام فقرأ عليهم القرآن؛ فقالوا: يا رسول الله زوّدنا، فقال: كل روثة لكم خضرة، وكل عظم لكم عرق. فقالوا: يا رسول الله: إن أمتك ينجسونه علينا. فنهى رسول الله ﷺ أن يستنجى بعظم أو روثة[2].

ذكروا عن صالح مولى التوأمة عن ابن عباس وعن ابن مسعود أن جن نصيبين لما قرأ عليهم النبي عليه السلام القرآن فأرادوا أن يرجعوا زودهم الروث والعظام، لا يأتون على شيء منه إلا وجدوه لحماً وتمراً.

ذكروا عن عون بن عبد الله بن عتبة عن عبد الله بن مسعود قال: خرجنا حاجين ومعتمرين، حتى إذا كنا بالطريق هاجت ريح فارتفعت عجاجة من الأرض حتى إذا كانت على رؤوسنا انكشفت عن حية بيضاء[3]، فنزلنا، وتخلف صفوان بن المعطل

---

(1) ذكرها ياقوت في معجم البلدان، ج 5 ص 288-289 وأطنب في وصفها والحديث عنها فقال: هي مدينة عامرة من بلاد الجزيرة. على جادة القوافل من الموصل إلى الشام، وفيها وفي قراها على ما يذكر أهلها أربعون ألف بستان، بينها وبين سنجار سبعة فراسخ، وبينها وبين الموصل ستة أيام».

(2) حديث صحيح أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن، (رقم 450) من حديث ابن مسعود، وفيه: «لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحماً، وكل بعرة علف لدوابكم». وأخرجه أحمد وغيرهما من طرق عدة. انظر هذا كله في تفسير ابن كثير، ج 6 ص 290-306.

(3) كذا في ق و ع: «انكشفت عن حية بيضاء»، وفي ز، ورقة 325: «تكشّفت عن جان بيضاء، يعني حية».

فأبصرها. فصب عليها من مطهرته[1]، وأخرج خرقة من عيبته فكفّنها فيه، ثم دفنها، ثم اتّبعنا، فإذا بنسوة قد جئن عند العشاء، فسلمن ثم قلن: أيكم دفن عمرو بن جابر، فقلنا: والله ما نعرف عمرو بن جابر. فقال صفوان بن المعطل: أبصرت جاناً أبيض فدفنته[2]. قلن: ذلك والله عمرو بن جابر، بقية من استمع إلى رسول الله ﷺ قراءة القرآن من الجن؛ التقى زحفان من الجن، زحف من المسلمين وزحف من الكفار، فاستشهد رحمه الله.

ذكروا أن قوماً نفروا إلى عبد الله بن مسعود فقالوا: بينما نحن نسير في طريق الشام إذ رفع إلينا إعصار. فلما انتهينا إليه إذا حية قتيل[3] فنزل بعض القوم فكفّنها في عمامة له ثم دفنها. فلما نزلنا وجنّ علينا الليل إذا بامرأتين قد جاءتا، فسلمتا علينا، ثم قالتا: أيكم دفن عمراً اليوم؟ قلنا: ما دفنا رجلاً. قالتا: بلى، الحية القتيل. قلنا: نعم. قالتا: فإن كنتم إنما نويتم الآخرة والأجر فقد أصبتم. إن فسقة الجن ومسلميهم اقتتلوا اليوم فقتل فيهم، والله إنه لأحد النفر الذين استمعوا القرآن عند محمد ﷺ.

قوله: (مُنْذِرِينَ) أي: أنذروا قومهم.

﴿ قَالُوا يَـٰقَوْمَنَـا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰباً أُنْزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ ﴾ كانوا على اليهودية قبل أن يسلموا. ﴿ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ أي: من الكتاب ﴿ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ أي: إلى دين مستقيم، وهو الطريق المستقيم إلى الجنة.

﴿ يَـٰقَوْمَنَـا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ ﴾ يعنون النبي عليه السلام ﴿وَءَامِنُوا بِهِ﴾ أي:

---

(1) المِطهَرة: كل إناء يتطهّر به ويتوضأ به، وهي بفتح الميم وكسرها، «والفتح أعلى». كما قال الجوهري.

(2) كذا في ق وع: وفي ز، ورقة 325: «أبصرت جاناً بيضاء فدفنتها» وكلاهما صحيح. جاء الوصف في العبارة الأولى تابعاً للفظ الجان، وفي الثانية لمعناه لأن الجان هو الحية البيضاء.

(3) كذا في النسخ كلها: «حية قتيل»، وهي عربية عريقة. قال ابن السكيت: «إذا كان (فعيل) نعتاً لمؤنث وهو في تأويل مفعول، كان بغير هاء. انظر ابن السكيت، إصلاح المنطق ص 343.

وصدّقوا به ﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّنْ ذُنُوبِكُمْ ﴾ أي: ذنوبكم كلها ﴿ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾.

﴿ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللهِ ﴾ أي النبي عليه السلام ﴿ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ ﴾ أي: فليس بالذي يسبق الله حتى لا يبعثه ثم يعذبه. ﴿ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ ﴾ أي: يمنعونه من عذاب الله. قال: ﴿ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ أي: بيّن، يعني من لا يجيب داعي الله. أي لا يؤمن.

قوله: ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ ﴾ كقوله: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ) [سورة قٓ: 38] أي من عياء. وذلك أن اليهود أعداء الله قالت: إنه لما فرغ من خلق السماوات والأرض عيـي فاستلقى فوضع إحدى رجليه على الأخرى فاستراح، فأنزل الله: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا) أي: من شمس وقمر ونجوم وسحاب ومطر وريح وليل ونهار وماء ومدر وحجر، وكل ما بينهما مما يرى ومما لا يرى (فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ). وقال: (أَوَلَمْ يَرَوا أَنَّ اللهَ الذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ) قال: ﴿ بِقَادِرٍ ﴾ على أن يخلق مثلهم وبقادر ﴿ عَلَى أَن يُحْيِيَ المَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

قوله: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ ﴾ أي: يقال لهم هذا، في تفسير الحسن، يقال لهم هذا وهم في النار. أليس هذا بالحق الذي كنتم توعدون في الدنيا.

﴿ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾.

قوله: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ قال بعضهم: أولو العزم من الرسل خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام. يقول: اصبر يا محمد كما صبروا هم جميعاً. وأولوا العزم في تفسير الحسن أولو الصبر. وبعضهم يقول: أولو الحزم. وتفسير الكلبي: يعني من أمر بالقتال من الرسل.

قال: ﴿ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ يعني المشركين: لا تستعجل لهم بالعذاب. كقوله: (فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيداً) [الطارق: 17]. وهذا وعيد لهم.

﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ ﴾ يعني العذاب ﴿ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَٰغٌ ﴾ تفسير الحسن: في هذا الذي وصفت من إهلاك القرون، وفيما أخبر أنه يهلك كفار آخر هذه الأمة بقيام الساعة بلاغ. وفيها إضمار: يقول: في هذا الذي أخبرت بلاغ. ﴿ فَهَلْ يُهْلَكُ ﴾ أي: بعد البلاغ ﴿ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَٰسِقُونَ ﴾ أي: المشركون.

تفسير سورة محمد ﷺ، وهي مدنية كلها.

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾. قوله عز وجل: ﴿ الذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ ﴾ أي: سبيل الهدى، [يعني الإسلام][1] ﴿ أَضَلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴾ أي: أحبط أعمالهم في الآخرة، أي: ما عملوا من حسن.

قال: ﴿ وَالذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﴾ أي: صدقوا بما نزّل على محمد، يعني القرآن ﴿ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ﴾ أي: غفرها لهم ﴿ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ أي: حالهم في الدنيا، جعلهم على الحق، يصلح به حالهم في الآخرة، أي: يدخلهم الجنة.

قال: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ الذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَـٰطِلَ ﴾ أي: إبليس، اتبعوا وساوسه بالذي دعاهم إليه من عبادة الأوثان. ﴿ وَأَنَّ الذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ أي: القرآن الذي جاء به محمد عليه السلام ﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللهُ لِلنَّاسِ ﴾ أي يبيّن للناس ﴿ أَمْثَـٰلَهُمْ ﴾ أي: صفات أعمالهم.

قوله: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ ﴾. ذكروا أن رسول الله ﷺ بعث سرية إلى حي فأصابوهم، فصعد رجل منهم شجرة ملتفّة أغصانها. قال الذي حضر: قطعناها فلا شيء، ورميناها فلا شيء. قال: فجاءوا بنار فأضرموا بها تلك الشجرة، فخر الرجل ميتاً. فبلغ ذلك النبي ﷺ [فتغيّر

(1) زيادة من ز، ورقة 326.

وجهه تغيراً شديداً][1] ثم قال: إني لم أبعث لأعذب بعذاب الله، ولكني بعثت بضرب الأعناق وشدّ الوثاق.

ذكر الحسن عن معاذ بن جبل قال: بعثني رسول الله ﷺ فقال: إن أمكنك الله من فلان فأحرقه بالنار. قال: فلما وليت قال: ردوه علي. فرجعت، فقال: أمرتك إن أمكنك الله من فلان أن تحرقه بالنار؟ قلت: نعم. قال: إني قلته وأنا غضبان، إنه ليس لأحد أن يعذب بعذاب الله، فإن قدرت فاضرب عنقه[2].

قوله عز وجل: ﴿ فَأَمَّا مَنًّا بَعْدُ وَأَمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ فيها تقديم، يقول: فإذا لقيتم الذين كفَروا فضرب الرّقاب حتى تضع الحرب أوزارها، أي حتى ينزل عيسى بن مريم فيقتل الدّجّال، ويكسر الصّليب ويقتل الخنزير، وتضع الحرب أوزارها[3].

---

(1) زيادة من ز، ولم أجد هذه القصة فيما بين يدي من مصادر الحديث والتاريخ. وقد رواها ابن سلام بهذا السند: «يحيى عن المسعودي عن القاسم بن عبد الرحمن أن رسول الله بعث سرية. . .».

(2) حديث صحيح أخرجه أحمد في مسنده، وأخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في كراهية حرق العدو بالنار عن محمد بن حمزة الأسلمي عن أبيه (رقم2673) وعن أبي هريرة (رقم 2674). وأخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب لا يعذب بعذاب الله عن أبي هريرة. وقيل إن فلاناً هذا هو هبّار بن الأسود، الذي أسلم بعد ذلك. انظر قصته مفصلة في مغازي الواقدي، ج 2، ص 857-858، وانظر ابن حجر، فتح الباري، ج 6 ص 149-151. وانظر محمد بن الحسن الشيباني، شرح السير الكبير، ج 4 ص 1469.

(3) حذف الشيخ هود بعد هذا خبراً رواه ابن سلام، كما جاء في ز ورقة 326، هكذا: «يحيى عن ابن لهيعة عن أبي الزبير قال: سألت جابر بن عبد الله قلت: إذا كان عليّ إمام جائر فلقيت معه أهل ضلالة أقاتل أم لا؟ ليس بي حُبّه ولا مظاهرته. قال: قاتل أهل الضلالة أينما وجدتهم، وعلى الإمام ما حمّل وعليك ما حمّلت». وحذف بعده أيضاً حديثاً رواه ابن سلام بالسند التالي: «يحيى عن عمار الدهني عن جسر المصيصي عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: بني الإسلام على ثلاث: الجهاد ماض منذ بعث الله نبيّه إلى آخر فئة من المصلين تكون هي التي تقاتل الدجال لا ينقضه جور من جار، والكف عن أهل لا إله إلا الله أن تكفروهم بذنب، =

ذكروا عن معاوية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من يرد الله به خيراً يفقّهه في الدين. ولا تزال عصابة من المسلمين يقاتلون على الحق من ناوأهم إلى يوم القيامة(1).

وتفسير الحسن: (حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا) أي: ذنوبها، أي: شركها(2). يريد قوله: (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ) [البقرة: 193] أي: حتى لا يكون شرك. هذا في مشركي العرب. وأما أهل الكتاب فإذا أقرّوا بالجزية قُبلت منهم وكُفّ عنهم القتال. كذلك جميع المشركين إلا مشركي العرب، إلا من كان دخل في أهل الكتاب منهم قبل أن يؤمر بقتال أهل الكتاب، حتى يسلموا أو يقرّوا بالجزية.

قال: (حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ) وهذا في الأسرى. (فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً). لم يكن لهم حين نزلت هذه الآية إذا أخذوا أسيراً إلا أن يفادُوه أو يُمنّوا عليه فيرسلوه. وهي منسوخة؛ نسختها: (فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ) أي: عظ بهم من سواهم (لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ) [الأنفال: 57]. فإن شاء الإمام قتل

= والمقادير خيرها وشرها من الله». وكأني بالشيخ هود قد أسقط هذا الحديث لِمَا قد يُفهَم منه من معنى الإرجاء.

(1) حديث صحيح أخرجه أحمد والشيخان: أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين. وأخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم، (رقم 1037) كلاهما يرويه عن معاوية وهو على المنبر، وأخرجه أيضاً مسلم في نفس الباب مختصراً من حديث ثوبان (رقم 1920) ومن حديث جابر بن عبد الله (رقم 1923).

(2) قال الفراء في المعاني، ج 3 ص 57: «وقوله: (حَتَّى تَضَعَ الحَرْبُ أَوْزَارَهَا): آثامها وشركها حتى لا يبقى إلا مسلم أو مسالم. والهاء التي في (أَوْزَارَهَا) تكون للحرب وأنت تعني: أوزار أهلها»... وقال ابن أبي زمنين: «المعنى حتى يضع أهل الحرب السلاح. وهو الذي ذهب إليه مجاهد. وأصل الوزر ما حملته، فسمى السلاح أوزاراً لأنه يحمل. قال الأعشى:

وَأَعْـددتُ لِـلحَـرْبِ أَوْزَارَهَـا ... رِمَـاحاً طِـوَالاً وَخَيْـلاً ذُكُـوراً

وانظر اللسان (وزر).

الأسارى، وإن شاء جعلهم غنيمة، وإن شاء أفدى. وأما المنّ بغير فداء فليس له ذلك. قال بعضهم: لا ينتقم منهم له.

قال: ﴿ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ ﴾ يعني بغير قتال؛ يبتلى به المؤمنين والنبي عليه السلام[1]. قال: ﴿ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ﴾ أي: يبتلي بعضكم ببعض.

قال: ﴿ وَالَّذِينَ قَـٰتَلُوا ﴾ وهي تقرأ على وجه آخر: (قُتِلُوا) ﴿ فِي سَبِيلِ اللهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴾ أي: فلن يحبط أعمالهم. ﴿ سَيَهْدِيهِمْ ﴾ تفسير الحسن: يحقق لهم الهدى ﴿ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾ وهي مثل الأولى. ﴿ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾[2].

تفسير مجاهد: إنهم يعرفون منازلهم في الجنة إذا جاءوا إلى الجنة. وتفسير الحسن: يعرفون الجنة بالصفة التي وصفها الله لهم في الدنيا.

قوله: ﴿ يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنصُرُوا اللهَ ﴾ أي: نصرهم النبي ودينه نصر لله ﴿ يَنصُرْكُمْ ﴾ الله ﴿ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾.

قال: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَّهُمْ ﴾. تفسير الحسن: إن التعس شتم من الله لهم، وهي كلمة عربية[3]. ﴿ وَأَضَلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴾ أي: أحبط ما كان منها حسناً في الآخرة.

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللهُ ﴾ أي القرآن ﴿ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴾.

---

(1) وقيل: «بملائكة غيركم». وقال قتادة: «(وَلَوْ يَشَاءُ اللهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ) إي والله بجنوده الكثيرة، كل خلقه له جند، ولو سلّط أضعف خلقه لكان جنداً».

(2) قيل إن هذه الآية نزلت في أهل أُحد، كما رواه الطبري في تفسيره، ج 26 ص 43-44 عن قتادة.

(3) قال الفراء في المعاني، ج 3 ص 58: «كأنه قال: فأتعسهم الله وأضل أعمالهم؛ لأن الدعاء قد يجري مجرى الأمر والنهي، ألا ترى أن (أَضَلَّ) فعل، وأنها مردودة على التعس، وهو اسم لأن فيه معنى أتعسهم، وكذلك قوله: (حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا) مردودة على أمر مضمر ناصب لضرب الرقاب».

قوله عز وجل: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللهُ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: أهلكهم الله ﴿ وَلِلْكَـٰفِرِينَ أَمْثَـٰلُهَا ﴾ يعني عاقبة الذين من قبلهم. أي الذين تقوم عليهم الساعة، كفار آخر هذه الأمة، يهلكون بالنفخة الأولى.

قال الله عز وجل: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الذِينَ ءَامَنُوا ﴾ أي: وليّهم ﴿ وَأَنَّ الْكَـٰفِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴾ أي: لا ولي لهم إلا الشيطان، فإنه وليّهم. وأما قوله: (ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلَيٰهُمُ الْحَقِّ) [الإنعام: 92] فمعناه مالكهم، وليس هو من باب ولاية الله للمؤمنين. وقال: (اللهُ وَلِيُّ الذِينَ ءَامَنُوا) [البقرة: 257].

قال: ﴿ إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَـٰرُ ﴾ أي: أنهار الجنة تجري في غير خدود: الماء والعسل واللبن والخمر، وهو أبيض كله؛ فطينة النهر مسك أذفر، ورضراضه الدر والياقوت، وحافاته قباب اللؤلؤ.

قال: ﴿ وَالذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ ﴾ أي: في الدنيا ﴿ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَـأْكُلُ الْأَنْعَـٰمُ ﴾ وهي غافلة عن الآخرة. قال: ﴿ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ أي: منزل للذين كفروا.

ذكروا عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: المؤمن يأكل في مِعًى واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء(1).

قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ قَرْيَةٍ ﴾ أي: وكم من قرية ﴿ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً ﴾ أي: أهلها كانوا أشد قوة ﴿ مِّنْ قَرْيَتِكَ ﴾ أي: من أهل قريتك ﴿ التِي أَخْرَجَتْكَ ﴾ يعني مكة، أخرجك أهلها ﴿ أَهْلَكْنَـٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴾ أي: يمنعهم منا.

قوله: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّـهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُـوٓءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَآءَهُم ﴾. وهذا المشرك، أي: ليسوا بسواء(2).

(1) انظر تخريجه فيما سلف، ج 2 ص 341.

(2) قال الفراء في المعاني ج 3 ص 59 بعد ذكر الآية: «ولم يقل: واتبع هواه، وذلك أن (مَنْ) تكون معنى واحد وجميع، فردّت أهواؤهم على المعنى. ومثله: (وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ) =

قوله عزّ وجلّ: ﴿ مَثَلُ الجَنَّةِ التِي وُعِدَ المُتَّقُونَ ﴾ أي: مثل صفة الجنة ﴿ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ ﴾ أي: غير متغيّر[1] ﴿ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ ﴾ أي: لم يخرج من ضروع المواشي فيتغيّر. ﴿ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ ﴾ أي: لم يعصره الرجال بأقدامهم[2] ﴿ لَّذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾ أي: لم يخرج من بطون النحل.

ذكروا عن كعب أنه قال: دجلة في الجنة لبن أغزر ما يكون من الأنهار التي سمّى الله، والفرات خمر أغزر ما يكون من الأنهار التي سمّى الله، والنيل عسل أغزر ما يكون من الأنهار التي سمّى الله، وجيحان ماء أغزر ما يكون من الأنهار التي سمّى الله.

ذكروا أن أربعة أنهار من الجنة: سيحون[3] وجيحون[4] والنيل والفرات.

ذكروا أن رسول الله ﷺ ذكر في حديث ليلة أسرِيَ به قال: ثم رفعت لنا سدرة المنتهى، فإذا ورقها مثل آذان الفيلة، ونبقها مثل قلال هجر. وإذا أربعة أنهار يخرجون من أصلها: نهران باطنان، ونهران ظاهران. قلت: يا جبريل: ما هذه الأنهار؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات.

= [الأنبياء: 82]، وفي موضع آخر: (وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ) [الأنعام: 25]، وفي موضع آخر: (وَمِنهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ) [يونس: 42].

(1) يقال: أَسَن الماء، يأسِن ويأسُن أُسُونا، وأَسِن يأسَن أَسَناً، إذا تغيّرت رائحته. وأَسِن الرجل أَسَناً إذا دخل البئر فأصابه دُوار وغُشِيَ عليه من خُبث ريح البئر. اللسان (أسن).

(2) وكانوا إلى عهد قريب يعصرون الخمر بأقدامهم، يدوسون العنب لاستخراج الخمر، وذلك قبل أن تخترع آلات العصر المستحدثة.

(3) سيحون: نهر كبير يوجد فيما وراء النهر بعد سمرقند، وهو يجمد في الشتاء.

(4) جيحون، واسمه الحالي: أموداريا، من الأنهار الكبرى في آسيا. يأخذ منابعه من نواحي بامير الهند، ثم يجتاز آسيا حتى ينصب في بحيرة خوارزم (بحيرة آرال حالياً). وطول النهر حوالي ألفين وستمائة كيلومتر. وقد وصفه ياقوت الحموي في معجمه، ج 2 ص 196، وصفاً بديعاً وخاصة عند سورة البرد وتجمد النهر.

قوله: ﴿ وَلَهُم فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَٰتِ ﴾ تفسير الحسن: ما يعرفونها في الدنيا وما لا يعرفون. وتفسير بعضهم في قوله: (كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ) [البقرة: 25] أي: في الدنيا، يعرفونه باسمه.

قال بعضهم: أهبط الله من الجنة إلى الأرض ثلاثين ثمرة؛ عشرة يؤكل داخلها ولا يؤكل خارجها، وعشرة يؤكل خارجها ولا يؤكل داخلها، وعشرة يؤكل داخلها وخارجها.

قال: ﴿ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَـٰلِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾. وهذا على الاستفهام. يقول: أهؤلاء المتّقون الذين وُعِدوا الجنة فيها ما وصف الله، كمن هو خالد في النار كما وصف الله، أي: ليسوا سواء.

قوله: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾ يعني المنافقين ﴿ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءانِفاً ﴾. كانوا يأتون النبي ﷺ يستمعون حديثه من غير حسبة[1] ولا يفقهون حديثه، فإذا خرجوا من عنده قالوا للذين أوتوا العلم، قالوا لعبد الله [بن مسعود][2]: ماذا قال محمد آنفاً، لم يفقهوا ما قال النبي عليه السلام.

قال الله للنبي عليه السلام: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾.

قال الله: ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَيٰهُمْ ﴾ أي: كلما جاءهم من عند الله شيء صدّقوه فزادهم ذلك هدى (وَءَاتَـٰهُـمْ) أي أعطاهم (تَقْـوَيٰهُمْ) أي جعلهم متّقين.

(1) في ق و ع: «من غير خشية»، وأثبت ما جاء في ز، ورقة 327 فهو أصح: «حسبة» أي: من غير أن يحتسبوا ثواب استماعهم عند الله.

(2) زيادة من ز، وجاء في بعض التفاسير أنه عبد الله بن عباس. وقد روى الطبري في تفسيره، ج 26 ص 51 خبراً جاء فيه ما يلي: «قال ابن عباس: أنا منهم، وقد سئلت فيمن سئل. وأرى أن الآية عامة تشمل كل من أوتي العلم من الصّحابة رضي الله عنهم.

قوله: ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ ﴾ [أي: فما ينتظرون][1] ﴿ إِلَّا السَّاعَةَ ﴾ أي: النفخة الأولى التي يهلك الله بها كفار آخر هذه الأمة ﴿ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً ﴾ أي: فجأة ﴿ فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ﴾[2].

كان النبي عليه السلام من أشراطها، وكان انشقاق القمر من أشراطها، ورمي الشياطين بالنجوم من أشراطها، وأشراطها كثيرة[3].

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: إنما مثلي ومثل الساعة كهاتين، فما فضل إحداهما على الأخرى، فجمع بين اصبعيه الوسطى والسبابة[4].

وذكر بعضهم قال: قال رسول الله ﷺ: من أشراط الساعة موت الفجاءة، وأن يرى الهلال ليلته كأنه لليلتين، وأن تكلم الذئاب.

وقال بعضهم: من أشراط الساعة أن يلتمس العلم عند الأصاغر.

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: من أشراط الساعة أن يظهر العلم، ويفيض المال، وتكثر التجار. ومن أشراط الساعة أن تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر. ومن أشراط الساعة أن تقاتلوا قوماً كأن وجوههم المجانّ المطْرَقة.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: من أشراط الساعة أن يرى رعاء الشاء على رؤوس الناس، وأن يرى الحفاة العراة الجُوَّع يتبارون في البنيان، وأن تلد الأمة ربها وربتها.

---

(1) زيادة من ز، وقد ورد النظر بمعنى الانتظار كثيراً في القرآن، منها قوله تعالى: (غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ) [الأحزاب: 53] أي غير منتظرين، وقوله: (فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ) أي فمنتظرة. [النمل: 35].

(2) الأشراط؛ جمع شرَط، بفتح الراء، وهي العلامات والأمارات. قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 215: «(فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا) أعلامها، وإنما سمى الشرط فيما نرى لأنهم أعلموا أنفسهم، وأشراط المال صغار الغنم وشراره. . .».

(3) الأحاديث التي صحّت عن رسول الله ﷺ في أشراط الساعة كثيرة جمعها أصحاب السنن. انظر صحيح البخاري، كتاب الفتن، وصحح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة. وانظر السيوطي، الدر المنثور، ج 6 ص 50-62.

(4) انظر ما سلف، ج 3 ص 62.

ذكروا عن أبي عمران الحولي[1] قال: قال رسول الله ﷺ: حين بعث إليّ بعث إلى صاحب الصور، فأهوى به إلى فيه، وقدم رجلاً وأخر أخرى ينتظر متى يؤمر فينفخ؛ ألا فاتقوا النفخة.

ذكروا أن رسول الله ﷺ خرج يوماً على أصحابه فقال: كيف بكم وصاحب القرن قد حنى جبهته وأصغى بسمعه ينتظر متى يؤمر فينفخ فيه.

قال: ﴿ فَأَنَّىٰ لَهُمْ ﴾ أي: فكيف لهم. ﴿ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ﴾ أي: فكيف لهم التوبة إذا جاءتهم الساعة، إنها لا تقبل منهم.

قال: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ ﴾ أي: في الدنيا ﴿ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ إذا صرتم إليه. والمثوى المنزل الذي يثوون فيه، أي: لا يزولون عنه.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا ﴾ أي: هلاّ ﴿ نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ ﴾ والمحكمة المفروضة ﴿ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ ﴾ وهي كل سورة فرض فيها القتال، أي أمِر به ﴿ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ يعني المنافقين ﴿ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ أي: خوفاً منه وكراهية للقتال. كقوله: (يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ) [المنافقون: 4].

قال: ﴿ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ وهذا وعيد من الله لهم: ثم انقطع الكلام. ثم قال: ﴿ طَاعَةٌ ﴾ أي: طاعة لله ورسوله ﴿ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ﴾ أي خير لهم مما هم عليه من النفاق.

قال: ﴿ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ ﴾ أي: بالجهاد في سبيل الله ﴿ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ ﴾ فكان عزمهم في الجهاد صدقاً[2] ﴿ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ يعني به المنافقين.

---

(1) جاء هذا الاسم في ع هكذا: «عن أبي عمران الحولي»، وجاء في ق هكذا: «أبي صمران الحوا»؛ ولم اهتد لتصحيح هذا الاسم.

(2) كذا في ق و ع، وفي ز ورقة 326: «فلو صدقوا الله فكان باطن أمرهم وظاهره صدقاً».

قال: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ ﴾ يعيبهم ﴿ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ ﴾ عن الجهاد في سبيل الله[1] ﴿ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ أي: تقتلوا قرابتكم.

قال: ﴿ أُولَئِكَ الذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ ﴾ عن الهدى ﴿ وَأَعْمَى أَبْصَـٰرَهُمْ ﴾ عنه.

قال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ القُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ أي: إنَّ على قلوب أقفالَها، وهو الطبع الذي طبع الله على قلوبهم بكفرهم.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ إِنَّ الذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَـٰرِهِمْ مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ ﴾ أي: من بعد ما أقروا بالإيمان وقامت عليهم الحجة بالنبي والقرآن، يعني المنافقين ﴿ الشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ ﴾ [أي: زيّن لهم][2] ﴿ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴾. تفسير الحسن: وسوس إليهم أنكم تعيشون في الدنيا بغير عذاب، ثم تموتون وتصيرون إلى غير عذاب.

قال: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللهُ ﴾ أي: قال المنافقون للمشركين ﴿ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ ﴾ أي: سنَعتلّ بعِلل يقبلها منا [المؤمنون][3] فنتخلف عن قتالكم فلا نقاتلكم، فاتّفقوا على ذلك في السّرّ؛ كقوله: (وَإِذَا لَقُوا الذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ ﴾ أي: إلى قادتهم ورؤسائهم (قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ) أي: في المودّة والهوى (إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ) [البقرة: 14] أي: مخادعون. قال بعضهم: (سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ) أي في الشرك، وافقوهم على الشرك في السّرّ.

قال: ﴿ وَاللهُ يَعْلَمُ أَسْرَٰرَهُمْ ﴾[4].

---

(1) كذا في ق و ع، وفي ز: (فَهَلْ عَسِيتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ) عما في قلوبكم من النفاق حتى تظهروه شركاً. قال محمد: قرأ نافع (عسِيتم) بكسر السين، وقرأ غير واحد من القراء بالفتح، وهي أعلى اللغتين وأفصحهما. ذكره أبو عبيد». وقال الفراء في المعاني ج 3 ص 63: «(هَلْ عَسَيْتُمْ. . .) إن توليتم أمور الناس أن تفسدوا في الأرض. . .».

(2) زيادة من ز.

(3) زيادة لا بد منها يقتضيها سياق الكلام.

(4) قال الفراء في المعاني ج 3 ص 63: «قرأها الناس: (أَسْرَارَهُمْ)، جمع سِرّ. وقرأها يحيى بن =

قال: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَٰئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ ﴾ [تفسير الحسن: (تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ) حشرتهم إلى النار (يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ) في النار][1]. قال الله عز وجل: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴾ أي: في الآخرة[2].

قال الله عز وجل: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ وهم المنافقون ومرضهم مرض النفاق ﴿ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَـٰنَهُمْ ﴾ [يعني ما يكنون في صدورهم من الشرك] أي: أن لن يظهر الله عوراتهم للمؤمنين.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ ﴾ أي: بنعتهم، أي من غير أن يعرفهم بلحن القول.

قال تعالى: ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾[3] يعني بعللهم الكاذبة وما كانوا يعتذرون به من الباطل في الغزو، وفيما يكون منهم من القول فيجحدونه ويعتذرون ويحلفون بالله (إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ) [التوبة: 107]. ثم أخبره الله بهم، فلم يخف على رسول الله ﷺ بعد هذه الآية منافق، وأسرَّهم رسول الله ﷺ إلى حذيفة[4]. قال: ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴾ من قبل أن تعملوها.

= وثاب وحده (إِسْرَارَهُمْ) بكسر الألف، واتبعه الأعمش وحمزة والكسائي، وهو مصدر. ومثله: (وإِدْبَارَ السُّجُودِ) [سورة قٓ: 40].

(1) زيادة من ز، ورقة 326.

(2) في ق و ع: «في الأرض»، ويبدو أن خطأ صوابه ما أثبته.

(3) قال الفراء: «(فِي لَحْنِ الْقَوْلِ)، في نحو القول وفي معنى القول»، وقال الزمخشري في الكشّاف، ج 4 ص 330: «في نحو القول وأسلوبه». ومن معاني اللحن الميل بالكلام إلى نحو خاص ليفطن له صاحبك دون غيره، ومنه قول مالك بن أسماء بن خارجة الفزاري:

مَنْطِقٌ رَائِعٌ وَتَلْحَنُ أَحْيَا ... نًا وَخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنًا

وانظر مختلف معاني اللحن في اللسان (لحن).

(4) هو أبو عبد الله حذيفة بن اليمان، حليف لبني عبد الأشهل من الأنصار. كان من كبار أصحاب رسول الله ﷺ، وكان يعرف فيهم بصاحب سرّ رسول الله ﷺ. وقد ناشده عمر بن الخطاب ذات يوم: أأنا من المنافقين؟ فقال: لا، ولا أزكّي أحداً بعدك.

قوله: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَـٰهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّـٰبِرِينَ﴾ وهذا علم الفِعال ﴿ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ أي: نختبركم فنعلم من يصدق منكم فيما أعطى من الإيمان ومن يكذب ممن لا يوفى بما أقرّ به من العمل لله.

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ الذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ ﴾ أي: عن الإسلام ﴿ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ ﴾ أي: فارقوا الرسول وعادوه ﴿ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ ﴾ أي من بعد ما قامت عليهم الحجة ﴿ لَن يَّضُرُّوا اللهَ شَيْئاً ﴾ أي: بكفرهم ﴿ وَسَيُحْبِطُ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴾ أي: في الآخرة، يعني ما كان من عمل حسن عملوه في الدنيا.

قوله: ﴿ يَـٰأَيُّهَـا الذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَـٰلَكُمْ ﴾. ذكروا أن رجلاً كان على عهد النبي عليه السلام يصوم ويصلي، وكان في لسانه شيء، فقال له النبي عليه السلام: يا فلان إنك تبني وتهدم[1].

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَّغْفِرَ اللهُ لَهُمْ ﴾.

قوله عز وجل: ﴿ فَلَا تَهِنُوا ﴾ أي: لا تضعفوا في الجهاد ﴿ وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ ﴾ أي: إلى الصلح. أي: لا تدعوا إلى الصلح ﴿ وَأَنْتُم الأَعْلَوْنَ ﴾ أي: الظاهرون المنصورون؛ يقوله للمؤمنين. وهذا الحرف يقرأ بوجه آخر: إلى السِّلْم، أي: إلى الإسلام. قال: ﴿ وَاللهُ مَعَكُمْ ﴾ أي: ناصركم ﴿ وَلَن يَّتِرَكُمْ ﴾ أي: ولن يظلمكم ﴿أَعْمَـٰلَكُمْ﴾.

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا الحَيَوٰةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ أي: إن أهل الدنيا، يعني المشركين الذين لا يريدون غيرها أهل لعب ولهو، سبتهم الدنيا، وليسوا بأهل الآخرة.

(1) لم أجد هذا الحديث فيما بين يدي من مصادر الحديث. ويعجبني هنا ما رواه الطبري في تفسيره ج 26 ص 62 في الموضوع عن قتادة قال: «من استطاع منكم ألّا يبطل عملاً صالحاً عمله بعمل سيء فليفعل، ولا قوة إلا بالله، فإن الخير ينسخ الشرّ، وإن الشرّ ينسخ الخير، وإن ملاك الأعمال خواتيمها».

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر[1]. ﴿ وَإِنْ تُومِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ ﴾ أي: ثوابكم ﴿ وَلاَ يَسْأَلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴾ أي: إن محمداً لا يسألكم أموالكم. ﴿ إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ ﴾ بالمسألة[2] ﴿ تَبْخَلُوا ﴾ أي: لو سألكم أموالكم لبخلتم بها. ﴿ وَيُخْرِجَ أَضْغَٰنَكُمْ﴾ أي: عداوتكم. وهي تقرأ على وجه آخر: (وَتَخْرُجُ أَضْغَانُكُمْ).

قوله عز وجل: ﴿ هَٰأَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ﴾ أي: بالنفقة في سبيل الله، يعني المنافق. قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللهُ الْغَنِيُّ ﴾ أي: عنكم ﴿ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ ﴾ إلى الله، يعني جماعة الناس.

﴿ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا ﴾ عن الإيمان، يعني جماعة الناس في تفسير الحسن ﴿ يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ﴾ أي: خيراً منكم، أي: أطوع منكم، ويهلككم بالاستئصال. كقوله: (وَمَا نَحْنُ بِمَسْبِوقِينَ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ) [الواقعة: 60-61] أي: خيراً منكم ويهلككم بالعذاب. قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ لاَ يَكُونُوا أَمْثَٰلَكُمْ﴾ يقوله للمشركين، أي: يكونوا خيراً منكم وأطوع له منكم.

(1) انظر تخريجه فيما سلف، ج 1 ص 338.

(2) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 216: «يقال أحفاني بالمسألة وألحف عليّ وألحّ. قال أبو الأسود: لن تمنع السائل الحفي بمثل المنع الخامس».

تفسير سورة الفتح، وهي مدنية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً ﴾ قال بعضهم: هو فتح مكة. وقال الكلبي: هو فتح يوم الحديبية[1]. ظهر فيه نبي الله على المشركين بعد حبس الهدي أن يبلغ مَحلّه، وظهر عليهم المسلمون حتى دخلوا دورهم وسأل المشركون الصلح. وتفسير هذا الظهور بعد هذا الموضع. وتفسير مجاهد: إنه نحره بالحديبية وحلقه رأسه.

ذكروا عن أنس بن مالك أن هذه الآية ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً لِّيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً ﴾ نزلت على النبي عليه السلام مرجعَه من الحديبية، وأصحابه مخالطو الحزن والكآبة، قد حيل بينهم وبين مناسكهم، ونحروا الهدي بالحديبية، فقال: لقد نزلت عليّ آية لهي أَحَبّ إلي من الدنيا جميعاً[2]. فتلاها عليهم رسول الله فقال رجل من القوم: هنيئاً مريئاً لك يا رسول الله، لقد بيّن الله لنا ما يفعل بك، فماذا يفعل بنا. فأنزل الله (لِّيُدْخِلَ الْمُومِنِينَ وَالْمُومِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ)... إلى آخر الآية.

(1) وحديث البراء بن عازب في صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية يؤيده؛ «قال: تعدون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحاً، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية...» وانظر الجمع بين هذه الأقوال في فتح الباري، ج 7 ص 441-442. وسميت الحديبية كذلك باسم بئر بها، وهي على مرحلة من مكة وعلى تسع مراحل من المدينة، انظر ياقوت معجم البلدان، ج 2 ص 229.

(2) انظر ما سلف قريباً في هذا الجزء ص 146، وانظر الواحدي، أسباب النزول ص 403-405.

قال الله تعالى: ﴿ وَيَنْصُرَكَ اللهُ نَصْراً عَزِيزاً ﴾ أي: يذلّ بك أعداءك.

﴿ هُوَ الذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ ﴾ أي الطمأنينة والوقار، في تفسير الحسن. وقال مجاهد: السكينة من أمر الله كهيئة الريح. قال تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِ الْمُومِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَـٰناً مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ﴾ أي: يقينا مع يقينهم، يعني تصديقاً مع تصديقهم، أي: يصدّقون بكل ما نزل من القرآن. ﴿ وَلِلهِ جُنُودُ السَّمَـٰوَٰتِ وَالأَرْضِ ﴾ ينتقم لبعضهم من بعض ﴿ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴾.

قال: ﴿ لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ وقد فسّرناه في الآية الأولى. قال تعالى: ﴿ وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ﴾ أي: ذنوبهم ﴿ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِنْدَ اللهِ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ وهي النجاة العظيمة من النار إلى الجنة.

قال: ﴿ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَـٰفِقَـٰتِ ﴾ أي: أهل الإقرار بالله وبالنبي عليه السلام من أهل التضييع والخيانة وعدم الوفاء ﴿ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَـٰتِ ﴾ أهل المساواة والإنكار والجحود ﴿ الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ ﴾[1]. وكان ظن المشركين أن لن يبعثوا ولن يحاسبوا ولا ثواب ولا عقاب، وكان ظن المنافقين أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً؛ يقولون: إن محمداً سيهلك، ويهلك أصحابه، ويهلك دينهم[2].

قال الله عز وجل: ﴿ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ﴾[1] أي: عليهم يدور السوء والهلاك في الآخرة. ﴿ وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً ﴾ أي: وبئست المصير.

قوله عز وجل: ﴿ وَلِلهِ جُنُودُ السَّمَـٰوَٰتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾ أي: عزيزاً في نقمته حكيماً في أمره.

(1) قال الفراء في المعاني، ج 3 ص 65: «... ودائرة السَّوْء: العذاب، والسَّوْءُ أفشى في اللغة وأكثر، وقلما تقول العرب: دائرة السُّوء».

(2) كذا في ق وع: «ويهلك دينهم»، وفي ز: «ودينه».

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَـٰكَ شَاهِداً ﴾ على أمتك ﴿ وَمُبَشِّراً ﴾ بالجنة ﴿ وَنَذِيراً ﴾ من النار ﴿ لِّتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ﴾ يقوله للناس ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ ﴾ أي: وتنصروه ﴿ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ أي: وتعظموه، يعني محمداً عليه السلام في تفسير الكلبي. وتفسير الحسن: (وَتُعَظِّمُوهُ) يعني الله ﴿ وَتُسَبِّحُوهُ ﴾ أي: تسبحوا الله، أي: تصلوا لله ﴿ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ بكرة، صلاة الصبح، وأصيلاً صلاة الظهر والعصر. وهي تقرأ على وجه آخر: (لِّيُومِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ. . .) إلى آخر الآية، يقوله للنبي علي السلام: ليؤمنوا وليفعلوا وليفعلوا.

قوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي: من بايع رسول الله ﷺ فإنما بايع الله؛ وهذا يوم الحديبية، وهي بيعة الرضوان، بايعوه على ألا يفروا.

ذكروا عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال: بايعنا رسول الله ﷺ على ألَّا نفر ولم نبايعه على الموت.

[قال بعضهم: أخبر أناس يوم بيعة رسول الله تحت الشجرة أن رسول الله بعث عثمان بن عفان إلى قريش بمكة يدعوهم إلى الإسلام. فلما راث عليه، أي: أبطأ عليه، ظنّ رسول الله أن عثمان قد غُدِر به فقُتِل. فقال لأصحابه: إني لا أظن عثمان إلا قد غدر به. فإن فعلوا فقد نقضوا العهد، فبايعوني على الصبر وألَّا تفروا][1].

قوله: ﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ﴾ أي: فمن نكث حتى يرجع كافراً أو منافقاً فإنما ينكث على نفسه ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللهَ ﴾ أي: ومن استكمل فرائض الله وعمل بها ووفى بما عاهد عليه الله ﴿ فَسَنُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ﴾ أي فسنؤتيه الجنة نثيبه بها.

(1) زيادة من ز، ورقة 329-330، وقد روى ابن سلام هذا الخبر بسند لم يتضح لي أسماء رواته إلا: يحيى عن ابن لهيعة، ولم أجد هذا الحديث بهذا اللفظ فيما بين يدي من المصادر وإن كانت تتفق على أن الرسول بايعهم على ألا يفروا. وقد روي عنه أنه قال: «لا نبرح حتى نناجز القوم». انظر سيرة ابن هشام، ج 3 ص 315، ومغازي الواقدي، ج 2 ص 603 فما بعدها.

قوله تعالى: ﴿ سَيَقُول لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ ﴾ يعني المنافقين [المتخلفين عن الجهاد في تفسير الحسن][1] ﴿ شَغَلَتْنَا أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا ﴾ أي: خفنا عليها الضيعة، فذلك الذي منعنا أن نكون معك في الجهاد ﴿ فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ أي: يعتذرون بالباطل.

وقال الكلبي: لما خرج رسول الله ﷺ إلى الحديبية تخلف عنه عامة الأعراب، لم يتبعه أحد منهم، وخافوا أن يكون قتال. فلما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية وعده الله خيبر؛ فأتوه ليعتذروا وليغزوا معه رجاء الغنيمة، يقولون: (شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا). . . إلى قوله: (بَلْ ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُومِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَداً وَزُيِّنَ ذٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْماً بُوراً).

قال الله عز وجل: ﴿ قُلْ فَمَن يَّمْلِكُ لَكُمْ مِّنَ اللهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرّاً ﴾ أي أن يهلككم بنفاقكم[2] فيدخلكم النار. ﴿ أَوَ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعاً ﴾ أي: أن يرحمكم بالإيمان، أي: يمن عليكم. وقد أخبر نبيّه بعد في غير هذه الآية أنه لا يتوب عليهم في قوله: (وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ) أي: وتموت أنفسهم، أي يموتون. (وَهُمْ كَافِرُونَ) [التوبة: 55]. وقال: (سَوَاءٌ عَلَيْهِمُ أَسْتَغْفَرْتَ لَهِمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَّغْفِرَ اللهُ لَهُمْ) [المنافقون: 6]. قال: ﴿ بَلْ كَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً ﴾.

قوله: ﴿ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَن لَّن يَّنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُومِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَداً ﴾ قد ذكرنا تفسير الكلبي أنه يوم الحديبية. وقال الحسن: كان ذلك في غزوة تبوك. كان المنافقون يقولون: لن يرجع محمد والمؤمنون إلى المدينة أبداً، ويهلكون قبل أن يرجعوا ويهلك دينهم.

قال: ﴿ وَزُيِّنَ ذٰلِكَ في قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ ﴾ وهو مثل قوله: (الظَّانِّينَ

(1) زيادة من ز، ورقة 330. وقال الفراء في المعاني ج 3 ص 65: «وهم أعراب أسلم وجهينة ومزينة وغفار».

(2) في ق و ع: «أن يهلككم ويعاقبكم»، ويبدو أن في الكلمة تصحيفاً صوابه ما أثبته من ز.

بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ) [الفتح: 6] أي: ظنوا أن محمداً وأصحابه سيهلكون ويهلك دينهم.

قال: ﴿ وَكُنتُمْ قَوْماً بُوراً ﴾ أي: فاسدين(1).

قال: ﴿ وَمَن لَّمْ يُومِنْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ ﴾ أي: إنهم لم يؤمنوا بالله ورسوله فيوفوا بما عاهدوا عليه ويكملوا فرائض الإيمان بالقول والعمل. قال: ﴿ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَعِيراً ﴾ أي: فهم كفار، وقد اعتدنا للكافرين سعيراً. فسمّاهم كافرين إذ لم يكملوا فرضه ويوفوا بعهده في القول والعمل. وقال في آية أخرى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لإِخْوَانِهِمُ الذِينَ كَفَرُوا مِنَ أَهْلِ الْكِتَـٰبِ. . .) إلى آخر الآية. [الحشر: 11].

قوله عز وجل: ﴿ وَللهِ مُلْكُ السَّمَـٰوٰتِ وَالأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَّشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَّشَاءُ ﴾ أي: إنه لا يشاء أن يغفر إلا لمن تاب من الشرك وبريء من النفاق، ويعذّب من أقام على شركه ونفاقه حتى يموت عليه، وهو قوله: (وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ) فيبقوا على نفاقهم (أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ) [الأحزاب: 24] فيرجعوا عن نفاقهم. وقد أخبر بعد أنهم لا يرجعون عن نفاقهم، وقد فسّرناه في الآية الأولى. قال: ﴿ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾.

قوله عز وجل: ﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ﴾ وهم المنافقون يقولونه للمؤمنين ﴿ ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ﴾ وهذا حين أرادوا أن يخرجوا إلى خيبر؛ أحبوا الخروج ليصيبوا من الغنيمة، وكان الله وعدها النبي عليه السلام، فلم يترك النبي عليه السلام أحداً من المنافقين أن يخرج معه إلى خيبر، أمره الله بذلك، وإنما كانت لمن شهد بيعة الرضوان يوم الحديبية.

---

(1) كذا في ق و ع و ز: «(بُوراً) أي فاسدين». وقال الفراء في المعاني ج 3 ص 66: «عن ابن عباس قال: البور في لغة أزد عمان: الفاسد، (وَكُنتُمْ قَوْماً بُوراً): قوماً فاسدين. والبور في كلام العرب: لا شيء. يقال: أصبحت أعمالهم بوراً ومساكنهم قبوراً». وقال أبو عبيدة معمر في المجاز، ج 2 ص 217: «(وَكُنتُمْ قَوْماً بُوراً) هلكىٰ». وهو ما ذهب إليه مجاهد أيضاً فقد جاء في تفسيره ص 630: «يقول: كنتم قوماً هالكين» ويبدو لي أن هذا التأويل الأخير هو أقرب إلى أصل=

قال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَٰمَ اللهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا ﴾ أي: لن تخرجوا معنا ﴿ كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللهُ مِن قَبْلُ ﴾ لا تخرجوا. وإنما قال الله ذلك في براءة حيث قال: (فَإِنِ اسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِي عَدُوّاً) [التوبة: 83]. فذلك قوله عزّ وجل: (لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللهُ مِن قَبْلُ). ﴿ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ﴾ أي: إنما تمنعوننا من الخروج معكم للحسد. قال الله عز وجل: ﴿ بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ ﴾ عن الله ﴿ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ أي: إلا التوحيد الذي قِبَلهم[1].

وقال الكلبي: هم الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ إذ انطلق إلى الحديبية من الأعراب وغيرهم.

قوله عز وجل: ﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ والبأس القتال؛ أي: يدعوهم المسلمون بعد النبي عليه السلام. ﴿ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ﴾ أي: تقاتلونهم على الإسلام. قال الحسن: هم فارس. وهو تفسير مجاهد[2]. وقال بعضهم: هم أهل اليمامة. وقال بعضهم: هوازن.

قال تعالى: ﴿ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللهُ أَجْراً حَسَناً وَإِن تَتَوَلَّوْا ﴾ أي: عن القتال ﴿ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ ﴾ أي: عن محمد عليه السلام ﴿ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ قال الكلبي: يوم الحديبية.

وعذر الله عند ذلك أهل الزمانة فقال: ﴿ لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ ﴾ أن يتخلفوا عن الغزو. ﴿ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾ فصارت

= المعنى اللغوي للكلمة، فالبوار هو الهلاك؛ وانظر اللسان (بور).

(1) كذا في ع وق، وفي ز، ورقة 330: «قال الله: (بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ) عن الله، ثم استثنى المؤمنين فقال: (إِلَّا قَلِيلاً) فهم الذين يفقهون عن الله». وقيل معناه: «يعني لا يعلمون إلا أمر الدنيا». وقيل: «لا يفقهون من أمر الدين إلا قليلاً، وهو ترك القتال». وانظر تفسير القرطبي ج 16 ص 271.

(2) في تفسير مجاهد، ص 602-603: «هم فارس والروم». وفي الدر المنثور، ج 6 ص 73: «عن مجاهد قال. . . : أعراب فارس وأكراد العجم».

رخصة[1] لهم ألا يغزوا، فوضع عنهم الجهاد.

ذكر الحسن عن عائشة أنها سألت رسول الله ﷺ: هل على النساء جهاد؟ قال: نعم، جهاد لا قتال فيه: الحج والعمرة[2].

قال: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ نُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَـٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ ﴾ أي: عن الوفاء لله بما أقرّ به ﴿ نُعَذِّبْهُ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ أي: موجعاً.

قوله عز وجل: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ ذكروا عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كانت سمرة بايعناه تحتها. وكنا أربع عشرة مائة، وعمر آخذ بيده، فبايعناه كلنا غير جد بن قيس[3] اختبأ تحت إبط بعيره. [قال جابر: لم نبايع تحت شجرة إلا الشجرة التي بالحديبية][4].

قال تعالى: ﴿ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ أي أنهم صادقون ﴿ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ ﴾. تفسير الحسن: السكينة والوقار. وتفسير الكلبي: السكينة الطمأنينة. وتفسير مجاهد: هي من أمر الله كهيئة الريح. وقال بعضهم: ريح خجوج[5].

قال تعالى: ﴿ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً ﴾ يعني فتح خيبر.

قال تعالى: ﴿ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً ﴾ في نقمته ﴿ حَكِيماً ﴾ في أمره.

---

(1) في ق وع: «فصارت رحمة لهم. . .» وأثبت ما جاء في ز: «فهو أنسب».

(2) انظر الإشارة إليه فيما مضى، ج 1 ص 342.

(3) كذا في ق وع وز: «جد بن قيس، أو الجد بن قيس، بالألف واللام وبدونها كما جاء في الاستيعاب لابن عبد البر، والاشتقاق لابن دريد، وفي السيرة لابن هشام، وهو من بني سَلِمة، وقد تُكُلِّمَ فيه. وفيه نزل قوله تعالى: (وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائذَنْ لِّي وَلَا تَفْتِنِّي) [التوبة: 49]. وقيل إنه تاب وحسن إسلامه.

(4) زيادة من ز، ورقة 330.

(5) الخجوج: الريح الشديدة المرّ. وقيل: هي التي تلتوي في هبوبها، انظر اللسان (خجج)، ولا أرى لهذا المعنى الأخير وجهاً مناسباً هنا؛ والله أعلم.

قوله عزّ وجل: ﴿ وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا ﴾ أيها المؤمنون ﴿ فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ ﴾ أي: خيبر ﴿ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ ﴾ وهم أسد وغطفان إذ كانوا حِلْفاً وأهلَ خيبر. وكان الله وعد نبيّه خيبر، فأمر رسول الله ﷺ أن يوجّهوا راياتهم إذا أصبحوا إلى غطفان وأسد. فبلغهم ذلك. وألقى الله في قلوبهم الرعب، فهربوا من تحت ليلتهم، وهو قوله عزّ وجل: (وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ...) إلى آخر الآية. وهذا تفسير الكلبي.

وقال الحسن: (وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً): غنيمة خيبر، (وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا). أي: يأخذها المؤمنون إلى يوم القيامة في تفسير الحسن ومجاهد قال: (فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ) أي: غنيمة خيبر، (وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ). قال: (وَهُوَ الذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنَ اظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ)؛ وذلك أن أصحاب رسول الله ﷺ أخذوا قافلة من المشركين من أهل مكة، فأتوا بهم إلى رسول الله ﷺ فقال لهم رسول الله ﷺ: ألكم علينا عهد؟ قالوا: لا. قال: أليس دماؤكم حلالاً؟ قالوا: بلى، فتركهم[1]. وقال الحسن: (وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ) يعني مشركي أهل مكة.

قال تعالى: ﴿ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: ما صنع النبي عليه السلام من تركه القوم الذين ترك. ﴿ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطاً مُّسْتَقِيماً ﴾ أي: الإسلام، وهو الطريق المستقيم إلى الجنة.

قال: ﴿ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا ﴾ بعدُ ﴿ قَدْ أَحَاطَ اللهُ بِهَا ﴾ أي: علم أنكم ستظفرون بها وتفتحونها، يعني كل غنيمة يغنمها المسلمون إلى يوم القيامة. ﴿ وَكَانَ اللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً ﴾.

(1) كذا ورد هذا الخبر في هذا التفسير. ولم أجد فيما بين يدي من المصادر قصة هذه القافلة. والذي جاء في كتب التفسير والتاريخ في سبب نزول هذه الآية: (وَهُوَ الذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ) أن قريشاً أرسلت عدداً من المشركين ليأخذوا المسلمين على غِرّة، فأخذهم المسلمون أخذاً، فعفا عنهم رسول الله ﷺ. انظر سيرة ابن هشام، ج 3 ص 314، وتفسير الطبري ج 26 ص 94، والدر المنثور ج 6 ص 75، وأسباب النزول للواحدي ص 405. وقد روى الواحدي خبرين متشابهين في الموضوع عن أنس، وعن عبد الله بن مغفل المزني.

قال الله : ﴿ وَلَوْ قَـٰتَلَكُمُ الذِينَ كَفَرُوا ﴾ [في تلك الحال][1] ﴿ لَوَلَّوُا الأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لاَ يَجِدُونَ وَلِيّاً ﴾ يمنعهم من ذلك القتل الذي يقتلهم المؤمنون ﴿ وَلاَ نَصِيراً ﴾ ينتصر لهم.

قال: ﴿ سُنَّةَ اللهِ التِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي: بقتل من أظهر الشرك، إذ أمر النبي عليه السلام بالقتال. قال: ﴿ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً ﴾.

قال الله عزّ وجلّ: ﴿ وَهُوَ الذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾. قال الكلبي: كان هذا يوم الحديبية، وكان المشركون من أهل مكة قاتلوا نبي الله، وكان شيء من رمي من نبل وحجارة من الفريقين جميعاً، ثم هزم الله المشركين وهم ببطن مكة، فهزموا حتى دخلوا مكة، ثم كفّ الله بعضهم عن بعض. قال الله: ﴿ وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً ﴾.

قوله عز وجل: ﴿ هُمُ الذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ عن نافع عن ابن عمر قال: إن رسول الله ﷺ صدّه المشركون عن المسجد الحرام وأنا معه فنحر [ونحر أصحابه][1] الهدي بالحديبية.

قوله عز وجل: ﴿ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفاً ﴾ أي: محبوساً ﴿ أَن يَّبْلُغَ مَحِلَّهُ ﴾ أي لئلا يبلغ محلّه. قال: ﴿ وَلَوْلاَ رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَـٰتٌ ﴾ بمكة يدينون بالتقية ﴿ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ ﴾ فتقتلوهم ﴿ فَتُصِيبَكُمْ مِّنْهُمْ مَّعَرَّةٌ ﴾ أي: إثم ﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾. قال الله تعالى: ﴿ لِّيُدْخِلَ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَّشَاءُ ﴾ أي: في دينه الإسلام فيُسلمون، وقد فعل الله ذلك. قال الله: ﴿ لَوْ تَزَيَّلُوا ﴾ أي زال المسلمون من المشركين والمشركون من المسلمين فصار المشركون محضاً ﴿ لَعَذَّبْنَا الذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ أي: لسلطناكم عليهم فقتلتموهم.

قوله: ﴿ إِذْ جَعَلَ الذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَـٰهِلِيَّةِ ﴾ هم المشركون صدوا نبي الله يوم الحديبية عن المسجد الحرام، وحبس الهدي أن يبلغ

(1) زيادة من ز، ورقة 331.

محله، وإنما حملهم على ذلك حمية الجاهلية والتمسك بها. ﴿ فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ﴾ تفسير الكلبي: السكينة الطمأنينة، وتفسير الحسن: الوقار ﴿ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ ﴾ وهي كلمة الإخلاص لا إله إلا الله. ﴿ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾ أي وكانوا أهلها في الدنيا، وعليها الثواب مع الوفاء بالأعمال في الآخرة[1] ﴿ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴾.

قوله: ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّءْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ﴾. وكان رسول الله ﷺ رأى في المنام، في تفسير الكلبي: في مخرجه إلى الحديبية[2]، كأنه بمكة وأصحابه قد حلقوا وقصروا. فأخبر رسول الله ﷺ بذلك المؤمنين فاستبشروا وقالوا وحي. فلما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية ارتاب الناس فقالوا: رأى فلم يكن الذي رأى. فقال الله: (لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ ءَامِنِينَ). وكان رسول الله ﷺ صالح المشركين على أن يرجع عامه ذلك ويرجع من قابل فيقيم بمكة ثلاثة أيام، فنحر رسول الله ﷺ وأصحابه الهدي بالحديبية، وحلقوا وقصروا، ثم أدخله الله العام المقبل مكة وأصحابه آمنين فحلقوا وقصّروا.

وقال بعضهم: يوم فتح مكة. وقال الحسن: ليست برؤية المنام ولكنها رؤيا الوحي. وكان رسول الله ﷺ إذا أتاه جبريل بالوحي أخذته رعدة شديدة واحدة شبه النفاس، واحمرت وجنتاه، فشبه الله ذلك الذي كان يأخذه بالنوم[3].

ذكر هشام عن أبي يحيى بن أبي كثيرة عن أبيه إبراهيم[4] عن أبي سعيد

---

(1) كذا في ق و ع؛ وفي ز: «(وَكَانُوا بِهَا وَأَهْلَهَا) في الدنيا وعليها وقع الثواب في الآخرة».

(2) في ق و ع وفي ز أيضاً: «مخرجه إلى المدينة» وهو تصحيف ولا شك، صوابه «إلى الحديبية». ويذكر بعضهم أن الرؤيا كانت قبل خروجه إلى الحديبية. وجاء في تفسير مجاهد ص 603 ما يلي: «أري رسول الله ﷺ، وهو بالحديبية، أنه دخل مكة وأصحابه آمنين».

(3) كذا! وردت هذه العبارة في ق و ع وفيها اضطراب، ولست مطمئناً لبعض ألفاظها.

(4) في ق: «يحيى بن أبي كثيرة»، وفي ع: يحيى عن أبي كثيرة عن أبي إبراهيم»... ولم أجد =

الخدري أن رسول الله ﷺ وأصحابه حلقوا رؤوسهم يوم الحديبية إلا عثمان وأبا قتادة، فاستغفر رسول الله ﷺ للمحلقين ثلاثاً وللمقصّرين واحدة.

ذكروا عن نافع عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يغفر الله للمحلقين، يغفر الله للمحلقين. قالوا: والمقصرين، قال: وللمقصرين[1].

قوله عز وجل: ﴿ هُوَ الذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ ﴾ الإسلام ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللهِ شَهِيداً ﴾ تفسير الحسن: حتى يحكم على أهل الأديان.

ذكروا عن المقداد بن الأسود قال: قال رسول الله ﷺ: لا يبقى أهل بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله كلمة الإسلام، يعزّ عزيزاً ويذلّ ذليلاً، إما أن يعزّهم فيكونوا من أهلها، وإما أن يذلّهم فيدينوا لها[2].

وتفسير ابن عباس: حتى يظهر النبي عليه السلام على الدين كله، أي: على شرائع الدين كلها؛ فلم يقبض رسول الله ﷺ حتى أتم الله ذلك.

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد. وأنا أولى الناس بعيسى لأنه ليس بيني وبينه نبي. وإنه نازل لا محالة، فإذا رأيتموه فاعرفوه، فإنه مربوع الخلق، بين ممصرتين، إلى الحمرة والبياض، سبط الرأس، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيدق الصليب ويقتل الخنزير، ويقاتل الناس على الإسلام فيهلك الله في زمانه الملل كلها غير الإسلام حتى تقع الأمانة في

= فيما بين يدي من كتب التراجم هذا السند حتى أحققه.

(1) حديث متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب الحلق والتقصير عند الإحلال عن ابن عمر بلفظ: «اللهم ارحم المحلقين...» وأخرجه من حديث أبي هريرة بلفظ: «اللهم اغفر للمحلقين...». وأخرجه مسلم في كتاب الحج، باب تفضيل الحلق على التقصير وجواز التقصير عن ابن عمر وعن أبي هريرة (رقم 1301-1302).

(2) انظر الإشارة إليه فيما مضى، ج 2 ص 128.

الأرض، وحتى ترتع الأسد مع الإبل، والنمور مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الغلمان بالحيات لا يضر بعضهم بعضاً[1].

ذكروا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى ينزل عيسى بن مريم فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب حتى يكون الدين واحداً[2].

ذكروا عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال: لا تقوم الساعة حتى ينزل عيسى بن مريم من قبل المغرب مصدقاً بمحمد وعلى ملته[3].

قوله عز وجل: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [يعني متوادّين][4] ﴿تَرَيٰهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً﴾ يعني يقيمون الصلوات الخمس ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللهِ وَرِضْوٰناً﴾ أي: بالصلاة والصوم والدين كله ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّن أَثَرِ السُّجُودِ﴾ قال بعضهم: يعرف الخشوع في وجوههم من أثر الصلاة. وقال بعضهم: (سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ): في الآخرة يقومون غُرّاً محجّلين من أثر الوضوء.

ذكروا عن أبي هريرة قال: يا رسول الله، كيف تعرف أمتك؟ قال: يقومون غُرّاً محجّلين من أثر الوضوء[5].

قال: ﴿ذٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَىٰةِ﴾ أي: نعتهم في التوراة ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي

(1) حديث صحيح أخرجه مسلم في صحيحه مختصراً في باب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام (رقم 2365). وانظر الإشارة إليه فيما سلف، ج 2 ص128، وج 1 ص 436.
(2) انظر ما سلف، ج 2 ص 127.
(3) أحاديث نزول عيسى بن مريم في آخر الزمان صحيحة أخرج منها الشيخان وأصحاب السنن، ولكني لم أجد من بينها حديثاً بهذا اللفظ. فيما بحثت من كتب التفسير والسنة.
(4) زيادة من ز، ورقة 332.
(5) حديث صحيح أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء عن أبي هريرة (رقم 246) بألفاظ متشابهة، وانظر ابن الحنبلي، كتاب أقيسة المصطفى محمد ﷺ ص 160 (رقم 129).

الإِنْجِيلِ ﴾ أي: ونعتهم في الإنجيل؛ النعت الأول في التوراة، والنعت الآخر في الإنجيل ﴿ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ ﴾ أي: فراخه ﴿فَئَازَرَهُ﴾ أي فشدّه[1] ﴿ فَاسْتَغْلَظَ ﴾ أي: فاشتد، ﴿ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ ﴾ أي: على قصبه، وقال بعضهم: على أصوله ﴿ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ ﴾ أي: كثرته وكمامه ونباته. ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾ أي يخرجون فيكونون قليلاً كالزرع حين يخرج ضعيفاً فيكثرون ويقوون فشبههم بالزرع؛ قال: يعجب الزراع بهم؛ يعجبون رسول الله كما يعجب ذلك الزرع الزراع ليغيظ بهم الكفار، أي ليغيظ بهم ربهم من كفر به؛ إنما يفعل ذلك بهم ليغيظ بهم الكفار. ﴿ وَعَدَ اللهُ الذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً ﴾ أي مغفرة الذنوب ﴿ وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ [يعني الجنة][2].

(1) في تفسير مجاهد ص 604: «فشده وأعانه». وفي مجاز أبي عبيدة: «(فآزَرَهُ) ساواه، صار مثل الأم».

(2) زيادة من ز، ورقة332.

تفسير سورة الحجرات، وهي مدنية كلها.

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَـٰأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾.

ذكروا عن الحسن أن قوماً ذبحوا قبل أن يضحي النبي ﷺ يوم النحر، فلم يُجز لهم ذلك، فأمر النبي عليه السلام أن يعيدوا ذبحاً آخر. فأنزل الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ).

ذكروا عن الحسن قال: من ذبح قبل الصلاة فليعد ذبحاً آخر.

ذكروا عن البراء بن عازب أن خاله ضحى لابن له قبل أن يصلي النبي عليه السلام، فقال النبي عليه السلام: إنها لا تجزي لأحد بعدك[1].

ذكروا عن محمد بن سيرين أنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن هذا اليوم النُّسُوك فيه بعد الصلاة، يعني يوم النحر[2].

---

(1) في الحديث سقط من أوله، وهو حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود عن البراء بن عازب، أخرجه البخاري في كتاب العيدين، باب الأكل يوم النحر، وأخرجه مسلم في كتاب الأضاحي، باب وقتها (رقم 1961) ولفظه: «عن البراء بن عازب أن خاله أبا بردة بنَ نِيَار ذبح قبل أن يذبح النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن هذا يوم اللحم فيه مكروه، وإني عجلت نسيكتي لأطعم أهلي وجيراني وأهل داري. فقال رسول الله ﷺ: أعد نسكاً. فقال: يا رسول الله، إن عندي عناق لبن هي خير من شاتي لحم، فقال هي خير نسيكتيك، ولا تجزي جذعة عن أحد بعدك». وانظر ابن الأثير، جامع الأصول، ج 4 ص 142-143.

(2) لم أجده بهذا اللفظ ولكنه ثبت في الصحاح بألفاظ قريبة منه؛ منها ما رواه مسلم في الأضاحي،=

وبعضهم يقول: (لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ)، أي: في الأمر.

وتفسير مجاهد: (لَا تُقَدِّمُوا) أي: لا تفتاتوا على الله ورسوله شيئاً حتى يقضيه الله على لسانه.

قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾. تفسير الحسن أن أناساً من المنافقين كانوا يأتون النبي عليه السلام فيرفعون أصواتهم فوق صوته، يريدون بذلك أذاه والاستخفاف به. قال الحسن: نسبهم إلى ما أعطوه من الإيمان في الظاهر وما أقروا به من الفرائض فقال: (يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا)؛ وقد كان من المؤمنين من يرفع صوته فوق صوت النبي فلا ينهاه النبي عليه السلام عن ذلك، وإنما عنى بذلك المنافقين الذين يريدون أذاه والاستخفاف به.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ أي: لا تقولوا له: يا محمد، وقولوا يا رسول الله ويا نبي الله.

وقال مجاهد: لا تنادوه بذلك، ولكن قولوا له قولاً ليّناً سهلاً: يا رسول الله.

ثم قال: ﴿إِنَّ الذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ﴾ [يعظّمونه بذلك فلا يرفعونها عنده][1]. ﴿أُولَئِكَ الذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ أي: لذنوبهم ﴿وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ أي: ثواب عظيم، أي: الجنة[2].

وبلغنا أن ثابت بن قيس كان في أذنيه ثقل، وكان يرفع صوته عند رسوله ﷺ، فقال له رجل من قومه: إني لأراك تعيب على أصحابك من القول، وتأتي أسوأ ما يأتون. فقال له ثابت: وما ذلك؟ قال: ترفع فوق صوت النبي عليه السلام وتجهر له بالقول.

= باب وقتها (رقم 1961) بلفظ: «من صلى صلاتنا، ووجه قبلتنا، ونسك نسُكنا، فلا يذبح حتى يصلي» وبلفظ آخر: «إن أول ما نبدأ به في يومنا هذا نصلي ثم نرجع فننحر، فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا، ومن ذبح فإنما هو لحم قدمه لأهله، ليس من النسك في شيء».

(1) زيادة من ز، ورقة 332.

(2) قال الفراء في المعاني ج 3 ص 70: «(أُولَئِكَ الذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى) أخلصها للتقوى كما يمتحن الذهب بالنار، فيخرج جيّده، ويسقط خبثه».

فقال ثابت: يا رسول الله، أفيَّ نزلت؟ قال: نعم[1]. وهذا تفسير الكلبي: فقال ثابت: أما والذي أنزل عليك الكتاب لا أكلمك أبداً إلا سرّاً أو شبهه؟ فنزل عند ذلك (إِنَّ الذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ. . .) الآية. فصار هذا أدباً من آداب الله أدّب به المؤمنين.

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ الذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ تفسير الكلبي أن ناساً من العرب [من بني العنبر][2] كان رسول الله ﷺ وأصحابه قد أصابوا من ذراريهم فأقبلوا ليفادوهم. فقدموا المدينة ظهراً، فإذا هم بذراريهم عند باب المسجد، فبكى إليهم ذراريهم، فنهضوا، فدخلوا المسجد وعجلوا أن يخرج إليهم النبي عليه السلام، فجعلوا يقولون: يا محمد، اخرج إلينا.

وتفسير عمرو عن الحسن قال: كان الذين ينادونه خلف الحجرات، يا محمد، يا محمد، منافقين.

ذكر الحسن قال: جاء شاعر فنادى رسول الله ﷺ فخرج إليه. فقال له النبي ﷺ: ويحك، ويلك، مالك؟ فقال: قلت لي ويحك، ويلك، فوالله إن حمدي لَزَيْن، وإن شتمي لَشَيْن. فقال رسول الله ﷺ: سبحان الله، ذلك الله، سبحان الله، ذلك الله[3].

---

(1) كذا في ق و ع: «نعم». وكأن ظاهر الحديث يوحي بأن الآية نزلت في ثابت خاصة. والحق أن ثابت بن قيس بن شماس كان ظن أن عمله كان قد حبط لأنه كان جهير الصوت فطمأنه الرسول ﷺ بقوله: «لست منهم، بل تعيش بخير وتموت بخير». اقرأ قصة ثابت بن قيس حين أغلق بابه على نفسه وطفق يبكي. . . في الدر المنثور ج 6 ص 85 من رواية عطاء الخراساني. وانظر تفسير الطبري ج 26 ص 118-119؛ وفيه: «فقال ثابت: يا نبي الله أخشى أن أكون قد رفعت صوتي وجهرت لك بالقول، وأن أكون قد حبط عملي وأنا لا أشعر. فقال النبي ﷺ: امش على الأرض نشيطاً فإنك من أهل الجنة. واقرأ ترجمة ثابت بن قيس في سير أعلام النبلاء للذهبي، ج 1 ص 224-227.

(2) زيادة من ز.

(3) انظر تفسير الطبري، ج 26 ص 121-122. وانظر الواحدي، أسباب النزول ص 408-412 ففيه =

قال عز وجل: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ ﴾ أي: تدفع إليهم ذراريهم بغير فداء ﴿ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

قوله عز وجل: ﴿يَـٰأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾ وهي تقرأ على وجه آخر: فتثبتوا. والتبيين والتثبيت بمعنى واحد. ﴿ أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴾.

تفسير الحسن أن الوليد بن عقبة جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن بني المصطلِق ارتدوا عن الإسلام ومنعوا الصدقة. فبعث إليهم رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فقال: انطلق وكن قريباً من القوم، ثم انظر هل لهم تهجد من الليل وأذان أو صلاة، تحسس من ذلك وانظر. فأتاهم خالد وأصحابه، ونزلوا قريباً من القوم ليلاً، فسمعوا تهجداً وصلاة من الليل، ثم سمعوا أذاناً لصلاة الصبح. فأتاهم فأخبرهم أن فاسقاً سعى إلى رسول الله ﷺ، وهو الوليد بن عقبة، فأخبره أنكم ارتددتم عن الإسلام، ومنعتم الصدقة. فبعثني رسول الله ﷺ وأمرني أن أكون قريباً وأتحسس وأنظر هل نسمع تهجداً أو صلاة أو أذاناً. فرحمكم الله وأصلحكم. فدعا لهم وودَّعهم. ثم أتى رسول الله ﷺ، فأخبره بذلك؛ فأنزل الله هذه الآية. فأمر النبي ﷺ أن يتبيّنوا ويتثبّتوا ألا يصيبوا أحداً بجهالة.

وقال الكلبي: بلغنا أن رسول الله ﷺ بعث الوليد بن عقبة إلى بني المصطلِق، وهم حي من خزاعة، ليأخذ منهم صدقاتهم، ففرحوا بذلك وركبوا يتلقونه. فبلغه أنهم قد ركبوا يتلقّونه. وكان بينهم ضغن في الجاهلية. فخاف الوليد أن يكونوا إنما ركبوا ليقتلوه. فرجع إلى رسول الله ﷺ ولم يلقهم. فقال: يا رسول الله، إن بني المصطلِق منعوا زكاتهم وكفروا بعد إسلامهم. فبينما رسول الله ﷺ يهمّ أن يغزوهم إذ أتاه وفد من بني المصطلِق فقالوا: يا رسول الله، بلغنا أنك أرسلت إلينا من يأخذ صدقاتنا

= قصة المفاخرة التي كانت بين شعراء بني تميم من جهة، وبين خطيب رسول الله ﷺ ثابت بن قيس بن شماس وشاعره حسان بن ثابت من جهة أخرى.

ففرحنا بذلك. وركبنا نتلقاه. فبلغناه أنه رجع، وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله. فأنزل الله عذرهم في هذه الآية. فقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا)، يعني الوليد بن عقبة. وفسقه هذا فسق نفاق لا فسق شرك[1].

قوله عز وجل: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ ﴾ تفسير الحسن: إنه معكم مقيم، فلا تضلون ما قبلتم عنه. ﴿ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ ﴾ أي: في دينكم. والعنت الحرج والضيق. ﴿ وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ أي: بما وعدكم عليه من الثواب وكريم المآب. ﴿ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ﴾ أي: المعاصي، أي بما أوعد عليها من العذاب. قال تعالى: ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ أي: الذين حبّب إليهم الإيمان فأحبّوه لِتَحْبيب اللهِ ذلك إليهم... إلى آخر الآية.

قال عز من قائل: ﴿ فَضْلاً مِّنَ اللهِ وَنِعْمَةً ﴾ أي: بفضل من الله ونعمته فعل ذلك بهم. ﴿ وَاللهُ عَلِيمٌ ﴾ أي: بخلقه ﴿ حَكِيمٌ ﴾ أي: في أمره.

قوله: ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتِ إِحْدَيٰهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا التِي تَبْغِى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ ﴾.

تفسير الحسن قال: كان بين رجل من المسلمين ورجل من المنافقين خصومة فدعاه المسلم إلى رسول الله ﷺ، ودعاه المنافق إلى[2] بني فلان، فتعزز المنافق ببني فلان وبقومه من المشركين، وتعزز المسلم بالمسلمين، فتدافعا بينهما حتى صارا إلى

---

(1) انظر الواحدي. أسباب النزول ص 412-414. وانظر تفسير الطبري ج 26 ص 123-124 وقد أورد فيه خبر الوليد بن عقبة مختصراً من رواية قتادة، وفي آخره: «وكان نبي الله يقول: التبين من الله، والعجلة من الشيطان». وانظر بعثة الوليد بن عقبة إلى بني المصطلق في مغازي الواقدي، ج 3، ص 280-281. وانظر كذلك في سبب نزول الآية السيوطي أسباب النزول في تفسير الآية.

(2) كذا في ق: «ودعاه المنافق إلى بني فلان» وفي ع «ودعاه المنافق إلى فتن بني فلان» كذا، ولم أوفق لتصحيح هذه الكلمة. ولعل صوابه: إلى وثن بني فلان.

العصا[1] فأنزل الله: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُومِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا. . .﴾ إلى آخر الآية. وقال الحسن سمى المنافق [مؤمناً][2] بالإسلام الذي أقرّ به وادعاه، أي من الإيمان.

قال: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ أي: ردوهما إلى الحكومة، أي بما في كتابهم الذي ادعوه وأقروا به. ﴿فَإِنْ بَغَتِ احْدَيٰهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ﴾ أي: فلم تقبل الحكومة من الكتاب والسنة التي[3] أقروا بهما وادعوهما ﴿فَقَاتِلُوا التِي تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللهِ﴾، أي إلى حكم الله الذي حكم بينهم والذي يلزمهم إقرارهم به وادعاؤهم إياه. ﴿فَقَاتِلُوا الي تَبْغِى حَتَّى تَفِيء إِلَىٰ أَمْرِ اللهِ﴾ الذي بتركه كفروا وضلوا.

قال: ﴿فَإِنْ فَاءَتْ﴾ أي: فإن رجعت إلى الذي تركت من حكم الله الذي أقرّت به وادّعته ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ﴾ أي: بالحق ﴿وَأَقْسِطُوا﴾ أي: واعدلوا في حكمكم، أي فيمن تحكمون عليه ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ﴾ أي يثيب ﴿الْمُقْسِطِينَ﴾ أي العادلين.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ﴾ أي: يخوفهم نقمته أي: في العدل في حكمه وفيمن يحكمون عليه ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أي: لكي ترحموا إذا اتقيتم الله وعدلتم في الحكومة بين خلقه. فرد المنافق في الحكومة إلى حكم كتابه الذي أقر به، وسمّاه أخاه المسلم[4] لما أقر به من الإسلام والإيمان الذي آخى الله بين أهله به، وليس بأخيه في الولاية عند الله ولا في المحبة[5].

وتفسير مجاهد: إن الطائفتين الأوس والخزرج اقتتلوا بالعصي.

---

(1) كذا في ق: «إلى العصا» وهو الصحيح، وفي ع «إلى القضاء».

(2) ورد قول الحسن هذا مضطرباً ناقصاً فأثبت ما يناسب المعنى وما يقتضيه التعبير الصحيح؛ فقد جاء في ع هكذا: «سبب المنافق بالإسلام الذي قر به وادعى أي من الإيمان» وجاء في ق: «سبب المنافق بالاسم الذي أقر به وادعاه أي من الإيمان».

(3) كذا في ع «التي»، والصواب اللذين، على ما في العبارة من فساد. وفي ق جاءت العبارة فاسدة هكذا: «علم لا يقبل الحكومة من الكتاب والسنة التي أقروا بها وادعوها».

(4) كذا في ق و ع: «أخاه المسلم»، والصواب أن يكون: أخاه المؤمن، كما سماهم في الآية.

(5) هذه الجملة الأخيرة من زيادة الشيخ هود الهواري.

ذكروا أن رسول الله ﷺ ضرب مثل المؤمنين كالجسد إذا شكا بعضه تداعى سائره.

ذكروا عن مجاهد عن كعب القرظي قال: قال رسول الله ﷺ: إنما المؤمن من أخيه مثل اليدين لا غنى بإحداهما عن الأخرى[1].

وقال الكلبي: بلغنا أن رسول الله ﷺ أقبل على حمار حتى وقف على مجلس من مجالس الأنصار، فكره بعض القوم موقفه، وهو عبد الله بن أبي بن أبي سلول، فقال له: خلّ لنا سبيل الريح من نتن هذا الحمار، وأمسك بأنفه. ومضى رسول الله ﷺ. وغضب له بعض القوم، وهو عبد الله بن رواحة. فقال: ألِرسول الله قلت هذا القول، فوالله لحماره أطيب منك ريحاً. فاستبَّا، ثم اقتتلا، واقتتلت عشائرهما. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأقبل يصلح بينهما؛ فكأنهم كرهوا ذلك، فأنزل الله: (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُومِنِينَ اقْتَتَلُوا. . .) إلى آخر الآية.

قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ ﴾ أي: لا يستهزىء قوم بقوم، أي: رجال برجال ﴿ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسِكُمْ ﴾ أي: إخوانكم، أي لا يلمز بعضكم بعضاً، أي: لا يستقبل الرجل أخاه بوجه، فيعمد[2] له بوجه. وقال مجاهد: أي: لا يطاعنوا، أي: لا يطعن بعضكم بعضاً.

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: شر الناس ذو الوجهين، الذي يلقى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه[3].

(1) لم أجده فيما بين يدي من مصادر الحديث. ولم يورده ابن الحنبلي في كتابه أقيسة النبي المصطفى ﷺ.

(2) كذا في ق: «فيعمد»، وفي ع «فيعتل» وأنا غير مطمئن للكلمتين معاً، وإن كان المعنى العام واضحاً يفسّره الحديث التالي.

(3) حديث صحيح أخرجه مالك في الموطأ، وأخرجه البخاري في الأدب، باب ما ينهى عن السباب واللعن. وأخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب ذم الوجهين وتحريم فعله (رقم 2526) كلهم يرويه من حديث أبي هريرة.

قال: ﴿ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَـٰبِ ﴾. ذكر الحسن قال: لا يقول الرجل لرجل قد كان يهودياً أو نصرانياً فأسلم: يا يهودي، ولا يا نصراني، يدعوه باسمه الأول، فنهى الله المؤمنين عن ذلك.

قال تعالى: ﴿ بِيسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ ﴾ أي بيس الإسم اليهودية والنصرانية بعد الإيمان.

وقال مجاهد: لا يُدْعى الرجل بالكفر وهو مسلم. قال الحسن في تفسيرها: لا تقل لأخيك: يا فاسق.

ذكروا أن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: لعن المؤمن كقتله، والشهادة عليه بالكفر كقتله[1].

ذكروا عن العلاء بن زياد قال: ما يضرك أشهدت على مؤمن بالكفر أم قتلته.

ذكروا عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: ما من مسلمين إلا وبينهما من الله ستر. فإن قال أحدهما كلمة هُجْر فقد خرق ستر الله، فإن قال أحدهما لصاحبه: يا كافر، فقد وقع الكفر على أحدهما[2].

ذكروا عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء به أحدهما[3].

ذكروا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الرجل يقول للرجل: يا فاسق، يا فاجر، يا خبيث، قال فواحش تجر[4] عقوبة، ولا تعودوا لمثلهن فتُعَوَّدوهن.

---

(1) حديث صحيح أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب ما ينهى عن السباب واللعن عن ثابت بن الضحاك، وأخرجه الطبراني عن عمران بن حصين.

(2) أخرجه البيهقي عن عبد الله مرفوعاً، وليس فيه الجملة الأخيرة.

(3) حديث صحيح متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من كفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال من طريقين عن أبي هريرة وعن ابن عمر. وأخرجه مسلم من طريقين عن ابن عمر في كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر (رقم 60).

(4) في ق و ع: «قهر» (كذا) وفيها تصحيف، وصواب الكلمة ما أثبته إن شاء الله: «تجر».

قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّـٰلِمُونَ﴾ أي: ظلم نفاق، وليس ظلم شرك؛ وهو ظلم دون ظلم، وظلم فوق ظلم.

وقال الكلبي: (لَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ) أي: لا يطعن بعضكم بعضاً.

قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ﴾ تفسير الحسن: إذا ظننت بأخيك المسلم ظناً حسناً فأنت مأجور، وإذا ظننت به ظنّ سوء فأنت آثم.

ذكروا عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: إياكم والظن فإنه أكذب الحديث، ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً[1]. قوله: (وَلَا تَجَسَّسُوا) أي: لا يتبع الرجل عورة أخيه المسلم.

ذكروا أن رسول الله ﷺ خرج يوماً فنادى بصوت أسمع العواتق في الخدور: يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن قلبه، لا تؤذوا المؤمنين، ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورة أخي المسلم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته[2].

ذكروا أن رجلاً قال لعمر بن الخطاب: إن فلاناً يشرب الخمر. قال: إذا رأيته قد قعد عليها فآذني. فأتاه يوماً فأخبره. فانطلق عمر إلى الرجل؛ قال فوافق الرجل قد جمع القلل. فلما رأى عمرَ واراها. فقال له عمر: يا فلان، أنت بهذا؟ فقال له الرجل: وأنت بهذا؟ أمرك الله أن تجسسني؟ فخرج عمر وتركه[3].

(1) حديث صحيح متفق عليه، أخرجه الربيع بن حبيب في صحيحه في جامع الآداب (رقم 698) وأخرجه مالك في الموطأ في كتاب الجامع، ما جاء في المهاجرة، وأخرجه البخاري في الأدب، باب يا أيها الذين ءامنوا اجتنبوا كثيراً من الظن، وأخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها (رقم 2563) كلهم يرويه عن أبي هريرة.

(2) حديث حسن رواه الترمذي في أبواب البر والصلة، باب ما جاء في تعظيم المؤمن عن ابن عمر بلفظ: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه» وزاد الترمذي: «وقد روي عن ابن برزة الأسلمي عن النبي ﷺ نحو هذا».

(3) انظر هذا الخبر مفصلاً وآخر مثله في الدر المنثور ج 6 ص 93، ففيهما من فقه عمر وسيرته موعظة وذكرى.

ذكروا عن محمد بن سيرين أن سلمان جاء ومعه حذيفة وأبو قرة[1] رجل من أصحاب النبي عليه السلام إلى منزله ليدخلهم. فاستفتح الباب. فجاءت جارية فنظرت ثم ذهبت، ثم رجعت ففتحت الباب فقالت: ادخلوا، فقالا: أعهد من رسول الله ﷺ فقال: أو هو خير من التجسس[2].

ذكروا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بلغه أن رجلاً شرب الشراب فكتب إليه: من عبدالله عمر أمير المؤمنين إلى فلان بن فلان: (حمٓ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ) [غافر: 1-3]. فلما جاءه الكتاب جعل يقرأ ويتفكر فيه حتى بكى. فبلغ ذلك عمر فقال: هكذا فاصنعوا؛ إذا رأيتم بأخ لكم عثرة فسدِّدوه.

قوله: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ﴾.

ذكروا أن رسول الله ﷺ كان في حديث الإسراء أتى على قوم يقطع من لحومهم فيجوزونها بدمائهم فيمضغونها، ولهم خوار. قال: فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: هؤلاء الهمّازون اللّمازون؛ ثم تلا هذه الآية: (أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ) أي: بعد ما يموت. فقالوا: لا والله يا رسول الله ما نستطيع أكله ولا نحبه. قال رسول الله ﷺ: فاكرهوا الغيبة[3] قال مجاهد: قالوا نكره ذلك. قال: فاتقوا الله [في الغيبة][4].

ذكروا عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: إذا ذكرت أخاك بما فيه فقد

---

(1) كذا ورد ذكر هذا الصحابي بكنيته ورسم هكذا في ع: «أبو أقرة»، وفي ق بياض. ولم أوفق لتحقيق اسم هذا الصحابي، فهل هو أبو فروة حدير الأسلمي، وقد ترجم له ابن عبد البر في الاستيعاب وغيره، ولم أجد هذا الخبر في بعض كتب التفسير والحديث.

(2) كذا في ق، وفي ع: «فقالا: أعهد من رسول الله ﷺ أو هو خير من التحسس».

(3) لم أجده بهذا اللفظ وإن ورد بمعناه.

(4) زيادة من تفسير مجاهد، ص 608.

اغتبته، وإذا ذكرته بما ليس فيه فقد بهته[1].

ذكروا أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن الغيبة فقال: أن تذكره بما فيه. فقال الرجل: إنما أحسب الغيبة أن يذكر بما ليس فيه قال: ذلك البهتان.

ذكروا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: الغيبة أن تذكر أخاك بسوء شيء تعلمه فيه.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: خياركم الذين إذا رُؤُوا ذُكِـر الله، وشراركم المشاءون بالنميمة[2].

ذكروا عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: أتدرون ما العضه[3]. قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: حمل الحديث من بعض إلى بعض ليستفسدوا بينهم[4].

ذكروا عن الحسن أن رجلاً قال: يا أبا سعيد، الرجل لا يعرف المال، ثم يرى بعدُ في يده المال، فيقول رجل: من أين لفلان هذا المال؟ قال: إن علم أنه يكره ذلك فلا يقوله.

وقال بعضهم: كانوا لا يرون الغيبة إلا أن يسمى صاحبها.

قال عز وجل: ﴿وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ والتوبة من قبل الله. قال تعالى: (ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) [التوبة: 118].

---

(1) حديث صحيح أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الغيبة، عن أبي هريرة (رقم 589)، وأخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب في الغيبة (رقم 4874)، كما أخرجه الترمذي وابن جرير الطبري وغيرهم.

(2) لم أجده بهذا اللفظ فيما بين يدي من المصادر.

(3) العَضه: القالة القبيحة، وهي الإفك والبهتان والنميمة. ورويت الكلمة في بعض كتب الحديث واللغة بالتاء: العضة. انظر اللسان (عضه).

(4) حديث صحيح. أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم النميمة (رقم 2606) بلفظ: ألا أنبئكم ما العضه؟ هي النميمة، القالة بين الناس». وأخرجه الدارمي والبيهقي كلهم يروونه من طريق أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ.

قوله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾. تفسير الحسن: الشعوب بنو الأب، والقبائل فوق ذلك. وربما اتفق الاسمان واختلفت القبيلتان فعرف الرجل.

وتفسير مجاهد: الشعوب: النسب البعيد، والقبائل دون ذلك.

(لِتَعَارَفُوا) أي: إن فلاناً ابن فلان من كذا وكذا. وتفسير الكلبي: القبائل المرتفعة الناس: تميم، وبكر، وأسد، وقيس؛ والقبائل دون ذلك، نحو نهشل وبني عبد الله بن حازم، ونحو ذلك. (لِتَعَارَفُوا): أي بالشعوب والقبائل.

وبعضهم يقول: الشعوب: الأجناس، والقبائل قبائل العرب.

قال تعالى: (لِتَعَارَفُوا). ثم انقطع الكلام، ثم قال: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾.

ذكروا عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: الكرم التقوى والحسب المال[1].

ذكر الحسن أن أبا ذر كان بينه وبين رجل كلام، قال: وكانت له أمٌّ إذا ذكرت لم يشاتم، فذكرها أبو ذر، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: يا أبا ذر، أعبت فلاناً بأمه، انظر إلى من حولك من أبيض وأحمر وأسود، فما لك على أحد منهم فضل إلا أن تفضله بتقوى الله.

قوله عز وجل: ﴿ قَالَتِ الأَعْرَابُ ءَامَنَّا ﴾ يعني المنافقين من الأعراب. قال مجاهد: أعراب بني أسد بن خزيمة. قال الله عز وجل: ﴿ قُل ﴾ يا محمد ﴿ لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ أي: أقررنا.

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ أي: الإيمان بما أقررتم به

---

(1) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، سورة الحجرات عن سمرة بن جندب، وقال الترمذي: حديث حسن غريب صحيح. وأخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب الورع والتقوى (رقم 4219).

من الأعمال التي لا يكون الإيمان إلا بها. أي: إن الإيمان قول وعمل. فلا يكونون مؤمنين حتى يستكملوها.

قال: ﴿ وَإِنْ تُطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ ﴾ أي في كل ما تعبدكم به، أي من قول وعمل فتستكملوا فرائضه في القول والعمل ﴿ لَا يَلِتْكُم ﴾ أي لا ينقصكم[1] ﴿ مِّنْ أَعْمَـٰلِكُمْ ﴾ التي هي إيمان وإسلام ﴿ شَيْئاً إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ﴾ أي الذين صدقوا الله وصدقوا رسوله في كل ما تعبدهم به من قول وعمل ﴿ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾ أي: لم يشكّوا ﴿ وَجَـٰهَدُوا بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَـٰئِكَ ﴾ أي: الذين هذه صفتهم ﴿ هُمُ الصَّـٰدِقُونَ ﴾ أي: المستكملو فرائض الله، الموفون بها، فهم المؤمنون؛ أي: ليسوا كالمنافقين الذين أقروا بالله بألسنتهم وخالفوا النبي والمؤمنين في أعمالهم.

قوله عز وجل: ﴿ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللهَ بِدِينِكُمْ ﴾ أي إن دينكم الذين عليه عقدكم[2] ترك الوفاء والتضييع والخيانة. قال تعالى: ﴿ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

قوله عز وجل: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَـٰمَكُمْ بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَـٰنِ ﴾ أي بأن هداكم للإيمان ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ أي: إن كنتم مؤمنين. أي: إنكم لستم بصادقين ولستم بمؤمنين حتى تستكملوا القول

---

(1) قال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 221: «(لَا يَأْلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً) أي لا ينقصكم. لا يحبس وهو من ألت يألت، وقوم يقولون: لات يليت...» وقال الفراء في المعاني ج 3: (لا يلتكم) لا ينقصكم، ولا يظلمكم من أعمالكم شيئاً وهي من لات يليت، والقراء مجمعون عليها. وقد قرأ بعضهم: (لا يألتكم)، ولست أشتهيها، لأنها بغير ألف كتبت في المصاحف...». انظر في معاني الفراء ج 3 ص 74 تفصيلاً لوجه ترجيح أصل الكلمة، وكأنه ردٌّ صريح على أبي عبيدة. والحق أن حجة الفراء أبلغ في الموضوع، وإن لم يكن على قراءة الكلمة إجماع كما قال، فقد قرأ أبو عمرو والحسن وبعضهم: (يألتكم) وانظر الداني، كتاب التيسير، ص 202، وانظر ابن خالويه، الحجة، ص 304.

(2) كذا في ق و ع: «عقدكم».

والعمل جميعاً. كقوله عز وجل: (يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا) أي: أقروا ولم يعملوا (اتَّقُوا الله) أي: اخشوا الله (وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) أي: أهل الوفاء والاستكمال لفرائض الله الذين صدقوا بالقول والعمل، وهم المؤمنون أهل الصدق والوفاء[1].

وقال الكلبي: هم المنافقون، وكانوا يكثرون على رسول الله ﷺ كل يوم ويقولون: أتيناك يا رسول الله بالذراري والأموال مسلمين، وإنما يأتيك من يأتيك على رحالهم، فلنا عليك حق بإسلامنا وإقبالنا عليك بالذراري، وأكثروا في ذلك وقال تعالى: (قُل لاَّ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلاَمَكُمْ بَلِ الله يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ). كانوا يحلفون بالله إنهم لمؤمنون وليسوا بمؤمنين. قال الكلبي: وهي متصلة بالقصة الأولى؛ قالت الأعراب آمناً... إلى قوله: (قُل أَتُعَلِّمُونَ الله بِدِينِكُمْ).

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ الله يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضِ ﴾ كقوله: (يخرج الخبء في السَّمٰوَاتِ والأرض) [الشعراء: 25] أي: يعلم السر في السماوات والأرض. ﴿ وَالله بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾.

(1) كذا في ق و ع، وهو من تأويل الشيخ هود ولا شك. فقد جاء في ز، ورقة 334 ما يلي: «قال الحسن: هم مؤمنون وليسوا بمنافقين، ولكنهم كانوا يقولون لرسول الله: أسلمنا قبل أن يسلم بنو فلان، وقاتلنا معك قبل أن يقاتل بنو فلان. فأنزل الله: (بَلِ الله يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيٰكُمْ لِلإِيمَانِ)».

تفسير سورة قٓ، وهي مكية كلها.

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله عز وجل: ﴿ قٓ ﴾. ذكروا عن عكرمة أنه قال: هو اسم من أسماء الله. وكان الحسن يقول: ما أدري ما تفسير قٓ، وطٰسٓمٓ، وحمٓ، وكٓهيعٓصٓ وأشباه ذلك؛ غير أن قوماً من السلف كانوا يقولون: أسماء السور ومفاتيحها.

وذكر بعضهم في طٰسٓمٓ وحمٓ قال: أسماء من أسماء الكتاب. وبعضهم يقول في قٓ: جبل محيط بالدنيا. وبعضهم يجر قافِ.

﴿وَالْقُرْءانِ الْمَجِيدِ﴾ يحمله على القسم. ومعنى المجيد الكريم على الله. ومن جزم جعل القسم من وراء القرآن المجيد[1].

وتفسير الحسن أن القسم وقع على تعجب المشركين مما جاء به محمد ﷺ.

قال: ﴿ بَلْ عَجِبُوا ﴾ أي لقد عجب المشركون ﴿ أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ ﴾ أي: محمد ﷺ؛ أي منهم في النسب، وليس منهم في الدين، ينذر من عذاب الله. ﴿ فَقَالَ الْكَـٰفِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾ أي: عجب.

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً ﴾ على الاستفهام ﴿ ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴾ ينكرون البعث، أي إنه ليس بكائن.

(1) وقع في ق و ع تقديم وتأخير في تفسير قوله: (قٓ والقرآن المجيد) فأثبته حسبما جاء في ز، ورقة 334 وهو أوضح. وانظر ابن الأنباري، البيان في غريب إعراب القرآن ج 2 ص 384 ففيه إيضاح لمعنى هذا القسم وجوابه، وانظر تفسير القرطبي ج 17 ص 1-3.

قال عز وجل: ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ ﴾ أي: ما تأكل الأرض منهم إذا ماتوا، أي: تأكل كل شيء غير عجم الذنب.

ذكروا عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: في الإنسان عظم لا تأكله الأرض، هو عجم الذنب وفيه يركب ابن آدم[1]. وقال بعضهم: سمعنا أنه فيه يركب ابن آدم.

وقال مجاهد: (مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ) من عظامهم. وقال بعضهم: ما تنقص الأرض: اللّحى؛ وهم أهل الجنة، يخرجون مرداً.

قال: ﴿ وَعِندَنَا كِتَـٰبٌ حَفِيظٌ ﴾ أي: بما تأكل الأرض منهم. وبعضهم يقول: إنه اللوح المحفوظ.

قال الله عز وجل: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴾ أي: ملتبس، فهم في شك من البعث.

قال: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا ﴾. ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: بينكم وبينها مسيرة خمسمائة عام، حتى عدّ سبع سماوات هكذا. قال: وبين السابعة والعرش كما بين سماءين[2].

قال: ﴿ وَزَيَّنَّـٰهَا ﴾ أي: بالكواكب ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾ أي: من شقوق.

﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا ﴾ أي: بسطناها، كقوله عز وجل: (وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَا) [النازعات: 30] وهذا كله واحد.

---

(1) حديث صحيح أخرجه الربيع بن حبيب في الجامع الصحيح، باب في الآداب، ج 2 ص 97 (رقم 722)، وأخرجه مالك في الموطإ في كتاب الجنائز، وأخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ما بين النفختين، (رقم 2955) كلهم يرويه من طريق أبي هريرة ولفظه عند مسلم: «كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب، منه خلق وفيه يركب». يقال: عجم الذنب، وعجب الذنب، وهو العُظَيْم الذي في أسفل الصلب عند العجز.

(2) انظر ما سلف، ج 1 ص 88.

ذكروا عن عطاء قال: بلغني أن الأرض دحيت من تحت الكعبة. وقال مجاهد: كان البيت قبل الأرض بألف عام ومدّت[1] الأرض من تحته. وقال بعضهم: مكة أم القرى ومنها دحيت الأرض.

قال تعالى: ﴿ وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ ﴾ والرواسي الجبال، أرسيت بها الأرض، أي: أثبتت بها، أي: جعلت أوتاداً للأرض. وهو كقوله: (أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَاداً وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً) [النبأ: 6-7].

ذكروا عن الحسن قال: لما خلق الله الأرض جعلت تميد، فلما رأت ذلك الملائكة قالت: يا ربنا، هذه الأرض لا يقرّ لك على ظهرها خلق. فأصبح وقد وتدها بالجبال. فلما رأت ملائكة الله ما أرسيت به الأرض أعظموا ذلك فقالوا: يا رب، هل خلقت خلقاً أشد من الجبال؟ قال نعم، الحديد. قالوا: ربنا هل خلقت خلقاً هو أشد من الحديد؟ قال نعم: النار. قالوا: ربنا، هل خلقت خلقاً هو أشد من النار؟ قال نعم، الريح. قالوا: ربنا هل خلقت خلقاً هو أشد من الريح؟ قال نعم: ابن آدم.

قال تعالى: ﴿ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ ﴾ أي: من كل لون ﴿ بَهِيجٍ ﴾. وكل ما ينبت في الأرض فالواحد منه زوج. ﴿ تَبْصِرَةً ﴾ أي: يتفكر فيه المؤمن، فيعلم أن الذي خلق هذا قادر على أن يحيي الموتى، وأن ما وعد الله من الآخرة حق. قال عزّ وجلّ: ﴿ وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾ أي: مخلص مقبل إلى الله بالإخلاص؛ كقوله عزّ وجل: (وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ) [الزمر: 54].

قوله عزّ وجل: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَٰرَكاً فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴾؛ وهو كل ما يحصد في تفسير الحسن.

قال عز وجل: ﴿ وَالنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ ﴾ أي طوالاً، وبسوقها طولها. ﴿ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴾ أي منضود بعضه على بعض. ﴿ رِّزْقاً لِّلْعِبَادِ ﴾ أي: فأنبتناه رزقاً للعباد. ﴿ وَأَحْيَيْنَا بِهِ ﴾ أي بالمطر ﴿ بَلْدَةً مَّيْتاً ﴾ أي: يابسة ليس فيها نبات، فأحييناها

(1) وردت الكلمة هكذا في ق و ع: «وهذب» والصواب ما أثبته.

بالنبات ﴿ كَذٰلِكَ الْخُرُوجُ ﴾ أي: البعث؛ يرسل الله مطراً منيّاً كمني الرجال فتنبت به جسمانهم ولحمانهم كما تنبت الأرض الثرى.

قوله: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ ﴾ أي: قبل قومك يا محمد ﴿ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَـٰبُ الرَّسِّ ﴾ والرس بئر كان عليها قوم فنسبوا إليها. وقال بعضهم: المعدن[1]. وقال بعضهم: واد.

قال: ﴿ وَثَمُودُ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴾ أي إخوانه في النسب وليسوا بإخوانه في الدين. ﴿ وَأَصْحَـٰبُ الْأَيْكَةِ ﴾ والأيكة الغيضة. وقد فسّرنا أمرهم في سورة الشعراء[2].

قال تعالى: ﴿ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ﴾. ذكروا أن ابن عباس سأل كعباً عن تبع فذكر قومه ولم يذكر [من][3] هو. قال: إنه كان معه اثنا عشر رجلاً من أولاد الأنبياء. فأراده قومه على أن يقتلهم فأبى. وجمع بينهم وبينهم فحاجوه. فتعاهدوا على أن يوقدوا ناراً، ثم يدعو كل قوم ما يعبدون، ثم يدخلونها. فمن هلك هلك، ومن نجا نجا. فدخلها أولاد الأنبياء، فمروا فيها حتى خرجوا من الجانب الآخر، فلم تضرهم شيئاً. فلما رأى ذلك قوم تبع أبوا أن يدخلوها. وكانوا قد اتفق اثنا عشر رجلاً من خيارهم[4] أن يدخلوا مع أولاد الأنبياء في النار وتقاعسوا، فأخذهم تبع وضرب أعناقهم، وحلق رأسه وآمن، فقتله قومه. فلذلك ذكر الله قومه ولم يذكره.

قوله عز وجل: ﴿ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴾ أي: إن الرسل جاءتهم يدعونهم إلى الإيمان، ويحذرونهم العذاب فكذبوهم فجاءهم العذاب. يحذر بهذا مشركي العرب.

---

(1) في ق «أبارق»، وفي ع «أباريق» ولم أر وجهاً مناسباً للكلمتين هنا، وقد أثبت مكانهما «المعدن» وهو تفسير ذكره بعض المفسّرين. قال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 75: «(أَصْحَابُ الرَّسِّ): أي المعدن». وانظر ما سلف ج 3 ص 210.

(2) انظر ما سلف ج 3 ص 238-239.

(3) زيادة لا بد منها.

(4) كذا في ق: «من خيارهم»، وفي ع: «من أحبارهم».

قوله: ﴿ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ ﴾ أي: لم نعي به. قال مجاهد: أفأعيا علينا حين أنشأناكم [وأنشأنا خلقكم](1). تفسير الحسن: إنه يعني خلق آدم وذريته بعده.

قال: ﴿ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ ﴾ أي: في شك ﴿ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ يعني البعث.

قوله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَـٰنَ ﴾ يعني بالإنسان هاهنا جميع الناس ﴿ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ﴾ أي: ما تحدّث به نفسه ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ وهو نياط القلب(2)، وهو الوتين.

قوله: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ ﴾ أي: الملكان الكاتبان الحافظان عن اليمين وعن الشمال ﴿ قَعِيدٌ ﴾ أي رصيد، أي يرصده حافظ.

﴿ مَّا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ ﴾ أي: عنده ﴿ رَقِيبٌ ﴾ أي حفيظ ﴿ عَتِيدٌ ﴾ أي: حاضر يكتب كل ما يلفظ به. قال مجاهد: حتى أنينه.

وتفسير الكلبي: إنه تعرض الأعمال، فما لم يكن فيه خير ولا شر محي ولم يثبت؛ وذلك في يوم اثنين وخميس، فيهما ترفع الأعمال.

وذكر بعضهم قال: أمر صاحب الشمال أن يكتب ما لا يكتب صاحب اليمين. وقال بعضهم: ما خطا عبد خطوة إلا كتبت له حسنة أو سيئة. قال: وبلغنا أن صاحب اليمين أمير على صاحب الشمال، فلا يكتب صاحب الشمال حتى يأمره صاحب اليمين.

ذكروا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إن الملائكة قالت: ربِ ذلك

---

(1) في ق: «عيا عليكم»، وفي ع: «منا عليكم»، وفي كلتا العبارتين خطأ. أثبت التصحيح والزيادة من تفسير مجاهد ص 610. وقال الفراء في المعاني ج 3 ص 77: «يقول: كيف نعيا عندهم بالبعث ولم نعي بخلقهم أولاً»؟.

(2) قال الجوهري في الصحاح: «النياط: عرق علق به القلب من الوتين. فإذا قطع مات صاحبه، وهو النيط أيضاً. ومنه قولهم: رماه الله بالنيط، أي بالموت». وأصل الفعل: ناط ينوط نوطاً، أي علق: وكل ما علق من شيء فهو نوط.

عبدك يريد أن يعمل سيئة وأنت أعلم وأبصر؛ فيقول: ارقبوا عبدي، فإن عملها فأثبتوا عليه بمثلها، وإن تركها فاكتبوها له حسنة، فإنما تركها من خشيتي[1].

وقال الحسن: الحفظة أربعة: يتعاقبان ملكان بالليل وملكان بالنهار، وتجتمع هذه الأملاك الأربعة عند صلاة الفجر، وهو قوله: (إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً) [الإسراء: 78].

ذكروا عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، فيجتمعون عند صلاة الفجر وعند صلاة العصر فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون أتيناهم وهم يصلون، وتركناهم وهم يصلون[2].

قوله عز وجل: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ أي: بالبعث، أي يموت ليبعث[3]. وهي في حرف ابن مسعود: وجاءت سكرة الحق بالموت.

قال عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ أي: تهرب. قال الحسن: هو الكافر، لم يكن شيء هو أبغض إليه من الموت.

قوله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾. قد فسّرناه في غير هذا الموضع[4]. ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ أي: اليوم الموعود.

ذكروا عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: اليوم الموعود يوم القيامة[5].

---

(1) حديث صحيح أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب إذا همّ العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب، عن أبي هريرة (رقم 129) ولفظه في آخره: «إنما تركها من جرّاي».

(2) انظر تخريجه فيما سلف، ج 2 ص 297.

(3) في ق و ع: «أي بالموت للبعث» وأثبت ما جاء في ز، وهو أوضح. وانظر معاني الفراء، ج 3 ص 78.

(4) انظر مثلاً ما سلف في هذا الجزء، ص 47 - 48.

(5) أخرجه الترمذي في أبواب التفسير، سورة البروج من حديث أطول عن طريق أبي هريرة، وقال الترمذي: «هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث موسى بن عبيدة، وموسى بن عبيدة يضعّف في الحديث».

قوله: ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ سائق يسوقها إلى الجنة أو إلى النار، وشهيد يشهد عليها بعملها.

وقال بعضهم: هو ملكها الذي يكتب عملها في الدنيا هو شاهد عليها بعملها. وقال مجاهد: (سَائِقٌ وَشَهِيدٌ) الملكان الكاتبان عمله.

قال: ﴿ لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هٰذَا ﴾ يعني الكافر ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ ﴾ أي: غطاء الكفر ﴿ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ ﴾ يعني يوم القيامة ﴿ حَدِيدٌ ﴾ أي: بصير[1]. هو كقوله: (أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا) [مريم: 38] أي: أبصروا حيث لم ينفعهم البصر.

قوله عز وجل: ﴿ وَقَالَ قَرِينُهُ) وقرينه الملك الذي كان معه يكتب عمله ﴿ هٰذَا مَا لَدَيَّ ﴾ أي: ما عندي ﴿ عَتِيدٌ ﴾ أي: ما كتبت عليه حاضر.

قال الله: ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ أي: معاند للحق مجتنبه. والحق الهدى. أمر الله به خزنة النار.

قال تعالى: ﴿ مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ ﴾ أي: للزكاة؛ وهذا المشرك. وقال في حٰمٓ السجدة: (وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ الذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ) أي: الواجبة (وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ) [فصّلت: 6-7].

قال: ﴿ مُعْتَدٍ ﴾ أي: من قبل العدوان. والعدوان هاهنا الشرك. ﴿ مُّرِيبٍ ﴾ أي: في شك من البعث. قال: ﴿ الذِي جَعَلَ مَعَ اللهِ إِلَٰهاً آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴾.

قوله: ﴿ قَالَ قَرِينُهُ ﴾ [أي شيطانه][2] ﴿ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ ﴾ أي ما أضللته بسلطان

(1) قال الفراء في المعاني ج 3 ص 78: «يقول: قد كنت تكذب، فأنت اليوم عالم نافذ البصر. والبصر هاهنا هو العلم، ليس بالعين». وقال ابن أبي زمنين: «حديد في معنى حادّ، كما يقال: حفيظ وحافظ. ويقال حدّ بصره».

(2) زيادة من ز، ورقة 335.

كان لي عليه ﴿ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ ﴾ أي: من الهدى.

ذكروا عن أبي هريرة قال: إن المؤمن ينضي شيطانه كما ينضي أحدكم بعيره في السفر(1).

قال: ﴿ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ ﴾ أي: عندي ﴿ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴾ أي: في الدنيا. ﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ ﴾ أي: عندي، من الوعد والوعيد في تفسير الحسن. وقال مجاهد: يقول: قد قضيت ما أنا قاض. ﴿ وَمَا أَنَا بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ يَوْمَ يَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ أي: في مزيد(2).

وقال مجاهد قوله: ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ ﴾ أي: وأدنيت الجنة ﴿ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ قال: ﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ ﴾ يعني الجنة ﴿ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴾ والأوّاب: التائب الراجع عن ذنبه. وقال مجاهد: الذي يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر منها.

ذكروا عن عبيد بن عمير قال: كنا نحدّث أن الرجل إذا قال في مجلسه: سبحان الله العظيم، اللهم اغفر لي ما أصبت في مجلسي هذا إنه الأواب الحفيظ.

ذكروا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ما من قوم يكونون في مجلس يتفرقون منه على غير ذكر أو صلاة على نبيهم إلا كأنما تفرقوا عن جيفة حمار، وكان عليهم حسرة يوم القيامة(3).

---

(1) أنضى الرجل بعيره أي: هَزَله وصيّره نِضواً. انظر اللسان: (نضا). وما نسب إلى هريرة هنا هو نص حديث مرفوع إلى النبي عليه السلام، أخرجه أحمد في مسنده، وكذلك ذكره ابن منظور على أنه حديث.

(2) كذا في ق و ع: ويبدو في المخطوطتين سقط. جاء في ز ورقة 335 في تفسير الآية ما يلي: «(وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ) تفسير مجاهد: وعدها ليملأها فقال أوفيتك فقالت وهل من مسلك. أي: قد امتلأت». وانظر اختلاف المفسرين في قوله تعالى: (هَلْ مِن مَّزِيدٍ)، في تفسير الطبري، ج 26 ص 169-171.

(3) حديث صحيح أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب كراهية أن يقوم الرجل من مجلسه ولا =

ذكروا أن جبريل عليه السلام علم النبي عليه السلام إذا أراد أن يقوم من مجلس أن يقول: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد ألا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، أستغفرك اللهم وأتوب إليك[1].

قوله عز وجل: ﴿وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ أي لقى الله بقلب مخلص؛ كقوله عز وجل: (إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) [الشعراء: 89] أي: من الشرك.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ﴾ ذكروا عن علي بن أبي طالب في قوله عز وجل: (وَسِيقَ الذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً)... إلى قوله: (وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ) [الزمر: 73] قال: إذا توجّهوا إلى الجنة مرّوا بشجرة يخرج من تحتها عينان فيشربون من إحداهما فتجري عليهم نضرة النعيم فلا تتغيّر أبشارهم ولا تشعث أشعارهم بعدها، ثم يشربون من الأخرى فيخرج ما في بطونهم من أذى وقذى، ثم تستقبلهم الملائكة خزنةُ الجنة وتقول لهم: (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ). وذكر بعضهم: أنه قوله عزّ وجلّ: (ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ).

قال: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ ذكروا عن نافع عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، نادى منادٍ يا أهل الجنة خلود لا موت فيها، ويا أهل النار خلود لا موت فيها، وكلٌ خالد فيما هو فيه[2].

قوله عز وجل: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا﴾ أي: إذا اشتهوا الشيء جاءهم من غير أن يَدْعُوا بِهِ، ويكون في في أحدهم الطعام فيخطر على باله الطعام الآخر، فيتحوّل ذلك الطعام في فيه، ويأخذ البسرة فيأكل من ناحية منها بسراً، ثم يحوّلها فيأكل منها إلى عشرة ألوان أو ما شاء الله من ذلك.

= يذكر الله. عن أبي هريرة (رقم 4855)، ورواه الحاكم في المستدرك، وقال حديث صحيح على شرط مسلم.

(1) حديث صحيح أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب في كفارة المجلس، عن أبي برزة الأسلمي (رقم 4859).

(2) نظر تخريجه فيما سلف من هذا التفسير، ج 3 ص 15.

قوله عزّ وجل: ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ أي: وعندنا مزيد.

ذكروا عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: إذا انصرف أهل الجنة إلى منازلهم انصرف أحدهم إلى سرادق من لؤلؤ [طوله][1] خمسون ألف فرسخ، فيه قبة من ياقوتة حمراء، ولها ألف باب، له فيها سبعمائة امرأة، فيتكىء على أحد شقيه، فينظر إليها كذا وكذا، ثم يتكىء على الشق الآخر، فينظر إليها مثل ذلك. ثم يدخل عليه من كل باب ألف ملك من ألف باب معهم الهدية من ربهم فيقولون له: السلام عليك من ربك؛ فيوضع ذلك فيقول: ما أحسن هذا. فيقول الملك للشجر حوله: إن ربكن يأمركن أن تقطعن[2] له كل ما يشتهي على مثل هذا. قال: وذلك كل جمعة. قال وبلغنا أن أهل الجنة، ولا أحسبه إلا أرفعهم درجة، تأتيه الهدية من ربه عند مواقيت الصلاة[3].

وأخبرني[4] عن السدي قال: لا يزال أهل الجنة معجبين بما هم فيه حتى يفتح الله المزيد، فإذا فتح الله المزيد لم يأتهم شيء من المزيد إلا وهو أفضل ما في جناتهم.

قوله عز وجل: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم ﴾ يعني قبل مشركي العرب ﴿ مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشاً ﴾ أي: كانوا أشد منهم بطشاً، يعني قوة، كقوله عز وجل: (كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً) [التوبة: 69] ﴿ فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ ﴾. وهي تقرأ على وجهين: بالتثقيل وبالتخفيف؛ فمن قرأها بالتثقيل فهو يقول: فجوّلوا في البلاد، أي: حين جاءهم العذاب، ومن قرأها بالتخفيف فهو يقول: فجالوا في البلاد على مثل التفسير

---

(1) زيادة يقتضيها سياق الكلام.

(2) كذا في ق: «أن تقطعن»، وفي ع: «أن تقطرن».

(3) جاء في ز، ورقة 336 روايات ثلاث ليحيى بن سلام في تفسير قوله: (وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ)، تتعلق برؤية الباري، حذفها الشيخ هود الهواري لأنها لم تصح عنده، وأثبت مكانها ما رواه هنا منسوباً إلى ابن عباس.

(4) كذا في ق و ع، بدون ذكر لاسم المخبر، ولعله أحد شيوخ ابن سلام.

الأول[1]. ﴿ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴾ أي: هل من ملجأ يلجأون إليه من عذاب الله، أي: فلم يجدوا ملجأ حتى هلكوا.

قال: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾ أي: عقل، وهو المؤمن ﴿ أَوْ أَلقى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾. تفسير مجاهد: أو ألقى السمع والقلب شهيد. وتفسير الحسن: أو ألقى السمع وهو شهيد، أو الوحيَ[2]، يعني أهل الكتاب، كقوله عز وجل: (نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ كِتَابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ) [البقرة: 101] يقول: إن في ذلك للمؤمن وللكتابي أن يذكر.

قوله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ واليوم منها ألف سنة. كقوله عز وجل: (وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ) [الحج: 47].

قال عز وجل: ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ أي: من إعياء. وذلك أن اليهود أعداء الله قالت: لما فرغ الله من خلق السماوات والأرض أعيا فاستلقى على ظهره، ثم وضع إحدى رجليه على الأخرى [استراح][3]. فأنزل الله: (وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ).

ذكروا عن داود بن حصين عن عكرمة عن ابن عباس أنه استلقى يوماً على ظهره، ثم رفع إحدى رجليه على الأخرى ثم قال: كذبت اليهود أعداء الله، ما مس الله من لغوب.

---

(1) وأورد الفراء في المعاني ج 3 ص 79-80 قراءة ثالثة ليحيى بن يعمر بكسر القاف المشددة فقال: «ومن قرأ: (فَنَقِّبُوا فِي البِلَادِ) فكسر القاف، فإنه كالوعيد. أي اذهبوا في البلاد فجيئوا واذهبوا».

(2) وقال الفراء في المعاني ج 3 ص 80. يقول: «أو ألقى سمعه إلى كتاب الله وهو شهيد، أي: شاهد ليس بغائب». وقال ابن أبي زمنين، كما في ز ورقة 336: «استمع كتاب الله وهو شاهد القلب والفهم، ليس بغافل ولا ساه».

(3) زيادة من ز، ورقة 336.

ذكروا عن عبادة بن الأشيم أنه رأى رسول الله مستلقياً وضع إحدى رجليه على الأخرى وهو يقول: ما مسَّ اللهَ من نصب[1].

قوله عز وجل: ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ أي: على ما يقول لك قومك: إنك شاعر. وإنك ساحر، وإنك كاهن، وإنك كاذب، وإنك مجنون.

قال: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴾ قال بعضهم: هما صلاة الصبح وصلاة العصر. وتفسير الحسن: هي الصبح والظهر والعصر.

قوله عز وجل: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ ﴾ يعني صلاة المغرب وصلاة العشاء. ﴿ وَإِدْبَارَ السُّجُودِ ﴾[2] [عن علي قال سئل رسول الله ﷺ عن إدبار السجود][3] فقال: هما الركعتان بعد صلاة المغرب. [وسئل عن إدبار النجوم فقال: هما الركعتان قبل صلاة الصبح][4] وقال مجاهد: ركعتان بعد صلاة المغرب. ذكروا عن ابن عباس قال: التسبيح دبر كل صلاة.

قوله عز وجل: ﴿ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾. والمنادي صاحب الصور، ينادي من الصخرة من بيت المقدس في تفسير بعضهم. قال: وهي أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً.

وبلغنا، والله أعلم، عن عبد الله بن عباس أنه قال: يقوم ملك بين السماء والأرض بالصور فينفخ فيه.

---

(1) لم أجد هذا الحديث فيما بين يدي من مصادر التفسير والحديث، ولعله مما انفرد بروايته ابن سلام جاء في ع اسم الصحابي راوي الحديث هكذا عباد بن تميم، وفي ق عباد بن شيم، وأثبته «عبادة بن الأشيم»، كما جاء في الاستيعاب، ج 2 ص 807، على الترجيح لا على التحقيق.

(2) جاءت العبارات ناقصة في ق و ع فأثبت التصحيح من ز، ورقة 336-337، بين معقوفين.

(3) أخرجه ابن سلام بسند عن علي بن أبي طالب كما في ز ورقة 337، وأخرجه ابن جرير الطبري وأخرجه الترمذي في كتاب التفسير، سورة الطور عن ابن عباس مرفوعاً.

(4) زيادة من ز، ورقة 337.

قال عز من قائل: ﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ ﴾ أي النفخة الآخرة ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ أي بالبعث؛ ﴿ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴾ أي: من القبور.

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً ﴾ إلى المنادي صاحب الصور، إلى بيت المقدس. ﴿ ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾ أي هيّن.

قوله عز وجل: ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ أي: إنك ساحر، وإنك مجنون، وإنك شاعر، وإنك كاذب، وإنك كاهن، أي: فسنجزيهم بذلك النار. ﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ﴾. أي: تجبرهم على الإيمان؛ أي: إنما يؤمن من أراد الله أن يؤمن. وقال بعضهم: (وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ) أي: ما أنت عليهم بمسلّط فتقهرهم.

قال: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْءانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾، [وهو المؤمن، يقبل التذكرة. أي: إنما يقبل نذارتك بالقرآن من يخاف وعيد][1]، أي: وعيدي بالنار.

---

(1) زيادة من ز، ورقة 337.

تفسير سورة الذاريات، وهي مكية كلها.

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله عز وجل: ﴿ وَالـذَّرِيَـٰتِ ذَرْواً ﴾ أي: الرياح. قال الله عز وجل: (فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ) [الكهف: 45]. وذروها جريها. قال عز وجل: (فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ) [سورة صٓ: 36].

قوله عز وجل: ﴿ فَالْحَـٰمِلَٰتِ وِقْراً ﴾ أي السحاب [تحمل الوقر من الماء][1] قال: (حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً) [الأعراف: 57] أي التي فيها الماء.

قوله عز وجل: ﴿فَالْجَـٰرِيَـٰتِ يُسْراً ﴾ أي: السفن تجري بتيسير الله. كقوله: (حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ) [يونس: 23] وكقوله: (وَحَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ) [الحاقة: 11].

قوله عز وجل: ﴿ فَالْمُقَسِّمَـٰتِ أَمْراً ﴾، أي الملائكة[2].

ذكر بعضهم قال: (وَالذَّارِيَاتِ ذَرْواً): الرياح، (فَالْحَامِلَاتِ وِقْراً): السحاب، (فَالْجَارِيَاتِ يُسْراً): السفن، (فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْراً): الملائكة. وهذا قسم، أقسم بهذا كله.

---

(1) زيادة من ز، ورقة 337.

(2) قال الفراء في المجاز، ج 3 ص 28: «الملائكة تأتي بأمر مختلف: جبريل صاحب الغلظة، وميكائيل صاحب الرحمة، وملك الموت يأتي بالموت، فتلك قسمة الأمور».

﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴾ يعني البعث ﴿ وَإِنَّ الدِّينَ ﴾ أي: الحساب ﴿ لَوَاقِعٌ ﴾ أي: لكائن.

قال تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴾ والحبك استواءها وحسنها. ويقال منه حبك الماء إذا هاجت الريح، ومنه حبك الزرع إذا أصابته الريح، ومنه حبك الشعر الجعد[1]. وهي موج مكفوف، أي السماء. وهذا قسم. يقول: والسماء ذات الحبك ﴿ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴾ أي لفي اختلاف من البعث[2]. ﴿ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴾ أي يصدُّ عنه من صد [عن الإيمان به][3]، ويصرف عنه من صرف، وقال هذا وهذا.

قوله عز وجل: ﴿ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴾ أي لعن الخراصون الذين يكذبون بيوم الدين، أي الذين يكذبون بالبعث، وذلك منهم تخرّص[4].

قال: ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ ﴾ أي: في غفلة. وقال بعضهم: في حيرة ﴿ سَاهُونَ ﴾ أي: لاهون. ﴿ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ﴾ أي: متى يوم الدين، وذلك منهم استهزاء وتكذيب. أي: لا يكون.

قال الله: ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾ أي: يحرقون بها. ﴿ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ ﴾ أي: حريقكم ﴿ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ أي: في الدنيا. أي: لما كانوا يستعجلون بالعذاب في الدنيا استهزاءً وتكذيباً.

ذكروا عن الحسن قال: (ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ) أي عذابكم الذي كنتم به تستعجلون. وقال مجاهد: يفتنون أي: كما يفتن الذهب، أي يحرق الذهب[5].

---

(1) قال الفراء: «الحبك تكسُّر كل شيء. . . وواحد الحبك: حباك وحبيكة». وانظر مجاز أبي عبيدة ج 2 ص 225.

(2) وقال بعضهم: القول المختلف: تكذيب بعضهم بالقرآن وبمحمد، وإيمان بعضهم». وانظر معاني الفراء ج 3 ص 83.

(3) زيادة من ز، ورقة 337.

(4) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 225: «(قُتِلَ الخَرَّاصُونَ) المتكهّنون».

(5) من معاني الفَتْن الإحراق. كما جاء في كتب اللغة. وفي صحاح الجوهري. «وَرِق فتين، أي: فضة محرقة». ويقال للحَرّة، وهي الأرض ذات الحجارة السوداء، فتين، كأنّ حجارتها محرقة.

قال ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ وهي الأنهار؛ كقوله: (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ) [القمر: 54] يعني جمع الأنهار.

﴿ ءَاخِذِينَ ﴾ أي: قابلين ﴿ مَا ءَاتَيٰهُمْ رَبُّهُمْ ﴾ أي ما أعطاهم ربهم، أي: في الجنة ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴾ أي: في الدنيا.

﴿ كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ الَّيْـلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾. ذكروا عن الحسن أنه قال: كانوا لا ينامون منه إلا قليلاً.

ذكروا عن مطرف بن عبد الله أنه قال: قَلَّ ليلة تأتي عليهم إلا وهم يصلّون فيها لله عز وجل[1].

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: أَصِيبوا من الليل ولو ركعتين ولو أربعاً[2].

ذكروا عن أنس بن مالك قال: كانوا يتنفلون[3] ما بين المغرب والعشاء يصلون ما بينهما.

ذكر الحسن قال: نهى رسول الله ﷺ عن النوم قبل العشاء وعن الحديث بعدها[4]. وبعضهم لا يرى بالحديث بعدها فيما كان من خير بأساً.

---

(1) قال الفراء في المعاني ج 3 ص 48: «وقوله: (كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ) إن شئت جعلت ما في موضع رفع، وكأن المعنى: كانوا قليلاً هجوعهم، والهجوع: النوم. وإن شئت جعلت ما صلة [أي زائدة] لا موضع لها، ونصبت قليلاً بيهجعون، أردت: كانوا يهجعون قليلاً من الليل. وانظر أوجهاً أخرى في معنى الآية وإعرابها عند ابن الجوزي، زاد المسير، ج 8، ص 31-32، وانظر تحقيقاً في موضع (ما) في كشاف الزمخشري ج 4 ص 398-399. وانظر تفسير القرطبي، ج 17 ص 35-37.

(2) انظر الإشارة إليه فيما سلف، ج 3 ص 217. ولم أجد الحديث فيما بين يدي من المصادر غير ابن سلام.

(3) في ق و ع: «ينقبون»، ولم أر للكلمة وجهاً، فأثبت ما ورد في هامش ع من تصحيح الناسخ، «يتنفلون» وهو الصواب إن شاء الله.

(4) أخرجه الطبراني عن ابن عباس، وهو حديث صحيح.

قوله عز وجل: ﴿ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ أي: يصلون.

ذكروا عن ابن عمر أنه كان يصلي من الليل، حتى إذا أسحر قال: يا نافع، أأسحرت؟ فإذا قال نعم، جلس يستغفر.

ذكروا عن الحسن عن أبي موسى الأشعري قال: إنا نستفتح على العدو بصلاة أقوام من السحر.

ذكروا عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ: يقول الله عز وجل: إن من أحب أحبائي المشاءين إلى المساجد، المستغفرين بالأسحار، المتحابين فيَّ، أولئك الذين إذا أردت بأهل الأرض سوءاً فذكرتهم صرفته عنهم بهم[1].

ذكر غير واحد في تفسير هذه الآية في قول يعقوب لبنيه: (سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيَ) [يوسف: 98] أي: أخَّرهم إلى السحر.

قال تعالى: ﴿ وَفِي أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾. أما السائل فالذي يسأل، وأما المحروم فإن تفسير الحسن فيه أنه المتعفف القاعد في بيته، الذي لا يسأل.

ذكروا عن ابن عباس أنه قال: المحروم المحارف الذي لا سهم له[2].

وقال بعضهم: هم أصل الصُّفَّة، صفَّة مسجد النبي عليه السلام، كانوا لا يقدرون أن يغزوا مع النبي عليه السلام فحلّ لهم من الصدقة قبل أن يسمى أهلها في سورة براءة.

---

(1) أخرجه ابن سلام بالسند التالي: يحيى عن خالد بن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك، كما جاء في ز، ورقة 338، وعبارته: «إذا أردت أهل الأرض بسوء». ولم أجد هذا الحديث بهذا اللفظ فيما بين يدي من المصادر.

(2) قيل هو الذي لا سهم له في الغنيمة لأنه لم يشهد الموقعة، وهذا ما ذهب إليه الفراء، وقيل: «هو الذي لا ينمى له مال». وقيل: «هو الذي يصاب زرعه أو ثمره أو نسل ماشيته». وانظر تفسير الطبري ج 26 ص 202-203.

وقال بعض العلماء: الجهاد إنما فرض بالمدينة، وهذه السورة كلها مكية. والله أعلم بهذا التفسير الذي قيل في أصحاب النبي عليه السلام.

وقال مجاهد: (الْمَحْرُومُ): المحارَف.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ ﴾ أي: فيما خلق الله فيها ﴿ ءَايَـٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴾ قال: ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ ﴾ أي: في بدء خلقكم من تراب، أي آدم، ثم خلق نسله من نطفة ﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ يقوله للمشركين. وقال مجاهد: (وَفِي أَنْفُسِكُمْ) أي: مدخل الطعام والشراب ومخرجه[1].

قال: ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ ﴾ أي المطر، فيه أرزاق الخلق ﴿ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ تفسير الحسن: أي: من الوعد والوعيد؛ الوعد للمؤمنين بالجنة، والوعيد للمشركين والمنافقين بالنار. قال بعضهم: أظنه يعني: جاء الوعد والوعيد من السماء. وبعضهم قال: الجنة وعدها المتقون، وهي في السماء؛ والنار في الأرض.

قوله: ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ أقسم بنفسه ﴿ إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾ أي: إن هذا القرآن لحق ﴿ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ أي: كما أنكم تنطقون.

قوله: ﴿ هَلْ أَتَيٰكَ ﴾ أي قد أتاك[2] ﴿ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ أي: عند الله بالمنزلة والقربة، يعني الملائكة الذين نزلوا به، فبشروه بإسحاق، وجاءوا بعذاب قوم لوط.

قال تعالى: ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ ﴾ أي في صورة آدميين ﴿ فَقَالُوا سَلَـٰماً ﴾ أي:

(1) آيات الله في أنفسنا أعم من أن تنحصر في الجهاز الهضمي كما أشار إليه مجاهد، بل هي في جميع أجهزة الإنسان، فالجهاز العصبي مثلاً من آيات الله الكبرى في أنفسنا؛ وقل مثل ذلك في جميع الأجهزة. ولا يزال العلم الحديث يطلعنا في كل يوم على آية من آيات الله في النفس البشرية، مما يزيد المؤمن إيماناً إذا تدبر آيات الله في الأكوان والأبدان، وفي كل ما خلق الله، لا إله إلا هو.

(2) قال الفراء في المعاني ج 3 ص 86: وقوله:(هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ) لم يكن علمه النبي - ﷺ - حتى أنزله الله عليه».

سلّموا عليه ﴿ قَالَ سَلَـٰمٌ ﴾ أي: ردَّ عليهم ﴿ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴾ أي: أنكرهم حين لم يأكلوا من طعامه[1].

قال تعالى: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ ﴾ أي: فمال إلى أهله ﴿ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴾. وهذا قبل أن ينكرهم ﴿ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ ﴾ حنيذاً مشوياً، فلم يأكلوه. ﴿ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ قال: ﴿ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴾ أي: إسحاق[2].

قال تعالى: ﴿ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ ﴾ أي: رنة، أي: صيحة ﴿ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا ﴾ أي: جبهتها بكفها اليمنى تعجباً بما بشروها بـه ﴿ وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾ أي: كيف تلد وهي عجوز عقيم، أي: عاقر. وقالوا لها في آية أخرى: (أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ) [هود: 73].

﴿ قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ﴾ أي: إنك تلدين غلاماً اسمه إسحاق ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ﴾ في أمره ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ بخلقه.

﴿ قَالَ ﴾ إبراهيم ﴿ فَمَا خَطْبُكُمْ ﴾ أي: ما أمركم ﴿ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ قَالُوٓا إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴾ أي مشركين، يعنون قوم لوط ﴿ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴾. وقال في آية أخرى: (حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ) [هود: 82]، وهي بالفارسية: أولها حجر وآخر طين: سيد وكل. وقال في هذه: (حِجَارَةً مِّن طِينٍ).

قال تعالى: ﴿ مُّسَوَّمَةً ﴾ أي: مُعلَمة، أي: إنها من حجارة العذاب، وليست من حجارة الدنيا. كان في كل حجر منها مثل الطابع. قال تعالى: ﴿ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴾ أي للمشركين.

---

(1) وقيل: أنكرهم للسلام الذي حيّوه به، وهو قول له حظ من النظر لأنهم لم يأكلوا بعد.

(2) قال بعض المفسرين: «أي: يبلغ ويعلم». وقال الفراء في المعاني ج 3 ص.86: «إذا كبر، وكان بعض مشيختنا يقول: إذا كان العلم منتظراً لمن يوصف به قلت في العليم إذا لم يعلم: إنه لعالم عن قليل وفاقه، وفي السيـد: سائد، والكريم: كارم. والذي قال حسن. وهذا كلام عربي حسن، قد قاله الله في (عَلِيمٍ)، و(حَلِيمٍ) و(مَيِّتٌ)».

قال: ﴿ فَأَخْرَجْنَا ﴾ أي: فأنجينا ﴿ مَنْ كَانَ فِيهَا ﴾ أي: في قرية لوط ﴿ مِنَ الْمُومِنِينَ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ أي أهل بيت لوط، أي في القرية[1]، ومن كان معه من المؤمنين.

قال تعالى: ﴿ وَتَرَكْنَا فِيهَا ﴾ أي: في إهلاكنا إياها ﴿ءَايَةً لِّلذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمِ ﴾ أي فيحذرون أن ينزل بهم ما نزل بهم.

قال عز من قائل: ﴿ وَفِي مُوسَىٰ ﴾ [أي: وتركنا في أمر موسى][2] ﴿ إِذَ أَرْسَلْنَـٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ أي بحجة بينة ﴿ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ ﴾ أي: بقومه. وقال الكلبي: بجنوده ﴿ وَقَالَ سَـٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ يعني موسىٰ.

قال تعالى: ﴿ فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِي الْيَمِّ ﴾ أي: في البحر، أي: أغرقناهم في البحر ﴿ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ أي: وهو مذنب[3]، يعني فرعون، وذنبه الشرك، وهو الذنب العظيم.

قال عز من قائل: ﴿ وَفِي عَادٍ ﴾ [أي وتركنا في عاد أيضاً آية][4] ﴿ إِذَ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾ أي: التي لا تلقح سحاباً ولا شجراً، وهي الدبور. ﴿ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ ﴾ أي: مما مرت به، وهذا إضمار ﴿ إِلَّا جَعَلَتْهُ كالرميم ﴾ أي: كرميم الشجر[5].

﴿ وَفِي ثَمُودَ ﴾ وهي مثل الأولى ﴿ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ أي: إلى حين أي: إلى آجالكم بغير عذاب إن آمنتم، وإن عصيتم عذبتم. كقول نوح عليه

(1) كذا في ق وع: أي: في القرية، وهو الصحيح، فهو تفسير لقوله: (فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا) أي في القرية. وجاء في ز، ورقة 338: «في القرابة»، وفي الكلمة تصحيف ولا شك.

(2) زيادة من ز، ورقة 338.

(3) قال ابن أبي زمنين: «يقال ألام الرجل إذا أتى بذنب يُلَام عليه». وقال الفراء في المعاني ج 3 ص 87. «أتى باللائمة، وقد ألام».

(4) زيادة من ز، ورقة 338.

(5) قال الفراء في المعاني ج 3 ص 88: «والرميم نبات الأرض إذا يبس ودبس، فهو رميم».

السلام: (أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى) [نوح: 3-4] فتموتوا من غير عذاب إن آمنتم.

قال تعالى: ﴿ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ﴾ أي: تركوا أمر ربهم، أي: عصوه. ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّـٰعِقَةُ ﴾ أي العذاب، وهو الفزع. قال تعالى: ﴿ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ أي العذاب. ﴿ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ ﴾ أي يذهبون فيه إلى حوائجهم(1). ﴿ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ ﴾ أي: ممتنعين.

﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّنْ قَبْلُ ﴾ أي: من قبل عاد ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَـٰسِقِينَ﴾ يعني فسق الشرك.

قوله عز وجل: ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَـٰهَا بِأَيْيْدٍ ﴾ أي: بقوة. وقال تعالى في آية أخرى: (فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) [سورة فصلت: 11]. قوله: ﴿ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ أي: في الرزق.

قال عز من قائل: ﴿ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَـٰهَا ﴾ مثل قوله: (جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً) [البقرة: 23] ومهاداً، وبساطاً. قال عز من قائل: ﴿ فَنِعْمَ الْمَـٰهِدُونَ﴾.

قال عز وجل: ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾ تفسير الحسن: السماء والأرض، والجنة والنار، والليل والنهار، والصيف والشتاء، وكل اثنين فالواحد منه زوج. وتفسير الكلبي: (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ) أي: الذكر والأنثى. قال عز وجل: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ أي: لكي تذكروا فتعلموا أن الذي خلق هذه الأشياء واحد، جعلها لكم تذكرة لتعبدوه(2).

---

(1) كذا في ق و ع، وفي ز، ورقة 339: «فما أطاقوا أن يقوموا للعذاب»، والقول للسدي. وهو ما ذهب إليه ابن قتيبة في تأويل الآية: قال في تفسير غريب القرآن، ص 422: «أي: ما استطاعوا أن يقوموا لعذاب الله».

(2) كذا في ق و ع، وفي ز، ورقة 339: «لكي تذكروا فتعلموا أن الذي خلق هذه الأشياء واحد صمد، جعلها لكم آية فتعتبروا».

قال عز وجل: ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللهِ ﴾ أي: إلى دين الله، أمر الله النبي عليه السلام أن يقولها لهم. قال: ﴿ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ أي: إنه يعذّبكم إن كفرتم. ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللهِ إِلَـٰهاً ءَاخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

قوله عز وجل: ﴿ كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ أي: من قبل قومك يا محمد، أي هكذا ما أتى الذين من قبلهم ﴿ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَـٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ كما قالوا لك.

﴿ أَتَوَاصَوْا بِهِ ﴾ على الاستفهام، أي: لم يتواصوا به، لأن الأمة الأولى لم تدرك الأمة الأخرى، أهلكهم الله بالعذاب، ثم أبقى الأخرى بعدهم قال عز وجل: ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ أي: مشركون، وهو من الطغيان.

قوله عز وجل: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾ أي: فأعرض عنهم. وهذا قبل أن يؤمر بقتالهم ﴿ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ﴾ أي: في الحجة، فقد أقمتها عليهم. ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنْفَعُ الْمُومِنِينَ ﴾ أي: إنما يقبل التذكرة المؤمنون.

قوله عز وجل: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ تفسير ابن عباس: إلا ليُقِروا لي بالعبودية. قال بعضهم: كقوله: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ) [الزخرف: 87].

وتفسير الحسن: على ابتلاء؛ كقوله عزّ وجلّ: (إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ) أي: بصّرناه سبيل الهدى وسبيل الضلالة (إِمَّا شَاكِراً) أي: مؤمناً (وَإِمَّا كَفُوراً) [الإنسان: 2-3] أي: مشركاً أو منافقاً. وتفسير الكلبي: إنها خاصة[1] لمن خلقه الله [مؤمناً][2].

قال عز وجل: ﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ ﴾ أي أن يرزقوا أنفسهم، ﴿ وَمَا أُرِيدُ

(1) في ق وع: «خالصة»، وفي الكلمة تصحيف صوابها ما أثبته، أي إن الآية خاصة فيمن خلقه الله لعبادته من المؤمنين، كما جاء في بعض التفاسير. انظر مثلاً تفسير القرطبي ج 17 ص 55.
(2) زيادة لا بد منها ليتضح معنى الخصوص.

أن يُطْعِمُونِ ﴾ أي أنفسهم[1]. ﴿ إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ ﴾ في أمره وفي خلقه وفيما يحكم ﴿ المَتِينُ ﴾ أي: الذي لا تضعف قوته[2].

قوله عز وجل: ﴿ فَإِنَّ لِلذِينَ ظَلَمُوا ﴾ أي أشركوا ﴿ ذَنُوباً مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ ﴾ أي من مضى قبلهم من المشركين.

ذكروا عن سعيد بن جبير قال: (فَإِنَّ لِلذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوباً) أي: سَجْلاً من عذاب. والسَّجل: الدَّلو. وقال بعضهم: عذاب متدارك كما تدارك الدلاء في البئر. وقال الكلبي: ذنوباً كذنوب الدلو يتبع الدلو[3].

ذكروا عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ: لو أن غربا، يعني الدلو العظيم، من جهنم وضع في الأرض لآذى حره ما بين المشرق والمغرب[4].

قوله عز وجل: ﴿ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴾ أي بالعذاب، لما كانوا يستعجلونه بالعذاب استهزاء وتكذيباً.

وتفسير الحسن: إنه العذاب الذي لقيام الساعة، عذاب كفار آخر هذه الأمة بالنفخة الأولى.

قال عز وجل: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلذِينَ كَفَرُوا مِن يَّوْمِهِمُ الذِي يُوعَدُونَ ﴾ أي: في الدنيا.

---

(1) كذا في ق و ع: «أي: أنفسهم»، وفي ز، ورقة 339: «أي أن يطعموا أحداً»، وهو أصح.
(2) في ق و ع: «الذي لا يضعف»، وأثبت ما ورد في ز.
(3) قال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 228: «أي نصيباً» وإنما أصلها من الدلو، والذنوب والسجل واحد. . .» وقال الفراء في المعاني ج 3 ص 90: «والذنوب في كلام العرب: الدلو العظيمة، ولكن العرب تذهب بها إلى النصيب والحظ. وبذلك أتى التفسير: فإن للذين ظلموا حظاً من العذاب. . . والذنوب يذكر ويؤنث».
(4) أخرجه يحيى بن سلام بالسند التالي: «يحيى عن تمام بن نجيح عن الحسن عن أنس بن مالك. . .».

تفسير سورة الطور، وهي مكية كلها.

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ وَالطُّورِ ﴾ أي: الجبل ﴿ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴾ أي مكتوب. ﴿ فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ ﴾ تفسير الحسن: إنه القرآن في أيدي السفرة.

ذكروا عن ابن عباس أنه قال: سألت كعباً عن (رَقٍّ مَّنْشُورٍ) فقال: ينزل من السماء السابعة فيُكتب فيه اسمُ المؤمن ثم يُرفع، وهو كتاب يكتب في الرَّق ثم يُصعد به، يشهده المقرَّبون، أي يشهدون كتابه في الرق. قال بعضهم: أظنه عمل المؤمن. وقال مجاهد: هو رَقٌّ منشور، صحيفة.

ذكروا عن عون بن عبد الله قال: من قال: سبحان الله وبحمده كتب في الرَّق ثم ختم عليها ثم رفعت إلى يوم القيامة.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: كل ميت يختم على عمله إلا الذي يموت مرابطاً في سبيل الله فإنه يجري عليه ما كان الرباط(1).

(1) حديث صحيح، أخرجه أحمد، وأخرجه الترمذي في كتاب الجهاد، باب ما جاء في فضل من مات مرابطاً. وفيه: فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة، من حديث فضالة بن عبيد. قال: «وسمعت رسول الله ﷺ يقول: المجاهد من جاهد نفسه. وقال الترمذي حديث فضالة بن عبيد حديث حسن صحيح. وأخرج حديث فضالة بن عبيد هذا أبو داود في كتاب الجهاد، باب فضل الرباط ولفظه كل الميت يختم على عمله إلا المرابط، فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة ويؤمن من فتان القبر. (رقم 2500).

قال: ﴿ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴾ ذكروا عن رسول الله ﷺ حديثاً عن ليلة أسري به، فكان في حديثه فيما رأى في السماء السابعة. قال: ثم رفع لنا البيت المعمور فإذا هو بحيال الكعبة يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة إذا خرجوا لم يعودوا آخر ما عليهم[1].

ذكروا عن ابن عباس قال: البيت المعمور في السماء السابعة حيال الكعبة يحجه كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة لا يعودون فيه حتى تقوم الساعة، يسمى الضُّراح[2].

ذكروا عن علي قال: البيت المعمور. الضراح فوق ست سماوات ودون السابعة.

ذكر بعضهم قال: قال الله يا آدم أهبط معك بيتي يطاف حوله كما يطاف على عرشي، فحجه آدم ومن بعده من المؤمنين. فلما كان زمان الطوفان، زمان أغرق الله قوم نوح، رفعه الله وطهره من أن تصيبه عقوبة أهل الأرض فصار معموراً في السماء، فتتبع إبراهيم الأساس فبناه على أس قديم كان قبله.

قال عز وجل: ﴿ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴾ يعني السماء، بينها وبين الأرض مسيرة خمسمائة عام.

قال تعالى: ﴿ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴾ أي الفائض. أي: يفيض يوم القيامة على الأرض فتسعه الأرضون، فتكون لجج البحار ورؤوس الجبال سواء. وقال الحسن: يسجر كما يسجر التنور. وقال مجاهد: المسجور: الموقد[3]، وهو مثل قول الحسن.

(1) أخرجه أحمد من حديث أنس بن مالك، وأخرجه البخاري ومسلم من حديث مالك بن صعصعة.

(2) جاء في اللسان: الضراح: بيت في السماء مقابل الكعبة في الأرض... وهو البيت المعمور، من الضارحة وهي المقابلة والمضارعة».

(3) من معاني السجر المَلء، والمسجور المملوء. وقد جمع الإمام علي بين المعنيين فقال: «المملوء ناراً». وانظر اللسان (سجر).

وبلغنا أن البحر موضع جهنم. ذكروا عن أبي صالح عن علي قال: البحر المسجور في السماء.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴾ أقسم بهذا كله، من قوله: (وَالطُّورِ) إلى هذا الموضع: إن عذاب ربك لواقع، أي بالمشركين. ﴿ مَالَهُ ﴾ أي: ما للعذاب ﴿ مِنْ دَافِعٍ ﴾ أي: يدفعه من الله.

﴿ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْراً ﴾. فيها تقديم؛ أي: إن عذاب ربك لواقع يوم تمور السماء موراً أي: تتحرك السماء تحرّكاً. ﴿ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْراً ﴾. وقال في آية أخرى: (وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ). [التكوير: 3].

قال: ﴿ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَّلْعَبُونَ ﴾ وخوضهم التكذيب. ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ ﴾ أي: يدفعون ﴿ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعّاً ﴾ أي: دفعاً ﴿ هَٰذِهِ النَّارُ ﴾ أي يقال لهم: هذه النار ﴿ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ أي: في الدنيا، أي: إنها لا تكون.

﴿ أَفَسِحْرٌ هَذَا ﴾ يقال لهم هذا على الاستفهام ﴿ أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴾ أي: في الدنيا، إذ كنتم تقولون: هذا سحر، أي إنه ليس بسحر.

﴿ اصْلَوْهَا ﴾ يعني النار ﴿ فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ ﴾، وهو كقوله: (سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا) [إبراهيم: 21] قال: ﴿ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أي: في الدنيا.

قوله: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ فَٰكِهِينَ ﴾ أي: مسرورين ﴿ بِمَا ءَاتَيٰهُمْ رَبُّهُمْ ﴾ أي بما أعطاهم ربهم. وقال بعضهم: معجبين بما هم فيه من نعيم الجنة. ﴿ وَوَقَيٰهُمْ رَبُّهُمْ ﴾ أي: وصرف عنهم ﴿ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾.

﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾. ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يبولون ولا يتغوّطون إنما يكون

جشاء ورشح مسك، ويُلهمون الحمد والتسبيح كما يُلهمون النَّفَس[2].

ذكروا عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل في الطعام والشرب والجماع. قيل: يا رسول الله، إن الذي يأكل ويشرب يكون له الحاجة. قال: حاجة أحدهم أن يعرق فرشحه ريح مسك، وهو البول.

ذكروا أن رجلاً قال: يا رسول الله، كيف شهاء[2] أهل الجنة؟ قال: يأكلون ويشربون حتى إذا امتلأت بطونهم قيل لهم: هنيئاً لكم شهوتكم، فيرشحون عند ذلك مسكاً، لا يتغوطون ولا يمتخطون[3].

قوله: ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ﴾.

ذكروا عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: إن الرجل من أهل الجنة ليتنعم في تكأة واحدة سبعين عاماً [مع امرأة][3] فتناديه أبهى منها وأجمل من غرفة أخرى: أما آن لنا منك دولة بعد؟ فيلتفت إليها فيقول: من أنت؟ فتقول: أنا من اللواتي قال الله: (وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ) [سورة قٓ: 35]، فيتحول إليها فيتنعم معها سبعين عاماً في تكأة واحدة، فتناديه أبهى منها وأجمل من غرفة أخرى فتقول: أما لنا منك دَوْلة بعدُ؟ فيقول: من أنت؟ فتقول: أنا من اللاتي قال الله: (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [السجدة: 17]. فيتحول إليها فيتنعّم معها في تكأة واحدة سبعين عاماً. فهم كذلك يدورون[4].

(1) حديث صحيح أخرجه أحمد، وأخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في صفات الجنة وأهلها وتسبيحهم فيها بكرة وعشياً، من حديث جابر بن عبدالله (رقم 2835).

(2) كذا في ق و ع: «شهاء» ولم أعثر على هذه اللفظة فيما بين يدي من معاجم اللغة. وإن كان القياس الصرفي لا يمنعها. يقال: شهِيَ الطعام، يشهاه، وشهاه، يشهوه شهوة، وتشهاه واشتهاه، إذا أحبه ورغب فيه. وانظر اللسان: (شها).

(3) رواه أحمد والنسائي عن زيد بن أرقم. وقال المنذري في الترغيب والترهيب ج 4 ص 525: «ورواته يحتج بهم في الصحيح. والسائل في الحديث رجل من أهل الكتاب».

(4) رواه يحيى بن سلام عن صاحب له عن أبان بن أبي عياش عن شهر بن حوشب عن معاذ بن جبل عن رسول الله ﷺ كما جاء في ز ورقة 340.

ذكروا عن الضحاك بن مزاحم عن علي قال: إذا دخل أهل الجنة يدخل الرجل منزله، ويأتي الأرائك. فإذا فيها سرير، وعلى السرير سبعون فراشاً، وعليهم سبعون زوجة، على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ ساقها من باطن الحلل، فيقضي جماعهن في مقدار ليلة من لياليكم هذه.

قوله: ﴿وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ والحور: البيض في تفسير العامة.

وتفسير مجاهد: الحور، أي: يحار فيهن البصر، وينظر الناظر وجهه في جيدها. وتفسير بعضهم: العين: العظام العيون.

ذكروا عن عبد الله بن عمر قال: شعر [شفر][1] عينيها أطول من جناح نسر.

وقال بعضهم: الحور العين بيض الألوان، صفر الحلي، خضر الثياب، يقلن في الجنة: نحن الناعمات فلا نبؤس[2]، ونحن الخالدات فلا نموت، ونحن الراضيات فلا نسخط، ونحن المقيمات فلا نظعن، طوبى لمن كنا له وكان لنا.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت على أهل الأرض [لملأت الأرض ريح][3] مسك، ... والذي نفسي بيده إن عليها

---

(1) زيادة لا بد منها ليستقيم المعنى.

(2) كذا في ق و ع: «نبؤس»، بضم الهمزة، وهو صحيح فصيح، ففي الحديث: إن لكم أن تنعموا فلا تبؤسوا. وأصل الفعل: بَؤُس يبؤُس بأساً. إذا اشتد، ومنه شدة البأس في الحرب. ويأتي الفعل بفتح الهمزة في المضارع. ففي الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي عليه السلام: «من يدخِلُ الجنةَ ينعمُ لا يبأسُ». الحديث رقم (2836). وانظر اللسان: (بأس). والحديث رواه الترمذي والبيهقي وأبو نعيم وغيرهم.

(3) ما بين المعقوفين ساقط من ع و ق. ويبدو في الرواية اضطرب. فالجزء الأول من هذه الرواية حديث رواه الطبراني والبزار عن سعيد بن عامر بن حذيم، تمامه، «ولأذهبت ضوء الشمس والقمر». والحديث الوارد هنا جزء من حديث رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب الحور العين وصفتهن أوله: «لروحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها». . . وفيه: «ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحاً، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها». عن أنس بن مالك.

لنصيفاً[1] خيراً من الدنيا وما فيها.

ذكروا عن عمرو بن ميمون الأزدي قال: إن المرأة من أهل الجنة ليكون عليها سبعون حُلة، وإنه ليرى مخ ساقها من وراء ذلك كما يبدو الشراب الأحمر في الزجاج الأبيض.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: ما حضر قتال قط إلا تزخرفت الجنة، ونزلت الحور العين. فإذا أقبل المقاتل قلن: اللهم انصره، وإذا أدبر قلن: اللهم ثبِّته. فإذا قتل كان أول قطرة تقطر من دمه يغفر بها ذنوبه، وتهبط عليه زوجتاه من الحور العين فتجلسانه، وتمسحان دمه والغبار عنه وتقولان له: مرحباً بك. فيقول: وأنتما مرحباً بكما. وإذا صرف وجهه عنهما ثم التفت إليهما قال: لقد ازددتما في عيني سبعين ضعفاً حسناً وجمالاً مما كنتما عليه. وإذا صرفتا وجوههما عنه قالتا مثل ذلك. فجيدها مرآته، وجيده مرآتها، مكتوب بين ثدييها: أنت حبيبي وأنا حبيبتك، ليس علي معدل ولا مصرف. ثم قال: والذي بعثني بالحق إن إحداهن ليكون عليها سبعون حلة مثل شقائق النعمان، وإنه ليرى مخ ساقها من وراء ذلك، وتمسك بين أصبعين من أصابعها سبعين حلة من رقها وحسنها وجمالها، قلوبهم على مثل قلب أنقاهم، أو قال: على مثل قلب واحد، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، يسبحن الله بكرة وعشياً[2].

قوله عز وجل: ﴿وَالذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّـٰتِهِمْ﴾.

[. . . عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال][3]: إن الله يرفع إلى المؤمن ولده في درجته في الجنة وإن كانوا دونه في العمل لتقر بذلك عينه، وكذلك الآباء يرفعون إلى الأبناء إذا كانت الآباء دون الأبناء في العمل.

ذكروا عن رسول الله ﷺ أنه قال: ما من مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم

(1) النصيف: الخِمار، ثوب تضعه المرأة على رأسها وتسدله على ظهرها وجانبيها.

(2) لم أجده بهذا اللفظ وافياً فيما بين يدي من مصادر الحديث. وبعض عباراته موجودة في وصف نساء الجنة. انظر مثلاً المنذري، الترغيب والترهيب ج 4، ص 531-536. وانظر الدر المنثور، ج 6 ص 119 تجد بعض هذا الحديث.

(3) ما بين المعقوفين زيادة من ز ورقة 340.

يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم[1].

ذكروا عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: لأن أقدم سقطاً خير من أن أخلف مائة فارس كلهم يجاهدون في سبيل الله[2].

قال: ﴿ وَمَا أَلَتْنَـٰهُم﴾ أي: وما نقصناهم ﴿ مِّنْ عَمَلِهِم مِّنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِىءٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ يعني أهل النار. كل امرىء بما كسب، أي بما عمل، رهين، أي غلِق الرهن[3]. مثل قوله: (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ) [المدثر: 38-39]استثنى المؤمنين، وعامة الناس مشركون. قال عزّ وجل: (إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ)، وهم أهل الجنة، وهم المقتصدون.

قوله عز وجل: ﴿وَأَمْدَدْنَـٰهُمْ بِفَـٰكِهَةٍ﴾ ذكروا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده إن أهل الجنة ليتناولون قطوفها وهم متكئون على فرشهم، فما تصل إلى فيّ أحدهم حتى يبدّل الله مكانها أخرى[4].

قوله عز وجل: ﴿ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ وقال في آية أخرى: (وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ) [الواقعة: 21]. ذكر الحسن قال قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده إن في الجنة لطيراً أمثال البخت. فقال أبو بكر: يا رسول الله؛ إن ذلك الطير لناعم، فقال: والذي نفسي بيده إن الذي يأكل منها أنعم منها، وارجو أن تأكل منها يا أبا بكر[5].

---

(1) حديث صحيح أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب من مات له ولد فاحتسب، من حديث أنس بن مالك.

(2) انظر الإشارة إليه فيما سلف، ج 1 ص226.

(3) جاء في ع و ق: «علق القوم في النار». والعبارة فاسدة لا معنى لها، وأثبت ما جاء في هامش مخطوطة ع من تصحيح، «غلق الرهن» وهو الصواب إن شاء الله، أي: كل امرىء مرتهن بعمله؛ يقال غَلِق الرهنُ غُلوقاً إذا لم يستطع الراهن افتكاكه من يد المرتهن.

(4) لم أجده بهذا اللفظ فيما بين يدي من المصادر إلا من رواية يحيى بن سلام. . . عن أبي هريرة مرفوعاً كما في ز، ورقة 347.

(5) أخرجه أحمد والترمذي والبيهقي وغيرهم من حديث أنس.

قال بعضهم: تصف الطير بين يدي الرجل، فإذا اشتهى أحدها اضطرب ثم صار بين يديه نضيجاً.

قال علي بن أبي طالب: إذا اشتهوا الطعام جاءتهم طير بيض فترفع أجنحتها فيأكلون من جنوبها أي الألوان شاءوا، وفيها من كل لون، يأكلون، ثم تطير فتذهب.

قال بعضهم: بلغنا أن الطير تصفّ بين يديه فرسخاً في فرسخ، والطير أمثال الإبل، فيقول الطائر: يا ولي الله، أما أنا فرعيت في وادي كذا وكذا، وأكلت من ثمار كذا وكذا، وشربت من عين كذا وكذا، وسِمَني كذا وكذا، وريحي كذا وكذا، فكُلْ مني، فإذا اشتهى حسن الطير واشتهى صفته فوقع ذلك في نفسه قبل أن يتكلم به، وقع على مائدته، نصفه قدير، ونصفه شِواء، فيأكل أربعين سنة، كلما شبع ألقي عليه ألف باب من الشهوة. قالها: ثلاث مرات[1]. ثم يؤتى بالشراب على برد الكافور، وليس بهذا الكافور، وطعم الزنجبيل، وليس بهذا الزنجبيل، وريح المسك، وليس هذا المسك، فإذا شرب هضم ما أكل من الطعام. وتوضع المائدة بين يديه قدر عمره في الدنيا، ويعطى قوة مائة رجل في الجماع؛ يجامع مقدار أربعين سنة لكل يوم مائة عذراء.

ذكروا عن مالك بن مالك بن حميد قال: قال لي أبو هريرة: أَحْسِن إلى غنمك: أوسط رعاها، وأطب مراحها، وصل صانعها، فإنها من دواب الجنة.

قوله عز وجل: ﴿ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا ﴾ أي: يتعاطون فيها ﴿ كَأْساً ﴾ والكأس: الخمر. ﴿ لَّا لَغْوٌ فِيهَا ﴾ أي في الجنة، لا معصية فيها، في قول الحسن. وقال مجاهد: أي: لا يسمعون فيها لغواً. ﴿ وَلَا تَأْثِيمٌ ﴾ أي: لا يؤثم بعضهم بعضاً. وتفسير الكلبي: (لَا لَغْوٌ فِيهَا) أي: لا حلف[2] فيها، (وَلَا تَأْثِيمٌ) أي: لا إثم عليها في شربها. وقال بعضهم: (وَلَا تَأْثِيمٌ) أي: ولا تكذيب.

---

(1) في ق و ع: «قال ثلاث مرات».

(2) في ق و ع: «لا خلف فيها» بالخاء المعجمة، وأثبت ما رأيت أنه أصح وأنسب «لا حلف فيها».
وفي تفسير مجاهد: ص 625: يقول: اللغو السب، يقول: لا يستبون (وَلَا تَأْثِيمٌ) يقول: لا يأثمون ولا يؤثمون.

قوله: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ ﴾ وقال في آية أخرى: (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ) [الواقعة: 17] أي: لا يموتون ولا يشيبون. ﴿ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴾ أي: في صفاء ألوانهم. والمكنون: الذي في أصدافه.

ذكروا عن جابر بن عبد الله عن النبي عليه السلام قال: خدم أهل الجنة نور وجوههم نور الشمس، لو كانوا في الدنيا لاقتتل أهل الدنيا عليهم. قالوا يا رسول الله، هذا حسن الخادم، فكيف حسن المخدوم. فقال: والذي نفسي بيده لحسن الخادم عند المخدوم كالكوكب المظلم إلى جنب القمر ليلة البدر[1].

فبلغنا ـ والله أعلم ـ أن أولياء الله يخيّرون قبل أن يدخلوا أمان الله ورضوانه، ثم تزلف لهم الجنة، ويؤمر بأبوابها فتفتح لهم، فيخرج منه المسك مقدار خمسمائة سنة، أو ما شاء الله من ذلك. وتخرج الحور العين قد عرفت كل واحدة منهن زوجها إذا أقبلت إليه. ويرى مخ ساقها من وراء سبعين حلة من الصفاء والطيب. ثم يقال لهم: لكم أنتم وأزواجكم ما تحبون. ثم تقدمهم الملائكة إلى الجنة يرونهم مواضعهم. فإذا دنوا من أبوابها استقبلتهم الملائكة (يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ) أي ادخلوا دار الخلد، ودار الجنة، ودار القرار، ودار الملك، ودار الأمان، ودار النعيم الدائم، ودار الفرح والسرور والبشرى، أبشروا بنعيم مقيم أبداً، لا ينفد، ولا يُسأم، ولا ينقطع، فعند ذلك يقولون: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ) [الزمر: 74]. فتنزل كل نفس درجتها بعملها.

في درجتها أزواج وخدم، وفرش وأسرة، وأنهار تجري في غير أخدود من لبن وعسل مصفّى وماء وخمر، وفاكهة كثيرة، وألوان الرياحين، والأكاليل على رؤوسهم، ولباسهم من سندس وإستبرق وحرير. وريح المؤمن أطيب من ريح المسك الذكي. أسكنهم الله في داره، وهي الجنة، ليست كجنان الدنيا؛ أرضها رخام ليس كرخامكم

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ج 27 ص 29 عن قتادة مرسلاً وليس فيه أول الحديث.

هذا، ولكنه رخام من فضة بيضاء، وترابها الورس والزعفران، وكثبانها مسك أذفر، وأنهارها تجري في غير أخدود، وطينها مسك أذفر، ورضراضها[1] الدر والياقوت، وقصورها من الذهب والفضة والدر والياقوت والزبرجد وألوان الجوهر. وعلى الجنان كلها حائط طوله خمسمائة سنة، لبنة من ذهب ولبنة من فضة ولبنة من ياقوت. وجذوع نخلها ذهب أحمر، وكَرَبها[2] در وزبرجد أخضر، وسعفها حلل، ورطبها أشد بياضاً من الفضة وأحلى من العسل، وألين من الزبد، ليس في شيء منه نوى.

وطيرها أمثال البخت، فإذا أكل ولي الرحمٰن جاءت الطير صفاً بين يديه، فينعت كلُّ طيْر منها نفسَه وطيبَ لحمه، ورائحتَه وطعمَه. فإذا اشتهى ولي الرحمٰن شيئاً من غير أن يتكلم، وضع على مائدته نصفه قدير ونصفه شواء.

ويعطى أحدهم قوة مائة رجل شاب في الطعام والشراب والكسوة والشهوة والجماع. نور الوجوه، بيض الألوان، صفر الحلي، خضر الثياب، جرداً، مرداً، مكحلين، مسوّرين، متوّجين بالذهب واللؤلؤ والجوهر. فإذا شاء أحدهم ركب فرساً من ياقوت حمراء فطارت به إلى أي جنة شاء. ولكل رجل منهم نجيبة من ياقوت أحمر، لها أجنحة بيض أشد بياضاً من الثلج، لها رحل مقدمه ومؤخره درٌّ وياقوت، وجانباه ذهب وفضة، وزمامها ياقوت أحمر، وهو ألين من الحرير. خطوتها مدّ بصره.

وله فيها أزواج مطهرة من القذى كلها: من الحيض والبول والغائط والبزاق، عاشقات لأزواجهن، عذارى أبكار، كلهن على سنّ واحدة، يجد فيها ريح إحداهن من مسيرة خمسمائة عام. ولهن حلل، كل حلّة خير من الدنيا وما فيها من أولها إلى يوم تفنى.

قوله عز وجل: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ أي يسائل بعضهم بعضاً عن شفقتهم في الدنيا من عذاب الله.

---

(1) الرضراض: ما استدق من الحصى.

(2) الكَرَب: الأصول العريضة لسعف النخيل، وهي الكرانيف، مفردها كرنافة.

﴿ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ ﴾ أي في الدنيا ﴿ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴾ أي: خائفين وجلين من عذاب الله ﴿ فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا وَوَقَيْنَا عَذَابَ السَّمُومِ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ ﴾ أي: في الدنيا ﴿ نَدْعُوهُ ﴾ أن يقينا عذاب السموم. ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾ أي: برّ بالمؤمنين، رحيم بهم، في تفسير الحسن. وقال بعضهم: البر الصادق.

قوله عزّ وجل: ﴿ فَذَكِّرْ ﴾ أي: بالقرآن ﴿ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾.

قوله عز وجل: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴾ أي: قد قالوا: نتربّص به الدهر حتى يموت، في تفسير الحسن. وقال مجاهد: يعني حوادث الدهر(1).

قال الله عزّ وجلّ لنبيه عليه السلام ﴿ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴾ أي: كانوا يتربصون بالنبي عليه السلام أن يموت، وكان النبي يتربّص بهم أن يأتيهم العذاب.

قال الله عز وجل: ﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا ﴾ أي: بالتكذيب، أي: ليست لهم أحلام(2) ﴿ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ أي: بل هم قوم طاغون، أي: إن الطغيان يأمرهم بهذا؛ والطغيان الشرك.

﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ﴾ يعني محمداً، أي القرآن تقوله محمد، أي قد قالوه. قال الله عز وجل: ﴿ بَل لَا يُؤْمِنُونَ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ ﴾ أي: بحديث مثل القرآن. ﴿ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ أي: لا يأتون بمثله، وليس ذلك عندهم.

قال عز وجل: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ﴾ أي: لم يُخلَقوا من غير شيء، إنا

---

(1) قال الفراء في المعاني ج 3 ص 93: «أوجاع الدهر، فيشغل عنكم ويتفرق أصحابه، أو عمر آبائه، فإنا قد عرفنا أعمارهم».

(2) وقال الفراء: «الأحلام في هذا الموضع العقول والألباب».

خلقناهم من نطفة، وأول ذلك من تراب. قال عز وجل: ﴿ أَمْ هُمُ الْخَـٰلِقُونَ ﴾ أي: ليسوا بالخالقين، وهم مخلوقون.

قال عز وجل: ﴿ أَمْ خَلَقُوا السَّمَـٰوَٰتِ وَالأَرْضَ ﴾ أي: لم يخلقوها. ﴿ بَل لاَّ يُوقِنُونَ ﴾ بالبعث.

﴿ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ ﴾ يعني علم الغيب ﴿ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ﴾ أي: الأرباب. وقال بعضهم: أم هم المصيطرون. أي: إن الله هو الرب، تبارك اسمه.

﴿ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ ﴾ أي: درج ﴿ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ﴾[1] أي: إلى السماء ﴿ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ أي: بحجة بينة بما هم عليه من الشرك، أي: إنه ليس لهم بذلك حجة.

﴿ أَمْ لَهُ الْبَنَـٰتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ ﴾ وذلك لقولهم إن الملائكة بنات الله، وجعلوا لأنفسهم الغلمان. كقوله: (وَيَجْعَلُونَ لِلهِ مَا يَكْرَهُونَ) أي البنات (وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُم الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ) أي الغلمان (لاَ جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ) [النحل: 62].

قال عز وجل: ﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْراً ﴾ أي: على القرآن. ﴿ فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴾ فقد أثقلهم الغرم الذي تسألهم، أي: إنك لا تسألهم أجراً.

﴿ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ ﴾ يعني علم غيب الآخرة ﴿ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴾ أي: لأنفسهم ما يتخيرون من أمر الآخرة، أي الجنة، إن كانت جنة. ومعنى قولهم كقول الكافر: (وَلَئِـن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ) [فصلت: 50] أي: الجنة إن كانت. أي: ليس عندهم غيب الآخرة.

قوله عز وجل: ﴿ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْداً ﴾ أي: بالنبي، أي: قد أرادوه، وذلك ما كانوا يتآمرون فيه ﴿ فَالذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴾ كقوله: (إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً وَأَكِيدُ

(1) قال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 233: «هي السلّم وهو السلّم، ومجاز (فِيهِ) به وعليه. وفي القرآن: (وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ) [طه: 23] إنما هو على جذوع النخل. والسلم: السبب والمرقاة... ويقول الرجل: اتخذتني سلماً لحاجتك، أي سبباً».

كَيْداً) [الطارق: 15-16] أي: إن الله يكيدهم، أي يجازيهم جزاء كيدهم وهو العذاب.

قال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ ﴾ أي: ليس لهم إله غير الله ﴿ سُبْحَـٰنَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ينزّه نفسه عما يشركون.

وقوله عز وجل: أم، أم، أم من أول الكلام: (أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ) إلى هذا الموضع كلها استفهام، وكذبهم به كله.

قوله: ﴿ وَإِن يَرَوْا كِسْفاً مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ أي قطعة من السماء ﴿ سَاقِطاً يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴾ [بعضه على بعض. وذلك أنه قال في سورة سبأ (إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسْفاً مِّنَ السَّمَاءِ) [سبأ: 9] فقالوا للنبي عليه السلام: (لَن نُّومِنَ لَكَ حَتَّى... أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً) [الإسراء: 92]، فأنزل الله: (وَإِنْ يَرَوْا كِسْفاً مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطاً يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ) أي: ولم يؤمنوا][1].

قال الله: ﴿ فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الذِي فِيهِ يَصْعَقُونَ ﴾ أي: يموتون بالفزع، وهي النفخة الأولى في تفسير الحسن، يعني كفار آخر هذه الأمة الذين يكون هلاكهم بقيام الساعة. وقد قال في سورة سأل سائل: (فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الذِي يُوعَدُونَ) [المعارج: 42] وهي النفخة الآخرة.

قال: ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً ﴾ أي لا يغني عنهم عبادة الأوثان ولا ما كادوا به النبي عليه السلام شيئاً. ﴿ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ أي: إذا جاءهم العذاب.

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ لِلذِينَ ظَلَمُوا ﴾ أي: أشركوا ﴿ عَذَاباً دُونَ ذَلِكَ ﴾ أي: بالسيف يوم بدر، يعني من أهلك يوم بدر بالسيف في تفسير الحسن. وقال مجاهد: الجوع الذي أصابهم.

---

(1) ما بين المعقوفين زيادةمن ز ورقة 342، لا بد من إثباتها.

وبعضهم يقول: عذاباً دون عذاب الآخرة: عذاب القبر. وقد كان الدخان والجوع الذي أصابهم بمكة عذاباً قبل عذاب السيف يوم بدر. قال: (وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ) يعني الجوع بمكة (فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ) [المؤمنون: 77] وهو يوم بدر.

والعذاب خمس: عذاب الجوع الذي أصابهم بمكة، وعذاب السيف يوم بدر. وعذاب القبر لمن مات من المشركين قبل قيام الساعة، وعذاب الساعة الذي يهلك به كفار آخر هذه الأمة. والعذاب الأكبر جهنم.

قال تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يعني بأكثرهم جماعتهم، يعني من لم يؤمن. . . .

قوله عز وجل: ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ أي: لما يحكم الله عليك، فأمره بقتالهم، واصبر على أذاهم إياك ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ أي: نرى ما تصنع وما يصنع بك، وسنجزيك ونجزيهم. ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ من منامك، يعني صلاة الصبح، في تفسير الحسن. وقال بعضهم: حين تقوم للصلاة ﴿ وَمِنَ الَّيْلِ فَسَبِّحْهُ ﴾ أي: صلاة المغرب وصلاة العشاء ﴿ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴾ يعني الركعتين قبل صلاة الصبح. وذكر عن علي قال: سئل رسول الله ﷺ عن قوله: (وَإِدْبَـٰرَ النُّجُومِ) فقال: هما الركعتان قبل صلاة الصبح[1].

---

(1) حديث صحيح، أخرجه يحيى بن سلام بهذا السند: «يحيى عن عثمان عن أبي إسحاق الهمداني عن الحارث عن علي. . . ، وأخرجه الترمذي من حديث ابن عباس مرفوعاً في كتاب التفسير سورة الطور بلفظ. «إدبار النجوم الركعتان قبل الفجر، وإدبار السجود الركعتان بعد المغرب وانظر ما سلف قريباً في هذا الجزء ص 147. وأخرج مسلم في صحيح في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب ركعتي سنة الفجر. . . عن عائشة عن النبي ﷺ قال: ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها. (رقم 725).

تفسير سورة النجم، وهي مكية كلها.

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ أي: والوحي إذا نزل، في تفسير ابن عباس.

ذكروا عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: نزل القرآن إلى السماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة: ثم جعل بعد ذلك ينزل نجوماً: ثلاث آيات، وأربع آيات، وخمس آيات وأقل من ذلك وأكثر؛ ثم تلا هذه الآية: (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ) [الواقعة: 75].

وقال بعضهم: الثريا إذا غابت. وتفسير الحسن: يعني الكواكب إذا انتثرت. والنجم جماعة النجوم، كقوله عز وجل: (وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا) [الحاقة: 17] يعني جماعة الملائكة. وكقوله: (وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ) [النور: 41] يعني جماعة الطير. وقوله: (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ) قسم أقسم به.

﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ أي محمد. ﴿ إِنْ هُوَ ﴾ إن القرآن الذي ينطق به محمد ﴿ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾.

﴿ عَلَّمَهُ ﴾ أي علم محمداً ﴿ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴾ أي جبريل، شديد الخلق. ﴿ ذُو مِرَّةٍ ﴾ وهو من شدة الخلق أيضاً. وتفسير الحسن: استمر على أمر الله[1].

---

(1) كذا في ق وع: «استمرّ على أمر الله» ولم أجد هذا المعنى تأويلاً لقوله تعالى (ذُو مِرَّةٍ) فيما بين يدي من كتب التفسير، فهل هو مما انفرد بروايته ابن سلام؟ أم أن في العبارة سقطاً أو خطأ من =

قال تعالى: ﴿ فَاسْتَوَىٰ ﴾ أي: استوى جبريل عند محمد. أي: رآه في صورته[1]. ﴿ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴾ أي: جبريل بالأفق الأعلى، وهو المشرق، فسدّ ما بين الأفقين، في تفسير الحسن. وكان محمد يرى جبريل في غير صورته، أي التي هي صورته، فرآه يومئذ في صورته.

ذكروا عن مسروق عن عائشة قالت: ثلاث من قالهن فقد أعظم على الله الفرية: من زعم أن محمد رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، لأن الله يقول: (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ) [الأنعام: 103]، ومن زعم أن محمداً قد نقص شيئاً من الوحي لم يخبر به فقد أعظم على الله الفرية، لأن الله يقول: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَاتِهِ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) [المائدة: 67]، ومن زعم أنه يعلم ما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية، لأن الله يقول: (إِنَّ اللهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي

= النساخ؟ والتفسير المشهور لقوله تعالى (ذُو مِرَّةٍ) هو ما ذكره المؤلف أولاً، وهو ما ذهب إليه جمهور المفسرين. قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 236: «(ذُو مِرَّةٍ): ذو شدة وإحكام، يقال: حبل مُمَر، أي: مشدود». وقال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن، ص 427: (ذُو مِرَّةٍ) أي: ذو قوة، وأصل المرة الفتل». وقال الزمخشري في الكشاف، ج 4 ص 417: «(ذو مرة): ذو حصافة في عقله ورأيه ومتانة في دينه». وهذا القول الأخير نسب أيضاً لقطرب، انظر تفسير القرطبي، ج 17 ص 86. أما ما ذكر في بعض التفاسير منسوباً إلى الحسن من أن قوله تعالى: (شَدِيدُ الْقُوَىٰ ذُو مِرَّةٍ) هو الله عز وجل فهو قول خالف به الحسن جمهور المفسرين.

(1) كذا في ق و ع وفي ز ورقة 342، وهو الصحيح، وهذا ما ذهب إليه المحققون من المفسرين. أي استوى جبريل،(وهو) أي وجبريل بالأفق الأعلى. وقال الفراء في المعاني، ج 3 ص 95: «وقوله عز وجل (فاستوى) استوى هو وجبريل بالأفق الأعلى لما أسري به، وهو مطلع الشمس الأعلى. فأضمر الاسم في (استوى) ورد عليه هو. وأكثر كلام العرب أن يقولوا: استوى هو وأبوه، ولا يكادون يقولون: استوى وأبوه، وهو جائز، لأن في الفعل مضمراً... قال الله تبارك وتعالى، وهو أصدق قيلاً: (أئِذَا كنا تراباً وآباؤ نا) [النمل: 67]، فرد الآباء على المضمر في (كنا) إلا أنه حسُن لما حيل بينهما بالتراب والكلام: أئذا كنا تراباً نحن وآباؤ نا. انظر في هذا ابن الجوزي، زاد المسير، ج 8 ص 64-66، وانظر كذلك ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 27 ص 94-96.

نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) [لقمان: 34]. قال: فقلت: يا أم المؤمنين: ألا تخبرينني عن قوله: (وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ المبين) [التكوير: 23]. قالت: رأى جبريلَ في صورته قد سدّ ما بين السماء والأرض(1).

قال عز وجل: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾ أي جبريل بالوحي إلى محمد ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ والقاب: القدر. وقال بعضهم قاب قوسين، أي: ذراعين (أَوْ أَدْنَىٰ) أي: بل أدنى من ذراعين. ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ ﴾ أي: إلى عبد الله ﴿ مَا أَوْحَىٰ ﴾.

ذكروا عن عروة بن الزبير عن عائشة أن النبي عليه السلام كان أول شأنه أنه يرى في المنام. فكان أول ما رأى جبريل بأجياد، إنه خرج لبعض حاجته، فصرخ به جبريل: يا محمد، يا محمد. فنظر يميناً وشمالاً فلم ير شيئاً. فرفع بصره، فإذا هو بجبريل يلقي إحدى رجليه على الأخرى على أفق السماء. قال: يا محمد، جبريل، جبريل، يسكنه. فهرب محمد عليه السلام حتى دخل في الناس، فلم ير شيئاً. ثم خرج فنظر فرآه. وذلك قول الله عز وجل: (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ وَهُوَ بِالأُفُقِ الاعْلَىٰ ثُمَّ دَنَا فَتَدلَّى)، أي جبريل إلى محمد (فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ). ويقال: إن القاب نصف الإصبع، وبعضهم يقول: ذراعين، كان بينهما. (فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ)، أي جبريل إلى محمد عليهما السلام. وكانت عائشة رضي الله عنها تنكر أن محمداً رأى ربه. وكان عروة ينكر ذلك إنكاراً شديداً. قال: وكان المسلمون ينكرون ذلك إنكاراً شديداً. قال: وبيان ذلك في سورة إذا الشمس كورت في قوله تعالى: (فَلاَ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِي الْكُنَّسِ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ) أي جبريل (ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُّطَاعٍ ثَمَّ) أي: في السماء (أَمِينٍ) أي: على ما أتى به من الوحي (وَمَا صَاحِبُكُمْ) يعني محمداً عليه

(1) حديث مسروق عن عائشة رواه أصحاب السنن، انظر مثلاً صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة والنجم. ورواه الربيع بن حبيب في مسنده، ج 1 ص 22 (رقم 61) عن أبي عبيدة عن جابر بن زيد عن عائشة مختصراً.

السلام (بِمَجْنُونٍ وَلَقَدْ رَآهُ) أي رأى محمدٌ جبريلَ (بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ) [التكوير: 15-23].

قوله عز وجل: ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ وهي تقرأ على وجهين: بالتثقيل والتخفيف؛ فمن قرأها بالتثقيل فهو يقول: ما كذّب فؤاد محمد ما رأى من ملكوت السماوات وآياته. ومن قرأها بالتخفيف فهو يقول: ما كذب فؤاد محمد ما رأى، قد صدق الرؤية فأثبتها[1].

﴿ أَفَتُمَـٰرُونَه عَلَى مَا يَرَى ﴾ وهي تقرأ على وجه آخر: (أَفَتَمْرُونَهُ) فمن قرأها: (أَفَتُمَارُونَه) يقول للمشركين: أفتمارون محمداً عليه السلام، أي: أفتجادلونه على ما يرى؛ يجعل المراء منهم. ومن قرأها: (أَفَتَمْرُونَهُ) فهو يثبت المراء منهم خاصة وينفيه عن محمد عليه السلام.

﴿وَلَقَدْ رَءاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ أي: مرة أخرى، أي رأى جبريلَ في صورته مرّتين[2].

قال تعالى: ﴿ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴾ ذكروا عن سعد بن كعب عن رجل عن ابن عباس قال: سألت كعباً عن سدرة المنتهى فقال: يُنتهى إليها بأرواح المؤمنين إذا ماتوا، لا يجاوزها روح مؤمن. فإذا قبض المؤمن شيّعه مقربو أهل السماوات حتى

---

(1) كذا جاء في ق و ع، وهو الصواب، وانظر معاني الفراء، ج 3 ص 96.

(2) جمهور المفسرين على أن الضمير في قوله تعالى: (ولقد رآه نزلة أخرى) راجع إلى جبريل الذي كني عنه في قوله قبل ذلك: (عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 27 ص 94-102. وروى الطبري في ج 27 ص 50-51 بسند عن مسروق عن عائشة أنها قالت: «من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله. قال: وكنت متكئاً فجلست، فقلت: يا أم المؤمنين، أنظريني ولا تعجليني، أرأيت قول الله: (وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ) (وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ). قالت: إنما هو جبريل رآه مرة على خلقه وصورته التي خلق عليها. ورآه مرة أخرى حين هبط من السماء إلى الأرض، ساداً عظم خلقه ما بين السماء والأرض. قالت أنا أول من سأل النبي ﷺ عن هذه الآية. قال: هو جبريل عليه السلام». وانظر ابن الجوزي، زاد المسير، ج 8 ص 64-70.

يُنتهى به إلى السدرة فيوضع. ثم تصف الملائكة المقرّبون فيصلّون عليه كما تصلّون أنتم على موتاكم هاهُنا.

ذكروا عن مالك بن صعصعة أن رسول الله ﷺ ذكر في حديث ليلة أسري به قال: ثم رفعت لنا سدرة المنتهى فإذا أوراقها مثل آذان الفيلة، وإذا نبقها مثل قلال هجر، وإذا أربعة أنهار تجري من أصلها: نهران ظاهران ونهران باطنان. قلت: يا جبريل، ما هذه الأنهار؟ فقال: أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات[1].

قوله عز وجل: ﴿ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴾ أي: الجنة عند السدرة، والمأوى مأوى المؤمنين.

قوله عز وجل: ﴿ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴾ ذكروا عن عبد الله بن مرة عن مسروق قال: غشيها فراش من الذهب.

وذكر عن أبي سعيد الخدري قال: إن رسول الله ﷺ ذكر في حديث ليلة أسري قال: ثم انتهينا إلى سدرة المنتهى فغشاها من أمر الله ما غشى فأيده بتأييده، ورفع عن كل ورق مَلَك[2]. وقال مجاهد: وكان أغصان الشجر من لؤلؤ.

قوله عز وجل: ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ ﴾ أي: بصر النبي عليه السلام، أي: ما زاغ البصر فلم يثبت ما رأى ﴿ وَمَا طَغَىٰ ﴾ أي: ما قال ما لم ير. ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾ ولم يقل رأى ربه الكبير[3]. يعني ما قص مما رأى.

ثم قال للمشركين ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّـٰتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَوٰةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴾ أي: بعد الإلهتين. واللات كانت لثقيف، والعزى لقريش[4]، ومناة لبني هلال.

---

(1) انظر ما سلف، ج 2 ص 398. في أحاديث الإسراء والمعراج في سورة الإسراء.

(2) انظر ما سلف، ج 2 ص 405.

(3) هذه الجملة من الشيخ هود الهواري ولا شك، فهي غير واردة في ز، وقد جاء فيها ما قبلها وما بعدها.

(4) وقال الفراء في المعاني ج 3 ص 98: «وكانت العزى سَمُرَةً لغطفان يعبدونها». وقال: «كانت مناة =

﴿ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴾، على الاستفهام. وذلك أنهم جعلوا الملائكة بنات الله، وجعلوا لأنفسهم الغلمان. قالوا إن الله صاحب بنات، فسموا هذه الأصنام فجعلوها إناثاً. قال الله: (أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ) أي: ليس كذلكم.

﴿ تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴾ أي: جائرة. أي: قسمة جور في تفسير الحسن. يقول: إذ جعلوا لله البنات ولهم الغلمان. وقال مجاهد: ضيزى أي: معوجّة[1].

ثم قال الله: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَءَابَاؤُكُم ﴾ يعني اللات والعزى ومناة ﴿ مَّا أَنزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَـٰنٍ ﴾ أي من حجة بأنها آلهة.

ثم قال للنبي عليه السلام: ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ﴾ أي: إن ذلك منهم ظنّ ﴿ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴾ أي القرآن.

ذكروا عن أبي العالية الرياحي قال: كان النبي عليه السلام في المسجد الحرام يصلي وهو يقرأ سورة النجم. فلما أتى على هذه الآية: (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ) ألقى الشيطان على لسانه: إنهن من الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى. فأعجب ذلك المشركين. وقرأ السورة حتى ختمها فسجد وسجد معه أهل مكة المؤمنون والمشركون، والجن والإنس، فأنزل الله: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ ءَايَاتِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حكِيمٌ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ) يعني المنافقين (وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ) [الحج: 52-53] يعني المشركين. قوله: (إِذَا تَمَنَّىٰ) أي: إذا قرأ، في تفسير بعضهم. وقال الكلبي: إذا حدّث نفسه.

وقال الكلبي: كان النبي عليه السلام يصلّي في البيت، والمشركون جلوس؛ فقرأ (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ) فحدّث نفسه، حتى إذا بلغ: (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ

= صخرة لهذيل، وخزاعة يعبدونها».

(1) انظر تحقيقاً ممتعاً مفيداً في أصل الكلمة ضيزى ووزنها في معاني الفراء، ج 3 ص 98-99. وانظر مجاز أبي عبيدة، ج 2 ص 237.

الثَّالِثَةَ الأُخْرىٰ) ألقى الشيطان على لسانه: فإنها من الغرانيق العلى، يعنى الملائكة، وإن شفاعتهم ترتجى. وقال بعضهم: وإنها مع الغرانيق العلى، وإن شفاعتهم لترتجى.

وقال بعضهم: بينما رسول الله ﷺ عند المقام يصلّي، إذ نعس، فألقى الشيطان على لسانه كلمة فتكلّم بها، فتلقفها المشركون عليه: (أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ) وإنها مع الغرانيق العلى، فأنزل الله: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِي إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى...) الآية.

قال الكلبي: فلما انصرفَ النبي عليه السلام من صلاته قال المشركون: قد ذكر محمد آلهتنا بخير. فقال النبي عليه السلام: والله ما كذلك نزلت علي. فنزل عليه جبريل، فأخبره النبي عليه السلام فقال: والله ما هكذا علّمتك، وما جئت بها هكذا. فأنزل الله: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَىٰ الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَتِهِ...) وقال الكلبي: (إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى): إن سأل شيئاً من الدنيا. فألقى الشيطان على لسانه هذا القول.

وقال بعضهم: وبلغنا أنه قوله تعالى: (وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ) أي: انقبضت (قُلُوبُ الذِينَ لاَ يُومِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الذِينَ مِنْ دُونِهِ) أي: أوثانهم (إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) [الزمر: 45].

قوله عز وجل: ﴿ أَمْ لِلإِنْسَـٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴾ وذلك لفرح المشركين بما ألقى الشيطان على لسان النبي من ذكر آلهتهم[1].

قال: ﴿ فَلِلَّهِ الأَخِرَةُ وَالأُولَىٰ ﴾ [أي ثوابهما][2].

قوله: ﴿ وَكَم مِن مَّلَكٍ فِي السَّمٰوٰتِ لا تُغْنِي شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْئاً ﴾ أي: لا تنفع

---

(1) قصة الغرانيق هذه قصة موضوعة ما أنزل الله بها من سلطان. وقد فندها جمع من علماء التفسير المحققين قديماً وحديثاً. انظر تعليقنا عليها فيما مضى ج 3 ص 123.

(2) زيادة من معاني الفراء، ج 3 ص 99.

شفاعتهم المشركين والمنافقين شيئاً، إنما يشفعون للمؤمنين ولا يشفعون ﴿ إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴾. هو كقوله: (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ) [الأنبياء: 28] وكقوله: (وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ) [سبأ: 23]، وكقوله: (وَلَا يَمْلِكُ الذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ) [الزخرف: 86] أي: قال لا إله إلا الله، وعمل بفرائض الله.

قوله: ﴿ إِنَّ الذِينَ لَا يُؤمِنُونَ بِالآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ ﴾ أي بأنهم إناث ولا بأنهم بنات الله. ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ﴾ أي إن ذلك منهم ظن. قال: ﴿ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الحَقِّ شَيْئاً فَأَعْرِضْ عَمَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الحَيَوٰةَ الدُّنْيَا ﴾ أي: تغنيهم[1]. وهي منسوخة، نسختها آية القتال، هي قوله: (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ) [التوبة: 5].

قال: ﴿ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ ﴾ أي إن علمهم لم يبلغ الآخرة. كقوله عز وجل: (بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ) [النمل: 66]. وقال مجاهد: (ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ) أي [مبلغ][2] رأيهم.

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ﴾ أي: إن المشركين هم الذين ضلوا عن سبيله ﴿ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ ﴾ أي: إن النبي والمؤمنين هم المهتدون.

﴿ وَلِلهِ مَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الذِينَ أَسَاءُوا ﴾ أي: أشركوا ﴿ بِمَا عَمِلُوا ﴾ أي: ليجزيهم النار ﴿ وَيَجْزِيَ الذِينَ أَحْسَنُوا ﴾ أي آمنوا ﴿ بِالْحُسْنَىٰ ﴾ أي: الجنة.

(1) كذا وردت الكلمة في ق: «تغنيهم» ولست مطمئناً إليها، وأشكلت الكلمة على ناسخ ع فكتبها هكذا: «نعهم».

(2) زيادة من تفسير مجاهد، ص 631. وهذا أحسن تأويلاً. قال الفراء في المعاني ج 3 ص 100. «صغر بهم، يقول: ذلك قدر عقولهم، ومبلغ علمهم حين آثروا الدنيا على الآخرة؛ ويقال: ذلك مبلغهم من العلم أن جعلوا الملائكة والأصنام بنات الله».

قوله: ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالفَوَٰحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ ﴾.

ذكروا عن عبد الله بن مسعود أنه قال: الكبائر من أول سورة النساء إلى رأس الثلاثين. قال عز وجل: (إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ) [النساء: 31].

ذكروا عن يحيى بن أبي كثير قال: قال رسول الله ﷺ: الكبائر تسع: الإشراك بالله، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وعقوق الوالدين المسلمين، وقذف المحصنات، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والسحر، والفرار من الزحف، واستحلال البيت الحرام، قبلتكم التي توجهون إليها[1].

ذكروا عن الحسن قال: كان الفرار من الزحف يوم بدر من الكبائر خاصة. قال بعضهم: ويحدثون أن الفرار من الزحف يوم ملحمة الروم الكبرى من الكبائر لأن المسلمين مجتمعون يومئذ كما كانوا يوم بدر.

ذكروا عن الحسن قال: ذكرت الكبائر عند النبي ﷺ فقال: أين تجعلون اليمين الغموس[2]؟.

ذكروا عن عوف قال: مر بنا أبو العالية الرياحي فقال: اتقوا كبائر تسعاً، إني إراها تسعاً وتسعاً وتسعاً، حتى عدَّ أربعين أو أكثر.

غير واحد من العلماء المأخوذ عنهم، والمقبول منهم قال: كل ما أوجب الله عليه الحد في الدنيا وأوعد عليه وعيداً في الآخرة فهو كبيرة. وقال: وكل ما عذب الله عليه عذاباً في الدنيا أو في الآخرة فليس بصغيرة.

ذكروا عن قيس بن سعد أن ابن عباس قال: كل ذنب تاب منه العبد فليس بكبيرة، وكل ذنب أقام عليه العبد حتى يموت فهو كبيرة.

وقال بعضهم: كان يقال: لا قليل مع الإصرار، ولا كبير مع توبة واستغفار.

---

(1) و (2) انظر الإشارة إلى الحديثين فيما سلف، ج 1 ص 373.

والاستغفار مكنسة للذنوب. وقوله عز وجل: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ﴾ [البقرة: 199] أي: لا تعودوا.

تأويل هذا الحديث: إذا كان ذنب فيما بين العبد وبين الله فالتوبة إلى الله والاستغفار يجزيانه باللسان. وإن كان ذنب فيما بينه وبين الناس من القتل وذهاب الأموال فلا يجزيه إلا القَوَد من نفسه والانتصال[1] من أموال الناس إذا كان يقدر على ردّ أموالهم.

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه يوماً: ما تعدون الزنا والسرقة وشرب الخمر؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: كبائر وفواحش، وفيهن العقوبة. ثم قال: أكبر الكبائر الإشراك بالله، وقتل النفس التي حرم الله إلا بحقها، وعقوق الوالدين. وكان متكئاً فجلس، ثم قال: ألا وقول الزور، ألا وقول الزور، ألا وإن لكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة بقدر غدرته يركز عند مقعدته، ألا ولا غدرة أكبر من غدرة أمير عامةٍ[2].

ذكروا عن سعيد مولى ابن عباس، أنه ذكرت عنده الخمر فقال: ليست من الكبائر. فقال ابن عباس: بل هي أكبر الكبائر، إنه إذا شرب زنى، وفعل، وفعل.

وقوله عز وجل: ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾: ذكروا عن عكرمة قال: ما دون الحدين[3] [كل ذنب ليس فيه حد في الدنيا ولا عذاب في الآخرة فهو اللمم].

وقال الحسن: اللمم ما يُلِمّ به من الزنا والسرقة وشرب الخمر، ثم لا يعود.

---

(1) لم أجد فيما بين يدي من معاجم اللغة هذا المصدر «الانتصال» وإنما هو «التَنَصُّل». يقال: تنصَّل من ذنبه إذا تبرأ منه. ومنه الحديث: من لم يقبل من متنصل صادقاً أو كاذباً لم يرد علي الحوض، كما أورده الزمخشري في أساس البلاغة: (نصل) وذكر ابن منظور في اللسان ما يلي: «وفي الحديث: من تنصل إليه أخوه فلم يقبل، أي انتفى من ذنبه واعتذر إليه...».

(2) انظر تخريجه فيما سلف، ج 1 ص 374.

(3) في تفسير الطبري: «ما بين الحدين» وما جاء بين المعقوفين زيادة للإيضاح من تفسير الطبري، ج 27 ص 68.

تأويل حديث الحسن: أن يلمّ بشيء من هذا أن يفعله ولا يفعله ثم لا يعود أن يلم بها.

ذكروا عن أبي هريرة في اللمم أنه قال: العين تزني، وزناها النظر، واليد تزني وزناها اللمس، والرجل تزني وزناها المشي، والنفس تهوى وتحدث، ويصدق ذلك ويكذبه الفرج.

ذكروا عن أبي هريرة [عن النبي ﷺ][1] قال: كل بني آدم قد أصاب من الزنا لا محالة؛ فالعين تزني وزناها النظر، واليد تزني وزناها اللمس، والرجل تزني وزناها المشي، والنفس تهوى وتحدث، ويصدق ذلك كله ويكذبه الفرج[2].

ذكروا عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: إن الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهما ما اجتنبت الكبائر[3].

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ أي: يغفر ما دون الكبائر أي: يكفرها بالصلوات الخمس.

قال غير واحد من العلماء: إن ما دون الكبائر مكفر محطوط، شرط من الله وثيق، وهو قوله (إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ) [النساء: 31]. فإذا اجتنبت الكبائر كانت هذه السيئات مُكَفَّرَة مغفورة، محطوطة باجتناب الكبائر.

ذكروا عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: مثل الصلوات الخمس كمثل رجل على بابه نهر جار عذب ينغمس فيه كل يوم خمس مرات، فماذا يبقى من درنه[4]. وتفسير درنه إثمه.

---

(1) زيادة لا بد منها لأن الحديث روي عن أبي هريرة مرفوعاً.

(2) حديث صحيح أخرجه البخاري عن أبي هريرة في كتاب الاستئذان، باب زنا الجوارح دون الفرج ولفظه: «عن ابن عباس قال: ما رأيت شيئاً أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي ﷺ: إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان المنطق، والنفس تمني وتشتهي، والفرج يصدّق ذلك كله ويكذّبه».

(3) انظر الإشارة إليه فيما مضى، ج 1 ص 359.

(4) حديث متفق عليه، أخرجه البخاري عن أبي هريرة في كتاب الصلاة، باب الصلوات الخمس=

قوله عز وجل: ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ ﴾ أي: خلقكم من الأرض ﴿ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ ﴾ والأجنة من باب الجنين في بطن أمه. قال تعالى: ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴾.

ذكروا عن الحسن عن أبي بكر قال قال رسول الله ﷺ: لا يقولن أحد إني قمت رمضان كله[1]. فالله أعلم أكان يخشى التزكية على أمته، أم يقول لا بد من رقاد وغفلة.

ذكروا عن الأعمش عن بعض أصحابه أن رجلاً قال لأصحاب عبد الله بن مسعود: لقد قرأت البارحة كذا وكذا سورة. فذكروا ذلك لعبد الله بن مسعود فقال: أخبروه أن حظه من ذلك الذي تكلم به.

وذكروا عن بعضهم قال: كانت اليهود تقدم أولادها فيصلون بهم، وقالوا ليست لهم ذنوب، فأنزل الله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ) [النساء: 49].

وذكر بعضهم عن ثابت بن الحارث الأنصاري قال: كانت اليهود تقول لأولادها [إذا هلك صبيٌّ صغير: هذا][2] صديق. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: كذبت يهود ما من نسمة يخلقها الله في بطن أمها إلا أنه شقي أو سعيد[3]. فأنزل الله عند ذلك هذه

= كفارة. وفي آخره: «فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا». وأخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب المشى إلى الصلاة تمحى به الخطايا وترفع به الدرجات عن جابر بن عبد الله مرفوعاً ولفظه: مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار غمر على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات. . . «قال: قال الحسن: وما يبقى ذلك من الدرن».

(1) لم أجد هذا الحديث فيما بين يدي من مصادر التفسير والحديث، ولعله مما انفرد بروايته ابن سلام.

(2) زيادة من ز، ورقة 344 لا بد من إثباتها ليتضح المعنى.

(3) رواه ابن سلام كما جاء في ز ورقة 344 بالسند التالي: يحيى عن ابن لهيعة عن الحارث عن يزيد عن ثابت بن الحارث الأنصاري، ولم أجده فيما بين يدي من مصادر الحديث والسنة بهذا اللفظ. وإن كان معناه ثابتاً في كتب السنة.

الآية: (هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِّنَ الأَرْضِ وَإِذَا أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ).

وتفسير الكلبي: ألا يزكي بعضكم بعضاً. قال بعض العلماء: فإذا زكى نفسه زكى أشد[1].

قوله عز وجل: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ﴾ أي: عن الإيمان، يعني المشرك، والتولي هاهنا الشرك، لأن السورة مكية. ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلاً وَأَكْدَىٰ﴾ [تفسير عكرمة: أعطى قليلاً ثم قطعه][2]. قال بعضهم: إنما قل لأنه كان لغير الله. ﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ﴾ أي: يختار لنفسه الجنة إن كانت جنة، على تفسير الحسن.

وتفسير الكلبي أن رجلاً من أصحاب النبي عليه السلام كان ذا متاع حسن، فأعطى عطية. فزعم أنه يريد بها وجه الله. ثم أتاه أخ له من الرضاعة فقال له: ما تريد يا فلان بما تصنع من إهلاك مالك؟ قال: أريد به وجه الله وليكفر به خطيئاتي. قال: فأعطني ناقتك هذه وأتحمل عنك ذنوبك من يومك هذا إلى يوم تموت، فأنزل الله تعالى: (أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ وَأَعْطَىٰ قَلِيلاً وَأَكْدَىٰ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ).

قال: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أي: لا يحمل أحد ذنوب أحد.

ذكروا عن عطاء بن السايب عن عكرمة عن ابن عباس في قوله: (الَّذِي وَفَّىٰ) قال: العشر خصال التي من السنة؛ خمس في الرأس، وخمس في الجسد.

وقال بعضهم: ركعتان قبل الفجر. وقال بعضهم: وفى يومه بأربع ركعات من

---

(1) كذا في ق: «زكى أشد»، وفي ع: «زكى وأشد»، وكلاهما غير واضح المعنى.

(2) زيادة من ز، ورقة 344. وقال ابن أبي زمنين «وأصل الكلمة من كدية البئر، وهي الصلابة فيها. فإذا بلغها الحافر يئس من حفرها فقطع الحفر. فقيل لكل من طلب شيئاً فلم يبلغ آخره وأعطى ولم يتمم: أكدى». وانظر مجاز أبي عبيدة، ج 2 ص 238.

أول النهار. ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: إن الله يقول: يا ابن آدم، أتعجز أن تصلي أربع ركعات من أول نهارك أكفك آخره[1].

قال: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ أي: إلا ما عمل ﴿ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ ﴾ أي: عمله ﴿ سَوْفَ يُرَىٰ ﴾ أي: سوف يتبين ﴿ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾ قال: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ أي: المصير.

﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴾ أي: خلق الضحك والبكاء ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ أي: خلق الموت والحياة. وقال في آية أخرى: (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) [الملك: 2].

﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴾ الواحد منهما زوج ﴿ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴾ أي: إذا أمناها الرجل، وقد يجتمع ماء الرجل وماء المرأة. ﴿ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ أي: البعث.

﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴾ [أي: أغنى عبده وأقناه][2] من قِبَل القُنية. وتفسير الحسن: أقنى أي: أخدم. وقال بعضهم: أغنى بالذهب والفضة والثياب والمساكن، وأقنى بالرقيق والإبل والغنم، وهو أيضاً من الغنى[3].

---

(1) حديث صحيح أخرجه أحمد في مسنده عن عقبة بن عامر، وأخرجه الترمذي في أبواب الصلاة، باب ما جاء في صلاة الضحى، من حديث أبي الدرداء وأبي ذر، وقال الترمذي: حديث حسن غريب، وأخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب صلاة الضحى (رقم 1289) عن نعيم بن همار بلفظ: يقول الله عز وجل: يا ابن آدم لا تعجزني من أربع ركعات في أول النهار أكفك آخره. قيل: إن نعيم بن همار لم يرو إلا هذا الحديث.

(2) زيادة من ز، ورقة 344.

(3) وقال الفراء في المعاني، ج 3 ص 102: «رضّى الفقير بما أغناه به. (وَأَقْنَى) من القنية والنشب». وقال ابن أبي زمنين في ورقة 344: «تقول: أقنيت كذا، أي: عملت على أنه يكون عندي لا أخرجه من يدي، فكأن معنى أقنى جعل الغنى أصلاً لصاحبه ثابتاً». وانظر اللسان: (قنا).

ذكروا أيضاً عن عبد الله بن جبير عن رجل خدم رسول الله ﷺ قال: كان النبي عليه السلام إذا فرغ من طعامه قال: اللهم لك الحمد على ما أنعمت وأطعمت وسقيت. أو قال: أنت أطعمت وسقيت، وأغنيت وأقنيت، فلك الحمد[1].

قوله عز وجل: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ﴾ وهي الكوكب الذي خلف الجوزاء، كان يعبدها قوم. وقال مجاهد: مرزم الجوزاء، يعني الكوكب الذي يتوقّد في الجوزاء.

﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الأُولَىٰ﴾ وهي عاد واحدة ولم يكن قبلها عاد[2]. قال: ﴿وَثَمُوداً فَمَا أَبْقَىٰ﴾ أي: أهلكهم فلم يبقهم.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ أي: وأهلك قوم نوح ﴿مِّنْ قَبْلُ﴾ أي من قبل عاد وثمود ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾ أي: إنهم كانوا هم أول من كذب الرسل.

قال: ﴿وَالمُؤتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾ يعني قرى قوم لوط، رفعها جبريل بجناحه حتى سمع أهل سماء الدنيا صراخ كلابهم ثم قلبها. والمؤتفكة المنقلبة.

قال تعالى: ﴿فَغَشَّيٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾ أي: الحجارة التي رمى بها من كان خارجاً من المدينة وأهل السفر منهم.

قال عز من قائل: ﴿فَبِأَيِّ ءَالاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ أي: تشك، أي إنك لا تشك.

ثم قال للناس: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ﴾ يعني محمداً عليه السلام ﴿مِّنَ النُّذُرِ الأُولَىٰ﴾ أي: جاء بما جاءت به الرسل الأولى.

﴿أَزِفَتِ الأَزِفَةُ﴾ أي: دنت القيامة. كقوله عز وجل: (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ)

---

(1) أخرجه أحمد عن رجل خدم رسول الله ﷺ ثمان سنين ولفظه: كان إذا قرب إليه الطعام يقول: بسم الله، وإذا فرغ قال: اللهم إنك أطعمت وسقيت، وأغنيت وأقنيت وهديت واحتبيت، اللهم فلك الحمد على ما أعطيت».

(2) وقال الفراء في المعاني ج 201: «وقوله: (عادا الأولى) بغير همز: قوم هود خاصة، بقيت منهم بقية نجوا مع لوط، فسمى أصحاب هود عادا الأولى.

[القمر: 1] ﴿ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ كَاشِفَةٌ ﴾ أي: ليس يستطيع أحد أن يكشفها ولا يدفعها إلا الله، يعني قيامها[1].

قال تعالى: ﴿ أَفَمِنْ هٰذَا الْحَدِيثِ ﴾ يعني القرآن ﴿ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ ﴾ يعني المشركين، أي: قد فعلتم. ﴿ وَلَا تَبْكُونَ ﴾ أي: ينبغي لكم أن تبكوا. ﴿ وَأَنْتُمْ سَـٰمِدُونَ ﴾ أي: غافلون ﴿ فَاسْجُدُوا لِلهِ ﴾ أي: فصلوا لله ﴿ وَاعْبُدُوا ﴾ أي: واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، لا إله إلا هو الحي القيوم.

---

(1) وقال الفراء في المعاني ج 2 ص 103: يقول: ليس يعلمها كاشف دون الله. أي: لا يعلم علمها غير ربي. وتأنيث (الكاشفة) كقولك: ما لفلان باقية. أي: بقاء، والعافية والعاقبة. وليس له ناهية، كل هذا في معنى المصدر».

تفسير سورة اقتربت الساعة،[1] وهي مكية كلها.

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله عز وجل: ﴿ اِقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ ﴾ أي: دنت الساعة. ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: إنما مثلي ومثل الساعة كهاتين، فما فضل إحداهما على الأخرى. فجمع بين اصبعيه الوسطى والتي يقول لها الناس السبابة[2].

ذكروا عن عمران الحولي قال: قال رسول الله ﷺ: حين بعثت بعث إلى صاحب الصور، فأهوى به إلى فيه، فقدم رجلاً وأخر أخرى ينظر متى يؤمر فينفخ، ألا فاتقوا النفخة[2].

ذكروا عن أبي سعيد الخدري قال: خرج رسول الله ﷺ يوماً على أصحابه فقال: كيف أنعم وصاحب الصور قد حنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر الإذن متى يؤمر فينفخ[3].

قوله عز وجل: ﴿ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ [ذكروا عن عطاء بن السايب عن أبي عبد الرحمٰن السلمي قال: نزلنا المدائن، فكنا منها على فرسخ، فجاءت الجمعة. فحضر

(1) في ق وع: «تفسير سورة اقتربت» وأثبت ما جاء في ز، ورقة 344: سورة اقتربت الساعة، وكذلك جاءت في تفسير الطبري، ج 27 ص 84.
(2) انظر الإشارة إليهما فيما سلف، ج 3 ص 62.
(3) أخرجه البغوي في شرح السنة، ج 15 ص 103.

أبي. وحضرت معه. فخطبنا حذيفة فقال: ألا إن الله يقول: اقتربت الساعة وانشق القمر، ألا وإن الساعة قد اقتربت][1] ألا إن القمر قد انشق.

ذكروا عن العطار أن عبد الله بن مسعود قال: انشق القمر شقين[2]، حتى رأيت أبا قبيس بينهما. وبعضهم يقول: حراء.

قال تعالى: ﴿ وَإِن يَرَوْا ءَايَةً ﴾ يعني المشركين ﴿ يُعْرِضُوا ﴾ أي: عنها. ﴿ وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ أي: ذاهب. وذلك قولهم: (فَلْيَاتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ) [الأنبياء: 5].

قال عزّ وجلّ: ﴿ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴾ أي: لأهله إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الأَنْبَاءِ ﴾ أي: من الأخبار، أخبار الأمم السالفة حين كذبوا رسلهم فأهلكهم الله ﴿ مَا فِيهِ مُزْدَجَر ﴾ أي: عمّا هم عليه من الشرك ومن التكذيب.

قال تعالى: ﴿ حِكْمَةٌ بَـٰلِغَةٌ ﴾ أي: القرآن ﴿ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴾ أي عمن لم يؤمن. كقوله: (وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُومِنُونَ ﴾ [يونس: 101].

قال تعالى: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُو الدَّاعِ ﴾ أي: صاحب الصور ﴿ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴾ أي: إلى شيء عظيم. ﴿ خُشَّعاً أَبْصَـٰرُهُمْ ﴾ أي: فتولّ عنهم في الدنيا فستراهم يوم القيامة خشعاً أبصارهم: أي ذليلة أبصارهم. وكان هذا قبل أن يؤمر بقتالهم. ﴿ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ ﴾ أي: من القبور ﴿ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴾ شبههم

---

(1) في ق: «ألا إن القمر قد استوى»، وفي ع: «ألا إن انشق القمر قد استوى». كذا بدون ذكر لقائل هذا القول. وغلب على ظني أن سطراً أو أكثر قد سقط من ق و ع. فأثبت ما بدا لي أنه الصواب بين معقوفين من تفسير الطبري، ج 72 ص 86 حتى تستقيم العبارة.

(2) في ق و ع: «جزآن»، وأثبت ما بدا لي أصح وأدق: «شقين» من ز ورقة 344. يؤيده ما أورده الفراء في المعاني، ج 3 ص 104 حيث قال: «ذكر أنه انشق وأن عبد الله بن مسعود رأى حراء من بين فلقتيه، فلقتي القمر».

بالجراد إذا أدركه الليل لزم الأرض، فإذا أصبح وطلعت الشمس انتشر(1).

قوله عز وجل: ﴿ مُهْطِعِينَ ﴾ أي: منطلقين سراعاً ﴿ إِلَى الدَّاعِ ﴾ صاحب الصور، إلى بيت المقدس ﴿ يَقُولُ الْكَـٰفِرُونَ ﴾ أي: يومئذ ﴿ هَـٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾. لقد علم الكافرون يومئذ أي(2) عسر ذلك اليوم عليهم، وليس لهم من يسره شيء.

قوله: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ﴾ أي: قبل قومك يا محمد. ﴿ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا ﴾ أي نوحاً. ﴿ وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴾ أي: تُهُدِّدَ بالقتل، في تفسير الحسن. وقال مجاهد: واستطير جنوناً.

قال: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴾ [أي: فانتقم لي من قومي](3). فنصره الله وأهلك قومه.

قال: ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴾ أي: بماء منصب بعضه على بعض، وليس بمطر. ﴿ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوناً ﴾ أي: فصارت الأرض عيوناً. وتفسير الكلبي: إن ماء السماء وماء الأرض كانا سواء. قال تعالى: ﴿ فَالْتَقَى الْمَاءُ ﴾ أي: ماء السماء وماء الأرض ﴿ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾. أي: على إهلاك قوم نوح.

قال تعالى: ﴿ وَحَمَلْنَـٰهُ ﴾ يعني نوحاً ﴿ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ ﴾ يعني السفينة. ﴿ وَدُسُرٍ ﴾ والدسر: المسامير في تفسير بعضهم(4): وذلك قول الشاعر:

ودسَّرها نوح وأيقن أنها وأعلم أن الله قد كان عالماً

وقال الحسن: دُسُرها: صدرها. وقال الكلبي: دسرها: عوارضها، وقال مجاهد: أضلاعها.

---

(1) هذا تفسير للحسن، كما جاء في ز، ورقة 345.

(2) كذا في ق و ع. وفي ز، «يعلم الكافرون يومئذ أن عسر ذلك اليوم عليهم. . .».

(3) زيادة من ز، ورقة 345.

(4) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 240: «الدسر: المسامير والخرز، واحدها: دِسار. يقال: هات لي دساراً». وقال الفراء في المعاني، ج 3 ص 106: «مسامير السفينة، وشُرُطها التي تشد بها».

وقال تعالى: ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ كقوله عز وجل: (إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ) [طَهٰ: 16] قال: ﴿ جَزَاءً لِّمَنْ كَانَ كُفِرَ ﴾. أي: جزاء لنوح إذ كفره قومه، وجحدوا ما جاء به، يعني إنجاء الله إياه في السفينة.

قوله: ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَا ءَايَةً ﴾ لمن بعدهم، يعني السفينة. قال بعضهم أبقاها الله بباقَرْدىٰ من أرض الجزيرة، حتى أدركها أوائل هذه الأمة. وكم من سفينة كانت بعدها فصارت رماداً.

قال: ﴿ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ أي: متفكر؛ يأمرهم أن يعتبروا أو يحذروا أن ينزل بهم ما نزل بهم، فيؤمنوا. قال: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ (1) أي: كان شديداً ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ ﴾ أي: ليذكروا الله ﴿ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ وهي مثل الأولى.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً ﴾ والصرصر الباردة الشديدة البرد، أحرقت أجوافهم، وهي ريح الدبور. قال: ﴿ فِي يَوْمِ نَحْسٍ ﴾ أي مشؤوم ﴿ مُّسْتَمِرٍّ ﴾ أي: استمر بالعذاب. ﴿ تَنْزِعُ النَّاسَ ﴾ أي تنزع أرواح الناس وتصرعهم، ﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنْقَعِرٍ ﴾ شبههم في طولهم وعظمهم بالأعجاز وهي النخل التي قد انقلعت من أصولها فسقطت على الأرض. قال تعالى: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ أي: كان شديداً. وهي مثل الأولى. ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ وهي مثل الأولى.

﴿ كَذَّبَت ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴾ أي: بالرسل، يعني صالحاً ﴿ فَقَالُوا أَبَشَراً مِّنَّا وَاحِداً نَّتَّبِعُهُ ﴾ يعنون صالحاً ﴿ إِنَّا إِذاً لَّفِي ضَلَٰلٍ ﴾ أي: في ضلال من ديننا ﴿ وَسُعُرٍ ﴾ أي في عذاب، في تفسير الحسن. وقال مجاهد: (لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ) أي: وشقاء(2).

(1) قال الفراء في المعاني ج 3 ص 107: «(النذر) هاهنا مصدر معناه: فكيف كان إنذاري. ومثله عذراً أو نُذْراً يخففان ويثقلان...».

(2) كذا في ق وع وز: «وسعر، أي: وشقاء في تفسير مجاهد. أما في تفسير مجاهد، ص 637 فجاء فيه ما يلي: قال: (السُّعُر) الضلال أيضاً، وفي معاني الفراء، ج 3 ص 108: «أراد بالسعر: العناء للعذاب». وقال أبو عبيدة: «جمع سعيرة». وفي اللسان: «في ضلالة وجنون». ونسب فيه =

﴿أَءُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا﴾ على الاستفهام منهم، وهذا استفهام على إنكار؛ أي: لم ينزل عليه الذكر من بيننا. يجحدون الذكر الذي جاء به صالح. ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ والأشر اللّعّاب. وهو من باب الأشر[1]. قال تعالى: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَداً مَّنِ الْكَذَّابُ الأَشِرُ﴾.

قال الحسن: يوم القيامة. جعل الله قرب الآخرة من الدنيا كقرب اليوم من غد. قال: (سَيَعْلَمُونَ غَداً مَّنِ الْكَذَّابُ الأَشِرُ) أي اللعاب، لأن الكافر في الدنيا في لعب، كقوله عز وجل: (الذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ) [الطور: 12] وما أشبه ذلك. وقالوا لإبراهيم: (أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللاَّعِبِينَ) [الأنبياء: 55].

ثم قال: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ﴾ أي: بلية لهم. ﴿فَارْتَقِبْهُمْ﴾ أي: انظر ماذا يصنعون ﴿وَاصْطَبِرْ﴾ أي: على ما يصنعون وعلى ما يقولون، أي: إذا جاءت الناقة. وقد فسّرنا أمر الناقة في طسم الشعراء[2].

قال تعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ﴾ وهذا بعد ما جاءتهم الناقة. ﴿كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ أي: تشرب الناقة الماءَ يوماً ويشربونه يوماً[3].

قال: ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى[4] فَعَقَرَ﴾ أي: الناقة. ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ وهي مثل الأولى.

= هذا القول إلى الفارسي. والصحيح ما ذهب إليه الفراء وقتادة من أن السعر هو العذاب، وهو جمع سعير كما ذكره الطبري في تفسيره ج 27 ص 100.

(1) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 241: «الأشر: ذو التجبر والكبرياء، وربما كان النشاط». وقال الطبري، «يعنون بالأشر المرح ذا التجبر والكبرياء والمرح من النشاط».

(2) انظر ما مضى من هذا التفسير، ج 3 ص 236 - 237.

(3) قال محمد بن أبي زمنين، كما جاء في ز ورقة 346: «معنى محتضر يحضر القوم الشرب يوماً وتحضره الناقة يوماً». وقال الفراء في المعاني، ج 3 ص 108: «يحتضره أهله ومن يستحقه». وكذا قال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن، ص 433.

(4) قال الطبري في تفسيره، ج 27 ص 102: «يقول: فتناول الناقة بيده فعقرها».

قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً واحِدَةً ﴾ والصيحة: العذاب جاءهم. ﴿ فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴾ وهي تقرأ على وجهين: المحتظِر والمحتظَر. وهو النبات إذا هاج فذرته الرياح فصار حظائر[1]. وهذا تفسير من قرأ المحتظِر بكسر الظاء. ومن قرأ المحتظَر بفتح الظاء فالمعنى الذي جعل حظائر، شبههم بذلك[2].

قال عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ وهي مثل الأولى.

قوله عز وجل: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴾ أي: بالرسل، يعني لوطاً ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِباً ﴾ يعني الحجارة التي رمى بها من كان منهم خارجاً من المدينة وأهل السفر منهم وأصاب مدينتهم الخسف.

قال عز وجل: ﴿ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ﴾ يعني من آمن منهم ﴿ نَّجَّيْنَـٰهُم بِسَحَرٍ ﴾ وهو قوله: ﴿ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ) [الذاريات: 36]: قال عز وجل: ﴿ نِّعْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا ﴾ بمعنى نجيناهم بالإنعام عليهم. ﴿ كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴾ أي: من آمن.

قوله عز وجل: ﴿ وَلَقَدَ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا ﴾ أي: عذابنا ﴿ فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴾ أي: كذبوا بما قال لهم لوط[3].

قوله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُـذُرِ﴾ وهي مثل الأولى. وقد فسّرنا حديثهم في سورة هود، في حديث حذيفة بن اليمان[4].

---

(1) في ق و ع: «فصار حطاماً»، والصواب ما أثبته: «حظائر» من ز ورقة 346.

(2) قال الفراء في المعاني: (المُحْتَظِر) التي يحتظر على هشيمه. وقرأ الحسن وحده كهشيم المحتظَر. فتح الظاء فأضاف الهشيم إلى المحتظر، وهو كما قال: (إِنَّ هذا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ) والحق هو اليقين وكما قال: (وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ) فأضاف الدار إلى الآخرة، وهي الآخرة. والهشيم: الشجر إذا يبس».

(3) جاءت العبارة مضطربة فاسدة، فأثبت تصحيحها مما جاء في ز: ورقة 346.

(4) انظر ما مضى من هذا التفسير، ج 2 ص 239 - 241.

وقال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾ أي: استقر بهم العذاب. قال عز وجل: ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ وهي مثل الأولى.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾ أي الرسل؛ يعني موسى وهارون عليهما السلام ﴿كَذَّبُوا بِئَايَٰتِنَا كُلِّهَا﴾ يعني التسع، أي: اليد والعصا والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، وقال عز وجل: (وَلَقَدَ اخَذْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ). قال عز وجل: ﴿فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ أي على خلقه. أي: عذبهم بالغرق.

قال عز وجل: ﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾ [يعني أهل مكة][1] ﴿خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ﴾ يعني من أهلك من الأمم السالفة، أي: ليسوا بخير منهم، كانوا أشد منهم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً.

قال عز وجل: ﴿أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ أي: براءة من العذاب في الكتب ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنْتَصِرٌ﴾ أي [بل يقولون][2] نحن جميع منتصر. ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ يعني يوم بدر.

﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ تفسير موعدهم هذا بعذاب الاستئصال يعني كفار آخر هذه الأمة، في تفسير الحسن. ﴿وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ﴾ أي من تلك الأحداث التي أهلك الله بها الأمم السالفة. ﴿وَأَمَرُّ﴾ أي: وأشد[3]. قال الحسن: إن الله معذب كفار آخر هذه الأمة بعذاب لم يعذب به أمة من الأمم، وهي النفخة الأولى.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: المشركين ﴿فِي ضَلَٰلٍ﴾ أي: عن الهدى ﴿وَسُعُرٍ﴾ أي في عذاب، في تفسير الحسن. وقال مجاهد: (فِي سُعُرٍ) أي:

---

(1) زيادة من ز، ورقة 346.

(2) زيادة من ز أيضاً. وقال الفراء في المعاني، ج 3 ص 110: «(أَمْ يَقُولُونَ) أي: أيقولون نحن جميع كثير منتصر».

(3) كذا في ق وع: «وأشد»، وفي ز: «وأشر».

في شقاء. ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ أي: تسحبهم الملائكة ﴿ذُوقُوا﴾ أي: يقال لهم في النار: ذوقوا ﴿مَسَّ سَقَرَ﴾ وسقر اسم من أسماء جهنم[1].

قوله عز وجل: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ ذكروا عن سعيد بن جبير عن علي قال: كل شيء بقدر حتى هذه ووضع إصبعه السبابة على طرف لسانه، ثم وضعها على طرف إبهامه اليسرىٰ.

ذكروا عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: لا يؤمن العبد حتى يؤمن بأربعة: يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، بعثني بالحق، ويؤمن بالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر[2].

ذكروا عن عطاء بن السايب عن علي قال: لا يجد عبد طعم حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

ذكروا عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر[3] أن رسول الله ﷺ بينما هو في ملإ من أصحابه إذ أقبل رجل حتى سلم على النبي ﷺ والملأ، فرد عليه السلام فقال: يا محمد، ألا تخبرني ما الإيمان؟ فقال: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والبعث بعد الموت والحساب والميزان والجنة والنار، والقدر خيره وشره. قال فإذا فعلت ذلك فأنا مؤمن؟ قال: نعم. قال صدقت. فعجب أصحاب النبي عليه السلام من قوله: صدقت. ثم قال: يا محمد، ألا تخبرني ما الإسلام؟ قال: الإسلام أن تقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج بيت الله

---

(1) قال الفراء في المعاني ج 3 ص 110 «سقر: اسم من أسماء جهنم لا يُجرى [أي لا ينصرف]. وكل اسم كان لمؤنث فيه الهاء أو ليس فيه الهاء فهو لا يجرى، إلا أسماء مخصوصة خفت فأجريت وترك بعضهم إجراءها، وهي هند، ودعد، وجمل، ورنم، تجرى ولا تجرى...».

(2) حديث صحيح أخرجه الترمذي في المقدمة، باب في القدر، وأخرجه الترمذي في باب القدر، وأخرجه البغوي في شرح السنة ج 1 ص 122؛ باب الإيمان بالقدر، كلهم يرويه من حديث علي بن أبي طالب.

(3) كذا في، ق و ع، والصحيح أن يزاد فيه «عن أبيه عمر بن الخطاب».

الحرام، وتغتسل من الجنابة، قال: فإذا فعلت ذلك فقد أسلمت؟ قال: نعم. قال صدقت. قال: يا محمد، ألا تخبرني ما الإحسان؟ قال الإحسان أن تخشى الله[1] كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإن يراك. قال فإذا فعلت ذلك فقد أحسنت؟ قال: نعم. قال: صدقت. قال: يا محمد، ألا تخبرني متى الساعة؟ قال: سبحان الله العظيم ثلاث مرات، ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، إن الله استأثر بعلم خمسة لم يطلع عليها أحد ﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: 34] ولكن سأخبرك بشيء يكون قبلها: حين تلد الأَمَةُ ربَّها وحين يتطاول أهل البناء في البنيان وتصير الحفاة العراة على رقاب الناس. قال: ثم تولى الرجل فاتبعه رسول الله ﷺ بطرفه حيناً طويلاً، قال: ثم رد طرفه فقال: هل تدرون من هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: هذا جبريل جاءكم يعلمكم أمر دينكم فتعلموا[2].

ذكروا أن عبد الله بن مسعود قال: ما كفر قوم بعد نبوءة إلا كان مفتاح ذلك التكذيب بالقدر.

ذكروا عن عمران عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: بني الإسلام على ثلاثة: الجهاد ماض منذ بعث الله نبيه إلى آخر فئة من المسلمين تكون هي التي تقاتل الدجال لا ينقضه جور من جار، والكف عند ما لا تعلم، والمقادير خيرها وشرها[3].

---

(1) كذا في ق و ع: «أن تخشى الله» وهو لفظ جاء في إحدى روايتي أبي هريرة للحديث في صحيح مسلم. أما سائر روايات الحديث فجاءت بلفظ: «أن تعبد الله كأنك تراه».

(2) حديث صحيح رواه مسلم في كتاب الإيمان، وهو أول أحاديث الباب الأول، باب الإيمان والإسلام والإحسان... يرويه عبد الله بن عمر بلفظ: حدثني أبي عمر بن الخطاب (رقم 8)، وأخرجه أيضاً مسلم من رواية أبي هريرة في الباب الأول (رقم 9) وأخرجه البخاري مختصراً في كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان من رواية أبي زرعة عن أبي هريرة. وأخرجه غيرهما.

(3) حديث صحيح أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد. باب في الغزو مع أئمة الجور عن أنس بن مالك، (رقم 2532) وأوله: ثلاثة من أصل الإيمان.

ذكروا عن يحيى بن كثير عن رجاء بن حيوة قال: قال رسول الله ﷺ: إنما أخاف على أمتي حيف الأئمة والتصديق بالنجوم والتكذيب بالقدر[1].

ذكروا عن أبي العجاج الأزدي قال: قلت لسلمان الفارسي: ألا تخبرني عن القدر وعن الإيمان بالقدر. قال: تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولا تقل لولا كذا لم يكن كذا.

قوله عز وجل: ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾ كقول الله عز وجل: (وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ). [النحل: 77] أي: بل هو أقرب. تفسير الحسن: أي إذا جاء عذاب كفار آخر هذه الأمة بالنفخة الأولى.

قوله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ ﴾ أي: الذين على دينكم ومنهاجكم يقوله للمشركين: أي من أهلك من الأمم السالفة. ﴿ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ أي: من متفكر، يخوّفهم العذاب ويحذرهم.

قوله عز وجل: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴾ أي: في الكتب، أي: قد كتب عليهم. ﴿ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴾ أي: مكتوب مسطر.

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴾، يعني جميع الأنهار، كقوله عز وجل: (وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا) [الحاقة: 17] يعني بالملك جماعة الملائكة. وكقوله: (وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ) [النحل: 16] يعني جماعة النجوم. وكقوله: (وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ) [النور: 41] يعني جماعتها. وأنهار الجنة تجري في غير أخدود: الماء والعسل واللبن والخمر، وهو أبيض كله. فطين النهر مسك أذفر، ورضراضه الدر والياقوت، وحافاته قباب اللؤلؤ. قال تعالى: ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾. أي عند الله[2]. أي: إن الجنة في السماء والنار في الأرض.

---

(1) حديث صحيح أخرجه الطبراني عن أبي أمامة.

(2) كذا في ق و ع، وفي ز ورقة 347: «يعني نفسه».

تفسير سورة الرَّحْمٰنِ، وهي مكية كلها.

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿الرَّحْمٰنُ عَلَّمَ الْقُرْءانَ خَلَقَ الإِنْسَـٰنَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ أي: علمه الكلام[1].

قوله تعالى: ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ قال مجاهد: [يعني بحسبان][2] كحسبان الرحى. وفي تفسير الحسن: بحسبان: بمجرى وقال الحسن: هما والنجوم في مثل الطاحونة، أي في مثل فلكة المغزل دون السماء. ولو كانت ملتزقة بالسماء لم تجر.

وفي تفسير الكلبي: بحسبان أي بحساب ومنازل معدودة [كل يوم منزل][3].

ذكروا عن أبي صالح: إن السماء خلقت مثل القبة، إن الشمس والقمر والنجوم ليس شيء منها لازقاً بالسماء، وإنها تجري في فلك دون السماء. وإن أقرب الأرض

(1) كذا في ق و ع و ز: «علمه الكلام» وكذلك جاء في تفسير ابن قتيبة. وهذا تأويل غير كاف. فلفظ البيان أبلغ تعبيراً وأدق معنى إذ يفيد الإبانة والإفصاح عما يختلج في نفس الإنسان، والقدرة ـ بإذن الله ـ على التعبير عن مقاصده.

(2) زيادة من تفسير مجاهد، ص 639. وقول مجاهد هذا وقول الحسن تأويل لا يعتد به الآن.

(3) زيادة من ز، وقال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 242: «(بحسبان) جميع حساب مثل شهبان وشهاب»، وقول الأخفش في معاني القرآن ج 2، ص 112: «(بِحُسْبَانٍ): حساب ومنازل للشمس والقمر لا يعدوانها». وأقوال الكلبي والفراء والأخفش هي أولى بالصواب وذلك ما أكده العلم الحديث.

إلى السماء بيت المقدس باثني عشر ميلًا، وإن أبعد الأرض من السماء الأبلّة[1].

ذكروا عن مجاهد قال: قوله عز وجل: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: 33] قال: يدورون كما يدور فلك المغزل.

قوله عز وجل: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ النجم ما كان من النبات على غير ساق، والشجر ما كان على ساق. وسجودهما ظلهما. وقال في آية أخرى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّداً لِلهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ [النحل: 48].

قوله عز وجل: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا﴾ إن بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام. قال تعالى: ﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ أي: وجعل الميزان في الأرض بين الناس ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ أي: لا تظلموا فيه. ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾ أي: بالعدل ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ أي: ولا تنقصوا الناس حقهم. قال مجاهد: الميزان العدل.

قوله عز وجل: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ أي: للخلق ﴿فِيهَا فَـٰكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ تفسير الحسن: الأكمام: الليف، وتفسير الكلبي: الطلع[2].

﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ يعني البقل[3] في الزرع، والعصف سوق الزرع.

وقال الحسن: كنا بالمدينة ونحن غلمان نأكل الشعير إذا قُضِب[4] وكنا نسميه العصف.

---

(1) الأبلّة: مدينة على شاطىء دجلة قرب البصرة، وهي أقدم عمراناً من البصرة، انظر ياقوت الحموي معجم البلدان، ج 1 ص 76-78، والبكري، معجم ما استعجم، ج 1 ص 98.

(2) وقال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن: «أي: ذات الكُفُرَّى قبل أن ينفتق. وغلاف كل شيء كمه». والكُفُرَّى هو وعاء طلع النخل.

(3) في ق و ع: «يعني القـد في الزرع» وفي الكلمة تصحيف ولا شك، فأثبت ما جاء في معاني الفراء ج 3 ص 113.

(4) أي إذا قطع وهو أخضر قبل أن يستغلظ، ويسمى القصيل.

وقوله عز وجل: (والرَّيْحَان) تفسير الحسن أنه مبتدأ، يقول: وفيها الريحان، يعني الرياحين.

وتفسير الكلبي: الريحان الرزق. وهذا التفسير على من قرأها بالجر: والحب ذو العصفِ والريحانِ، يجعلهما جميعاً من صفة الزرع. وبعضهم على المقرأ بالجر يقول: العصف سوق الزرع والريحان ورق الزرع.

وتفسير الكلبي: العصف الورق [الذي لا يؤكل]، والريحان الحب [الذي يؤكل][1].

وقال مجاهد: العصف ورق الحنطة، [والريحان الرزق][2].

قال عز وجل: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ يعني الثقلين: الجن والإنس[3].

قال تعالى: ﴿ خَلَقَ الإِنسَـٰنَ ﴾ يعني ءادم ﴿ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ وهو التراب اليابس الذي يسمع له صلصلة. وقال مجاهد: الذي قد صلَّ، أي: أنتن.

قوله عز وجل: (كَالْفَخَّارِ) له صوت كالفخار المتكسر إذا حرّك. وكان آدم في حالات قبل أن ينفخ فيه الروح. قال تعالى في آية أخرى: (مِنْ طِينٍ) [السجدة: 7] وقال: (مِنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ) [الحجر: 26] أي: من طين منتن فيما ذكروا عن عطاء بن السايب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

قال تعالى: ﴿ وَخَلَقَ الجَانَّ ﴾ يعني إبليس ﴿ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾. تفسير الحسن: من لسان النار ولهبها. قال ابن عباس: من خالص النار. وقال مجاهد: من

---

(1) وقع اضطراب ونقص في ق و ع في تفسير الكلبي فأثبت التصحيح والزيادة من تفسير القرطبي ج 17 ص 157.

(2) زيادة من تفسير مجاهد: ص 640.

(3) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 243: «(فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) أي: فبأي نعمه، واحدها أَلَّى تقديرها قَفًى. وقال بعضهم: تقديرها مِعًى. وَ(تُكَذِّبَانِ) مجازها مخاطبة الجن والإنس وهما الثقلان.

اللهب الأحمر والأصفر والأخضر. يعني الاختلاط. كقوله تعالى: (فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ) [سورة قٓ: 5] أي: ملتبس، وهو المختلط.

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ يعني الجن والإنس. قال الحسن: الإنس كلهم من أولهم إلى آخرهم ولد آدم. والجن كلهم من أولهم إلى آخرهم ولد إبليس.

قوله عز وجل: ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾ أي: مشرق الشتاء ومشرق الصيف، ومغرب الشتاء ومغرب الصيف. قال تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ ﴾ أي نعماء[1] ﴿ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾ [تفسير قتادة: أفاض أحدهما في الآخر][2] ﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾ [أي: بين العذب والمالح حاجز من قدرة الله لا يبغي أحدهما على صاحبه]. لا يبغي المالح على العذب فيختلط، ولا العذب على المالح فيختلط.

وقال بعضهم: بين البحرين المالحين بحر فارس وبحر الروم حاجز، أي: من الأرض. وتفسير الحسن: حاجز من الخلق لا يبغيان عليهم فيغرقانهم، وهو محبوس. ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا ﴾ أي نعماء ربكما ﴿ تُكَذِّبَانِ ﴾.

قوله عز وجل: ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ قال بعضهم: اللؤلؤ: الكبار، والمرجان الصغار. ذكر ذلك عن سعيد بن جبير وغيره.

وقال مجاهد: المرجان ما عظم من اللؤلؤ. وقال الكلبي: اللؤلؤ هو اللؤلؤ البسّذ[3]. يعني العزل[4].

---

(1) كذا في ق و ع: «نعماء» بالإفراد، وهي النعمة، وجمعها نعم وأنعم. وقد تأتي الكلمة مفردة ويراد بها الجمع كما في قوله تعالى: (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا) [إبراهيم: 34].

(2) ما بين المعقوفين في هاتين الآيتين زيادة من ز، ورقة 348 للإيضاح.

(3) في ق و ع: «السند»، وفي الكلمة تصحيف صوابه ما أثبته «البُسّذ». واللفظة غير عربية انظر الجواليقي، المعرّب، ص 388، تعليق: 3، واللسان: (بسذ)، ويرى محقق المعرب أن الكلمة، كلمة المرجان، عربية.

(4) كذا في ق و ع: «يعني العزل» ولم أهتد لوجه الصواب في الكلمة إن كان بها تصحيف.

فمن فسّر بتفسير الكلبي فهو يقول: يخرج منهما، أي: من البحرين المالحين بحر فارس وبحر الروم، أي يخرج من بحر فارس اللؤلؤ، ويخرج من بحر الروم العزل. ومن جعلهما من صغار اللؤلؤ فهو يقول: (يَخْرُجُ مِنْهُمَا) أي: من أحدهما، أي: لا يعدوهما. كقوله تعالى: (يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمَ ءَايَاتِي) [الأنعام: 13] يعني من الإنس. وقال في آية أخرى: (وَهُوَ الذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ) [الفرقان: 53]. وقال: (كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ) [الرحمٰن: 58]. أي: صفاء الياقوت في بياض المرجان. قال: ﴿فَبِأَيِّ ءَالاَءِ﴾ أي: نعماء ﴿رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

قال تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَئَاتُ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلَمِ﴾ يعني السفن التي عليها شُرُعها، وهي القلوع[1]. والأعلام: الجبال. ﴿فَبِأَيِّ ءَالاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا﴾ أي: على الأرض ﴿فَانٍ﴾ كقوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: 185] أي: تموت. أي: يموت أهل الأرض وأهل السماء. ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّك ذِي الْجَلٰلِ﴾ أي: العظمة ﴿وَالإِكْرَامِ﴾ أي: لأهل طاعته. قال تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

قوله: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ أي: يسأله أهل السماء الرحمة، ويسأله أهل الأرض الرحمة والمغفرة والرزق وحوائجهم، ويدعوه المشركون عند الشدة، ولا يسأله المغفرة إلا المؤمنون.

قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[2] فمن شأنه أن يميت ويحيي، أي: ما

---

(1) في تفسير مجاهد: «المنشآت: ما قد رفع قِلْعه من السفن، فأما ما لم يرفع قِلْعه فليس بمنشإ، يعني شراعه». وقد وردت في ع كلمة «القلوع» هكذا بالواو، جمعاً لقِلْع، ولم أجد هذا الجمع فيما بين يدي من كتب اللغة، والصحيح أن جمعها قلاع، وقُلُع. وقد سقطت الآية وتفسيرها من ق، وهو سهو من ناسخ المخطوطة ولا شك.

(2) جاء في معاني الفراء، ج 3 ص 116: «وقوله: (كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَانٍ) غير مهموز. قال: وسألت الفراء عن (شان) فقال: أهمزه في كل القرآن إلا في سورة الرحمٰن، لأنه مع آيات غير =

يولد، ويجيب داعياً، ويعطي سائلاً، ويشفي مريضاً، ويفك عانياً، أي: أسيراً. وشأنه كثير لا يحصى، لا إله إلا هو. قال تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

قوله عز وجل: ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴾ أي: الجن والإنس، أي: سنحاسبكم ونعذّبكم. وهي كلمة وعيد، يعني المشركين منهم. قال: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنْسِ ﴾ يعني المشركين منهم ﴿ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ أي: من نواحيها ﴿ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴾ الله عليكم في تفسير الحسن. وقال مجاهد: إلا بحجة.

ذكروا عن عطاء بن يزيد قال: يبعث الله خوفاً على أهل الأرض قبل أن ينفخ في الصور، فترجف بهم الأرض، مساكنهم وأفئدتهم، فيخرجون حتى يأتوا أنشف[1] البحر، فيجتمع فيه الإنس والجن والشياطين. فيلبثون ما شاء الله أن يلبثوا، ثم يقول الشياطين بعضهم لبعض: ما يحبسنا؟ هلموا لنلتمس المخرج، فيخرجون حتى يأتوا الأفق من قبل مغرب الشمس فيجدونه قد سدّ عليه الحفظة، فيرجعون إلى الناس، فيلبثون لبثاً. ثم يقول بعضهم لبعض ما حبسنا، هلموا فلنلتمس المخرج. فيخرجون حتى يأتوا الخافق من قبل مطلع الشمس، فيجدونه قد سدّ عليه الحفظة، فيرجعون إلى الناس. فبينما هم كذلك إذ أشرفت عليهم الساعة، فنادى مناد: أيها الناس، أتى أمر الله، فما المرأة بأشد استماعاً لها من الوليد في حجرها، فينفخ في الصور.

قال تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَاءِ ﴾ أي: نعماء ﴿ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

قال تعالى: ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا ﴾ يعني الكفار من الجن والإنس ﴿ شُوَاظٌ مِّن

= مهموزات. وشأنه في كل يوم أن يميت ميتاً، ويولد مولوداً، ويغني ذا، ويفقر ذا فيما لا يحصى من الفعل».

(1) كذا في ق و ع: «أنشف البحر»، وهو صحيح فصيح أي: أكثر موضع في البحر يبساً. انظر اللسان: (نشف).

نَّارٍ﴾ وهو اللهب الذي لا دخان فيه ﴿وَنُحَاسٌ﴾ وهو الدخان الذي لا لهب فيه، وهو تفسير ابن عباس. وهي تقرأ على وجه آخر: (مِن نَّارٍ وَنُحَاسٍ)، وهي قراءة عبد الرحمٰن الأعرج، يقول: (يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٍ) يقول: من لهب ودخان. قال الله: ﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ أي: لا تمتنعان. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ أي محمرّةً ﴿كَالدِّهَانِ﴾ أي: كعكر الزيت، في تفسير بعضهم. وقال الحسن: أي: مثل الدهان إذا صب بعضه على بعض رأيت لها حمرة. وقال مجاهد: كألوان الدهان. وبعضهم يقول: أُدُم تكون في اليمن يقال لها الدّهان[1]. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَاءِ﴾ أي: نعماء ﴿رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

قال تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ أي: لا يطلب علم ذلك من قِبَلِهم. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

قال تعالى: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾ [بعلاماتهم][2]، أي: بسواد وجوههم وزرقة عيونهم. ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ أي: يجمع بين ناصيته وقدميه من خلفه ثم يلقى في النار. وتفسير الحسن: يجمع بين ناصيته وقدميه من الغل لِكَيْ لا يضطرب. قال: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

قوله عز وجل: ﴿هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ أي: المشركون ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾.

(1) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 245: «(فكانت وردة كالدهان) من لونها، جمع دهن، تمور كالدهن صافية، وردة لونها كلون الورد، وهو الجلُّ». وقد أورد الفراء في المعاني ج 3 ص 117 معنى آخر فقال: «أراد بالوردة الفرس الوردةَ. تكون في الربيع وردة إلى الصفرة، فإذا اشتد البرد كانت وردة حمراء. فإذا كان بعد ذلك كانت وردة إلى الغبرة. فشبه تلون السماء بتلون الوردة من الخيل. وشبهت الوردة في اختلاف ألوانها بالدهن واختلاف ألوانه. ويقال: إن الدهان: الأديم الأحمر. وقد ذكر الطبري في تفسيره ج 17 ص 142 اختلاف المفسّرين في تأويل الآية فقال: «وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: عُنِيَ به الدهن في إشراق لونه، لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب». فنرجح ما ذهب إليه أبو عبيدة.

(2) زيادة من مجاز أبي عبيدة ج 2 ص 245.

بلغنا[1] ـ والله أعلم ـ أن شجرة الزقوم نابتة في الباب السادس من جهنم على صخرة من نار، وتحتها عين من الحميم أسود غليظ، فيسلط على أحدهم الجوع، فيُنطلق به، فيأكل منها حتى يملأ بطنه، فتغلي في بطنه كغلي الحميم، فيطلب الشراب ليبرد به جوفه، فينزل من الشجرة إلى تلك العين التي تخرج من تحت الصخرة، من فوقها الزقوم ومن تحتها الحميم، فتزل قدماه على تلك الصفا، فيقع لظهره ولجنبه، فيشتوى عليها كما يشتوى الحوت على المِقلَى. فتسحبه الخزان على وجهه، فينحدر على تلك العين، ولا ينتهي إليها إلا وقد ذهب لحم وجهه، فينتهي إلى تلك العين، فيسقيه الخزان في إناء من حديد من نار. فإذا أدناه من فيه [اشتوى وجهه، وإذا وضعه على شفتيه][2] تقطعت شفتاه وتساقطت أضراسه وأنيابه من حره. فإذا استقر في بطنه أخرج ما كان في بطنه من دبره.

وبلغنا أن ابن عباس قال: إن في جهنم شجرة نابتة في أصل جهنم، لا بد للكافر من أكلها، فتملأ بطنه. فيهوي حتى إذا انتهى إليها أكل منها. فإذا ملأ بطنه صعد إلى أعلاها. فإذا بلغ إلى أعلاها انحدر إليها أيضاً. فإذا أكل منها صعد إلى أعلاها أيضاً، فإذا بلغ إلى أعلاها انحدر إليها.

وقال في آية أخرى: (عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ) [الغاشية: 3] أي: كفرت بالله في الدنيا فأعملها وأنصبها في النار، فهم في عناء وترداد.

قوله تعالى: (حَمِيمٍ آنٍ) فالحميم: الحار، والآني: الذي قد انتهى حره. وقال مجاهد: قد بلغ أناه وحان شرابه. ذكروا عن الحسن في قوله: (تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ) [الغاشية: 5] أنى حرها فاجتمع. قال: قد وقد عليها منذ خلق الله السماوات والأرض. قال تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

قال: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ ﴾ يعني الذي يقوم بين يدي ربه للحساب، في

(1) هذا قول ليحيى بن سلام كما في ز ورقة 348.

(2) زيادة من ز، ورقة 349.

تفسير الحسن، ﴿ جَنَّتَانِ ﴾. وتفسير مجاهد: هو من أراد ذنباً فذكر الله وذكر أنه قائم عليه فتركه[1].

تفسير الحسن أنها أربع جنات: جنتان للسابقين، وجنتان للتابعين. ويعني بالسابقين أصحاب النبي[2] عليه السلام، وبالتابعين من بعدهم. وبعضهم يقول: السابقون الذين يدخلون الجنة بغير حساب، والذين دونهم أصحاب اليمين غير السابقين. فالمنزل الأول للسابقين، والآخر لأصحاب اليمين، وهم الذين يحاسبون حساباً يسيراً. قال عز وجل: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالاَءِ﴾ أي: نعماء ﴿ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

قال: ﴿ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴾. تفسير الحسن: ذواتا أغصان، يعني ظلال الأشجار وبعضهم يقول: ذواتا ألوان. ﴿فَبِأَيِّ ءَالاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

قوله عز وجل: ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴾ قال: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

قال: ﴿ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾ أي: لونان[3]. ﴿ فَبِأَي ءَالاَءِ﴾ أي نعماء ربكما تكذبان.

قوله: ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنِ إِسْتَبْرَقٍ ﴾ تفسير الحسن: [(بَطَائِنُهَا): يعني ما يلي جلودهم][4] والاستبرق الديباج الغليظ. وهي بالفارسية: إستبره. قال تعالى: ﴿ وَجَنَا الجَنَّتَيْنِ ﴾ أي: ثمارها ﴿ دَانٍ ﴾ أي: قريب.

ذكروا عن البراء بن عازب قال: أدنيت منهم وذللت، يتناولون منها أنهاشاً. وذكروا عن البراء بن عازب قال: يتناولون منها قعوداً ومضطجعين وكيف شاءوا.

---

(1) كذا في ق وع، وروى الطبري في تفسيره، ج 27 ص 145 بعض عبارات مجاهد هكذا: «الرجل يهم بالذنب فيذكر مقامه بين يدي الله فيتركه، فله جنتان». وفي أخرى: «فيذكر مقام ربه فينزع».

(2) كذا في ق وع، وفي ز: «أصحاب الأنبياء».

(3) كذا في ق وع: «لونان»، وفي ز، ورقة 349: «نوعان». وهو واحد.

(4) زيادة من ز، ورقة 349.

ذكروا عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده إن أهل الجنة يتناولون من قطوفها وهم متكئون، فما تصل إلى في أحدهم حتى يبدل الله مكانها أخرى[1].

قال تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

قال: ﴿ فِيهِنَّ قَـٰصِرَٰتُ الطَّرْفِ ﴾ أي: قصر طرفهن على أزواجهن لا يردن غيرهم ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ ﴾ أي: لم يمسسهن قبل أزواجهن في الجنة بعد خلق الله إياهن وفي الخلق الثاني ﴿ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ يعني من كان من المؤمنات من نساء الدنيا.

ذكروا عن الحسن أن امرأة من عمات النبي عليه السلام قالت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني معك في الجنة فقال: يا عمه، إن الجنة لا يدخلها عجوز، ففزعت من ذلك فقال: إن الله جعلهن شواب أبكاراً[2].

ذكروا عن الحسن أن منهن من كان في الدنيا عجوزاً رمصاء[3] فجعلهن الله شواب أبكاراً. قال: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

قال: ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ يريد صفاء الياقوت في بياض المرجان.

ذكر بعضهم قال: إن المرأة لتكون من أهل الجنة يكون عليها تسعون حلة وإنه ليُرى مخّ ساقها من وراء ذلك كما يبدو الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء. قال بعضهم: ذلك مثل الخيط في النظام لا يغيبه النظام.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة

---

(1) انظر الإشارة إليه فيما مضى قريباً في هذا الجزء ص 226.

(2) أخرجه مجاهد في تفسيره، ص 648. عن الحسن مرسلاً. وأخرجه الترمذي في الشمائل من حديث الحسن كذلك، وفي سنده المبارك بن فضالة، وهو مدلس.

(3) الرمصاء: التي في عينها رَمَص، وهو القذى الذي يجتمع في العين، وقيل الذي يسيل منها. انظر اللسان (رمص) و (غمص).

البدر، ثم الذين يلونهم كأضوإ نجم في السماء أضاءت قلوبهم على قلب واحد، لا اختلاف بينهم ولا تباغض. لكل امرىء منهم زوجتان، يرى مخ ساقها من وراء لحمها، يسبحون الله بكرة وعشياً، آنيتهم الذهب والفضة، وزاد فيه بعضهم: وقود مجامرهم الألوّة[1]. والألوّة: العود القماري، ورشحهم مسك أذفر، وبساطهم ذهب[2].

قال: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلَّا الإِحْسَانُ﴾ أي: هل جزاء الإيمان إلا الجنة.

ذكروا عن الحسن قال: لا إله إلا الله بعمل صالح ثمن الجنة. قال تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

قال تعالى: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا﴾ أي: ومن دون الجنتين اللتين وصف ما فيهما ﴿جَنَّتَانِ﴾، وهاتان الجنتان الأخيرتان لأصحاب اليمين، وهم المقتصدون، وهم الذين يحاسبون حساباً يسيراً. والجنتان الأوليان منزل المقرّبين، وهم السابقون. والمنزل الثاني، منزل أصحاب اليمين، وهم المقتصدون. قال تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

قال تعالى: ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ قال: خضراوان ناعمتان من الري، وادهمّتا من الخضرة. وقال مجاهد: مسوّدتان من الري[3]. قال: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَاءِ﴾ أي نعماء ربكما تكذبان﴾.

---

(1) في ق و ع: «اللؤلؤة» وفي الكلمة تصحيف صوابه: اللوة، والألؤة. انظر اللسان: (لوى).

(2) حديث حسن صحيح، أخرجه الترمذي في أبواب صفة الجنة عن أبي سعيد، ويتقوى الحديث بحديث متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب خلق آدم وذريته. وأخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر، (رقم 2834) كلاهما يرويه من حديث أبي هريرة.

(3) في ق و ع: «مستويتان من الري إلى النعمة، وفي العبارة تصحيف وفساد، أثبت صحتها مما جاء في تفسير مجاهد، ص 643.

قال: ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾ أي: تنبعان من أصولهما ثم تجريان بعد. وأما عينا جنتي السابقين فتجريان من أصولهما. قال تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ﴾ أي نعماء ﴿ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

قال تعالى: ﴿ فِيهِمَا فَـٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾.

ذكروا عن الحسن قال: نخل الجنة جذوعها ذهب، وسعفها حلل، ورطبها مثل قلل هجر أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد.

ذكروا عن سعيد بن جبير قال: جذع نخل الجنة ذهب أحمر، وكربها زبرجد أخضر، وشماريخها در أبيض، وسعفها الحلل، ورطبها أشد بياضاً من الفضة، وأحلى من العسل وألين من الزبد، ليس في شيء منه عجم[1]. طول العذق اثنا عشر ذراعاً منضود من أعلاه إلى أسفله أمثال القلل لا يؤخذ منه شيء إلا أعاده الله كما كان.

ذكروا عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال: نخل الجنة نميك[2] ما بين أصلها إلى فرعها، وتمرها كالقلال. كلما نزعت تمرة عادت تمرة أخرى، وأنهارها تجري في غير خدود، والعنقود منها اثنا عشر ذراعاً.

ذكروا عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ ذكر في حديث ليلة أسري به قال: ثم أعطيت الكوثر، فسلكته حتى انفجر بي في الجنة فإذا الرمانة من رمانها مثل جلد البعير المقتب[3].

ذكروا عن الحسن عن النبي ﷺ قال: في كل رمانة من رمان الدنيا حبة من رمان الجنة، أحسبه قال: لا يأكلها المنافق[4]. قال تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

قال: ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴾ يعني النساء، الواحدة منهن خيرة. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ

(1) عجم، هو النوى، نوى التمر والنبق والرمان.

(2) كذا جاءت الكلمة في ع «نميك»، وفي ق تصيك، ولم أهتد لما فيها من تصحيف.

(3) انظر الإشارة إليه في أحاديث الإسراء والمعراج، ج 2 ص 288. وأخرجه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الخدري، كما في الدر المنثور، ج 6 ص 150.

(4) رواه ابن عباس مرفوعاً، وليس فيه الجملة الأخيرة، كما في الدر المنثور، ج 6 ص 150.

رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ قال: ﴿ حُورٌ ﴾ يعني بيض، في تفسير العامة. وتفسير مجاهد: (حُورٌ) أي يحار فيهن النظر، وينظر الناظر إلى وجهه في جيدهن. قوله عز وجل: ﴿ مَقْصُورَٰتٌ ﴾ أي: محبوسات ﴿ فِي الْخِيَامِ ﴾.

ذكروا عن عكرمة عن ابن عباس قال: الخيمة درة مجوفة، فرسخ في فرسخ، لها أربعة آلاف مصراع من ذهب، على كل مصراع وصيف قائم.

ذكروا عن أبي موسى الأشعري قال: إن رجلاً من أهل الجنة لتكون له الخيمة طولها في السماء ستون ميلاً وإن له في ناحيتها الجواري يطفن عليه لا يشعر بهن الآخرون. قال: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

قال: ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ أي: لم يمسسهن قبل أزواجهن، أي في الجنة، قبل خلق الله إياهن في الخلق الثاني (إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ) يعني من كان منهن من نساء الدنيا المؤمنات. قال تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ ﴾ أي نعماء ﴿ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾ فالرفرف المحابس[1]، والعبقري الوسائد. ذكروا عن مجاهد عن ابن عباس قال: العبقري: الوسائد، والحسان: العتاق. وقال بعضهم: الواحد منهم عبقرة. وتفسير الحسن: الرفرف: المحابس، والعبقري المرافق. وتفسير الكلبي: العبقري: الزرابي، ذكروا عن سعيد بن جبير قال: (عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ): على رياض الجنة[2]. قال تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ).

قوله: ﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ أي: ذي العظمة والإكرام، أي: لأهل طاعته؛ أكرمهم إذ صيّرهم إلى داره، دار السلام. عونك يا معين.

(1) المحابس: جمع محبس، وهو «المقرمة التي تبسط على وجه الفراش للنوم». والمقرمة: ستر قد يكون فيه نقوش ورقم. انظر اللسان: (حبس) و (قرم).

(2) وردت معان كثيرة للرفرف الخضر وللعبقري الحسان منها المخاد والطنافس الثخان وغيرهما، انظر ذلك في مجاز أبي عبيدة، ج 2 ص ٢٤٢، وفي تفسير الطبري ج 27 ص 163-164.

تفسير سورة الواقعة، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴾ أي: إذا قامت القيامة. ﴿ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴾ أي: هي كائنة لا شك فيها، ليس في مجيئها تكذيب[1]. ﴿ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴾ أي: خفضت أقواماً إلى النار فلا يرتفعون أبداً، ورفعت أقواماً إلى الجنة فلا ينزلون أبداً.

قال تعالى: ﴿ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجّاً ﴾ كقوله: (إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا) [الزلزلة: 1] أي: يوم القيامة. وقال مجاهد: (رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجّاً) زلزلت الأرض زلزالاً وحركت تحريكاً.

قال تعالى: ﴿ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّاً ﴾ أي كما يُبَس السويق[2]. وقال مجاهد: فتتت فتاً. قال تعالى: ﴿ فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثّاً ﴾ الهباء الغبار الذي يدخل من الكوّة من شعاع الشمس (مُّنبَثّاً) أي: منثوراً متفرقاً. وتفسير الحسن: فكانت غباراً ذاهباً.

قوله تعالى: ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَاجاً ثَلَاثَةً ﴾ أي أصنافاً ثلاثة: أي: مؤمناً ومنافقاً ومشركاً[3]. وهي كقوله: (لِيُعَذِّبَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ،

---

(1) قال الفراء في المعاني، ج 3 ص 121: «يقول: ليس لها مردودة ولا رد. فالكاذبة هاهنا مصدر مثل: العاقبة والعافية».

(2) بسَّ السويقَ يبُسه بساً إذا خلطه بسمن أو زيت، والبسّ يكون للسويق وللدقيق أو الاقط المطحون، والبسّ أشد من اللتّ بللاً. والاسم منه: البسيسة.

(3) هذا التفسير مخالف لما جاء في سورة فاطر، الآية: 32 حسبما تأوله المؤلف هناك في حديث =

وَيَتُوبَ اللهُ عَلَى الْمُومِنِينَ وَالْمُومِنَاتِ) [الأحزاب: 73]. وكقوله في الآية التي في سورة فاطر: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ)، سقط هذا، وهو المنافق، (وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ) وهم أصحاب اليمين، وهم أهل الجنة، أهل المنزلة الآخرة في سورة الرحمٰن، وفي هذه، (وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ) [فاطر: 32] وهم المقرّبون السابقون، وهم أهل المنزلة الأولى في سورة الرحمٰن وفي هذه السورة.

قال تعالى: ﴿ فَأَصْحَـٰبُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَـٰبُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ وهم الميامين على أنفسهم ﴿ وَأَصْحَـٰبُ الْمَشْئَمَةِ مَا أَصْحَـٰبُ الْمَشْئَمَةِ ﴾ وهم المشائيم على أنفسهم.

قال تعالى: ﴿ والسَّـٰبِقُونَ السَّـٰبِقُونَ أُولٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ يعني السابقين من أهل الميمنة، وأصحاب الميمنة هم أصحاب الجنة، وهم أصحاب اليمين. وأهل الجنة صنفان: السابقون وأصحاب اليمين الذين ليسوا سابقين، وهم أهل الاقتصاد، وهم الذين يحاسبون حساباً يسيراً. وتفسير الحسن: السابقـون أصحاب النبي ﷺ وأصحاب الأنبياء عليهم السلام.

قال تعالى: ﴿ فِي جَنَّـٰتِ النَّعِيمِ ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ ﴾ والثلة الطائفة. وتفسير مجاهد: الثلة: الأمة، قال تعالى: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنَ الأخِرِينَ﴾ تفسير الحسن: يعني أن سابقي جميع الأمم أكثر من سابقي أمة محمد عليه السلام. والثلة أكثر من القليل.

قال: ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴾ قال مجاهد: عن ابن عباس: يعني مرمولة بالذهب. قال الحسن: ورملها نسجها بالياقوت واللؤلؤ[1]. وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: مرمولة بقضبان اللؤلؤ الرطب.

= أبي الدرداء وكأني بهذا التأويل هنا من زيادات الشيخ هود الهواري. وهو غير وارد في ز. انظر ما مضى من هذا التفسير، ج 3 ص417 - 420. والمحققون من المفسرين يرون أن الذين أورثهم الله الكتاب ممن اصطفاهم هم من أصحاب الجنة.

(1) وقال الفراء في المعاني، ج 3،ص 122: «(موضونة): منسوجة، وإنما سمت العرب وضين الناقة (أي: حزامها) وضينا لأنه منسوج.

قال تعالى: ﴿ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴾ قال: لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض وتفسير الكلبي: يقابل بعضهم بعضاً. قال بعضهم: بلغنا أن ذلك في الزيارة إذا تزاوروا.

قوله عز وجل: ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْـدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾ أي: لا يموتون ولا يشيبون عن منازل الوصفاء[1]، خلدوا على تلك الحال لا يتحولون عنها.

قال تعالى: ﴿ بِأَكْوَابٍ ﴾ يسمى كوباً، والعرب تسمية كوزاً، وهو المدور القصير العنق القصير العروة[2]. قال تعالى: ﴿ وَأَبَارِيقَ ﴾ وهو المستطيل الطويل العنق الطويل العروة، وهو بالفارسية أبواه. قال تعالى:

﴿ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴾ أي: ظاهرة[3]. ﴿ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا ﴾ أي: عن الخمر، أي: لا يصيبهم عليها صداع ﴿ وَلَا يُنزِفُونَ ﴾ ولا تذهب عقولهم، أي: لا يسكرون، ولا يبولون ولا يتغوطون لا يمتخطون.

قال تعالى: ﴿ وَفَـٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴾ أي: إذا اشتهوا الشعب[4] من الشجرة انقض إليهم، فأكلوا منه أي الثمار شاءوا، إن شاءوا قياماً أو قعوداً أو مستلقين، وهو قوله: (وَجَنَا الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ) [الرحمٰن: 54].

قال: ﴿ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده إن في الجنة طيراً مثل البخت، فقال أبو بكر: إن ذلك لطير ناعم.

---

(1) الوصفاء: جمع وصيف، وهو الغلام إذا بلغ الخدمة، وربما قالوا للجارية وصيفة بينة الوَصافة، وجمعها وصائف.

(2) كذا في ق و ع: وقال الفراء في المعاني ج 3 ص 123: «الكوب ما لا أذن له ولا عروة له، والأباريق ذوات الآذان والعرى». وهذا هو الصحيح كما ذكره المحققون من اللغويين.

(3) وقال أبو عبيدة في المجاز؛ ج 2 ص 249: «(وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ): شراب من معين، والمعين الماء الظاهر.

(4) الشُعبة من الشجر ما تفرق من أغصانها، وشُعَب الغصن أطرفه المتفرقة، ويقال أيضاً: شُعب للمفرد منه بدون تاء. انظر اللسان: (شعب).

قال: والذي يأكل منها أنعم، وإني لأرجو أن تأكل منها يا أبا بكر[1].

ذكروا أن الطير تصف بين يدي الرجل، فإذا اشتهى أحدها اضطرب ثم صار بين يديه نضيجاً.

ذكروا عن علي بن أبي طالب قال: إذا اشتهوا الطعام جاءتهم طيور خضر فترفع أجنحتها، فيأكلون من جنوبها أي الألوان شاءوا، وفيها من كل لون، يأكلونها ثم تطير فتذهب. وبلغنا أن الطير تصف بين يديه فرسخاً، فالطير أمثال الإبل؛ فيقول الطير: يا ولي الله أما أنا فقد رعيت في وادي كذا وكذا وأكلت من ثمار كذا وكذا، فَكُلْ مني. فإذا اشتهى حسن الطير واشتهى صفته فوقع ذلك في نفسه قبل أن يتكلم وقع ذلك الطير على مائدته نصفه قدير[2] ونصفه شواء، فيأكل منها مقدار أربعين سنة، كلما شبع ألقي عليه ألف باب من الشهوة. قالها ثلاث مرات.

قال تعالى: ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴾ والحور البيض في تفسير بعضهم. وقال مجاهد: الحور: أي: يحار فيهن النظر، وينظر الناظر وجهه في جيدها. وقال تعالى: (عِينٌ) أي: عظام العيون، والواحدة منها عيناء. وقال بعضهم: أشفار عينيها أطول من جناح نسر.

قال تعالى: ﴿ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾ يعني صفاء ألوانهن، والمكنون أي: الذي في أصدافه. وقال بعضهم: المكنون: الذي لم يثقب ولم تمسه الأيدي قال: ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي: يجازون على قدر أعمالهم.

قوله عز وجل: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا ﴾ أي: في الجنة ﴿ لَغْواً ﴾ واللغو: الباطل ﴿ وَلَا تَأْثِيماً ﴾ أي: لا يؤثم بعضهم بعضاً. ﴿ إِلَّا قِيلاً سَلَـٰماً سَلَـٰماً ﴾ أي: يسلم بعضهم على بعض، وقال بعضهم: إلا خيراً خيراً.

(1) انظر الإشارة إليه فيما سلف قريباً، ج 4 ص 226.
(2) القدير من اللحم ما طبخ في القدر بتوابل.

قال تعالى: ﴿ وَأَصْحَـٰبُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَـٰبُ الْيَمِينِ ﴾ هؤلاء غير المقربين وهم أهل المنزل الآخر في سورة الرحمٰن. [يعني أهل الجنة من غير السابقين. وأهل الجنة كلهم أصحاب اليمين][1].

قال تعالى: ﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴾ المخضود الذي لا شوك له. وقيل: الموقر، وهو تفسير مجاهد. قال تعالى: ﴿ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴾. قال الحسن: هو الموز[2]. وهو قول مجاهد ذكروا عن عطاء بن السايب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: هو الموز.

قوله عز وجل: ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ أي: متصل دائم في تفسير الحسن. وقال الكلبي: ليس معه شمس.

ذكروا عن رسول الله ﷺ أنه قال: إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها؛ اقرأوا إن شئتم: (وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ)[3].

قال تعالى: ﴿ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴾ أي: ينسكب بعضه على أثر بعض وليس بالمطر.

---

(1) زيادة من ز، ورقة 350.

(2) كذا في ق و ع. وجاء في ز ما يلي: «(وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ) أي بعضه على بعض. يعني بالطلح الشجر الذي بطريق مكة. قال مجاهد: كانوا يعجبون من وَجّ وظلاله من طلح وسدر فخوطبوا ووعدوا بما يحبون مثله». سقط هذا التفسير من ق و ع وهو أحقُّ بالإثبات، وأولى بالصواب عندي؛ ففي مجاز أبي عبيدة ج 2 ص 250 ما يلي: «(وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ) زعم المفسّرون أنه الموز، وأما العرب فالطلح عندهم شجر عظيم كثير الشوك. . .» ووَجّ الذي ذكره مجاهد هو الطائف، بلاد ثقيف: انظر معجم البلدان لياقوت، ومعجم ما استعجم للبكري. (وَجّ).

(3) حديث صحيح متفق عليه أخرجه الشيخان وأصحاب السنن. أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة من حديث أبي هريرة وأنس بن مالك. وأخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إن في الجنة لشجرة. . . من حديث أبي هريرة (رقم 2826) ومن حديث سهل بن سعد (رقم 2827) ومن حديث أبي سعيد الخدري (رقم 2828).

قوله عز وجل: ﴿ وَفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾. ذكروا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده إن أهل الجنة ليتناولون من قطوفها وهم متكئون على فرشهم، فما تصل إلى في أحدهم حتى يبدل الله مكانها أخرى[1].

قال الحسن: (لَّا مَقْطُوعَةٍ) أي ليس ثمارها مثل ثمار الدنيا لها زمن تكون فيه ثم تنقطع، (وَلَا مَمْنُوعَةٍ) أي: إن لثمار الدنيا من يمنعها وثمار الجنة لا تمنع.

قال: ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ أي بعضها فوق بعض. ذكر بعض أصحاب النبي عليه السلام أن ارتفاعها من الأرض قدر مائة خريف، يعني مائة سنة.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَـٰهُنَّ ﴾ أي: ابتدأنا خلقهن، يعني نساء أهل الجنة ﴿ إِنشَاءً ﴾ أي: خلقاً. ﴿ فَجَعَلْنَـٰهُنَّ أَبْكَاراً ﴾ أي عذارى. ﴿ عُرُباً ﴾. قال الحسن: العرب: العاشقات لأزواجهن. وبعضهم يقول: المحبّبات لأزواجهن، أي: هم عاشقون لهن. وبعضهم يقول: الغَنِجات[2].

قال: ﴿ أَتْرَاباً ﴾ أي: على سن واحدة، عن رسول الله ﷺ قال: إن أهل الجنة لا يدخلونها كلهم رجالهم ونساؤهم إلا على نحو ثلاث وثلاثين سنة، على طول آدم، وطوله ستون ذراعاً. والله أعلم بأي ذراع، لا يتغوطون ولا يبولون، ولا يمتخطون. والنساء عرب أتراب لا يلدن ولا يحضن ولا يمتخطن ولا يقضين حاجة، أي: ليس فيهن قذر.

ذكر الحسن أن امرأة من عمات النبي عليه السلام قالت: يا رسول الله: ادع الله أن يجعلني معك في الجنة. قال: يا عمة، إن الجنة لا يدخلها عجوز. ففزعت من ذلك فقال: إن الله جعلهن شَوَابَّ أبكاراً[3].

(1) انظر الإشارة إليه في تفسير سورة الطور فيما سلف من هذا الجزء، ص226، وقد أخرج الحديث ابن سلام بسند كما في ز ورقة 340.

(2) جمع الفراء هذه الأوصاف فقال وأوجز: «(عُرُباً) واحدها عروب، وهي المتحببة إلى زوجها، الغَنِجَة». وقال أبو عبيدة: «هي الحسنة التبعّل».

(3) انظر الإشارة إليه فيما مضى قريباً في هذا الجزء ص 269.

قال الحسن: يجعل العجوز شابة، والمولودة الصغيرة يُشِبُّها حتى تكون بنت ثلاث وثلاثين سنة. يعني قوله: (إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً عُرُباً أَتْرَاباً).

قال: ﴿ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ وأصحاب اليمين هاهنا، في تفسير الحسن، جماعة أهل الجنة. قال في الآية الأولى: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ) [الواقعة: 13-14] يعني بالثلة سابقي من مضى من أصحاب الأنبياء مع الأنبياء (وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ) يعني أصحاب محمد مع محمد ﷺ. وقال في هذه الآية: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِّنَ الأخِرِينَ﴾، يعني التابعين ممن مضى والتابعين من هذه الأمة، فسوى بين تابعينا وتابعيهم، وسابقهم أكثر من سابقنا. فيدخل الله أطفالنا الجنة وأطفالهم فنكون شطر أهل الجنة بأطفالنا لأن أطفالنا أكثر من أطفالهم.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه يوماً: إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، فكبروا وحمدوا الله واستبشروا. ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة. فكبّروا وحمدوا الله واستبشروا. ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة. فكبروا وحمدوا الله واستبشروا(1). قال الحسن: إن ذلك لفي كتاب الله: (ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِّنَ الآخِرِينَ). ذكروا عن جابر بن عبد الله عن النبي عليه السلام مثل ذلك غير أنه لم يذكر الأخيرة.

ذكروا عن بعضهم قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه ذات يوم: أيسرّكم أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: أيسركم أن تكونوا شطر أهل الجنة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، فقال: الناس يوم القيامة عشرون ومائة صف، وأنتم منهم ثمانون صفاً(2).

(1) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة عن عبد الله (رقم 221) وأخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب صفة أمة محمد ﷺ عن عبد الله (رقم 4283) وأوله: أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة. . . .
(2) انظر ما سلف، ج 2 ص 466.

ذكروا عن أبي بكر قال: إن الثُّلَّتَين كلتاهما من هذه الأمة: ثلة من الأولين وثلة من الآخرين.

قوله: ﴿وَأَصْحَـٰبُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَـٰبُ الشِّمَالِ﴾ وهم أهل النار ﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾ في نار وحميم، أي الشراب الذي لا يستطاع من حره. قال: ﴿وَظِلٍّ مِن يَحْمُومٍ﴾ أي: من دخان، [واليحموم الدخان الشديد السواد][1] وهو قوله: (اِنطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ) [المرسلات: 30-31] يُنطَلَق بهم عند الفراغ من حسابهم ويُساقون إلى النار. ثم يبعث الله إليهم ملكاً فيقول للخزنة: (وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْؤُولُونَ) [الصافات: 24] أي: عن أعمالهم الخبيثة، فيحبسون قبل أن يصلوا إلى النار، فيخرج عنق من النار فيحيط بهم جميعاً فيغشاهم الحرّ والغشيان[2]. وذلك قوله عز وجل: (أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا) [الكهف: 29] ثم يخرج من النار دخان أسود مظلم غليظ شديد حتى يكون فوق رؤوسهم. ثم يتفرق ذلك الظل ثلاث فرق فوقهم على السرادقات، فينطلق كل قوم من شدة الحر الذي أصابهم من حر السرادق، فذلك قوله: (انْطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ).

قال تعالى: ﴿لَّا بَارِدٍ﴾ أي: لا بارد في الظل ﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾ أي: في المنزل. والكريم: الحسن.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ هو كقوله عز وجل: (إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُوراً) [الانشقاق: 13]. والمترفون أهل السعة والنَّعمة في الدنيا، يعني المشركين.

ذكروا عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر[3].

---

(1) زيادة من ز، ورقة 350.

(2) كذا في ق و ع: «الغشيان» وله وجه، ولعله الغثيان.

(3) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق عن أبي هريرة (رقم 2956) وهو أول أحاديث الكتاب.

قوله تعالى: ﴿ وَكَانُوا يُصِرُّونَ ﴾ قال مجاهد: كانوا يقيمون ﴿ عَلَى الحِنْثِ العَظِيمِ ﴾ أي: الذنب الكبير، وهو الشرك.

﴿ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ أَوَءَابَاؤُنَا الأَوَّلُونَ ﴾ أي: لا نبعث نحن ولا آباؤنا.

قال الله: ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ أي: يوم القيامة.

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ لآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زَقُّومٍ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴾.

ذكروا عن الأعمش قال: الهيم: إبل بها داء [الهيام][1] فإذا وجدت الماء كرعت فيه ولم ترفع رؤوسها حتى تموت. وتفسير الحسن: (الهيمُ) الإبل المراض[2] التي تشرب حتى تنقطع أعناقها. وقال الكلبي: (الهِيمُ): الظمأى، أي: العطاش.

قال: ﴿ هَـٰذَا نُزُلُهُمْ[3] يَوْمَ الدِّينِ ﴾ أي يوم الحساب، يوم يدين الله الناسَ بأعمالهم.

وحدث عن علي بن أبي طالب أنه دخل عليه رجل بعدما صلى صلاة الصبح فقال: يا أمير المؤمنين، ما بلغ عطش أهل النار. قال: فغطى وجهه بثوب، ثم بكى. حتى تعالى النهار، ثم كشف الثوب عن وجهه فقال: أين السائل عن عطش أهل النار، تعال أخبرك بما سمعت من رسول الله ﷺ وهو يقول:

(1) زيادة من تفسير الطبري، ج 27 ص 196، ويسمى الداء أيضاً العُطاش.

(2) في ع وق: «الإبل الصوال» (كذا)، ولم أهتد لما في الكلمة من تصحيف فأثبت مكانها لفظ المراض كما فسره عكرمة حسب رواية الطبري في تفسيره ج 27 ص 195: «قال: هي الإبل المراض التي تمص الماء مصاً ولا تروي. وقال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 251: «و (الهيم) واحدها أهيم وهو الذي لا يروى من رمل كان أو بعير». وانظر اللسان (هيم).

(3) النُّزُل: ما يهيأ من طعام تكريماً للضيف إذا نزل. ويقال للضيف: نزيل. وفي الآية تهكم بالضالين المكذبين.

إن أهل النار ليبكون الدموع في النار زماناً حتى تنفد الدموع، ثم يبكون الدم زماناً حتى ينفد الدم، ثم تقرح العيون فيصير عليها قرح فتستبين فيها القيح ما لو قذفت فيه السفن لجرت. قال: فيجتمعون فيقولون: يا معشر الأشقياء، نعم الزرع تزرعون لو كنتم في الدنيا المحروم أهلها. أما من أحد نستغيث به اليوم. فيقولون: ما نعلمه إلا أهل الجنة. يا معشر الآباء والأمهات، ويا معشر القرابة والأنسبة، ألم نكن في الدنيا نتراحم، ألم نُسأل فنُعطِي، ألم نُظْلَم فنعفو. إنا خرجنا من الدنيا عطاشاً، وسكنا القبور عطاشاً، وخرجنا من القبور عطاشاً، ووقفنا طول الموقف عطاشاً، ثم سُحِبنا إلى النار على وجوهنا عطاشاً؛ فقد أحرقت القلوب، ونضجت الجلود، وعميت الأبصار. وصمّت الآذان، (أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ). [الأعراف: 50]. قال: ثم يؤذن لهم بالجواب، فيقولون: (إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ) قال: فعند ذلك انقطع رجاؤهم وينادون بالويل والثبور والشهيق.

قال تعالى: ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَـٰكُمْ فَلَوْلَآ ﴾ أي: فهلا ﴿ تُصَدِّقُونَ ﴾ أي: بالبعث، يقوله للمشركين.

قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴾ يعني النطفة كقوله عز وجل: (نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ تُمْنَىٰ) [القيامة: 37] وكقوله: (مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ) [النجم: 46] قال تعالى: ﴿ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ الْخَـٰلِقُونَ ﴾ على الاستفهام، أي: لستم بالذي تخلقونه، ولكن نحن الخالقون.

﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ ﴾ أي: لكل عبد وقت لا يعدو وقته، وقال: مجاهد: المتأخر منهم والمُسْتَعجِل. قال: ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ أي: بمغلوبين ﴿ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَـٰلَكُمْ ﴾ أي: آدميين خيراً منكم. يقوله للمشركين. ﴿ وَنُنشِئَكُمْ فِيمَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أي في صورة القردة والخنازير، في تفسير الحسن. وقال مجاهد: في أي: خلق شاء.

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ ﴾ أي: خلق آدم وذريته بعده، وقال مجاهد:

يعني إذ لم تكونوا شيئاً. قال تعالى: ﴿ فَلَوْلَا ﴾ أي: فهلا ﴿ تَذَكَّرُونَ ﴾ أي: فتؤمنوا بالبعث.

قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ ﴾ أي: تنبتونه، يقوله على الاستفهام ﴿ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾ أي: لستم الذين تزرعونه ولكن نحن الزارعون المنبتون.

قال: ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ ﴾ يعني الزرع ﴿ حُطَامًا ﴾ وهو كقوله عز وجل: (ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ﴾ [الحديد: 20]، وكقوله: (هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ ﴾ [الكهف: 45] ﴿ فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾ تفسير الحسن: تَنَدَّمون، أي: على ما أنفقتم في الزرع. وقال مجاهد: أي: فَظَلْتُم تعجبون [المعنى تعجبون لهلاكه بعد خضرته[1] ﴿ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴾ أي: غرمنا في الزرع[2] ﴿ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾ أي: حرمنا الزرع.

قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ ﴾ تفسير ابن عباس: المزن السحاب. وهو قول مجاهد. وتفسير الحسن: السماء. قال تعالى: ﴿ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴾ على الاستفهام، أي: لستم أنتم أنزلتموه من المزن، ولكن نحن المنزلون.

﴿ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا ﴾ أي: مرّاً ﴿ فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾ أي: فهلا تؤمنون. يقوله للمشركين.

قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴾ أي: توقدون ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا ﴾ أي: التي تخرج منها ﴿ أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴾ أي الخالقون، يعني أم نحن المنبتون.

---

(1) زيادة من ز، ورقة 351.

(2) كذا في ق و ع: أي: «غرمنا في الزرع»، وفي ز. «إنا لمهلكون». وفي تفسير مجاهد ص 650: «يقول: إنا لملقون للشر». وقال أبو عبيدة والفراء وابن قتيبة: «إنا لمعذبون». وزاد ابن قتيبة: من قوله عز وجل: (إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا) أي: هَلَكة.

﴿ نَحْنُ جَعَلْنَـٰهَا تَذْكِرَةً ﴾ أي: للنار الكبرى. قال الحسن: قال رسول الله ﷺ: ناركم هذه التي توقدون. إنها جزء من سبعين جزءاً من نار الآخرة. قالوا يا رسول الله إن كانت لكافية. قال: فإنها فضلتها تسعة وستين جزءاً. ولقد ضرب بها في الماء مرتين[1].

ذكروا عن سلمان الفارسي قال: النار سوداء مظلمة ما يضيء لهبها، ثم قرأ هذه الآية: (وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ) [الأنبياء: 100].

ذكر الحسن قال: كان عمر بن الخطاب إذا هم أن يوقد النار [أوقد] ثم يدني أصبعه منها فيقول: يا ابن الخطاب، ألك على هذا صبر؟.

ذكر بعضهم قال: فما ظنكم عباد الله بعبد قد جعلت في عنقه سلسلة محماة تحرق ما ظهر من جسده وما بطن؛ فلو أن حلقة من تلك السلسلة وضعت على ذروة جبل لذاب كما يذوب الرصاص، فكيف بابن آدم، وهي عليه وحده. ثم يطمس وجهه على دبره، ويجمع ما بين ناصيته وقدمه، وقرن معه شيطانه، تنازعهم الأغلال في حميم، فبئس القرناء قرنوا معه. فويل لابن آدم حين هو مسود الوجه، بادىء العورة، ذليل الجسد، كاسف البال، آيس من كل خير، مستيقن من كل شر، تسحبه الملائكة بالسلاسل في نار تغلي على القطران، والقطران يغلي على جسده.

قال تعالى: ﴿ وَمَتَـٰعاً لِّلْمُقْوِينَ ﴾ أي: يستمتعون بها. والمقوون المسافرون في تفسير الحسن[2].

وقال بعضهم: المقوي المسافر المرمل. والمرمل الذي قد ذهب زاده[3]. وقال مجاهد: المقوون المستمتعون.

---

(1) انظر الإشارة إلى هذا الحديث فيما سلف، ج 2 ص 158.

(2) وهذا ما ذهب إليه ابن قتيبة أيضاً. قال في تفسير غريب القرآن، ص 451: «(لِلْمُقْوِينَ) يعني المسافرين، سموا بذلك لنزولهم القَوَاءَ، وهو القفر».

(3) وهذا ما ذهب إليه أبو عبيدة. قال في المجاز، ج 2 ص 252: المقوي الذي لا زاد معه ولا مال، وكذلك الدار التي قد أقوت من أهلها.

قال تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ قال بعضهم: بلغنا أنها لما نزلت قال رسول الله ﷺ: اجعلوها في ركوعكم. قال: ولما نزلت: (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى) [الأعلى: 1] قال: اجعلوها في سجودكم[1].

قوله عز وجل: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ ﴾ وهذا قسم. وأقسم ولا أقسم واحد. قال تعالى: ﴿ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ أي نجوم القرآن، وهي تقرأ بموقع النجوم، أي بنزول الوحي، فيما ذكر عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس[2].

وتفسير الحسن: يعني الكواكب إذا انتثرت يوم القيامة. وبعضهم يقول: النجوم إذا غابت. وقال مجاهد: موقع نجوم السماء.

قال: ﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴾ أقسم بمواقع النجوم إن هذا القرآن كريم أي: على الله. ﴿ فِي كِتَـٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴾ أي: عند الله، بأيدي السفرة الكرام البررة. ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ أي: من الذنوب، يعني الملائكة ﴿ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَـٰلَمِينَ ﴾ أي: نزل به جبريل. وفيها تقديم؛ يقول: نزل من رب العالمين في كتاب مكنون لا يمسّه إلا المطهّرون.

قال: ﴿ أَفَبِهَٰذَا الْحَدِيثِ ﴾ يعني القرآن ﴿ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴾ أي: تاركون له، يقوله للمشركين. كقوله عز وجل: (وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ) [القلم: 9] أي: ودوا لو تدع هذا الأمر الذي بعثت به فيدعونه. قال: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ كقوله: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْراً) [إبراهيم: 28].

---

(1) أخرجه ابن ماجه في باب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب التسبيح في الركوع والسجود، (رقم 887) وأخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب ما يقوله الرجل في ركوعه وسجوده، (رقم 869) كلاهما يرويه من حديث عقبة بن عامر الجهني.

(2) قال الفراء في المعاني، ج 3 ص 129: «قال: (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ) قال: بمحكم القرآن، وكان ينزل على النبي ﷺ نجوماً». وقال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 252: «فأقسم بمواقع النجوم، ومواقعها مساقطها ومغايبها».

قال: ﴿ فَلَوْلَا ﴾ أي: فهلا ﴿ إِذَا بَلَغَتِ ﴾ أي النفس التي زعمتم أن الله لا يبعثها. ﴿ الْحُلْقُومَ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ فَلَوْلَا ﴾ أي: فهلا ﴿ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴾ أي: غير محاسبين في تفسير بعضهم: وقال بعضهم: غير مقرّين بالبعث. وقال بعضهم: غير مملوكين[1] ﴿ تَرْجِعُونَهَا ﴾ يعني النفس إلى الدنيا ﴿ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أي: بأنكم لا تبعثون.

قال: ﴿ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ ﴾. وهي تقرأ على وجهين: فـ (رَوْحٌ)، و فـ (رُوحٌ) وكان الحسن يقرأها: فرُوح، بضم الراء. وتفسير الحسن في (رُوح) الحياة الطويلة في الجنة. وبعضهم يقول: الروح: الرحمة. ومقرأ الكلبي: فَـرَوْحٌ، يعني الراحة. وقال الكلبي: الريحان: الرزق[2].

ذكروا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إن الميت تحضره الملائكة، فإذا كان الرجل صالحاً قالوا: اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، اخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان، وربّ راض غير غضبان. يقال لها ذلك حين ينتهى بها إلى السماء، فيستفتح لها، فيقال: من هذا؟ فيقولون فلان بن فلان. فيقولون: مرحباً بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب. ادخلي حميدة وأبشري بروح وريحان، ورب راض غير غضبان. فيقال لها ذلك، حتى ينتهى بها إلى السماء السابعة.

فإذا كان الرجل السوء قالوا اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد

(1) اختلف المفسرون قديماً في المراد من قوله غير مدينين وروي في معناه خمسة أقوال والراجح منها حسبما ذهب إليه جمهور المفسرين أن معناه غير مجزيين، وهو ما ذهب إليه أبو عبيدة في المجاز، وكان الفراء رجح معنى غير مملوكين.

(2) جاء في معاني الفراء. ج 3 ص 121 ما يلي: «قال الفراء قال: وحدثني شيخ عن حماد بن سلمة عن عبد الله بـن شقيق عن عائشة عن النبي ﷺ أنه قال: (فرُوح وريحان) وقراءة الحسن كذلك والأعمش وعاصم والسلمي وأهل المدينة وسائر القراء (فرَوْح) أي: فرَوح في القبر ومن قرأ: (فرُوح) يقول: حياة لا موت فيها (وَرَيْحَانٌ): رزق».

الخبيث، اخرجي ذميمة وأبشري بحميم وغساق (وَءَاخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ) [سورة صٓ: 58]. فيقولون ذلك لها حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء، فيستفتح لها. فيقال: من هذا؟ فيقولون: فلان. فيقال: لا مرحباً بالنفس الخبيثة، ارجعي ذميمة فإنه لن يفتح لك، فترسل بين السماء والأرض، ثم يصيران إلى القبر.

ذكروا عن الحسن أنه قرأ هذه الآية: (فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ). فقال: ذلك في الآخرة. فسأله بعض القوم فقال: أما والله إنهم ليرون عند الموت.

ذكروا عن بعض التابعين قال: إن المؤمن عند الموت يؤتى بحزمة[1] ريحان فيشمها ثم يموت.

قال تعالى: ﴿ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴾.

قال عالى: ﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَـٰبِ الْيَمِينِ فَسَلَٰمٌ لَّكَ [أي فخير لك][2] مِنَ أَصْحَـٰبِ الْيَمِينِ ﴾ وهؤلاء أصحاب اليمين من غير المقرّبين. وهم أصحاب المنزل الثاني في هذه السورة وفي سورة الرحمٰن. وهي أيضاً في سورة الملائكة في المقتصد والسابق، والسابق يدخل الجنة بغير حساب. والمقتصدون هم الذي يحاسبون حساباً يسيراً، وهم أصحاب المنزل الآخر.

قال: ﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴾ ذكروا عن عطاء بن السايب عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وبعضهم يرفعه إلى النبي عليه السلام قال: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، وإن المؤمن إذا احتضر أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه وأحب الله لقاءه... وإن الكافر إذا احتضر كره لقاء الله وكره الله لقاءه[3]. ثم تلا هذه الآية: (فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ

(1) في ق و ع: بحوزة ريحان، ولا معنى لحوزة هنا فأثبت ما رأيت أنه الصواب: حزمة.
(2) زيادة من ز ورقة 351. وفي معاني الفراء ج 3 ص 121: «أي: فذلك مسلَّم لك أنك من أصحاب اليمين. وانظر معاني أخرى لقوله: (فَسَلَٰمٌ لَّكَ) في تفسير القرطبي ج 17 ص 233.
(3) حديث متفق عليه: أخرجه البخاري في كتاب الرقائق: باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه عن عائشة. وأخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار. باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، (رقم 2683) عن عبادة بن الصامت، و(رقم 2684)، عن عائشة.

الْحُلْقُومَ وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ. . .) إلى ختام السورة.

قوله: ﴿ إِنَّ هٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴾ أي: إن هذا الذي قصصنا عليك في هذه السورة ليقين حق][1] ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ [أي: نزّه الله من السوء][1].

(1) زيادة من ز، ورقة 352.

تفسير سورة الحديد، وهي مدنية كلها(1).

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ سَبَّحَ لِلهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾. قال بعضهم: العزيز في نقمته، الحكيم في أمره. وتفسير الحسن: العزيز: بعزته ذل من دونه.

قوله: ﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

قوله: ﴿ هُوَ الأَوَّلُ ﴾ [يعني قبل كل شيء] ﴿ وَالأخِرُ ﴾ [بعد كل شيء] ﴿ وَالظّٰهِرُ ﴾ [يعني العالم بما ظهر] ﴿ وَالْبَاطِنُ ﴾ [يعني العالم بما بطن](2) ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

ذكروا عن الحسن قال: اجتمعت أربعة أملاك فقالوا لأحدهم: من أين جئت؟ فقال: من السماء السابعة من عند ربي، ثم قالوا للثاني: من أين جئت فقال: من الأرض السابعة من عند ربي. فقالوا للثالث: من أين جئت؟ فقال: من المشرق من

(1) في ق و ع: «مكية كلها» وهو خطأ من ناسخ ولا شك، فإنه لم يقل بأنها مكية إلا ابن السائب. والجمهور على أنها مدنية. وممن قال بأنها مدنية ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وجابر بن زيد وقتادة ومقاتل. ومما يؤكد أنها مدنية ذكر الفتح فيها في الآية: 10، وهو فتح مكة. وكذلك ذكر المنافقين والمنافقات في الآية: 13. وأغلب الآيات التي نزلت في المنافقين إنما هي آيات مدنية وفي سور مدنية. وجاء في ز ورقة 352: وهي مدنية كلها.

(2) ما جاء بين معقوفين في تفسير هذه الآية زيادة من ز.

عند ربي. فقالوا للرابع من أين جئت؟ فقال: من المغرب، من عند ربي. ثم تلا هذه الآية: (هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرَ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ). ولا أعلمه إلا رفعه إلى النبي عليه السلام.

قوله عز وجل: ﴿ هُوَ الذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ وفيها إضمار: خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، اليوم منها ألف سنة كقوله: (وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ). [الحج: 47].

قال: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾. ذكروا عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: بين السماء السابعة وبين العرش كما بين سماءين. ذكروا عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس أنه قال: لا يعلم قدر العرش إلا الذي خلقه.

قوله عز وجل: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ ﴾ أي: ما يدخل في الأرض من المطر ﴿ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ﴾ أي: من النبات ﴿ وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ أي: من وحي وغيره. ﴿ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾ أي: ما يصعد إليها من الملائكة وأعمال العباد(1).

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ لَّهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضِ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ﴾ أي: يوم القيامة.

قوله عز وجل: ﴿ يُولِجُ الَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي الَّيْلِ ﴾ وهو أخذ كل واحد منهما من صاحبه. ﴿ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾. أي: بما في الصدور.

قوله تعالى: ﴿ ءَامِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ أي بعد الأمم التي أهلك الله واستخلفكم في الذي كان في أيديهم(2). كقوله تعالى: (ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ) [يونس: 14] قال: ﴿ فَالذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا ﴾ أي: في سبيل الله ﴿ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ أي: الجنة.

---

(1) جاء في ق و ع ما يلي: (وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا) «أي: من الوحي الذي تعرج به الملائكة». وما أثبته من ز ورقة 352 أصح عبارة وأوفى معنى.

(2) وقال الفراء في المعاني ج 3 ص 132: «مملكين فيه، وهو رزقه وعطيته».

قال عز وجل: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَـٰقَكُمْ﴾ أي: في صلب آدم عليه السلام. قال تعالى: ﴿ إِنْ كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: إن كنتم مؤمنين بالله وبالرسول فأنتم مؤمنون بذلك الميثاق. وإن كفرتم بالله وبالرسول فأنتم كافرون بذلك الميثاق.

قوله عز وجل: ﴿ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ ءَايَـٰتٍ بَيِّنَـٰتٍ﴾ أي: القرآن ﴿ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَـٰتِ إِلَى النُّورِ ﴾ أي: من الضَّلَالَةِ إِلَى الْهُدَىٰ يعني من أراد الله أن يهديه. قال: ﴿ وَإِنَّ اللهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾.

قوله عزّ وجل: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ ﴾ رجع إلى الكلام الأول: (وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ). قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ﴾ يعني يبقى بعد كل شيء ويهلك كل شيء. كقوله عزّ وجلّ: (إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ) [مريم: 40].

قال تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ﴾ [فيها تقديم: لا يستوي من أنفق منكم من قبل الفتح وقاتل][1]، وهو فتح مكة ﴿ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَىٰ ﴾ أي: الجنة، من أنفق وقاتل قبل فتح مكة وبعده. قال: ﴿ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾.

ذكروا عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: لا هجرة بعد فتح مكة [2].

ذكروا عن صفوان بن أمية[3] وسهيل بن عمرو[4] ورجلين آخرين قدموا على

(1) زيادة من ز، ورقة 352.

(2) حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير عن ابن عباس بلفظ: لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا. وأخرجه مسلم في كتاب الإمارة عن ابن عباس (رقم 1353) وعن عائشة (رقم 1864).

(3) هو صفوان بن أمية بن خلف القرشي الجمحي، وكنيته أبو وهب. انظر ترجمته في الاستيعاب لابن عبد البر، ج 2 ص 718، وفي سير أعلام النبلاء، للذهبي، ج 2 ص 405.

(4) في ق و ع جاء الاسم هكذا سهل بن عمر والصحيح ما أثبته سهيل بن عمرو بن عبد شمس =

النبي ﷺ من مكة فقال: ما جاء بكم؟ فقالوا: سمعنا أنه لا إيمان لمن لم يهاجر. فقال: إن الهجرة قد انقطعت ولكن جهاد ونية وحسبة[1]. ثم قال: أقسمت عليك يا أبا وهب لترجعن إلى أباطح مكة.

قوله: ﴿ مَنْ ذَا الذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً ﴾ [أي: محتسباً][2] وهذا في لنفقة في سبيل الله وفي صدقة التطوع ﴿ فَيُضَـٰعِفُهُ لَهُ ﴾ وتفسيره في سورة البقرة: (مَثَلُ الذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَّشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) [البقرة: 261].

ذكروا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله عز وجل: كل حسنة يعملها ابن آدم بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام فهو لي وأنا أجازي به الجنة[3].

ذكروا عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: ما أنفق عبد من نفقة أفضل من نفقة قول[3].

قال تعالى: ﴿ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ أي: ثواب كريم، وهو الجنة.

قوله عز وجل: ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤمِنِينَ وَالْمُؤمِنَـٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي: يقودهم إلى الجنة ﴿ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ بُشْرَيٰكُمُ الْيَوْمَ جَنَّـٰتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَـٰرُ ﴾ أي: وبأيمانهم كتبهم، وهي بشراهم بالجنة، وذلك على الصراط. ومثلها في سورة: يا أيها النبي لم تحرم في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللهُ النَّبِيَ وَالذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ﴾ [التحريم: 8] قال تعالى: ﴿ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ أي: النجاة العظيمة من الجنة إلى النار.

= القرشي العامري من سادات قريش وأشرافهم، ويكنى أبا يزيد. وكان خطيب قريش له مواقف قبل إسلامه وبعد إسلامه. انظر ترجمته في الاستيعاب ج 2 ص 669.

(1) كذا وردت الكلمة: وحسبة. ولعلها «ونية حسنة».

(2) زيادة من ز ورقة 352.

(3) انظر الإشارة إليه فيما مضى، ج 1 ص 245 - 246.

﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَـٰفِقُونَ وَالْمُنَـٰفِقَـٰتُ ﴾ أهل التضييع والخيانة من أهل الإقرار[1] ﴿ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وهم على الصراط، يقولون للمؤمنين إذا طَفِىءَ نورُهم ﴿ انْظُرُونَا ﴾ [أي: انتظرونا][2] ﴿ نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾. وذلك أنه يعطى كل مؤمن وكل منافق نوراً على الصراط، فيطفأ نور المنافقين ويبقى نور المؤمنين، فيقول المنافقون للمؤمنين (انظُرُونَا نَقْتَبِس مِن نُّورِكُمْ) ويَحْسِبون أنه قبس كقبس الدنيا إذا طفئت نار أحدهم اقتبس[3] فقال لهم المؤمنون، وقد عرفوا أنهم منافقون ﴿ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ ﴾ أي إلى الدنيا[4] ﴿ فَالْتَمِسُوا نُوراً ﴾ أي: فمن ثَمَّ يكسب الإيمان الذي هو نور. فرجعوا وراءهم فلم يجدوا شيئاً. فهنالك أدركتهم خدعة الله. وخدعة الله إياهم قوله: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ) [النساء: 142].

ذكروا عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: . . . أعطى كل إنسان مؤمن ومنافق نوراً، وتغشى ظلمة[5] معهم المنافقين على جسر جهنم، فيه كلاليب وحسك يأخذون من شاء الله. ثم يطفأ نور المنافقين وينجو نور المؤمنين. وينجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر سبعون ألفاً لا يحاسبون، ثم الذين يلونهم كأضوإ نجم في السماء أضاء. ثم كذلك [حتى] ينجو آخر زمرة.

(1) هذه عبارة للشيخ هود الهواري، وكأنها تعريف للمنافقين عنده.

(2) زيادة من ز. وانظر معاني الفراء ج 3 ص 133 كيف حقق المؤلف معنى القراءتين: (انْظُرُونَا) بمعنى الانتظار، و(أَنْظِرُونَا) بمعنى التأخير، ثم جمع بين القراءتين فقال: «وقد تقول العرب انظرني، وهم يريدون انتظرني، واستشهد ببيت عمرو بن كلثوم:

أبا هند فلا تعجل علينا		وانظرنا نخبرك اليقينا

وقال: فمعنى هذه: انتظرنا قليلاً نخبرك. وقد نقل الطبري في تفسيره ج 27 ص 224 عبارات الفراء هذه حرفياً ونسبها إليه.

(3) الاقتباس أن يطلب الإنسان من جاره القَبَس، وهو الشعلة، أو الجذوة، من النار.

(4) وقال الفراء: «أي ارجعوا إلى الموضع الذي أخذنا منه النور».

(5) كذا وردت هذه العبارة بل هذا الحديث كله مضطرباً غير كامل في ق و ع. ولم أعثر عليه في كتب الحديث لتحقيقه وتصحيحه. وأقرب حديث في معناه ما أورده السيوطي في الدر المنثور، ج 4 ص 172، وأخرجه الطبراني وابن مردويه عن ابن عباس.

وبلغنا أن النور الذي يعطى المؤمنون على قدر أعمالهم فيجوزون الصراط على قدر أعمالهم كالبرق وكالريح وكجواد الخيل وكجواد البهائم. ويسعى الرجل سعياً، ويمشي مشياً، وتزل قدم وتستمسك أخرى، ولا يجاوز نور أحدهم قدميه. وبعضهم يزحف زحفاً، وبعضهم يتلبّط على بطنه.

وقال الكلبي في الذي يزحف زحفاً: هم الذين (يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا).

قوله عز وجل: ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ ﴾ تفسير مجاهد: السور: الأعراف[1]. ﴿ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ ﴾ أي: الجنة ﴿ وَظَـٰهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ أي: النار.

قال بعضهم: بلغنا أنه جبل أُحُد. قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: أحد جبل يحبنا ونحبه. وإنه يمثل يوم القيامة بين الجنة والنار ويحبس عليه أقوام يعرفون بسيماهم هم إن شاء الله من أهل الجنة[2].

وتفسير الحسن: إن السور فصل[3] بين الجنة والنار.

وبلغنا أن أصحاب الأعراف يميل بهم الصراط مرة إلى الجنة ومرة إلى النار، ثم يصيرون إلى الجنة؛ وهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، وقد فسّرنا أمرهم في سورة الأعراف[4].

قال: ﴿ يُنَادُونَهُمْ ﴾ أي ينادي المنافقون المؤمنين حين ضرب الله بينهم بسور: ﴿ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ﴾ أي في الدنيا، أي على دينكم، نشهد بشهادتكم، ونتنسك مناسككم ﴿ قَالُوا ﴾ أي قال لهم المؤمنون: ﴿ بَلَىٰ ﴾ [أي فيما أظهرتم][5]

---

(1) في تفسير مجاهد، ص 657: «والسور كالحجاب في الأعراف».
(2) انظر تخريجه فيما سلف، ج 2 ص 20.
(3) كذا في ق و ع، ولعلها يفصل، أو فاصل.
(4) انظر ما مضى ج 2 ص 19 - 22.
(5) زيادة من ز، ورقة 352.

﴿ وَلٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ أي: بالمعاصي ﴿ وَتَرَبَّصْتُمْ ﴾ أي: بالتوبة. ﴿ وَارْتَبْتُمْ ﴾ أي: وشككتم أن يعذبكم الله بعد إقراركم وشهادتكم ﴿ وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ ﴾ التي منيتم بها أنفسكم من قولكم: يهلك محمد وأصحابه فلا نستفسد إلى إخواننا من المشركين. ﴿ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللهِ ﴾ أي: الموت وأنتم على حالكم هذه ﴿ وَغَرَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ ﴾ وهو الشيطان، غرّكم بوسواسه إليكم أن الله لا يعذبكم بعد إقراركم وتوحيدكم[1].

قوله تعالى: ﴿ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ ﴾ يا أهل النفاق لأن المخاطبة إنما كانت من الله لهم ﴿ وَلَا مِنَ الذِينَ كَفَرُوا ﴾ أيضاً، يعني أهل الإنكار والجحود[2].

قال تعالى: ﴿ مَأْوَيٰكُمُ النَّارُ ﴾ يعني المنافقين والكفار والجاحدين، كقوله عز وجل: (إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً) [النساء: 140] قال: (مَأْوَيٰكُمُ النَّارُ) أنتم المنافقون والكفار. ﴿ هِيَ مَوْلَيٰكُمْ ﴾ أي: كنتم تتولونها في الدنيا فتعملون عمل أهلها الذين يدخلونها اليوم، فهي مولاكم اليوم ﴿ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾.

قوله: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ[3] لِلذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ ﴾ والخشوع الخوف الثابت في القلب ﴿ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ أي القرآن ﴿ وَلَا يَكُونُوا كَالذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ

---

(1) كذا ورد تأويل هذه الآية في ق و ع، وهو تأويل من الشيخ هود الهواري يؤكد به رأي الأباضية في مسألة الكفر والإيمان. وهذا ما جاء في تفسير ابن سلام من اختصار ابن أبي زمنين كما جاء في مخطوطة ز، ورقة 352: «(وَلٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ) أي أكفرتم أنفسكم، (وَتَرَبَّصْتُمْ) أي بالنبي، وقلتم: يهلك ونرجع إلى ديننا (وَارْتَبْتُمْ) أي: وشككتم، (وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ) أي ما كنتم تتمنون من قولكم: يهلك محمد وأصحابه فنرجع إلى ديننا، (حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللهِ) قال بعضهم: يعني الموت (وَغَرَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ) الشيطان أخبركم بالوسوسة إليكم أنكم لا ترجعون إلى الله».

(2) كذا في ق و ع، وجاء في ز ما يلي: «يعني الذين جحدوا في الدنيا في العلانية. وأما المنافقون فجحدوا في السر وأظهروا الإيمان فآمنوا كلهم في الآخرة فلم يقبل منهم».

(3) قال ابن أبي زمنين: «أنى الشيء يأني إذا حان». وقال الفراء في المعاني ج 3 ص 134: «وفي (يَأْنِ) لغات: من العرب من يقول: ألم يأن لك، وألم يئن لك مثل: يعن، ومنهم من يقول: ألم يَنَل لك باللام، ومنهم من يقول: ألم يُنَل لك. وأحسنهن التي أتى بها القرآن».

مِنْ قَبْلُ ﴾ يعني اليهود والنصارى ﴿ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ ﴾ أي: الدهر، يعني بقاءهم في الدنيا ﴿ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ فغلظت قلوبهم ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُونَ ﴾ أي: من ثبت منهم على الشرك.

وتفسير الحسن قال: نزلت هذه الآية (أَلَمْ يَأْنِ لِلذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ) قال: نزلت والله وهم أهل الصلاة والصوم والأعمال الحسنة، وهم أصحاب النبي عليه السلام فاستزادهم بذلك.

وبعضهم يقول: نزلت في المنافقين: (أَلَمْ يَأْنِ لِلذِينَ ءَامَنُوا) أي: الذين أقرّوا ولم يعملوا (أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ) أي: فيصدّقوا في القول والعمل كما فعل المؤمنون الذين صدّقوا الله في قولهم وعملهم[1].

قوله: ﴿ إِعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ أي: فكذلك يقدر أن يحيي الموتى. وقال بعضهم: وكذلك يُلين القلوبَ بالذكر بعد قساوتها. ﴿ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ أي: لكي تعقلوا عن الله بيانه لكم.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَـٰتِ ﴾ أي: المتصدّقين والمتصدّقات ﴿ وَأَقْرَضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً ﴾ هذا في التطوّع، أي يقدمون لأنفسهم ﴿ يُضَاعَفُ لَهُمْ ﴾ أي: يضاعف لهم الثواب عليه ﴿ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ أي ثواب كريم، أي: الجنة.

قال تعالى: ﴿ وَالذِينَ ءَامَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ ﴾ أي: صدّقوا بما جاء من عند الله، وعملوا بما صدّقوا به ﴿ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ أي: الذين يقاتلون في سبيل الله.

وتفسير الشهداء: يشهدون كرامة الله، في تفسير الحسن. وقد ترجى الشهادة لأقوام لم يُقتلوا في سبيل الله سيُلحقهم الله بالشهداء.

(1) كذا في ق و ع، وهو من تأويل الشيخ هود الهواري، وفي ز، ورقة 353: «نزلت في المنافقين، أمرهم أن يخلصوا الإيمان كما أخلص المؤمنون».

ذكروا عن رسول الله ﷺ أنه قال لأصحابه يوماً: ما الشهيد عندكم؟ قالوا: القتيل في سبيل الله. فقال: إن شهداء أمتي إذاً لقليل. ثم قال: القتيل في سبيل الله شهادة، والبطن شهادة، والطاعون شهادة، والغرق والحرق شهادة، والنُّفاس شهادة، والسِّلّ شهادة[1].

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: ما بين حياة الشهيد في الدنيا وحياته في الآخرة إلا كمضغ تمرة[2].

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: إن الشهيد لا يجد ألم القتل إلا كما يجد القرصة[3].

ذكروا عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: من سأل الشهادة صادقاً من قِبَل نفسه فله أجر الشهيد وإن مات على فراشه[4].

ذكروا عن الحسن أنه قرأ هذه الآية: (اَلذِينَ ءَامَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ) فقال: كل مُؤمن شهيد وإن مات على فراشه. [وتفسير مجاهد في قوله: (وَالشُّهَدَاءُ): يشهدون على أنفسهم بالإيمان][5].

قال تعالى: ﴿ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾ قال: ﴿ وَالذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِئَايَٰتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَٰبُ الْجَحِيمِ ﴾.

---

(1) رواه الربيع بين حبيب في مسنده من حديث أبي هريرة في كتاب الجهاد، باب في عدة الشهداء، (رقم 449، ورقم 451) وأخرجه مسلم في صحيح في كتاب الإمارة، باب بيان الشهداء من حديث أبي هريرة وأوله: «ما تعدون الشهيد بينكم...» (رقم 1915).

(2) لم أجده فيما بين يدي من مراجع التفسير والحديث.

(3) انظر تخريجه فيما سلف، ج 1 ص 159.

(4) حديث صحيح أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله تعالى عن سهل بن حنيف، (رقم 1909)، وأخرجه الترمذي في فضائل الجهاد، باب ما جاء فيمن سأل الشهادة، من حديث معاذ بن حبل.

(5) زيادة من ز ورقة 353، ومثلها في تفسير مجاهد ص 658.

قوله: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ أي: إنما أهل الدنيا أهل لعب ولهو، [يعني المشركين][1] ﴿ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوٰلِ وَالْأَوْلٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ ﴾ أي: مطر ﴿ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ﴾[2] يعني ما أنبتت الأرض من ذلك المطر ﴿ ثُمَّ يَهِيجُ ﴾ ذلك النبات ﴿فَتَرَيٰهُ مُصْفَرّاً ﴾ أي: يصفار ﴿ ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰماً ﴾ [أي: متكسّراً ذاهباً][1] كقوله: (هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ) [الكهف: 45] ﴿ وَفِي الْأخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ أي: للكافرين ﴿ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللهِ وَرِضْوَانٌ ﴾ أي: للمؤمنين. ﴿ وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَٰعُ الْغُرُورِ ﴾ أي: يغترّ بها أهلها.

ذكروا عن أبي عبد الله قال: سمعت أبا الدرداء يقول: الدنيا ملعونة وملعون ما فيها إلا ذكر الله، وما أوى إليه ذكر الله.

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر[3].

قوله: ﴿ سَابِقُوا ﴾ أي: بالأعمال الصالحات ﴿ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ يعني جميع السماوات وجميع الأرضين مبسوطات كل واحدة إلى جانب صاحبتها. هذا عرضها، ولا يصف أحد طولها. وقال في آية أخرى: (عَرْضُهَا السَّمٰوَاتُ والْأَرْضُ) [آل عمران: 133] أي: الأرضين السبع.

قال تعالى: ﴿ أُعِدَّت لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ ﴾. ذكروا عن الحسن قال: أرض الجنة رخام من فضة، وترابها مسك أذفر أشد بياضاً من جواريكم هذه، وحيطانها لبنة

---

(1) زيادة من ز.

(2) جاء في ز ورقة 353 ما يلي: قال محمد: لم يفسّر يحيى معنى الكفار، ورأيت في كتاب غيره أنهم الزرّاع. يقال للزارع كافر لأنه إذا ألقى البذر في الأرض كفره أي: غطاه. وقيل: قد يحتمل أن يكون أراد الكفار بالله، وهم أشد إعجاباً بزينة الدنيا من المؤمنين، والله أعلم بما أراد».

(3) انظر ما سلف، ج 1 ص 338.

من ذهب ولبنة من فضة، وبلاطها المسك الأذفر، وجذوع نخلها ذهب، وسعفها حلل، ورطبها مثل قلال هجر، أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وألين من الزبد، وإن أدنى أهل الجنة منزلاً آخرهم دخولاً، فيعطى فيقال له: انظر ما أعطاك الله، فيفسح له في بصره فينظر إلى مسيرة خمسمائة سنة كله له، ليس فيه شبر إلا وهو عامر قصور الذهب والفضة وخيام الياقوت، فيه أزواجه وخدمه، يغدى عليه كلَّ يوم بسبعين ألف صحفة من ذهب، ويُراح عليه بمثلها، في كل واحدة منها لون ليس في صاحبتها، يأكل من آخرها كما يأكل من أولها. لو نزل به الجن في غداء واحد لوسعهم، ولا ينقص ذلك مما عنده شيئاً.

بلغنا أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن قوله عز وجل: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَٰوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ قال: هي مائة درجة كل درجة منها عرضها السماوات والأرض (1).

قال: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

قوله: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني الجدوبة ونقص الثمار ﴿وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ﴾ يعني الأمراض والبلايا في الأجساد ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾ أي: من قبل أن نخلقها. تفسير الحسن: من قبل أن يخلق الله تلك النفوس. وبعضهم يقول: من قبل أن يخلق الله السماوات والأرض. ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي: هيّن.

تفسير الحسن: إن الله كتب عنده كتاباً: إن ذنب كذا وكذا عقوبته كذا وكذا. فيعفو عن أكثر ذلك ويعاقب من ذلك ما يشاء؛ وهو قوله: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾. [الشورى: 40].

قال تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا﴾ أي: لكي لا تحزنوا ﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ أي: من الدنيا، أي فيما أصابكم في الأرض وفي أنفسكم. أي: فيعلمون أن ذلك بذنب،

(1) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة: وانظر ما سلف ج 1 ص 781، ورواه الترمذي عن أبي هريرة بلفظ: في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مائة عام.

فيعتبرون ويتوبون. ﴿ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَيٰكُمْ ﴾ أي: من الدنيا.

ذكروا عن الحسن عن عبد الله بن عمر أنه قال: ما أبالي على أي حال رجعت إلى أهلي؛ لئن كانوا على عسر إني أنتظر اليسر، وإن كانوا على يسر إني لأنتظر العسر.

وبلغنا أن حذيفة قال: إن أقرّ أيامي لعيني يوم أرجع إلى أهلي وهم يشكون إلي الحاجة.

ذكروا أن. . . [1] امرأة مسروق، قالت: ما قلت لمسروق قط: ما أصبح لعيالك اليوم رزق إلا تبسّم ضاحكاً وقال: أما والله ليأتينهم الله برزق.

وبلغنا أن عمر بن الخطاب قال: والله ما أبالي أي حال سبق إلي: يسر أم عسر، لأن أحدهما يتلو صاحبه، ثم تلا هذه الآية: (إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً) [الشرح: 5-6]. قال تعالى: ﴿ وَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾.

قوله: ﴿ الذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ﴾ يعني اليهود يأمرون إخوانهم بالبخل، أي: بكتمان ما في أيديهم من نعت محمد عليه السلام، وبالإسلام وبالزكاة. قال: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللهَ الْغَنِيُّ ﴾ أي عن خلقه ﴿ الْحَمِيدُ ﴾ أي المستحمد إلى خلقه، أي: أوجب عليهم أن يحمدوه.

قوله عز وجل: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالبَيِّنَـٰتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَـٰبَ وَالمِيزَانَ ﴾ أي: وجعلنا معهم الميزان، وهو العدل. كقوله: (وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ المِيزَانَ) [الرحمٰن: 7] أي: وضع الميزان في الأرض ﴿ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ أي: بالعدل. ﴿ وَأَنْزَلْنَا الحَدِيدَ ﴾ أي: وجعلنا الحديد، أخرجه الله من الأرض ﴿ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ يعني السلاح من السيوف والدروع وغيرها. وقال في الدروع، (لِيُحْصِنَكُمْ مِّن

(1) وردت الكلمة في ق هكذا: «كمن»، وفي ع هكذا: «كمسر» ولم أهتد لتحقيقها ولم أجد اسم امرأة مسروق بن الأجدع فيما بين يدي من كتب التراجم. وقد توفي مسروق سنة ثلاث وستين للهجرة.

بَأْسِكُمْ) [الأنبياء: 80] والبأس: القتال، وجعل فيه أيضاً جُنَّة من القتل والدروع وما حرمته[1]. ﴿ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾ يعني ما ينتفعون به من الحديد في معايشهم.

قال: ﴿ وَلِيَعْلَمَ اللهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ﴾ أي بالإيمان بالغيب. والغيب: البعث والحساب والجنة والنار. فإنما ينصر الله ورسلَه من يؤمن بهذا، وهذا علم الفعال. قال: وليعلمنكم الله ناصرين دينه ورسله أو تاركين نصرتهما. قال: ﴿ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ ﴾ أي: في سلطانه ﴿ عَزِيزٌ ﴾ أي: في نقمته.

قوله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَـٰبَ ﴾ فكان أول كتاب نزل فيه الحلال والحرام كتاب موسى. قال: ﴿ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ﴾ أي من ذريتهما ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ ﴾ أي: من ذريتهما ﴿ فَـٰسِقُونَ ﴾ أي: مشركون ومنافقون.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ ءَاثَـٰرِهِمْ بِرُسُلِنَا ﴾ أي: جعلنا الرسل تبعاً يقفو بعضُها بعضاً، أي: بعضها على أثر بعض كالذي يقفو صاحبه ﴿ وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ﴾ من بعدهم ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ الإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ﴾ أي: يرأف بعضهم ببعض، ويرحم بعضهم بعضاً، كقوله عز وجل: (مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) [الفتح: 29].

ثم استأنف الكلام فقال: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ ﴾ أي: ما فرضناها عليهم، أي: إنما ابتدعوها ﴿ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ ﴾ ليتقرَّبوا بها إلى الله. قال الحسن: ففرضها الله عليهم حين ابتدعوها. قال: ﴿ فَمَا رَعَوْهَا ﴾ يعني الرهبانية ﴿حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ ولا ما فرضنا عليهم، أي: ما أدوا ذلك إلى الله. ﴿فَئَاتَيْنَا الذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ﴾ قال: ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾ أي: مشركون ومنافقون. وهو فسق دون فسق، وفسق فوق فسق.

(1) كذا وردت هذه الجملة في ق و ع، ولم أوفق إلى تصحيح ما فيها من التصحيف أو الخطأ في بعض كلماتها.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: لكل أمة رهبانية ورهبانية أمتي الجهاد[1].

قوله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ ﴾ أي أجرين ﴿ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ ﴾ أي: ويجعل لكم إيماناً [تهتدون به][2] كقوله عز وجل: (أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ) [الأنعام: 123] ﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ أي: لمن تاب.

قوله: ﴿ لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَـٰبِ ﴾ أي: ليعلم أهل الكتاب. وهذه كلمة عربية (لِئَلَّا يَعْلَمَ) وَ (لِيَعْلَمَ) بمعنى واحد. وهو كقول الرجل: أجل، وأجل لا، ويقول الله: (لَا أُقْسِمُ) وأقسم، وهذا قسم، وهو واحد. ﴿ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ أي: إنهم لا يقدرون على شيء. ﴿ مِّن فَضْلِ اللهِ ﴾.

قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ﴾ ذكروا عن نافع عن [ابن عمر عن][3] النبي ﷺ قال: إنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى قبلكم كرجل استأجر عمالاً فقال: من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط قيراط، فعملت اليهود إلى نصف النهار. ثم قال: من يعمل من نصف النهار إلى العصر على قيراط قيراط، فعملت النصارى من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط. ثم قال: من يعمل لي من صلاة العصر إلى أن تغيب الشمس على قيراطين قيراطين. ألا وأنتم أصحاب القيراطين، ألا فلكم الأجر مرتين. فغضبت اليهود والنصارى فقالوا: نحن أكثر عملاً وأقل أجراً. قال: فهل ظلمتكم من حقكم شيئاً. قالوا: لا. قال: فهو فضلي أوتيه من أشاء[4].

---

(1) أخرجه أحمد من حديث إياس بن مالك عن النبي ﷺ، وأخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول، وأبو يعلى والبيهقي في الشعب عن أنس كما في الدر المنثور، ج 6 ص 178.

(2) زيادة من ز، ورقة 354.

(3) زيادة لا بد منها.

(4) حديث صحيح، أخرجه البخاري في أبواب كثيرة من صحيحه، منها في كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، وفي كتاب الإجارة، باب الإجارة إلى نصف النهار، وأخرجه الترمذي في=

قالت العلماء: فالنهار في هذا اثنتا عشرة ساعة. وكانت لليهود ست ساعات إلى نصف النهار. ثم كانت للنصارى من بعدها أربع ساعات من نصف النهار إلى صلاة العصر. ولأمة محمد عليه السلام ساعتان من صلاة العصر إلى أن تغيب الشمس.

ذكروا عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ: إنما آجالكم في آجال من مضى قبلكم كما بين صلاة العصر إلى أن تغيب الشمس[1].

ذكروا عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال يوماً من آخر النهار حين صارت الشمس على سعف النخيل وعلى شرف المسجد: إنما بقي من زمانكم هذا فيما مضى منه كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه.

ذكروا عن زيد بن أسلم عن ابن عمر قال: وقفت مع النبي عليه السلام عشية عرفة حتى إذا تدلت الشمس إلى الغروب واصفرت وعادت كالورس قال: إنما بقي من الدنيا فيما مضى كما بقي من شمس يومنا هذا.

قال: ﴿ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ فلا أعظم منه ولا أجل سبحانه.

= سننه، في أبواب الأمثال. باب ما جاء في مثل ابن آدم وأجله وأمله، كلاهما يرويه من حديث ابن عمر. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(1) هذا أول حديث ابن عمر السابق.

تفسير سورة المجادلة، وهي مدنية كلها.

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله عز وجل: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَـٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾. كان طلاق أهل الجاهلية ظِهاراً؛ يقول الرجل: أنتِ عليّ كظهر أمي.

وكانت خويلة[1] بنت ثعلبة تحت أوس بن الصامت فظاهر منها. فأتت النبي عليه السلام فقالت: يا رسول الله، إنه حين كبرت سني ظاهر مني زوجي، فلم يجر عليها[2] رسول الله ﷺ شيئاً، فأنزل الله آية الظهار.

وفي تفسير الكلبي: إن من قولها لرسول الله عليه السلام: فهل من شيء يجمعني وإياه يا رسول الله، فقال لها: ما أمرتُ فيكِ بشيء، ارجعي إلى بيتك فإن يأتني شيء أعلمتك به[3]. فلما خرجت من عنده رفعت يديها إلى السماء تدعو الله فأنزل الله: (قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا).

قال: ﴿ وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ الَّذِينَ

(1) كذا ورد اسم هذه الصحابية في ق و ع وز: «خويلة» بالتصغير. وكذلك ذكرها الطبري في تفسيره مرات، وأثبتها القرطبي كذلك. وأغلب كتب التفسير تذكرها باسم خولة، وذكرها الفراء في المعاني ص 128 باسم خولة. وقال ابن عبد البر في الاستيعاب، ج 4 ص 1830: «خولة بنت ثعلبة، ويقال: خويلة، وخولة أكثر. وانظر الواحدي، أسباب النزول، ص 433-435.

(2) كذا في ع: «فلم يجر عليها» وهو الصحيح، وفي ق: «فلم يجز إليها».

(3) أخرجه الطبري بأسانيد في تفسيره ج 28 ص 3 عن ابن عباس. والقصة مشهورة في كتب التفسير، انظر مثلاً تفسير القرطبي. ج 17 ص 269-272.

يَظْهَرُونَ مِنْكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلاَّ الَّئِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَراً مِّنَ الْقَوْلِ وَزُوراً ﴾ أي: كذباً حيث يقول: أنتِ علي كظهر أمي، يحرّم ما أحلّ الله. قال: ﴿ وَإِنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾.

قوله: ﴿ وَالذِينَ يَظَّهَّرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا ﴾ أي: يعودون إلى ما حرّموا، أي: يريدون الوطء ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّنْ قَبْلِ أَن يَّتَمَاسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَن يَّتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً ﴾.

ذكروا عن الحسن قال: الظهار من كل ذات محرم. ويقول: إذا جعل امرأته عليه كظهر فلانة، لِمحرَم منه، أو سمّى أمَّه، فهو ظهار.

قوله: (فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ) قال بعضهم: يجزي الصبي في كفارة الظهار وكل نسمة، صغيرة أو كبيرة، فهي تجزي في عتق الظهار. ويجزي أيضاً عتق يهودي أو نصراني. ولا تجزى أم الولد ولا المدبَّر(1).

وكان إبراهيم يقول في الذي لا يجد رقبة فيصوم شهرين متتابعين، إن مرض قبل الفراغ من الشهرين وأفطر فإنه يستأنف الصوم شهرين متتابعين. وإن أيسر العتق قبل أن يفرغ من الشهرين أعتق.

وقال أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة: إذا صام فمرض قبل أن يفرغ من الشهرين، فإذا صح فليبن على ما صام قبل أن يمرض، فذلك يجزيه؛ وليس بأشدّ من رمضان. وبهذا نأخذ، وعليه نعتمد وهو قول العامة من فقهائنا(2).

قوله: (فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَّتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً).

---

(1) في ق وع: «وتجزي». والصواب ما أثبته: «لا تجزي». والتصحيح من مخطوطة ابن سلام، القطعة 180، جاء فيها: «ولا تجزي أم الولد، ولا المدبرة ولا المكاتبة، كل شيء لا يباع».

(2) هذا قول الشيخ هود الهواري، وهو واضح. فأبو عبيدة من الذين أرسوا أصول المذهب الأباضي.

ذكروا عن عطاء قال: سمعت أبا هريرة يقول: ثلاثة أشياء منهن مدّ مدّ: كفارة الظهار، وكفارة اليمين، وفدية الصيام.

ذكروا عن أبي زيد المدني أن رجلاً ظاهر من امرأته فلم يكن عنده ما يعتق ولم يستطع الصيام فقال له رسول الله ﷺ: تصدق بثلاثين صاعاً من شعير على ستين مسكيناً، ولكل مسكين مدان حتى يكون مكان كل مد مدان(1).

ذكروا أن أوس بن الصامت ظاهر من امرأته، فلم يقدر على رقبة، فلم يستطع الصوم فأعطاه رسول الله ﷺ خمسة عشر صاعاً من تمر فقال له: تصدق به على ستين مسكيناً، ولكل مسكين مد.

قال الحسن: إذا ظاهر الرجل من امرأته، فإن كان لم يمسّها قط فلا ظهار عليه، وإن كان قد مسّها مرة واحدة فعليه الكفارة.

قال إبراهيم: ليس في الأَمَة ظهار.

ذكروا عن نصر بن طريف عن عبد الله بن أبي مليكة عن ابن عباس قال: من شاء باهلته عند الحجرات أن الله لم يجعل في الأَمَةِ ظهاراً. والكوفيون يقولون: لا ظهار عليه من أمته إلا أن تكون زوجته أمة فيجب عليه منها الظهار لأنها زوجة.

وقال أبو عبيدة: الظهار عليه من أمته زوجة كانت أو غير زوجة(2).

---

(1) الجملة الأخيرة من هذا الحديث غير واضحة المعنى. والصاع ـ كما نعلم ـ أربعة أمداد ـ وتذكر أغلب الروايات أن الرسول عليه السلام أعان أوس بن الصامت بخمسة عشر صاعاً لما عجز عن الصوم والإطعام فقال له رسول الله ﷺ: هل تستطيع أن تطعم ستين مسكيناً، فقال له أوس: لا والله يا رسول الله إلا أن تعينني منك بعون وصلة. وتذكر الروايات أيضاً أن أوساً أخرج من عنده خمسة عشر صاعاً مثلها حتى يستطيع أن يطعم ستين مسكيناً، مدين لكل منهما.

(2) هذا القول الذي رواه الشيخ هود منسوباً إلى أبي عبيدة في وقوع الظهار على الزوج في أمته مخالف لقول ابن عباس. وهي مسألة خلافية عند الإباضية وغيرهم؛ فقد روي عن بعضهم أنه لا ظهار في سرية الرجل لقوله تعالى: (الذِينَ يَظَّهَّرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ) فأفهم التخصيص بالإضافة هنا أن المعنيّات بالظهار إنما هن الحرائر دون الإماء. انظر السالمي، جوهر النظام، ج 1

ذكر الحسن عن عمر بن الخطاب في رجل ظاهر من أربع نسوة بكلام واحد قال: عليه أربع كفارات. وقال بعضهم: إذا أجمل فكفارة واحدة، وإذا فرق فأربع كفارات، وهو قول أبي عبيدة والعامة من فقهائنا.

ذكروا عن علي قال: إذا ظاهر الرجل من امرأته مراراً في مقعد واحد في شيء واحـد، فكفارة واحدة، وإذا ظاهر في مقاعد شتى في شيء واحد، فعليه كفارات شتى.

قوله عز وجل: ﴿ ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ ﴾ أي: أحكام الله التي حدَّ في الظهار من العتق والصيام والإطعام.

قال تعالى: ﴿ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي: موجع.

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ الذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ ﴾ أي يعادون الله ورسوله ﴿ كُبِتُوا ﴾ أي: أُخزوا ﴿ كَمَا كُبِتَ ﴾ أي: أُخزيَ ﴿ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا ءَايَـٰتٍ بَيِّنَـٰتٍ ﴾ أي: القرآن ﴿ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ وقد فسّرنا مهيناً.

﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَـٰهُ اللهُ وَنَسُوهُ ﴾ أي: أحصى عليهم ما عملوا في الدنيا ونسوه. ﴿ وَاللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ أي: شاهد على أعمالهم.

قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَـٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاَثَةٍ ﴾ أي: يتناجون، أي: يتسارون ﴿ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾ أي حاضرهم ولأعمالهم[1] ﴿ وَلاَ أَدْنَىٰ مِنْ ذَٰلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ ﴾ في سرِّهم وعلانيتهم. قال: ﴿ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

= ص 229، وانظر الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج 29 ص 253. وقول مالك: إنه يلزم الظهار في كل أمة يجوز له وطؤها.

(1) كذا في ق و ع، وفي ز، ورقة 354 في قوله تعالى: (مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاَثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ): ما يكون من خلوة ثلاثة يسرون شيئاً ويتناجون به إلا هو رابعهم أي: عالم به».

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوىٰ ﴾ وهم اليهود، نهوا أن يتناجوا بمعصية الله ومعصية الرسول وعن الطعن في دين الله ﴿ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَـٰجَوْنَ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوٰنِ ﴾ [الإثم: المعصية، والعدوان: الظلم][1] ﴿ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ ﴾.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللهُ ﴾. كانوا يسلمون على النبي عليه السلام وأصحابه فيقولون: السام عليكم. والسام: الموت، في قول بعضهم، وتأويله في قول بعضهم: إنكم ستسأمون، أي: تملون هذا فتدعوه. فكان رسول الله ﷺ يرد عليهم على حد السلام. فأتاه جبريل فقال: إنهم ليسوا يقولون ذلك على وجه التحية، فقال النبي عليه السلام لأصحابه: إذا سلم عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا عليك. أي: عليك ما قلت[2].

قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا ﴾ أي: هلا ﴿ يُعَذِّبُنَا اللهُ بِمَا نَقُولُ ﴾ من السام، أي: إن كان نبياً فسيعذبنا الله بما نقول. قال الله تعالى: ﴿ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾.

قوله: ﴿يَـٰأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا﴾ [يعني الذين أقروا بالألسنة][3] ﴿ إِذَا تَنَـٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَـٰجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُـدْوٰنِ وَمَعْصِيَـتِ الرَّسُولِ ﴾ أي: كما صنعت اليهود من هذه النجوى التي ذكروا. قال: ﴿ وَتَنَاجَوْا بِالبِرِّ وَالتَّقْوىٰ وَاتَّقُوا اللهَ الذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ أي: يوم القيامة.

﴿ إِنَّمَا النَّجْوىٰ مِنَ الشَّيْطَـٰنِ لِيُحزِنَ الذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾.

تفسير الحسن أن رجلاً من المسلمين كان يأتي رسول الله ﷺ فيستخليه

(1) زيادة من ز، ورقة 355.
(2) انظر الإشارة إليه فيما مضى، ج 1 ص 405.
(3) زيادة من ز، ورقة 355.

لحاجته، فكان الشيطان يوقع في قلوب المؤمنين الحزنَ، يقول: إن صاحبكم هذا إنما خلا برسول الله ليبغّضكم عنده، قال تعالى: (وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ) ذلك، أي الذي وقع في قلوبهم، (شَيْئاً إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) فأراد أن يعصم المؤمنين ألا يستخلي أحد منهم بالنبي عليه السلام.

وقال الكلبي في قوله تعالى: (إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ. . .) إلى آخر الآية: إن المنافقين كانوا إذا غزا رسول الله ﷺ أو بعث سرية يتغامزون بالرجل إذا رأوه وعلموا أن له حميماً في الغزو، فيتناجون وينظرون إليه، فيقول الرجل: ما هذا إلا لشيء قد بلغهم عن حميمي، فلا يزال من ذلك في غم وحزن حتى يقدم حميمه. فأنزل الله هذه الآية.

قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَٰلِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا ﴾. قال الحسن: هذا في القتال؛ كانوا يكونون في مصافّهم فيجيء الرجل فيقول: وسّعوا، ولا يوسّعون له، كلهم يرغب في الشهادة، فأنزل الله: (يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجْلِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا) أي إذا قيل انهضوا إلى قتال عدوكم فانهضوا. ونظيرها في سورة آل عمران: (وَإِذْ غَدَوْتَ مِنَ اَهْلِكَ تُبَوِّىءُ الْمُومِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ) [آل عمران: 121] والمقاعد والمجالس واحد.

وتفسير مجاهد: يعني مجلس النبي عليه السلام. (وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا) إلى كل خير من قتال عدو، أو أمر معروف ما كان.

وتفسير الكلبي: (إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجْلِسِ) أي: مجلس النبي عليه السلام ﴿ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا) أي: ارتفعوا إلى الصلاة وإلى ما سواها من الخير فارتفعوا.

قال: ﴿ يَرْفَعِ اللهُ الذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ أي: في الجنة ﴿ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾.

ذكروا عن عبد الله بن مسعود قال: (يَرْفَعِ اللهُ الذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ) أي: على الذين آمنوا الذين ليسوا بعلماء.

ذكروا عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود قال: العالم أفضل من المجاهد؛ يقول الله عز وجل: (يَرْفَعِ اللهُ الذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ) فقد دخل فيهم المجاهد، قال: (وَالذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ) أي: على غيرهم.

وبلغنا عن رجل من أصحاب النبي عليه السلام أو التابعين قال: أفضل الناس العلماء والشهداء، أما العلماء فأخبروا بما جاءت به الرسل، وأما الشهداء فإنهم قاتلوا على ما جاءت به الرسل.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: فضل العالم أحب إلي من فضل العابد. قيل له: لِمَ؟ قال: لأنه أورع لله عن محارمه[1].

ذكروا عن بعضهم قال: موت العالم أحب إلى إبليس من موت ألف عابد.

ذكروا عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: معلِّم الخير يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحر[2].

ذكر الزهري قال: ذهب أبي بن كعب ليركب، فأمسك له ابن عباس الركاب فقال له: مه يا ابن أخي. فقال له ابن عباس: إن الله يحب أن يعظم حق خيار المسلمين. وبلغنا أن النظر في وجه الفقيه عبادة.

(1) لم أجد فيما بين يدي من المصادر هذا الحديث بهذا اللفظ. وقد وردت أحاديث في فضل العالم على العابد تؤكد معنى هذا الحديث. منها ما روي من حديث أبي الدرداء الذي أورده الترمذي في باب فضل الفقه على العبادة، والذي أخرجه البغوي في شرح السنة ج 1 ص 275-276 ولفظه: «إن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب». ومنها حديث أبي أمامة الباهلي عن رسول الله ﷺ قال: فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم. أخرجه الترمذي كذلك في فضل الفقه على العبادة.

(2) هذا نص حديث أخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب ثواب معلم الناس الخير من حديث أبي الدرداء ولفظه: إنه ليستغفر للعالم من في السماوات والأرض حتى الحيتان في البحر.

ذكروا عن ليث بن أبي سليم عن عبد الله بن أبي سليم عن عمار بن ياسر قال: ثلاثة لا يَستخِفّ بحقّهم إلا منافق: الإمام المقسط، وهو إمام الهدى، وذو الشيبة المسلم، ومعلّم الخير.

ذكروا عن أبي الدرداء قال: ويل لمن لا يعلم مرة، وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات.

ذكروا عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه[1].

ذكروا عن أنس بن مالك أن رجلاً تجر مصارنه في النار يتأذى أهل النار من نتنه. قيل له: من هو؟ قال: من علم علمه ولم يعمل به.

ذكروا عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: إن الله يقول لرجل كان عالماً: ما صنعت فيما آتيتك؟ فيقول: بيّنت علمي وعبدتك حتى جاءني الموت. فيقول: كذبت، بل أردت أن يقال: فلان عالم، فلان مصل، وقد قيل ذلك، اذهبوا به إلى النار[2].

ذكروا عن رسول الله ﷺ قال: من تعلّم العلم ليباهي به العلماء، أو يماري به السفهاء، أو يصرف به وجوه الناس إليه فله النار[3].

ذكر بعضهم قال: قال رسول الله ﷺ: من يبتغ العلم أو الحديث ليحدّث به الناس لم يرح رائحة الجنة[4].

---

(1) انظر الإشارة إليه فيما سلف، ج 2 ص 59.

(2) هذا جزء من حديث أخرجه النسائي في كتاب الجهاد، باب من قاتل ليقال فلان جريء من حديث أبي هريرة.

(3) أخرجه الربيع بن حبيب في مسنده مرسلاً عن جابر بن زيد، ج 4 ص 23 (رقم 964) وأخرجه ابن ماجه في مقدمة سننه في باب الانتفاع بالعلم والعمل به من حديث ابن عمر (رقم 253) وأخرجه الربيع بن حبيب في مسنده عن أنس بن مالك مرفوعاً بلفظ: من تعلم العلم ليباهي به العلماء أو ليماري به السفهاء لقى الله يوم القيامة، وهو خائب من الحسنات (رقم 33).

(4) أخرجه بمعناه ابن ماجه في المقدمة، باب الانتفاع بالعلم والعمل به من حديث أبي هريرة =

ذكروا عن أبي هريرة أنه قال: إن أخوف ما أخاف يوم القيامة أن يقال: يا عويمر، قد علمت، فماذا عملت فيما علمت.

[يحيى عن الخليل بن مرة عن عمران القصير قال: قال رسول الله ﷺ: فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي][1].

قوله تعالى[2]: ﴿ يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَـٰجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَيٰكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ﴾ أي: لذنوبكم. ولم يكن فيها شيء مؤقت[3]. ولكن ما قل أو كثر. فكان الرجل يستخلي بالنبي عليه السلام في اليوم مراراً لحوائجه فلا يستطيع أحد أن يخلو به حتى يقدم بين يدي نجواه صدقة.

وبلغنا أن أول من قدم بين يدي نجواه صدقة علي بن أبي طالب. فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فقالوا: لا بد لنا منك لحوائجنا أن نستخلي فيها يا رسول الله، وكلما أردنا أن نستخلي لحوائجنا أردنا أن نقدم بين يدي نجوانا صدقة، فإنا والله ما نطيق ذلك، وإن أموالنا لا تطيق ذلك، فأنزل الله: ﴿ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَيٰكُمْ صَدَقَـٰتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا ﴾ أي: دون أن شكوتم فقلتم إن أموالنا لا تطيق ذلك ﴿ وَتَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ ﴾ أي: إن ذلك يضع عنكم هذه الصدقات، وهي الصلاة المكتوبة والزكاة المفروضة.

وقال بعضهم: كان الناس أحفوا رسول الله ﷺ في المسألة ففطمهم الله[4] عنه

= (رقم 252) وأخرجه أبو داود في كتاب العلم، باب في تعلم العلم لغير الله تعالى من حديث أبي هريرة أيضاً (رقم 3664).

(1) زيادة من ز ورقة 355. وانظر ما سلف قريباً في هامش ص 310 من هذا الجزء.

(2) في ع تقديم وتأخير في إيراد الآيات الثلاث وتفسيرها فأثبت ترتيبها حسبما جاءت في المصحف. وقد سقطت بعض هذه الآيات مع تفسيرها من ق.

(3) أي: محدّد معلوم.

(4) في ع و ق: فعصمهم الله، وفيه تصحيف. وقد وردت العبارة في ز ورقة 355 هكذا: «كان الناس =

بهذه الآية: (يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَيكُمْ صَدَقَةً) فكان أحدهم لا يسأل النبي عليه السلام حاجة حتى يقدم بين يدي نجواه صدقة. فاشتد ذلك عليهم، فأنزل الله هذه الآية فنسختها: (ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَيكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ) أي: أتموا الصلاة (وَآتُوا الزَّكَوٰةَ) أي: أتموا الزكاة. قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾.

قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِينَ تَوَلَّوا قَوْماً غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنْكُمْ وَلاَ مِنْهُمْ ﴾ وهم المنافقون وَادُّوا المشركين وناصحوهم فأدّوا إليهم أخبار المؤمنين وأسرارهم. قال: (مَا هُم مِّنْكُمْ) يقوله للمؤمنين: ما هم منكم أي ليسوا من المؤمنين في الاسم والثواب [ما هم منكم في باطن أمرهم، إنما يظهرون لكم الإيمان وليس في قلوبهم][1] (وَلاَ مِنْهُمْ) يعني من المشركين [في ظاهر أمرهم لأنهم يظهرون لكم الإيمان ويسرون معهم الشرك][1]. ليسوا من المشركين في الحكم والسيرة. كقوله تعالى: (مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَىٰ هَؤُلاَءِ وَلاَ إِلَىٰ هَؤُلاَءِ) [النساء: 143].

قال: ﴿ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ أي وهم يعلمون أنهم كاذبون فيما حلفوا عليه، أي أنهم منكم وليسوا منكم. كقوله تعالى: (يَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُم وَمَا هُم مِّنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ) [التوبة: 56].

قال عز وجل: ﴿ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ اتَّخَذُوا أَيْمَـٰنَهُمْ ﴾ أي: حلفهم ﴿ جُنَّةً ﴾ وهو كقوله: (إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ) [المنافقون: 1].

وذلك أنهم قالوا لرسول الله ﷺ: إنا إذا أتينا المشركين شهدنا إنك لرسول الله،

= أحفوا رسول الله بالمسألة حتى أذوه ففطمهم الله عنه بهذه الآية. . .» أي حبسهم وصدهم عنه. وهو قول لقتادة كما في ز، وفي تفسير ابن كثير ج 6 ص 588 نسب هذا القول إلى قتادة ومقاتل بن حيان.

(1) زيادة من ز، ورقة 355.

فكذبهم الله في الذي قالوا لرسول الله ﷺ. فقال عز وجل: (إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ) أي: إنا شهدنا بذلك عند المشركين. قال عز وجل: (وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ) أي فيما ذكروا لك أنهم يشهدون عند المشركين إنك لرسوله. وكانوا يحلفون للنبي وللمؤمنين ليصدقوهم، فقال: (اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ) أي حلفهم لك (جُنَّةً) اجتنوا بها منكم، وأسروا نفاقهم ولم يظهروه. لكي لا يقتلوا [ولا تسبى ذريتهم ولا تؤخذ أموالهم][1]، إذا أظهروا نفاقهم لأنهم يعلمون أن الحكم فيهم إذا أظهروا نفاقهم القتل. كقوله تعالى: (لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلاً مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً. سُنَّةَ اللهِ فِي الذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ) [الأحزاب: 60] أي: هكذا سنة الله في منافقي كل أمة خلت من قبل: القتل إن لم ينتهوا عن إظهار نفاقهم. وكذلك سنته في منافقي أمتك إن لم ينتهوا عن إظهار نفاقهم.

قال تعالى: ﴿ فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللهِ ﴾ أي: عن الإسلام، كانوا يصدون عنه قال: ﴿ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ أي: من الهوان في عذاب جهنم.

﴿ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَا أَوْلَٰدُهُم مِّنَ اللهِ شَيْئاً أُولَٰئِكَ أَصْحَٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾.

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعاً ﴾ أي: يوم القيامة ﴿ فَيَحْلِفُونَ لَهُ ﴾ أي: إنهم كانوا في الدنيا مؤمنين، أي: بالآخرة، بالإقرار الذي كان منهم ﴿ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ﴾ أنتم في الدنيا فتقبلون منهم ﴿ وَيَحْسِبُونَ ﴾ أي: يحسب المنافقون ﴿ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ أي: أن ذلك يجوز لهم عند الله كما جاز لهم عندكم في الدنيا إذا أقرّوا بإقراركم، وادّعوا ملتكم، فقالوا: إنهم مؤمنون حيث أقروا بالإيمان وجرت عليهم أحكامه.

(1) زيادة من ز، ورقة 355.

قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَـٰذِبُونَ﴾ أي: إذا ظنوا أنهم على شيء ولم يعملوا بفرائض الله ويوفوا كوفاء المؤمنين[1] كقوله: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ) [المائدة: 68] أي: حتى تعملوا بما عهد إليكم ربكم في كتبه التي أنزل على أنبيائه. ثم قصد إلى المسلمين فقال: (وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ) يقول: وأنتم أيضاً يا معشر من أقر للنبي عليه السلام بما جاء لستم على شيء، أي: لستم مؤمنين حتى تقيموا ما أنزل إليكم من ربكم في كتابه الذي أنزل إليكم وما عهد إليكم على لسان نبيه.

قال تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَـٰنُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ﴾ أي: غلب واستولى عليهم، فأنساهم أن يذكروا الله في كل ما عهد إليهم فيؤمنوا به على حال ما فرضه عليهم[2].

قال: ﴿أُولَـٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَـٰنِ﴾ أي: شيعة الشيطان ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَـٰنِ هُمُ الْخَـٰسِرُونَ﴾ أي: خسروا أنفسهم فصاروا في النار وخسروا الجنة.

قوله: ﴿إِنَّ الذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: يعادون الله ورسوله ﴿أُولَـٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ أي: أذلّهم الله ﴿كَتَبَ اللهُ﴾ أي: فرض الله[3] ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللهَ

---

(1) كذا في ق و ع، وفي ز: «ألا إنهم هم الكاذبون يوم يحلفون له». والجمل التي تأتي بعد هذا كلها من الشيخ هود الهواري ولا شك، فهو من عادته أن يقف عند كل مناسبة، ليؤكد بها أصلاً من أصول الإباضية في أن الإيمان الحق لا يتم إلا بالعمل الصالح. وكأني به في تفسير آية المائدة يحمّلها ما لا تحتمل. فالآية مصدّرة بخطاب أهل الكتاب، وليست موجهة في قوله: (وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ) لمن أقرّ للنبي محمد عليه السلام بالإسلام كما يراه الشيخ هود. وإذا كان ما زاده حقاً وصواباً فليس مستنبَطاً من الآية. وانظر تفسيرها مختصراً في سورة المائدة فيما سلف ج 1 ص 487.

(2) هكذا وردت هذه الجملة في ق و ع: «فيؤمنوا به على حال ما فرضه عليهم» ولست مطمئناً إلى صحة عبارتها.

(3) كذا في ق و ع: «فرض الله»، وفي ز، ورقة 356: «قضى الله»، وهذه الكلمة الأخيرة أصح وأبلغ.

قَوِيٌّ ﴾ في سلطانه ﴿ عَزِيزٌ ﴾ في نقمته[1].

قوله عز وجل: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ ﴾ أي يحبون، من المودة والمحبة ﴿ مَنْ حَادَّ ﴾ أي من عادى ﴿ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾.

تفسير الحسن: إنهم المنافقون يوادون المشركين.

وتفسير الكلبي: إن هذا نزل في أمر حاطب بن أبي بلتعة حيث كتب إلى أهل مكة ينذرهم خروج النبي عليه السلام إليهم[2]؛ وتفسيره في سورة الممتحنة[3].

قال تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ كَتَبَ ﴾ أي: جعل ﴿ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَٰنَ ﴾ وهم المؤمنون الذين لا يوادون المشركين. قال تعالى: ﴿ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ وقد فسّرنا أمرها في غير هذا الموضع.

قال: ﴿ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ﴾ أي: بأعمالهم ﴿ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ أي: بثوابه إياهم. ﴿ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللهِ ﴾ أي: جند الله ﴿ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ ﴾ أي جند الله ﴿ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ أي: السعداء، وهم أهل الجنة، صاروا إلى دار القرار، ودار السعادة، ودار الخلود؛ فطوبى لهم.

---

(1) كذا في ق و ع وجاء في ز ما يلي: «قال محمد: قيل: إن معنى غلبة الرسل على نوعين: فمن بعث بالحرب فغالب بالحرب، ومن بعث منهم بغير حرب فغالب بالحجة».

(2) وهذا ما ذهب إليه الفراء في المعاني ج 3 ص 142.

(3) انظر قصته في تفسير الآيات الأولى من سورة الممتحنة الآتية بعد سورة الحشر. والحق أن الآية عامة في كل من يواد المشركين أو العصاة الذين يحادون الله ويجاهرون بمعاصيهم في كل زمان ومكان.

تفسير سورة الحشر وهي مدنية كلها.

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾. تفسير الحسن قال: العزيز: بعزته ذلّ من دونه. وقال بعضهم: العزيز في نقمته، الحكيم بأمره.

قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ مِنْ دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ﴾ تفسير الحسن: إن رسول الله ﷺ لَمّا أجلى بني النَضير إلى الشّام قال: هذا أول الحشر، ونحن على الأثر إن شاء الله[1]. يعني أمته الذين تقوم عليهم الساعة بالشام.

وبعضهم يقول: يبعث الله النار قبل أن تقوم الساعة تطرد الناس إلى الشام، تنزل معهم إذا نزلوا، وترحل معهم إذا ارتحلوا. تطردهم إلى الشام، ثم تقوم عليهم الساعة بالشام.

وبعضهم يقول: كان بنو النضير أولَ من أخرج رسول الله ﷺ من اليهود.

ذكروا عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: لئن عشت إن شاء الله لأخرجن اليهود من جزيرة العرب حتى لا أدع فيها إلا مسلما[2]. فَقُبض قبل أن يفعل.

---

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ج 28 ص 29 عن الحسن مرسلاً، وانظر: السيوطي: الدر المنثور ج 6 ص 187.

(2) انظر تخريجه فيما سلف ج 1 ص 479.

ذكروا عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله عن النبي عليه السلام أنه أمر أن يُخرج اليهود من جزيرة العرب[1].

قوله تعالى: ﴿ مَا ظَنَنْتُمْ أَن يَخْرُجُوا ﴾ أي: ما ظننتم أن يحكم الله بأن يُجلوا إلى الشام. ﴿ وَظَنُّوا ﴾ أي اليهودِ، يعني بني النضير ﴿ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللهِ فَأَتَيْهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ﴾ أي: لم يكونوا يحتسبون أن يخرجوا من ديَارهم ومن حصونهم.

قال تعالى: ﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ أي: يخربونها من داخل، يقولون: لا نتركها للمؤمنين. قال تعالى: ﴿ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: يخربها المؤمنون من خارج في تفسير الحسن.

وقال الكلبي: لما أمر رسول الله ﷺ بالسير إلى بني النضير درّبوا الأزقة[2] وحصّنوا الدور، فأتاهم رسول الله ﷺ فقاتلهم إحدى وعشرين ليلة؛ كلما ظهر على دار من دورهم أو درب من دروبهم هدمه ليتسع المُقَاتَل[3] وجعلوا ينقبون دورهم من أدبارها إلى الدار التي تليها ويرمون أصحاب رسول الله ﷺ بنقضها، فلما يئسوا من نصر المنافقين، وذلك أن المنافقين كانوا واعدوهم إن قاتلهم النبي عليه السلام أن ينصروهم، فلما يئسوا من نصرهم سألوا نبي الله عليه السلام الصلح. فأبى عليهم إلا أن يخرجوا من المدينة. فصالحوه على أن يجليهم إلى الشام على أن لهم أن يحملوا،

(1) انظر صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير: باب إجلاء اليهود من الحجاز، (رقم 1765-1766).
(2) أي اتخذوها دروباً، أي ضيقوها.
(3) أي: موضع القتال، وجاءت عبارة الفراء في المعاني ج 3 ص 143 هكذا: «فتحصنوا [أي اليهود] في دورهم، وجعلوا ينقبون الدار إلى التي هي أحصن منها، ويرمون النبي ﷺ بالحجارة التي يخرجون منها، وجعل المسلمون يهدمون دورهم ليتسع موضع القتال...» واقرأ تفاصيل غزوة بني النضير في مغازي الواقدي ج 1 ص 363 - 383 فقد أفاض فيها القول وأتى بمختلف الروايات بتحقيق جيد وأسلوب جذاب.

كل ثلاثة منهم، على بعير واحد، ما شاءوا من[1] طعام وسقاء، ولنبيِّ الله وأصحابه ما فضل؛ ففعلوا.

ذكروا أن رسول الله ﷺ دعاهم إلى الصلح فأبوا. فلما رآهم لا ينزلون من حصونهم أمر بنخلهم فعُقِرت. فعقر يومئذ من صنوف التمر غير العجوة. فلما رأوا أنه قد ذهب بعيشهم هبطوا إلى الصلح على أن يجليهم رسول الله ﷺ إلى الشام، وشارطهم على أن لهم ما حمل الظهر، سوى الحلقة والكراع[2]. وزعم بعضهم أن الحلقة الدروع والسلاح كله. فاحتملوا شروطهم حتى إنهم لينقضون سقوفهم. وفيهم أنزل الله: (يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِم وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ).

قال تعالى: ﴿ فَاعْتَبِرُوا ﴾ أي تفكّروا واعرفوا الحق ﴿ يَا أُولِي الأَبْصَـٰرِ ﴾ أي: يا أهل العقول[3]. يعني المؤمنين.

قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ ﴾ أي: ولولا حكم الله بالجلاء، أي: بالخروج إلى الشام ﴿ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا ﴾ أي: بالقتل والسباء ﴿ وَلَهُمْ فِي الأخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللهَ وَرَسُولَهُ ﴾ أي: فارقوا[4] الله ورسوله ﴿ وَمَن يُشَاقِّ اللهَ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

قوله: ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّنَ لِّينَةٍ أو تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللهِ ﴾ أي: إن

(1) كذا في ق و ع، وفي ز ورقة 356: «على أن لهم أن يحمل أهل كل ثلاثة أبيات على بعير ما شاءوا من طعام وسقاء...».

(2) في ق و ع: «والحلقة والكراع» وهو خطأ صوابه ما أثبته: «سوى الحلقة والكراع» كما جاءت في كتب التفسير والسيرة على أني لم أجد فيها ذكراً للكراع. وفي اللسان: الكراع اسم يجمع الخيل. والكراع: السلاح، وقيل هو اسم يجمع الخيل والسلاح.

(3) قال الفراء في المعاني، ج 3 ص 143: «(يَا أُولِي الأَبْصَارِ) يا أولي العقول. ويقال: (يَا أُولِي الإِبْصَارِ) يا من عاين ذلك بعينه». والصحيح الأول، لأن العبرة باقية مدى الأزمان لكل من قرأ القرآن.

(4) كذا في ق و ع: «فارقوا»، وفي ز: «عادوا» وهذه اللفظة الأخيرة أدق تعبيراً وأصح تأويلاً.

الله أذن لكم في ذلِكَ فجعل ذلك إليكم: أن تقطعوا إن شئتم وأن تتركوا إن شئتم. قال تعالى: ﴿ وَلِيُخْزِيَ الفَـسِقِينَ ﴾.

ذكروا عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ حرّق نخل بني النضير وترك العجوة[1] وهي التي يقول فيها الشاعر[2].

وَهَـانَ عَـلَى سَـرَاةِ بَـنِـي لُـؤَيّ حَـرِيقٌ بِـالْبُـوَيْـرَةِ[3] مُـسْـتَـطِـيـرُ[4]

ذكروا أن رسول الله ﷺ عقد يومئذ من صنوف النخل غير العجوة وترك العجوة.

ذكروا عن عكرمة أنه قال: كل ما كان دون العجوة من النخل فهو لينة[5].

وتفسير مجاهد أن المهاجرين وقعوا في النخل، فنهاهم بعضهم عن قطع النخل وقالوا: إنما هي مغانم للمسلمين. وقال الذين قطعوا: بل هي غيظ للعدو، فأنزل الله تصديق من نهى عن قطعه و[تحليل][6] من قطعه من الإثم [وإنما قطعه وتركه بإذنه][6].

ذكروا عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: العجوة من الجنة، وهي شفاء من السم[7].

---

(1) انظر ما رواه عبد الله بن عمر في صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب جواز قطع أشجار الكفار وتحريقها (رقم 1746).

(2) هو حسان بن ثابت، شاعر رسول الله ﷺ.

(3) البويرة، تصغير بئر، وقيل: تصغير بور، وهي الحفرة. وهي هنا عَلَم لموضع به نخل بني النضير ومنازلهم يقع قبلة مسجد قباء إلى جهة الغرب. انظر: ياقوت، معجم البلدان (بور).

(4) انظر عبد الرحمن البرقوقي، شرح ديوان حسان بن ثابت، نشر دار الأندلس، بيروت 1386-1966.

(5) هذا هو القول المشهور في معنى اللينة. وقال بعضهم: هو جميع أنواع التمر سوى العجوة والبرني. وهنالك أقوال أخرى في معنى اللينة وردت في كتب التفسير. انظر مثلاً تفسير القرطبي ج 18 ص 8-10.

(6) زيادة من تفسير مجاهد، ص 663 لإيضاح المعنى.

(7) أخرجه الترمذي في كتاب الطب، وأخرجه ابن ماجه في كتاب الطب، باب الكمأة والعجوة

قال تعالى: ﴿ مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾. فظن المسلمون أنه سيقسمه بينهم جميعا فقال رسول الله ﷺ للأنصار إن شئتم أن أقسم لكم وتقرون المهاجرين معكم في دياركم فعلت، وإن شئتم عزلتهم وقسمت لهم هذه الأرض والنخل. فقالوا يا رسول الله، بل أقرهم في ديارنا واقسم لهم الأرض والنخل. فجعلها رسول الله ﷺ في المهاجرين [1].

قوله تعالى: ﴿ مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنَ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَـٰمَىٰ وَالْمَسَـٰكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ [تفسير قتادة: لما نزلت هذه الآية كان الفيء في هؤلاء كلهم فلما نزلت الآية في الأنفال: (وَاعْلَمُوا أنما غَنِمْتُم مِّنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ)[2]] [الأنفال: 41] نسخت الآية الأولى وجعلت الخمس لمن كان له الفيء فصار ما بقي من الغنيمة لأهل القتال.

قال بعضهم: وكتب عمر بن عبد العزيز: إن كلا الآيتين واحدة لم تنسخ إحْدَاهُما الأخرى.

وتفسير الحسن إن الفيء الجزية، ولا يجعلها منسوخة. قال: (مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنَ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ) فهذا سهم واحد. قال: (وَلِذِي الْقُرْبَىٰ أي: قرابة النبي عليه السلام، (وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ).

ذكروا أن نجدة بن عامر كتب إلى ابن عَباس يَسأله عن سهم ذوي القربى فكتب إليه: إنا كنا نراها قرابة رسول الله ﷺ، فأبى ذلك علينا قومنا.

= (رقم 3455) كلاهما يرويه من حديث أبي هريرة، وأخرجه أيضاً أحمد والدارمي.

(1) انظر تفضيل ذلك في مغازي الواقدي ج 1 ص 379 وما قاله سعد بن عبادة وسعد بن معاذ.

(2) سقط ما بين المعقوفين من ق و ع فأثبته من ز ورقة 356-357 حتى يستقيم المعنى، وانظر تفصيل هذا القول في تفسير الطبري ج 28 ص 38، وانظر ابن العربي، أحكام القرآن، ج 4 ص 1760، وانظر الجصاص، أحكام القرآن، ج 5 ص 318-319.

ذكروا أن أبا بكر وعمر حملا عليه في سبيل الله.

قال: [يحيى][1] وبلغني عن الحسن أنه قال: يعطى منه قرابة رسول الله ﷺ. وقال في ابن السبيل: هو الغازي يعطى منه إذا احتاج وإن كان في بلده غنيا.

قال تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ يعني الفيء فلا يكون فيه للفقراء والمساكين حق.

قال تعالى: ﴿وَمَا ءَاتَيْكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ نزلت في الغنيمة صارت بعد في جميع الدين. ﴿وَمَا نَهَيْكُمْ عَنْهُ﴾ من الغلول ﴿فَانْتَهُوا﴾ وهي بعد في جميع الدين. ﴿وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ أي: إذا عاقب.

ثم قال: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَـٰجِرِينَ﴾ أي: وللفقراء المهاجرين، رجع إلى أول الآية: (مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنَ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ) وللفقراء المهاجرين. ثم قال: (وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ) أي: وللذين تبوءوا الدار، تبعا للكلام الأول... إلى قوله: (فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحونَ) ثم قال الله عز وجل: (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ) أي: وللذين جاءوا من بعدهم تبعا للكلام الأول أيضا. قال [بعضهم]: فلم يبق أحد إلا وله في هذا المال حق. وهذا تفسير الحسن.

ذكروا أن عمر بن الخطاب قال: ما من أحمر ولا من أسود إلا يملكون فيئه. أي: إلا وله في هذا المال حقه، أُعطِيَه أو مُنِعَه. ولئن عشت إن شاء الله ليأتين الراعي باليمن حقه منه قبل أن يسأله أو يحمرّ فيه وجهه[3].

(1) زيادة من مخطوطة ابن سلام، قطعة 180.

(2) كذا في ق: «فيئه» وفي ع: «إلا يملكون فيه إلا وله في هذا المال حقه...».

(3) كذا في ق و ع وفي مخطوطة ابن سلام، قطعة 180، وفي تفسير القرطبي ج 18 ص 22 «لئن عشت ليأتين الراعي وهو بِسَروِ حميرَ نصيبُه منها لم يعرق فيها جبينه». وانظر أبو يوسف: كتاب الخراج ص 67-72.

[ابن لهيعة عن أبي الأسود قال: أدركت زمان عثمان بن عفان وما من المسلمين أحد إلا وله في مال الله حق](1).

قوله: (وَمَا ءَاتَيٰكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ). ذكروا عن عبد الله بن مسعود أنه لعن المتفلجات والمتوشمات والمتنمصات المغيرات خلق الله. فجاءته امرأة من بني أسد فقالت: أنت الذي تقول: لعن الله المتفلجات والمتوشمات والمتنمصات المغيرات خلق الله؟ فقال: ألا ألعنُ من لعن رسول الله ﷺ؟ وقال بعضهم: قال: يسعنى أن ألعن من لعن رسول الله ﷺ. فقالت لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت هذا فيه(2). فقال إن كنت قرأت ما بين اللوحين إنه لفيه. أما وجدت: (وَمَا ءَاتَيٰكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَيٰكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) قالت بلى. فقالت: والله إني رأيت امرأتك تفعله. قال: اذهبي وانظري إليها، فإن رأيت فيها شيئا من ذلك لم تصحبني. فدخلت فنظرت فلم تر شيئا. ثم رجعت فقالت: ما رأيت فيها شيئا من ذلك.

ذكروا عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: ألا هل عسى رجل أن يكذبني وهو متكىء على حشاياه، يبلغه الحديث عني فيقول: كتاب الله ودعونا من حديث رسول الله(3).

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: لا تقوم الساعة حتى يرفع العلم. فقال زياد بن لبيد: أيرفع العلم يا رسول الله ونحن نقرأ القرآن إيمانا ولسانا. فقال: ثكلتك أمك يا

(1) زيادة من مخطوطة تفسير ابن سلام، قطعة 180.

(2) كذا في مخطوطة ابن سلام، وفي ق و ع: «فما وجدت بأنه لعنه».

(3) حديث صحيح أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب في لزوم السنة من حديث المقدام بن معديكرب (رقم 4604) ومن حديث أبي رافع مولى رسول الله ﷺ (رقم 4605) وأخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ على من عارضه من حديث المقدام بن معديكرب (رقم 12) ومن حديث أبي رافع (رقم 13). ورواه الشافعي بسند صحيح أيضاً من حديث أبي رافع مرفوعاً ومن حديث محمد بن المنكدر مرسلاً انظر الشافعي: الرسالة، ص 98-91. وانظر صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب: وما آتاكم الرسول فخذوه. وانظر فتح الباري ج 8 ص 630.

زياد بن لبيد، قد كنت أعدك من فقهاء المدينة. أوليس كتاب الله عند اليهود والنصارى فما أغنى عنهم. إن ذهاب العلم ذهاب العلماء[1].

ذكروا عن عروة بن الزبير عن عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله لا ينزع العلم عنكم بعد أن أعطاكموه انتزاعا، ولكن ينتزعه عنكم بقبض العلماء. أي: يذهب العلماء بعلمهم ويبقى الناس جهالاً يستفتون فيقولون برأيهم فيضلون ويُضلون. قال عروة: فحدثت بذلك عائشة فقالت: والله لقد حفظ عبد الله[2].

ذكر غير واحد، وذكروه عن عمر بن الخطاب قال: أصحاب الرأي أعداء السنن أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، وتفلتت منهم أن يعوها فسُئلوا فقالوا برأيهم فضلوا وأضلوا.

ذكروا عن بعضهم قال: ما حدثك به أصحاب النبي عليه السلام فحدِّث.

ذكروا عن الحسن عن أبي مسلم الخولاني قال: مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم يهتدي بها الناس ما بدت، فإذا خفيت تحيّروا.

ذكروا عن بعضهم قال قال رسول الله ﷺ: السنة سنتان: سنة في فريضة الأخذ بها هدى وتركها ضلالة، وسنة في غير فريضة الأخذ بها فضيلة، وتركها ليس بخطيئة[3].

ذكروا عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري قال: قال

---

(1) انظر ما مضى، ج 1 ص 296.

(2) حديث صحيح أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص (رقم 2673) وأخرجه ابن سلام بهذا السند: «ابن لهيعة عن ابن أبي الأسود عن عروة بن الزبير عن عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول...» كما في مخطوطة تفسير ابن سلام.

(3) في مخطوطة ابن سلام، تفسير، قطعة 180 ورد هذا الحديث بالسند التالي: الخليل بن مرة عن الوضين بن مرة عن مكحول قال قال رسول الله ﷺ. وانظر ما سلف ج 1 ص 82.

رسول الله ﷺ: ما أمرتكم به من شيء فأتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فانتهوا[1]. فهذا الأمر في غير السنة التي لا تترك فيما كان من فضيلة[2].

ذكروا عن الحسن أنه قال: ركوب النهي أشد من ترك الأمر. قال بعضهم: يعني بالأمر الذي فيه فضيلة ليس بسنة لا تترك.

قوله عز وجل: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَـٰجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ ﴾ أي: أخرجهم المشركون من مكة ﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللهِ وَرِضْوَاناً ﴾ أي بالعمل الصالح ﴿ وَيَنصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّـٰدِقُونَ ﴾ أي: في القول والعمل.

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ ﴾ أي: وطنوا الدار، يعني المدينة ﴿ وَالإِيمَـٰنَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ يعني الأنصار. وكان إيمان الأنصار قبل أن يهاجر إليهم المهاجرون، وكان إيمان المهاجرين قبلهم.

قال تعالى: ﴿ يُحِبُّونَ ﴾ يعني الأنصار ﴿ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا ﴾ أي: مما أوتي المهاجرون، أي مما آثروهم به[3] من الطعام والشراب وغير ذلك، في تفسير الحسن. وقال بعضهم: مما قسم للمهاجرين من [أموال][4] بني النضير.

قال تعالى: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾.

ذكروا أن رجلا من المهاجرين قام ثلاثة أيام صائما، يمسي فلا يجد ما يفطر

(1) حديث صحيح، أخرجه ابن ماجه في المقدمة، وهو أول أحاديث السنن، باب اتباع سنة رسول الله ﷺ. وأخرجه مسلم في كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر (رقم 1337) من حديث أبي هريرة، وفيه: «ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم. فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه». وأخرجه أحمد والنسائي وغيرهم.

(2) هذه الجملة الأخيرة من كلام مجاهد كما في مخطوطة ابن سلام، قطعة 180.

(3) في ق و ع: آتوهم، وأثبت ما هو أصح وأبلغ «آثروهم به» من مخطوطة ابن سلام قطعة 180.

(4) زيادة يقتضيها السياق.

عليه، فيصبح صائماً حتى فطن له رجل من الأنصار يقال له ثابت بن قيس فقال لأهله: إني أجيء الليلة بضيف لي. فإذا وضعتم طعامكم فليقم أحدكم إلى السراج كأنما يصلحه فليطفئه، ثم اضربوا بأيديكم كأنكم تأكلون، ولا تأكلوا حتى يشبع الضيف. فلما أمسى وضع أهله طعامهم، فقامت امرأته إلى السراج كأنها تصلحه فأطفأته. ثم جعلـوا يضربون بأيديهم إلى الطعام كأنهم يأكلون ولا يأكلون، حتى شبع ضيفهم. وإنما كانت خبزة هي قوتهم. فلما أصبح ثابت غدا إلى النبي ﷺ، فقال له النبي عليه السلام: يا ثابت، لقد رضي الله فعلكم البارحة بضيفكم. وأنزلت فيه: ﴿وَيُوثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ أي: حاجة[1].

ذكروا أن عبد الرحمٰن بن عوف قدم على رسول الله ﷺ فآخى النبي بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري، فقال له سعد: أقاسمك مالي نصفين. وكان ذا غنى. قال: وعندي امرأتان فأيتهما أعجبتك[2] حتى أطلقها فإذا انقضت عدتها فتزوجها. فقال له: بارك الله لك في مالك وأهلك. دلوني على السوق. فما رجع حتى استحصل أقطا كثيرا وسمنا، وأحسبه قال: وتمرا. فجاء به إلى منزله. فمكثا ما شاء الله. فرأى رسول الله ﷺ أثر صفرة في صدره فقال. مهيم[3]؟ فقال: يا رسول الله، تزوجت امرأة من الأنصار. قال: ما سقت إليها. قال: تومة[4] من ذهب أو ورق. فقال: أولـم ولـو بشاة[5].

(1) حديث صحيح، أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة عن أبي هريرة. وقد أكد الحافظ ابن حجر العسقلاني أن الصحابي الذي نزلت فيه هذه الآية إنما هو أبو طلحة وليس ثابت بن قيس وردّ هذه الرواية التي أوردها ابن سلام، وذكره باسمه يحيى بن سلام. وقال: «وهو غلط بيّن». انظر ابن حجر، فتح الباري، ج 7 ص 119-120، وج 8 ص 631-632، وانظر السيوطي، الدر المنثور، ج 6 ص 195، والواحدي، أسباب النزول ص 445-446 وغيرها من مصادر التفسير والحديث.

(2) كذا في ق وع، وفي مخطوطة تفسير ابن سلام قطعة 180: «فانظر أيهما أعجب إليك».

(3) «مهيم». أي: ما وراءك؟ وفي رواية ما هذا؟.

(4) «تومة»: هي حبة تعمل مستديرة كاللؤلؤة من فضة، وفي البخاري: «زنة نواة من ذهب».

(5) حديث متفق عليه، رواه البخاري في مناقب الأنصار، باب إخاء النبي بين المهاجرين والأنصار=

ذكروا أن رسول الله ﷺ أعطى من غنائم خيبر الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى عيينة بن حصن بن بدر مائة من الإبل، فقال أناس من الأنصار: يعطي النبي ﷺ غنائمنا رجالا سيوفنا تقطر من دمائهم وسيوفهم تقطر من دمائنا. [فبلغ ذلك ﷺ فدعا الأنصار][1] فاجتمعت إليه الأنصار، فقال النبي عليه السلام: هل فيكم غيركم؟ قالوا: لا يا رسول الله إلا ابن أخت لنا. فقال: ابن أخت القوم منهم. ثم قال: يا معشر الأنصار، ألا ترضون أن يذهب الناس بالدنيا وبالشاء والإبل وتذهبون أنتم بمحمد إلى دياركم؟ قالوا: بلى، يا رسول الله. قال: لو أخذ الناس واديا وأخذت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار. الانصار كرشي وعيبتي، ولولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار[2].

قوله عز وجل: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ ﴾ [تفسير سعيد بن جبير: وقي إدخال الحرام ومنع الزكاة][3] ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: بريء من الشح من أعطى زكاة ماله وقرى الضيف وأعطى النائبة في قومه[4].

= وفي كتاب النكاح، باب الصفرة للمتزوج، وباب: كيف يدعى للمتزوج. وفيه عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ رأى على عبد الرحمن بن عوف أثر صفرة، قال: ما هذا؟ قال: إني تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب. قال: بارك الله لك، أولم ولو بشاة.

(1) زيادة لا بد منها.

(2) حديث صحيح رواه البخاري في باب مناقب الأنصار، وفي باب قول النبي ﷺ: لولا الهجرة لكنت من الأنصار عن أنس، وعن عبد الله بن زيد وعن أبي هريرة بألفاظ متقاربة. وفي حديث أنس: «قالت الأنصار يوم فتح مكة وأعطى قريشاً: والله إن هذا لهو العجب إن سيوفنا تقطر من دماء قريش. . .» وأخرجه ابن ماجه مختصراً في المقدمة. فضل الأنصار (رقم 164) من طريق عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: «الأنصار شعار والناس دثار، ولو أن الناس استقبلوا وادياً أو شعباً، واستقبلت الأنصار وادياً لسلكت وادي الأنصار، ولولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار».

(3) زيادة من ز ورقة 357.

(4) أخرجه ابن سلام بهذا السند: «نصر بن طريف وعاصم بن حكيم عن محمد بن يحيى عن عمه=

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: من أدى زكاة ماله فقد أدى حق الله في ماله ومن زاد فهو خير له[1].

قوله عز وجل: ﴿ وَالذينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ يعني بعد أصحاب النبي عليه السلام إلى يوم القيامة [فلم يبق أحد إلا وله في هذا المال حق أعطيه أو منعه][2] ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الذينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَـٰنِ ﴾ أي: أصحاب النبي عليه السلام ﴿ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنا غِلاً ﴾ أي: حسدا. وقال بعضهم: عداوة ﴿ لِلذينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾.

تفسير الحسن: إن من اتبعهم إلى يوم القيامة، وهي مثل التي في براءة (وَالذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ) [التوبة: ١٠٠] إلى يوم القيامة.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: دعوا أصحابي ولا تسبوا أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق كل يوم مثل جبل أحد لم يبلغ مد أحدهم[3].

ذكروا عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: إذ ذكر القدر فأمسكوا، وإذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا[4].

= زيد بن خالد الجهني»، وأخرجه عبيد بن حميد عن خالد بن يزيد بن جارية كما في الدر المنثور ج 6 ص 196.

(1) انظر ما سلف، ج 2 ص 129 ففيها الإشارة إلى هذا الحديث. وفي المسألة خلاف قديم، وجمهور الصحابة على أنه ليس في المال حق سوى الزكاة. وقال ابن عمر: في المال حق سوى الزكاة. ومعتمد من يرى رأى ابن عمر الآيةُ: 177 من سورة البقرة؛ قوله تعالى: (لَّيْسَ البِرُّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالمَغْرِب. . .) إلى قوله: (وَأُولَئِكَ هُمُ المتَّقُونَ). ويرى جمهور العلماء بأن في الآية نسخاً بعد أن فرضت الزكاة وحددت صنوفها ومقاديرها. انظر في الموضوع: كتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام. ص 445-446.

(2) زيادة من ز ورقة 357.

(3) حديث متفق عليه، أخرجه البخاري في فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: (لو كنت متخذاً خليلاً، وأخرجه مسلم كذلك في كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم عن أبي سعيد الخدري (رقم 2540) وفي آخره: «مد أحدهم ولا نصيفه».

(4) أخرجه يحيى بن سلام كما في مخطوطة تفسيره بهذا السند: «النضر بن معبد عن أبي قلابة =

ذكر النضر قال: سمعت أبا قلابة يقول لأيوب: يا أيوب، احفظ علي ثلاثا: لا تجالس أهل البدع ولا تسمع منهم، ولا تفسر القرآن برأيك، فإنك لست من ذلك في شيء، وانظر إلى هؤلاء الرهط من أصحاب النبي ولا تذكرنهم إلا بخير.

قول عز وجل: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوانِهِمُ الذينَ كَفَرُوا مِنَ اَهْلِ الْكِتَـٰبِ ﴾ تفسير الحسن: يعني قريظة والنضير ﴿ لَئِن اخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلاَ نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً ﴾ يقول المنافقون: لا نطيع فيكم محمدا وأصحابه ﴿ وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ ﴾ فاغترت قريظة بذلك ﴿ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ لَئِنُ اخْرِجُوا لاَ يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلوُا لاَ يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ ﴾.

فأجلى رسول الله ﷺ بني النضير إلى الشام فلم يخرجوا معهم، وقتل بني قريظة بعد ذلك بحكم سعد بن معاذ فلم يقاتلوا معهم.

قال الكلبي: كان بين إجلاء بني النضير وقتل بني قريظة سنتان. كانوا مقيمين بالمدينة بعد إجلاء بني النضير في عهد رسول الله ﷺ والمؤمنين. فلما سار أبو سفيان بالأحزاب إلى رسول الله ﷺ غدرت بنو قريظة نبيَّ الله، وقطعوا الحلف الذي كان بينه وبينهم.

فلما هزم الله الأحزاب أمر الله نبيه أن يقاتل بني قريظة. فأرسل إليهم المنافقون: إن أراد محمد أن يخرجكم من المدينة كما أخرج بني النضير فلا تخرجوا، فوالله لئن خرجتم لنخرجن معكم وإن قوتلتم لننصرنكم. فاغتر بنو قريظة بذلك ولزموا حصونهم. فقاتلوا رسول الله ﷺ قريباً من شهر. وقذف الله في قلوبهم الرعب فلم ينصروهم. فلما رأت بنو قريظة أن المنافقين قد خذلوهم وأيسوا من

= عن عبدالله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ، وأخرجه الطبراني من حديث ابن مسعود أيضاً، وأخرجه ابن عدي في الكامل عن ثوبان. وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، ج 1 ص 42-46 (رقم 34).

نصرتهم نزلوا على حكم سعد بن معاذ، فحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم وتقسم أموالهم بين المهاجرين والأنصار.

ذكروا عن عبد الله بن عمر بن سعد بن معاذ عن أبيه أن سعداً لم يحكم فيهم، ولكن النبي عليه السلام أرسل إليه فجاء على حمار فقال: أشر علي فيهم. فقال سعد: لقد علمتُ أن الله أمرك فيهم بأمرٍ أنت فاعل ما أُمِرتَ به. قال: أشر علي فيهم. قال: لو وُليت أمرهم لقتلت مقاتلتهم وسبيت ذراريهم ونساءهم ولقسمت أموالهم. فقال النبي عليه السلام: والذي نفسي بيده لقد أشرت علي فيهم بالذي أمرني الله به فيهم(1).

ذكروا عن عطية القرظي، وكان فيمن عرض على النبي عليه السلام يوم قريظة. فمن نبتت عانته قتل، ومن لم تنبت ترك. قال: فنظروا فإذا عانتي لم تنبت وتركت.

قوله عز وجل: ﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللهِ ﴾ أي: هم أشد خوفاً منكم منهم من الله، يعني بني النضير(2). قال: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾.

قال: ﴿ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ ﴾ يعني اليهود ﴿ جَمِيعاً ﴾ أي: لا يقاتلونكم شذاذا، أي: لا يقاتلونكم إلا جميعاً من شدة رعبهم الذي دخلهم منكم ﴿ إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ ﴾ أي: لا يقاتلونكم في الصحارى. قال تعالى: ﴿ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ ﴾ أي في المدائن ﴿ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ﴾ أي: يقولون إذا اجتمعوا: لنفعلن بمحمد كذا وكذا ولنفعلن بمحمد كذا وكذا.

قال الله عز وجل: ﴿ تَحْسِبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ﴾ أي: مختلفة مفترقة،

---

(1) انظر الإشارة إلى هذه القصة وبعض مصادرها فيما سلف ج 1 ص 327.

(2) في ق و ع، وفي ز، وفي مخطوطة ابن سلام، قطعة 180: «يعني المنافقين»، ويبدو لي أن هذا خطأ من ناسخ أول تناقله مَن بعدَه، فإن سياق الآية بعده لا يدل على أن المعنيين هم المنافقون والصواب ما أثبته إن شاء الله، «يعني بني النضير» كما جاء في بعض كتب التفسير، انظر مثلاً تفسير الطبري ج 28 ص 47؛ وإن كان ابن عاشور يرى أن الضمير يعود للمنافقين وإلى اليهود معاً كما جاء في التحرير والتنوير، ج 28 ص 101-102.

أي: في قتالكم[1]. وقال مجاهد: (قُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ). وهم المنافقون مختلف دينهم ودين بني النضير[2]. قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾.

ثم قال عزّ وجلّ: ﴿ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [من قبل قتل قريظة][3] ﴿ قَرِيباً ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ ﴾ يعني بني النضير. كان إهلاك الله إياهم قريباً: كان بين إجلاء بني النضير وقتل قريظة سنتان. نزلت هذه الآية من قوله عز وجل: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ. . .) إلى هذا الموضع في قتل قريظة[4]، من قبل أن ينزل قوله: (مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا. . .) إلى قوله عز وجل: (وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) وهي بعدها في التأليف. وتفسير مجاهد: (والَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيباً) أي: كفار قريش يوم بدر.

قال تعالى: (ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ) أي: ذاقوا عقوبة أمرهم. والوبال العقوبة. ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

قال: ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَٰلَمِينَ ﴾ بريء منه ومن عبادته إياه.

﴿ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا ﴾ أي: عاقبة الشيطان والذي عبده ﴿ أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا

(1) قال الفراء في المعاني ج 3 ص 146: «(تحسبهم) يعني بني النضير جميعاً، وقلوبهم مختلفة، وهي في قراءة عبد الله: وقلوبهم أشت، أي أشد اختلافاً».

(2) هذا القول الأخير هو الذي اختاره الطبري في تفسيره ج 28 ص 47 قال: «(تَحْسِبُهُم جَمِيعاً) يعني المنافقين وأهل الكتاب، يقول: تظنهم مؤتلفين مجتمعة كلمتهم، (وَقُلُوبُهُم شَتَّى) يقول وقلوبهم مختلفة لمعاداة بعضهم بعضاً». ويعجبني ما رواه الطبري عن قتادة في تفسير الآية قال: «تجد أهل الباطل مختلفة شهادتهم، مختلفة أهواؤهم، مختلفة أعمالهم، هم مجتمعون في عداوة أهل الحق».

(3) زيادة من ز ورقة 358.

(4) في ع و ق: «من قبل» وفي الكلمة تصحيف صوابه ما أثبته: «قتل قريظة».

وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّـٰلِمِينَ﴾ أي: المشركين. فضرب الله مثل المنافقين واليهود حين اغترت اليهود بما وعدهم المنافقون من النصر فخذلوهم ولم ينصروهم (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ)... إلى قوله عز وجل: (وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ).

وبلغنا أن عابدا كان في بني إسرائيل قد خرج من الدنيا واتخذ دَيرا يتعبّد فيه. فطلبه الشيطان أن يزله فأعيا عليه. فلما رأى الشيطان ذلك جاء إلى ابنة الملك فدخل فيها فأخذها. فدعوا لها الأطباء فلم يغنوا عنها شيئا. فتكلم على لسانها فقال: لا ينفعها شيء إلا أن تأتوا بها إلى فلان الراهب فيدعو لها. فذهبوا إليه فجعلوها عنده. فأصابها يوما ما كان بها فانكشفت، وكانت امرأة حسناء فأعجبته بياضها وحسنها فوقع عليها فأحبلها. فوسوس الشيطان إلى أبيها وإخوتها بأنه قد وقع عليها فأحبلها. ثم وسوس إلى الراهب فقال له: اقتلها وادفنها لئلا يعلموا أنك أحبلتها. فقتلها الراهب ودفنها في أصل حائط. فجاء أبوها وإخوتها، وجاء الشيطان بين أيديهم فسبقهم[1] إلى الراهب وقال: إن القوم قد علموا ما صنعت بالمرأة، فإن سجدت لي سجدة رددتهم عنك فسجد له. فلما سجد له أخزاه الله وتبرأ منه الشيطان. وجاء أبوها وإخوتها فاستخرجوها من حيث دفنها وعمدوا إلى الراهب فصلبوه. فضرب الله مثل المنافقين حين خذلوا اليهود فلم ينصروهم، وقد كانوا وعدوهم النصر (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ) في هذه الآية (إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ)، وكذب. قال الله عز وجل: (فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا) أي عاقبة الشيطان وذلك الراهب (أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ)[2]. وهو تفسير مجاهد.

---

(1) في ق وع: «فتقدمهم» وأثبت ما جاء في ز وفي مخطوطة ابن سلام «فسبقهم» وهو أدق تعبيراً.

(2) وردت هذه القصة في بعض كتب التفسير والحديث موقوفة على ابن عباس، وأحياناً على علي. ورفعها بعضهم إلى رسول الله ﷺ. ونسبت أحياناً إلى قصص وهب بن منبه. ولم يشر إليها الفخر الرازي في التفسير الكبير مطلقاً كأنه أنكر صحتها. وانظر تفسير القرطبي ج 18 ص 37-42 فقد رواها من طرق متعددة وألفاظ متقاربة.

قوله: ﴿ يَـٰأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ أي: للآخرة ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ أي: عالم بأعمالكم.

﴿ وَلاَ تَكُونُوا كَالذِين نَسُوا اللهَ ﴾ أي: تركوا العمل لله بفرائضه ﴿ فَأَنْسَيٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ أي: تركهم من الخير ولم يتركهم من الشر[1]. ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْفَـٰسِقُونَ ﴾ من فاسق مشرك، أو فاسق منافق؛ جمعهم كلهم جميعا.

قوله عز وجل: ﴿ لاَ يَسْتَوِي أَصْحَـٰبُ النَّارِ وَأَصْحَـٰبُ الْجَنَّةِ ﴾ أي: أهل النار وأهل الجنة ﴿ أَصْحَـٰبُ الجَنَّةِ هُمُ الفَائِزُونَ ﴾ أي: فازوا من النار إلى الجنة.

قوله عز وجل: ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْءانَ عَلَىٰ جَبَلٍ ﴾ أي: على حدِ ما أنزلناه على العباد من الثواب والعقاب والوعد والوعيد والأمر والنهي ﴿ لَرَأَيْتَهُ خَـٰشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ﴾ يوبخ بذلك العباد. ونظيرها قوله تعالى: (إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمـٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً) [الأحزاب: ٧٢]. وقد فسّرناه في سورة الأحزاب[2].

قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ أي: لكي يتفكروا فيعلموا أنهم أحق بخشية الله من هذا الجبل، لأنهم يخافون العقاب، وليس على الجبال عقاب.

قوله تعالى: ﴿ هُوَ اللهُ الذِي لَا إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ ﴾ أي: لا معبود سواه ﴿ عَـٰلِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَـٰدَةِ ﴾ الغيب ما أخفى العباد وَالشَّهَـٰدَةِ ما أعلنوا. قال تعالى: ﴿ هُوَ الرَّحْمَـٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ وقد فسّرناه في فاتحة الكتاب[3].

﴿ هُوَ اللهُ الذِي لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ ﴾ أي: المبارك، أي إن البركة

---

(1) كذا في ق وع، وفي ز: (نَسُوا اللهَ) يعني تركوا ذكره بالإخلاص من قلوبهم فأنساهم أنفسهم بتركهم من أن يذكروا ما عنده بالإخلاص له. (أُولَئِكَ الْفَاسِقُونَ) وهو فسق الشرك.

(2) انظر ما سلف، ج 3 ص385 - 386.

(3) انظر تفسير فاتحة الكتاب، ج 1 ص73 - 74.

من قبله. وتفسير الكلبي: القدوس: الطاهر ﴿ السَّلَـٰمُ ﴾ أي: الذي سلمت الخلائق من ظلمه ﴿ الْمُومِنُ ﴾ تفسير الحسن: المؤمن بنفسه قبل إيمان خلقه، كقوله عز وجل: (شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ). يعني المؤمنين... إلى آخر الآية. [آل عمران: ١٨].

وقال بعضهم: أمن الله الخلائق من ظلمه. وقال بعضهم: الموفي خلقه بما وعدهم، هو المؤمن. ﴿ الْمُهَيْمِنُ ﴾ أي: الأمين على ما حدّث أنه كائن وأنه يكون، وبعضهم يقول: الشاهد على خلقه. وتفسير مجاهد: الشهيد، وهو نحوه. ﴿ الْعَزِيزُ ﴾ في نقمته. وقال الحسن: (الْعَزِيزُ) بعزته ذلّ من دونه ﴿ الْجَبَّارُ ﴾ أي الذي تجبر على خلقه[1]. وقال بعضهم: القاهر لخلقه بما أراد. ﴿ الْمُتَكَبِّرُ ﴾ أي: الذي تكبر على خلقه[2]. ﴿ سُبْحَـٰنَ اللهِ ﴾ نزه نفسه ﴿ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾.

﴿ هُوَ اللهُ الْخَـٰلِقُ الْبَارِئُ ﴾ والبارئ هو الخالق ﴿ الْمُصَوِّرُ ﴾ الذي يصور في الأرحام وفي غيرها ما يشاء ﴿ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ ذكروا عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: لله تسعة وتسعون اسما مائة غير واحد من أحصاها[3] دخل الجنة[4]. وإنما يتقبل الله من المتقين.

قال الله عز وجل: ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ أي العزيز في نقمته الحكيم في أمره.

---

(1) وقال الطبري في تفسيره ج 28 ص 55: «وقوله: (الجبار) يعني المصلح أمور خلقه، المصرفهم فيما فيه صلاحهم. وكان قتادة يقول: جبر خلقه على ما يشاء من أمره».

(2) كذا في ق وع وز، وفي تفسير الطبري: «(المتكبر): تكبر عن كل شر». والقول لقتادة.

(3) جاء في ز ورقة 358 ما يلي: «قال محمد: معنى أحصاها، حفظها، ومنهم من قال: تعبد الله بها.

(4) أخرجه يحيى بن سلام بالسند التالي: يحيى عن خراش عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ. وانظر ما سلف ج 2 ص 60.

تفسير سورة الممتحنة، وهي مدنية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمَ ﴾ قوله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ [يعني في الدين][1] ﴿ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ ﴾ أي في الدنيا[2] ﴿ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ ﴾ أي: القرآن ﴿ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَاكُمْ ﴾ أي أخرجوا الرسول ﴿ أَنْ تُؤْمِنُوا باللهِ ربِّكمْ ﴾ أي: إنهم أخرجوكم من مكة لأنكم آمنتم بربكم.

ثم قال تعالى: ﴿ إِنْ كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَـٰداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ ﴾ وبأخبار النبي عليه السلام والمؤمنين[3]. ﴿ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَن يفْعَلْهُ مِنْكُمْ ﴾ أي: ومن ينافق منكم[4]. ﴿ فَقَد ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ أي: قصد الطريق طريق الهدى.

﴿ إن يَثْقَفُوكُمْ ﴾ أي: إن يظفروا بكم[5] ﴿ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ﴾ أي يقاتلوكم ﴿ وَأَلْسِنَتَهُمْ ﴾ أي: ويبسطوا إليكم السنتهم ﴿ بِالسُّوءِ ﴾ أي: بالشتم ﴿ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾

قال: ﴿ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلاَ أَوْلَـٰدُكُمْ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ﴾ أي: بين

(1) زيادة من ز ورقة 359 ومن مخطوطة تفسير ابن سلام، قطعة 180.
(2) كذا في ق وع، وفي مخطوطة ابن سلام: «يعني بالنصيحة».
(3) كذا في ق وع. وفي مخطوطة ابن سلام: «(تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ) يعني كما صنع المنافقون».
(4) كذا في ز، وفي مخطوطة ابن سلام، وهو أصح، وفي ق وع: «(وَمَن يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ) فإنه منافق».
(5) كذا في ق وع: «إن يظفروا بكم»، وفي ز ومخطوطة ابن سلام: إن يلقوكم.

المؤمنين وبين المشركين، فيدخل المؤمنين الجنة ويدخل المشركين النار. قال تعالى: ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

نزلت الآية في أمر حاطب بن أبي بلتعة[1]. تفسير الكلبي أن حاطب بن أبي بلتعة كتب إلى أهل مكة أن محمداً قد نفر[2]. ولا أدري إليكم يريد أم غيركم، فعليكم بالحذر. وكتب مع امرأة مولاة لبني هاشم وجعل لها جعلا، وجعلت الكتاب في خمارها. فجاء جبريل إلى رسول الله ﷺ فأخبره. فبعث رسول الله ﷺ في طلبها عليّـاً ورجلا آخر[3] ففتّشاها فلم يجدا معها شيئا. فأراد صاحبه الرجوع فأبى علي. وسل عليها السيف وقال: ما كَذَبت ولا كُذبت. فأخذت عليهما عهدا إن أعطته إياهما ألا يردّاها. فأخرجت الكتاب من خمارها.

قال الكلبي: فأرسل رسول الله ﷺ [إلى حاطب. فلما حضر][4] قال: هل تعرف هذا الكتاب يا حاطب. قال: نعم. قال: فما حملك على هذا. قال: أما والذي أنزل عليك الكتاب ما كفرت منذ آمنت، ولا أحببتهم منذ فارقتهم، ولم يكن من أصحابك أحد إلا وله بمكة من يمنع الذي له غيري، فأحببت أن أتخذ عندهم مودّة، وقد علمت أن الله منزل عليهم بأسه ونقمته، وإن كتابي لن يغني عنهم شيئاً، فصدّقه رسول الله وعذره، فأنزل الله فيه هذا[5].

---

(1) هو حاطب بن أبي بلتعة اللخمي، يكنى أبا عبد الله، وهو حليف قريش. شهد بدراً والحديبية وتوفي سنة ثلاثين للهجرة بالمدينة. انظر ترجمته في كتب تراجم الصحابة مثل الاستيعاب لابن عبد البر، ج 1 ص 312-315.

(2) كذا في ق وع: «قد نفر» وفي ز، وفي مخطوطة ابن سلام: «يغزو».

(3) هو الزبير بن العوام حسبما ذكرته أغلب كتب التفسير والسيرة. وتضيف إليهما بعض الروايات المقداد بن عمرو، أو أبا مرثد الغنوي.

(4) زيادة لا بد منها ليتم سياق الكلام.

(5) القصة مشهورة تجدها في كتب التفسير والحديث والسيرة اقرأها مثلاً في صحيح البخاري، كتاب التفسير سورة الممتحنة من رواية عبيد الله بن أبي رافع، كاتب علي، عن الإمام علي يقول: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد. . . .

وقال: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرٰهِيمَ وَالذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِم إِنَّا بُرَءَاءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ ﴾ أي: بولايتكم في الدين، وهذا تفسير الحسن. وقال بعضهم: تبرأنا منكم، وهو واحد.

﴿ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُومِنُوا بِالله وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْراهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ شَيءٍ ﴾ أي: أن أدخلك في الإيمان ولا أن أغفر لك. يقول: قد كانت لكم في إبراهيم والذين معه أسوة حسنة إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك [فليس][1] لكم فيه أسوة فلا تستغفروا للمشركين. وقال في سورة براءة: (مَا كَانَ لِلنَّبِي وَالذِينَ ءَامَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلا عَن مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِله تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ) [التوبة: ١١٣ - ١١٤].

قال عز وجل: ﴿ رَبَّنَا عَلَيكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا ﴾ أي: أقبلنا مخلصين لك ﴿ وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ أي يوم القيامة.

﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً ﴾ أي: بلية ﴿ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي: لا يظهرن علينا المشركون فيقولوا لو كان هؤلاء على دين ما ظهرنا عليهم فيعيبونا[2] ﴿ وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾.

قوله عز وجل: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾ أي: لمن يؤمنون بالبعث. رجع إلى قوله: (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ)؛ أمر الله النبي عليه السلام والمؤمنين بالبراءة من قومهم ما داموا كفاراً كما تبرأ إبراهيم والذين آمنوا معه من قومهم؛ فقطع المؤمنون ولايتهم من أهل مكة، وأظهروا لهم العداوة.

(1) سقط لفظ «ليس» من ق وع، والمعنى يقتضي إثباته.

(2) كذا في مخطوطة ابن سلام «فيعيبونا» وهو أصح. وفي ق وع و ز ورقة 359: «فيفتتنوا بنا». وجاء في تفسير مجاهد ص 667 في تفسير الآية: «يقول: ربنا لا تعذبنا بأيديهم، ولا بعذاب من عندك، فيقولوا: لو كان هؤلاء على حق ما أصابهم هذا، وما سلطنا عليهم».

قال عز وجل: ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ ﴾ أي: عن الإيمان ﴿ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ ﴾ أي: عن خلقه ﴿ الحَمِيدُ ﴾ استحمد إليهم، أي: استوجب عليهم أن يحمدوه.

ثم قال عز وجل: ﴿ عَسَى اللهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الذِينَ عَادَيْتُم مِنْهُم مَّوَدَّةً ﴾. يعني المشركين. فلما أسلم أهل مكة خالطهم المسلمون وناكحوهم، وتزوج رسول الله ﷺ أم حبيبة بنت أبي سفيان، وهي المودة التي ذكر الله عزّ وجل. قال الله: ﴿ وَاللهُ قَدِيرٌ واللهُ غَفُورٌرَحِيمٌ ﴾

قوله عز وجل: ﴿ لَا يَنْهَيٰكُمُ اللهُ عَنِ الذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِنْ دِيَـٰرِكُمْ ﴾ يعني قرابة المؤمنين ﴿ أَنْ تَبَرُّوهُمْ ﴾ بالصلة ﴿ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ﴾ أي: وتعدلوا إليهم، أي في أموالكم ﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ أي العَادِلين. وكان هذا قبل أن يؤمر بقتالهم ثم أمر بقتال المشركين كافة.

وكان المسلمون قبل أن يؤمر النبي عليه السلام بقتال المشركين استشاروا النبي عليه السلام في قراباتهم من المشركين أن يصلوهم ويبروهم، فأنزل الله عز وجل هذه الآية، في تفسير الحسن.

ذكروا عن الحسن قال: كان رجل من المشركين قد سماه[1] يهدي النبي عليه السلام لا يزال يهاديه، وإنه قدم على النبي عليه السلام بهدية فقال له النبي عليه السلام: أو كنت أسلمت؟ قال: لا، قال له: فإنه لا يحل لنا رفد المشركين[2]. وتفسير مجاهد: هم الذين آمنوا بمكة ولم يهاجروا.

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا يَنْهَيٰكُمُ اللهُ عَنِ الذِينَ قَـٰتَلُوكُم فِي الدِّين ﴾ يعني كفار

(1) هو عياض بن حِمار بن أبي حِمار المجاشعي التميمي. وكان صديقاً لرسول الله ﷺ قديماً ثم أسلم. انظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ج 3 ص 1232، وابن قتيبة المعارف، ص 337.

(2) أخرجه أبو داود في كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في الإمام يقبل هدايا المشركين (رقم 3057) عن عياض بلفظ: «إني نهيت عن زَبْد المشركين». أي رفدهم وعطائهم. وقد ورد اللفظ في مخطوطة ابن سلام بلفظ: «زبد» وقال الراوي عبد الله بن عون: «فسألت الحسن عن الزبد فقال الرفد». انظر الزمخشري، الفائق (زبد) واللسان: (زبد).

أهل مكة ﴿ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ ﴾ أي: من مكة ﴿ وَظَاهَرُوا ﴾ أي: وأعانوا ﴿ عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّـٰلِمُونَ ﴾.

قوله عز وجل: ﴿ يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ﴾ وهذه في نساء أهل العهد من المشركين، وكانت محنتهن في تفسير بعضهم أن يستحلفن بالله ما أخرجكن النشوز، وما أخرجكن إلا حب الإسلام، والحرص عليه. وفسر الحسن أن المرأة من نساء من كان بينه وبين رسول الله عهد إذا جاءت إلى النبي عليه السلام لم يقبلها حتى تحلف بالله الذي لا إله إلا هو ما جاءت ناشزة عن زوجها، ولا جاءت إلا راغبة في الإسلام. فإذا حلفت قَبِلَهَا. وهو قوله: (فَامْتَحِنُوهُنَّ).

قوله: ﴿ اللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِهِنَّ ﴾ أي: بصدقهن أو كذبهن ﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَـٰتٍ ﴾ أي: إذا أقررن لكم بالإسلام وحلفن بالله ما أخرجهن النشوز وما أخرجهن إلا الحرص على الإسلام وحبه.

فأما إذا كانت من غير أهل العهد لم تمتحن ولم ترد على زوجها شيئاً إذا تزوّجت.

ذكروا عن عكرمة قال: كان العبد إذا جاء إلى النبي عليه السلام مسلماً ومولاه مشرك كان حراً. وقال بعضهم: أظن هذا إذا لم يكن سيده من أهل العهد[1].

ذكروا عن جابر بن عبد الله أن مملوكاً بايع النبي عليه السلام، فلم يعلم النبي عليه السلام أنه عبد. ثم علم النبي عليه السلام فاشتراه من سيده بغلامين [ثم لم يبايع أحداً حتى يعلم][2] قال بعضهم: أظن أن سيده من أهل العهد.

قال عز وجل: ﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَـٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ

(1) في ق و ع: «إذا كان سيده من أهل العهد» وهو خطأ أثبت تصحيحه من مخطوطة ابن سلام، والقول ليحيى.

(2) زيادة من مخطوطة ابن سلام قطعة 180.

لَهُمْ وَلاَ هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّا أَنْفَقُوا وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: لا إثم عليكم ﴿أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ أي: إذا أعطيتموهن مهورهن[1] ﴿وَلاَ تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ يعني كوافر العرب اللائي ليس لهن كتاب يفترينه[2] إذا أبين أن يسلمن أن يخلى سبيلهن.

﴿وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذٰلِكُمْ حُكْمُ اللهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، [وهذا حكم حكمه الله بين أهل الهدى وأهل الضلالة][3] أي: من أسلم وعنده مشركة عرض عليها الإسلام، فإن أسلمت فهي امرأته، وإلا فهي منه بريئة.

وقال بعضهم: كن إذا فررن إلى أصحاب رسول الله ﷺ وأزواجهن من أهل العهد فتزوّجوهن بعثوا بمهورهن إلى أزواجهن [من المشركين. وإذا فررن من أصحاب رسول الله إلى الكفار الذين بينهم وبين رسول الله عهد فتزوجوهن بعثوا بمهورهن إلى أزواجهن][4] من المسلمين. فكان هذا بين أصحاب رسول الله ﷺ وبين أهل العهد من المشركين. ثم نسخ هذا الحكم وهذا العهد في براءة فنُبِذَ إلى كل ذي عهد عهدُه، فقال عز وجل في سورة براءة: (فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ) [التوبة: 5].

قوله عز وجل: ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ أي إلى الذين

(1) أورد الفراء في المعاني ج 3 ص 150-151 قصة سبيعة بنت الحارث الأسلمية التي جاءت مسلمة إلى رسول الله ﷺ بعد ختم كتاب صلح الحديبية. ولما جاء زوجها يطالب بردها حسب شروط الصلح نزل قوله تعالى: (فَلاَ تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لاَ هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلاَ هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ) «فاستحلفها رسول الله ﷺ: ما أخرجك إلا الحرص على الإسلام فيه، ولا أخرجك حدث أحدثته، ولا بغض لزوجك. فحلفت، فأعطى رسول الله ﷺ زوجها مهرها. . .».

(2) كذا في ق و ع وفي مخطوطة ابن سلام «ليس لهن كتاب يفترينه» ولم أوفق إلى فهم المقصود من العبارة التي لم ترد في ز.

(3) زيادة من ز ورقة 360، ومن مخطوطة ابن سلام قطعة 180.

(4) سقط ما بين المعقوفين كله من ق و ع فأثبته من مخطوطة ابن سلام ومن ز.

ليس بينكم وبينهم عهد ﴿ فَعَاقَبْتُمْ ﴾ أي فغنمتم، وقال مجاهد: فأصبتم[1] ﴿فئاتُوا الذِينَ ذَهَبَتَ أَزْوَجُهُمْ﴾ يعني من أصحاب النبي عليه السلام ﴿ مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللهَ الذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾.

فكانوا إذا غنموا غنيمة أعطوا زوجها صداقها الذي كان ساق إليها من جميع الغنيمة، ثم تقسم الغنيمة بعدُ. ثم نسخ ذلك مع العهد والحكم بقوله في هذه الآية: (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ) [الأنفال: 41]، فجعل خمس الغنيمة لهؤلاء، وما بقي من الغنيمة الأربعة أخماس لأهل القتال.

وإذا أسلم الرجل وعنده امرأتان أو ثلاثة أو أربعة فأسلمن معه أقام عليهن، فإن كن أكثر من أربعة اختار منهن أربعاً.

ذكر سالم[2] بن عبد الله بن عمر عن أبيه أن رجلاً من ثقيف يقال له غيلان بن سلمة أسلم وعنده عشر نسوة فأسلمن معه فأمره رسول الله ﷺ أن يختار منهن أربعاً.

ذكر قرة بن خالد عن سهيل بن علي النسري قال: لما كان يوم الفتح وجد رسول الله ﷺ عند عتبة بن عمر[3] خمس نسوة فأمره أن يطلق إحداهن، فطلق دجاجة بنت أسماء بن الصلت، فخلف عليها عامر بن كريز فولدت له عبد الله بن عامر.

قال بعضهم: فإذا أسلم الرجل وعنده أختان فأسلمتا اختار أيتهما شاء

(1) قال ابن أبي زمنين في مخطوطة ز ورقة 360: «المعنى كانت العقبى لكم فغنمتم» وفي تفسير مجاهد: ص 669: «يقول: أصبتم مغنماً من قريش أو غيرهم».

(2) في ق و ع: «سعيد بن عبد الله بن عمر» وهو خطأ والتصحيح من مخطوطة ابن سلام. على أنه لا يوجد من أبناء عبد الله بن عمر من سُميَ بسعيد، وسالم هذا يعد من الفقهاء وكان أبوه يحبه حباً جماً.

(3) كذا في ق و ع، وفي مخطوطة ابن سلام عند عمير بن عمرو. ويلاحظ كثرة الأخطاء في أسماء الرواة ورجال السند في ق و ع.

فأمسكها. ذكروا عن الضحاك بن فيروز الديلمي قال: أسلم أبي[1] وعنده أختان فأمره رسول الله ﷺ أن يطلق إحداهما.

وإذا أسلم الزوجان معاً جميعاً، أو الرجل ونساؤه إن كانت عنده امرأتان أو ثلاث أو أربع فأسلمن معه جميعاً أقام عليهن جميعاً. فإن كن أكثر من ذلك اختار منهن أربعاً.

وبعضهم يقول في هذا كله: يحبس الأوائل الأربع من النسوة ويطلق الأواخر من النسوة والآخرة من الاختين، يقولون: كل ما لا يصلح نكاحه في الإسلام فهو الذي يفارق، وكل ما كان يصلح نكاحه في الإسلام يحبس. والأثر عن النبي عليه السلام جاء من غير وجه كما ذكرناه أولاً.

وإذا أسلمت امرأة قبل زوجها بانت منه بواحدة، فإذا أسلم خطبها فتكون عنده على اثنتين. وبعضهم يقول: إذا أسلم في عدتها فهو أحق بها. وفيه اختلاف.

ذكروا عن الزهري أن سهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل أسلمت امرأتاهما فأقاما علي نكاحها.

ذكر غير واحد من العلماء أن زينب بنت النبي هاجرت، ثم أسلم زوجها العاص بن ربيعة فردها رسول الله ﷺ. قال بعضهم: ثم جاءت براءة، فإذا أسلمت امرأة قبل زوجها فهي تطليقة بائنة فلا سبيل له عليها إلا بخطبة.

ذكروا عن ابن عباس أن المرأة إذا أسلمت قبل زوجها فرق بينهما.

ذكروا عن سعيد بن المسيب عن علي قال: هو أحق بها ما كان في دار الهجرة. وقال بعضهم: في دار هجرتها.

---

(1) هو أبو عبد الله فيروز الديلمي، من أصل فارسي، أسلم وحسن إسلامه ووفد على النبي ﷺ فسمع منه. وهو الذي قتل الأسود العنسي الكذاب الذي ادعى النبوة في صنعاء أيام رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «قتله الرجل الصالح فيروز الديلمي». انظر ترجمته في الاستيعاب. ج 3 ص 1264، والمعارف لابن قتيبة، ص 335.

ذكروا عن عبد الله بن يزيد الخطمي أن امرأة أسلمت ثم أسلم زوجها فخيَّرَها عمر بن الخطاب. ذكر بعضهم قال: يعرض عليه الإسلام فإن أسلم فهما على نكاحهما، وإلا فرّق بينهما.

وإن كان الزوجان يهوديين أو نصرانيين فأسلم الزوج قبل المرأة فهما على نكاحهما.

ذكروا عن عكرمة عن ابن عباس قال: الإسلام يظهر ولا يظهر عليه. إذا أسلم الرجل قبل امرأته فهما على نكاحهما، يعني اليهوديين[1]. فإن أسلمت المرأة قبله فرق بينهما. وفي هذا اختلاف مثل الاختلاف في نساء العرب إذا أسلمن قبل أزواجهن.

وقال الحسن في المجوسيين إذا أسلما جميعاً فهما على نكاحهما. وإذا أسلم أحدهما قبل الآخر فرق بينهما.

وإذا ارتد الرجل عن الإسلام وله امرأة مسلمة فإن امرأته لا تتزوج ولا تعتد حتى يعرض عليه الإسلام. فإن طال ذلك، فإن تاب فهي امرأته وهما على نكاحهما، وإن أبى أن يتوب قُتِل، واعتدت امرأته عدة المطلقة. وإن ارتد والتحق بالشرك فإنها تعتد وتتزوج.

وقال الحسن في النصرانية تسلم قبل أن يدخل زوجها الإسلام وهو نصراني إنه يفرق بينهما، ولا شيء له. ذكر بعضهم قال: إن أبى أن يسلم فلها نصف الصداق لأن الإباء جاء من قِبَله.

قوله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِي إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَـٰتُ ﴾ وهن جميع المؤمنات ﴿ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئاً وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ ﴾ أي: لا تلحق بزوجها ولداً ليس له. قال تعالى: ﴿ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ ﴾. قال الحسن: نهاهن عن النياحة وأن يحادثن الرجال

(1) في مخطوطة ابن سلام «أو النصرانيين».

إلا مَحْرَماً. قال: ﴿ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

ذكروا عن الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة أن رسول الله ﷺ لم يصافح النساء حين بايعهن، وقال: اذهبن قد بايعتكن[1]. وقال بعضهم بايع رسول الله ﷺ النساء وعلى يده خرقة أو ثوب[2].

قوله تعالى: ﴿يَـٰأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: أقروا، يعني المنافقين ﴿ لَا تَتَوَلَّوا قَوْماً قَدْ غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ ﴾ يعني المشركين. كان المنافقون يوادونهم ويسرون إليهم بأخبار النبي عليه السلام والمؤمنين.

قال تعالى: ﴿ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الأخِرَةِ ﴾ أي: فلا يرجونها ولا يؤمنون بها. ﴿ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنَ أَصْحَـٰبِ الْقُبُورِ ﴾ أي: كما يئس هذا الكافر الذي من أصحاب القبور من الجنة حين عاين ثوابه واطلع عليه. وهذا تفسير مجاهد.

وتفسير الحسن: (لَاتَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ) أي اليهود (قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ) أي على حد ما وعد الله في الجنة من الطعام والشراب والنساء، (كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ) وهم المشركون (مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ) أي يئسوا من موتاهم أن يرجعوا أبداً وأن يحيوا أبداً.

قال الكلبي أيضاً: هم اليهود يئسوا من نعيم الآخرة زعموا أنه لا أكل فيها ولا شراب ولا نعيم، أي: قد يئسوا من ذلك كما يئس من مات من الكفار من الجنة حين عاينوا النار، فنعوذ بالله منها.

---

(1) حديث صحيح متفق عليه؛ أخرجه البخاري في الشروط، باب ما يجوز من الشروط في الإسلام والأحكام والمبايعة، وأخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب كيفية بيعة النساء (رقم 1866) كلاهما يرويه من حديث عروة بن الزبير عن عائشة بألفاظ متقاربة.

(2) روى يحيى بالسند التالي هذا القول: «أيوب بن عبد الملك عن حصين بن عبد الرحمن عن الشعبي قال: بايع رسول الله النساء وعلى يده ثوب» كما جاء في مخطوطة ابن سلام (رقم 180). وانظر سنن الدارقطني ج 4 ص 147 وما قاله المحدث أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي تعليقاً على رواية ابن سلام هذه. وانظر فتح الباري ج 8 ص 637.

تفسير سورة الصف[1]، وهي مدنية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ سَبَّحَ لِلهِ مَا فِي السَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ ﴾ أي في نقمته ﴿ الحَكِيمُ ﴾ في أمره.

﴿يَـٰأَيُّهَـا الذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ ﴾ قال الحسن: يعني المنافقين. يقول: يا أيها الذين أقروا بألسنتهم، نسبهم إلى الإيمان الذي أقروا به وادعوه، وكانوا يقولون: نجاهد مع رسول الله ﷺ، فإذا جاء الجهاد تخلفوا عنه وقعدوا. فقال الله: ﴿ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ ﴾.

ثم وصف المؤمنين فقال: ﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً ﴾ أي يفعلون ما يقولون ويتمون على ما يدعون، وأنتم أيها المنافقون لا تفعلون ما تقولون وتقولون ما لا تفعلون. وهو كقوله تعالى: (قَالَتِ الأَعْرَابُ ءَامَنَّا) أي حيث رأوا الأحكام جرت لهم وعليهم. قال الله: (قُلْ) يا محمد (لَمْ تُومِنُوا وَلَكِنْ قُولوا أَسْلَمْنَـا) [الحجرات: 14] أي: أقررنا. أي: فأنتم مقرون غير مؤمنين، لأن الإيمان والإسلام لا يكونان إلا لمن استكمل فرائض الله وأوفى بها ولم ينقصها[2].

(1) وتسمى في بعض المصاحف القديمة سورة الحواريين، وبهذا جاءت في مخطوطة ابن سلام، والأولى تسميتها بسورة الصف لأنها كانت معروفة بهذا الاسم في عصر الصحابة.

(2) هذه الجمل الأخيرة من كلام الشيخ هود الهواري، وهي غير موجودة في ز ولا في مخطوطة ابن سلام.

وقال مجاهد: إنها نزلت في نفر من الأنصار منهم عبد الله بن رواحة الأنصاري. قالوا: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله لعملنا بها حتى نموت، فأنزل الله فيهم هذه الآية. وقال ابن رواحة: لا أبرح جيشاً في سبيل الله حتى أموت فقتل في سبيل الله.

قوله عز وجل: ﴿ كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ ذكر ثبوتهم في صفهم كأنه بنيان قد رُصّ بعضه إلى بعض.

ذكروا عن الأعمش عن أبي صالح عن كعب قال: في التوراة مكتوب: محمد المختار، لا فَظٌّ ولا غليظ ولا صخّاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يغفر ويعفو. أمته الحامدون، يحمدون الله في كل منزلة ويكبرونه على كل نجد. مناديهم ينادي في جو السماء، ويتوضأون على أطرافهم، ويتزرون على أوسطهم[1]، لهم بالليل دوي كدوي النحل، صفوفهم في الصلاة والقتال سواء، مولده بمكة، وهجرته بطيبة، وملكه بالشام.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: رُصُّوا صفوفكم وقاربوا بينها وحاذوا بالأعناق، فوالذي نفسي بيده إني لأرى الشيطان يتخلل بينكم كأنه الحذَف[2].

وتفسير الكلبي في قوله: (لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) قال: بلغنا أن المؤمنين قالوا قبل أن يؤمروا بالقتال: والله لو نعلم أحب الأعمال إلى الله وأرضاها عنده لعملنا بها. فدلهم الله إلى أحب الأعمال إليه فقال تعالى: (إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ) فكره ذلك من كرهه. فأنزل الله هذه الآية (يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ).

قوله عز وجل: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَـٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي

(1) كذا في ق وع، وفي مخطوطة ابن سلام رقم 180: «من أوساطهم».

(2) حديث صحيح، أخرجه أحمد في مسنده، وأخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، في تفريع أبواب الصفوف باب تسوية الصفوف، عن أنس بن مالك (رقم 667)، وأخرجه النسائي وابن حبان، والحذَف: ضأن سود جرد صغار تكون باليمن. انظر الزمخشري، الفائق، واللسان: (حذف).

رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ ﴾ يعني الخاصة الذين يعلمون أنه رسول الله، الذين كذبوه وآذوه، فكان مما أذوه به أن زعموا أنه آدر. وقد فسّرنا ذلك في سورة الأحزاب[1].

قوله عز وجل: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ والزيغ الشرك، أي: فلما ضلوا أضلهم الله بضلالتهم. ﴿ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَـٰسِقِينَ ﴾ أي: المشركين، يعني الذين يلقون الله بشركهم.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَيٰةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾. ذكروا عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان يقول: أنا أحمد وأنا محمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر النـاس على عقبي، وأنا العاقب[2]، يعني الآخر.

قال الله عز وجل: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَـٰتِ ﴾ أي بالإنجيل ﴿ قَالُوا هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الإِسْلَـٰمِ ﴾ أي: لا أحد أظلم منه. ﴿ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّـٰلِمِينَ ﴾ أي: المشركين الذين يلقون الله بشركهم.

قال: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾ أي: بتكذيبهم وبقتالهم. ونوره القرآن والإسلام، أرادوا أن يطفئوه حتى لا يكون إيمان ولا إسلام ﴿ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَـٰفِرُونَ ﴾.

---

(1) انظر ما مضى ج 3 ص 384 في تفسير قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهاً).

(2) حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، سورة الصف، وأخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب في أسمائه ﷺ، (رقم 2354) وأوله: «أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي». وجاء في آخره: «والعاقب الذي ليس بعده نبي» كلاهما يرويه من طريق محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه.

قوله: ﴿ هُوَ الذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الحَقِّ ﴾ أي الإسلام ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ [وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ تفسير الحسن: حتى تدين له الأديان كلها ويحكم على أهل الأديان كلها. وتفسير ابن عباس حتى يظهر النبي على الدين كله][1] أي على سائر شرائع الأديان كلها. فلم يقبض رسول الله ﷺ حتى أتمّ الله له ذلك كله.

ذكروا عن سليم بن عامر الكلاعي[2] قال: سمعنا المقداد بن الأسود يقول: قال رسول الله ﷺ: لا يبقى أهل مدر ولا وبر إلا أدخله الله الإسلام بِعِزِّ عزيز أو بذُلِّ ذليل، إما يعزهم فيجعلهم من أهله، وإما يذلهم فيدينون له.

ذكروا عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى وأبوهم واحد، يعني دينهم واحد وشرائعهم مختلفة. وقال ﷺ أنا أحق الناس بعيسى بن مريم، لأنه ليس بيني وبينه نبي، وإنه نازل لا محالة فإذا رأيتموه فاعرفوه، فإنه رجل مربوع الخلق، بين ممصّرتين، سبط الرأس، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويقاتل الناس على الإسلام، ويهلك الله في زمانه الملل كلها غير الإسلام حتى تقع الأمانة في الأرض حتى ترتع الأسد مع الإبل، والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الغلمان بالحيات لا يضر بعضهم بعضاً[3].

قوله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا هَل أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنْجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَـٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَٰلِكُـمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَـٰرُ ﴾. تفسير الكلبي: إن هذا جواب لقولهم: لو نعلم أحب الأعمال إلى الله وأرضاها عنده لعملنا بها له. فقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا هَلَ ادُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ

(1) سقط ما بين المعقوفين من ق و ع فأثبته من مخطوطة ابن سلام القطعة 180.
(2) جاء في ق و ع: «ذكروا عن سلمان عن عامر الكندي» وهذا خطأ صوابه ما أثبته من ز. ورقة 361، ومن مخطوطة ابن سلام.
(3) انظر الإشارة إليه فيما سلف ج 2 ص 127.

أَلِيم﴾ . . . إلى آخر الآية، مع قوله: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾.

ذكروا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: هل تريدون من ربكم إلا أن يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم الجنة؟ قالوا حسبنا يا رسول الله، قال فاغزوا في سبيل الله[1].

ذكروا عن الحسن قال: من كثرت سيئاته وقلت حسناته فليجعل دروب الروم من وراء ظهره.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: ما جميع أعمال البر في الجهاد في سبيل الله إلا كنفثة رجل ينفثها في بحر لجي، ألا وإن طالب العلم أعظم أجراً[2].

قال تعالى: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ذكروا عن الحسن أن أدنى أهل الجنة منزلة آخرهم دخولاً، فيعطى فيقال له: انظر ما أعطاك الله، ويفسح لهم في أبصارهم فينظرون إلى مسيرة مائة عام كله له ليس فيه موضع شبر إلا وهو عامر قصور الذهب والفضة وخيام اللؤلؤ والياقوت، فيها أزواجه وخدمه.

ذكروا عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: إن أدنى أهل الجنة منزلة من له سبعة قصور من قصور الجنة. قال بعضهم: أحسبها أنواع القصور. قال وليس أحد إلا له

(1) أخرجه يحيى بن سلام بهذا السند: المعلى بن هلال عن يزيد بن يزيد بن جابر عن مكحول عن أبي هريرة كما في مخطوطة ابن سلام، القطعة 180، وفي ز، ورقة 361. وجاء بعده حديث بالسند التالي: «إبراهيم بن محمد عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار قال قال رسول الله ﷺ: حرّم الله النار على عين دمعت من خشية الله وعلى عين سهرت في سبيل الله» كما في مخطوطة ابن سلام، القطعة 180.

(2) أخرجه يحيى بن سلام بالسند التالي: المعلى عن رجل عن الوضين بن عطاء عن بكار بن سحيم (كذا)، وليس فيه الجملة الأخيرة، ولم أجد الحديث فيما بين يدي من المصادر والمراجع.

سبعة قصور: قصر من ذهب، وقصر من فضة، وقصر من در، وقصر من ياقوت، كل قصر منها فرسخ في فرسخ، لكل قصر منها ألف مصراع ووصيف قائم لا يكبر على حاله له شُرَف الفضة وشُرف الذهب، فيها أبوابها وأغلاقها.

قال تعالى: ﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي (نَصْرٌ مِّنَ اللهِ) على أعدائه، (وَفَتْحٌ قَرِيبٌ) يعني فتح مكة (وَبَشِّرِ الْمُومِنِينَ) بأن لهم الجنة، أي جنات عدن في الآخرة والنصر لهم على أعدائهم في الدنيا.

قوله: ﴿ يَـٰأَيُّهَـا الذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَاراً لِّلهِ ﴾ ولمحمد بالقتال على دينه ﴿ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ ﴾ وهم أنصاره[1] ﴿ مَنْ أَنْصَارِيَ إِلَى اللهِ ﴾ أي: مع الله. قال مجاهد: من يتبعني إلى الله. ﴿ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ ﴾. ذكروا عن بعضهم قال: قال رسول الله ﷺ: إن لكل نبي حواريين وحواريـي أبو بكر وعمر وسعد وعثمان بن مظعون[2].

قال تعالى: ﴿فئامنت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْـرٰءِيلَ وَكَفَرت طَّائِفَةٌ ﴾ أي قاتلت الطائفة المؤمنة الطائفة الكافرة ﴿ فَأَيَّدْنَا ﴾ أي: أعنا ﴿ الذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَـٰهِرِينَ ﴾ أي عليهم قد ظفروا بهم. وهذا تفسير الحسن. ولم يكن الحسن يصف قتالهم بالليل كان أم بالنهار. وقال ابن عباس. قاتلوا ليلاً فأصبحوا ظاهرين عليهم. وقال مجاهد: يعني من آمن مع عيسى من قومه.

---

(1) كذا في ق وع، وفي ز ورقة 362: «وهم أصفياء الأنبياء».

(2) كذا في ق وع، وفي مخطوطة ابن سلام عد تسعة من حواريـي رسول الله ﷺ بزيادة عثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف.

تفسير سورة الجمعة، وهي مدنية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله عز وجل: ﴿ يُسَبِّحُ لِلهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ ﴾ أي المبارك في تفسير الحسن. وقال الكلبي: القدوس: الطاهر ﴿ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ في تفسير الحسن: لعزته ذلّ من دونه، وفي تفسير بعضهم: العزيز في نقمته، الحكيم في أمره.

قوله: ﴿ هُوَ الذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ ﴾ العرب ﴿ رَسُولاً مِّنْهُمْ ﴾ أي: كانوا أميين ليس عندهم كتاب من عند الله كما كان لأهل الكتاب، وقد كانوا يخطون بأيديهم.

قال عز وجل: ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِ﴾ يعني القرآن ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَـٰبَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ قال بعضهم: الكتاب: القرآن، والحكمة: السنة، والزكاة: العمل الصالح. قال عز وجل: ﴿ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ ﴾ أي: كانوا قبل أن يأتيهم محمد ﷺ بالكتاب والحكمة ﴿ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ أي: بيّن.

قال عز وجل: ﴿وَءاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ أي: بعث في الأميين رسولاً منهم وفي آخرين لما يلحقوا بهم بعد.

في تفسير الحسن: إنهم الذين اتبعوا أصحاب النبي عليه السلام. وقال مجاهد: وآخرين منهم لما يلحقوا بهم: أي: إخوانهم من العجم.

ذكروا عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: بينما أنا في غنم لي سوداء إذ خالطها غنم عفراء. قال أنس قال: هم قوم يأتون بعدكم فيكون بهم مال وجمال وإخوان[1].

(1) كذا في ق و ع، والعبارة ناقصة مضطربة صوابها ما يلي: «... غنم عفراء، وقال بعض: فإذا =

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: أنا سابق العرب، وسلمان سابق الفرس، وبلال سابق الحبشة وصهيب سابق الروم[1].

[قوله عز وجل: ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤتِيهِ مَن يَشَاءُ ﴾ يعني من رُزِق الإسلامَ من الناس كلّهم. ﴿ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾][2].

قوله عز وجل: ﴿ مَثَلُ الذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَيٰةَ ﴾ يعني اليهود ﴿ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا ﴾ أي: كذبوا ببعضها. ومن كفر بحرف من كتاب الله فقد كفر به أجمع. وهو جحودهم بمحمد ﷺ والإسلام وما غيروا من التوراة فأحلوا ما أحبّوا مما حرّم الله فيها، وحرّموا ما أحبّوا أن يحرّموا مما أحلّ الله لهم فيها.

قال عز وجل: ﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً ﴾ والأسفار: الكتب. شبّههم بالحمار الذي لو حملت عليه جميع كتب الله لم يدر ما حملت عليه.

قال تعالى: ﴿ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الذِينَ كَذَّبُوا بِئَايَٰتِ اللهِ ﴾ أي: لشبههم بالحمار الذي يحمل أسفاراً ولا يدري ما حُمِل عليه. قال الله عز وجل: ﴿ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّٰلِمِينَ ﴾ أي: من ظالم مشرك وظالم منافق.

قال الله عز وجل للنبي عليه السلام: ﴿ قُلْ يَٰأَيُّهَا الذِينَ هَادُوا ﴾ أي: تهوّدوا ﴿ إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أي: بأنكم أولياء لله من دون الناس.

قال الله عز وجل: ﴿ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً ﴾ يعني الموت ﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّٰلِمِينَ ﴾ أي: المشركين.

= غنمي فيها كالكواكب. قال قيل: يا رسول الله، فما يعني. قال إخوان لكم يجيئون من أرض العجم فيدخلون في دينكم يهديهم الله بكم فيكونون إخواناً ومالاً وجمالاً وأعواناً» كما جاءت في مخطوطة ابن سلام بهذا السند: عثمان عن أبي جعفر عن أبي هريرة.

(1) أخرجه ابن سلام بهذا السند: المبارك بن فضالة والحسن بن دينار عن الحسن مرسلاً.

(2) سقطت هذه الآية وتفسيرها من ق و ع فأثبتها كما جاء في ز ورقة 362.

قال عز وجل: ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ ﴾ أي يوم القيامة ﴿ إِلَىٰ عَٰلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَٰدَةِ ﴾ (الغيْب). السر، (والشَّهَادَة): العلانية ﴿ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

قوله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَّوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللهِ ﴾ يعني صلاة الجمعة. وهي في حرف ابن مسعود: فامضوا إلى ذكر الله. وقال بعضهم: فامشوا إلى ذكر الله، ذكروا عن الحسن في قوله: (فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللهِ) قال: السعي بالقلوب والسعي بدلنيات.

قوله عز وجل: ﴿ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾ ذكروا عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: إذا أذن المؤذن يوم الجمعة حرم البيع. قال بعضهم: إنما يقال ذلك لأن الشمس إذا زالت يوم الجمعة جاء وقت الصلاة. وإنما هو قدر ما يتهيأ للجمعة إذا انتصف النهار. ويستحب تعجيل الجمعة إذا زالت الشمس ليس كصلاة الظهر.

قال عز وجل: ﴿ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾. ذكروا عن محمد بن عبد الرحمن عن زرارة قال قال رسول الله ﷺ: من ترك الجمعة ثلاثاً من غير عذر كتب من المنافقين[1]. ذكروا عن ابن عباس قال: من ترك أربع جمع من غير عذر طبع الله على قلبه.

قوله عز وجل: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوٰةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ ﴾ أي: من رزق الله. ﴿ وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾. رخّص لهم أن ينتشروا إذا صلوا إن شاءوا، فإن أقاموا على ذلك كان أفضل لهم.

ذكر بعضهم قال: أربع[2] أمر بهن في القرآن لسن بفرائض، من شاء فعلهن

(1) حديث صحيح، أخرجه الترمذي في أبواب الصلاة، باب ما جاء في ترك الجمعة من غير عذر، وأخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب التشديد في ترك الجمعة (رقم 1052) وأخرجه ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب فيمن ترك الجمعة من غير عذر (1125) كلهم يرويه من حديث أبي الجعد الضَّمْرِيّ ولفظه: من ترك الجمعة ثلاث مرات تهاوناً بها طبع الله على قلبه. وأخرجه ابن ماجه أيضاً في نفس الباب عن جابر بن عبد الله (رقم 1126).

(2) في ق و ع: «خمس» والصواب أربع كما جاء في مخطوطة ابن سلام.

ومن شاء لم يفعلهن: هذه الآية، وقوله عز وجل: (وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا) [المائدة: 2]؛ إن شاء اصطاد وإن شاء لم يفعل، وقوله عز وجل: (فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً) [النور: 33]؛ إن شاء كاتب مملوكه وإن شاء لم يفعل، ويستحب له أن يفعل، وليس بحتم. وقوله عز وجل: (وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ). [البقرة: 241] إن شاء متع وإن شاء لم يمتع، ويستحب له أن يفعل، وليس بحتم، إلا أن يطلق قبل أن يدخل بها ولم يفرض، فتلك التي لها المتعة واجبة[1].

قوله عز وجل: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً ﴾. ذكروا عن الحسن قال: كانت عير تجيء إلى المدينة في الزمان مرة، فجاءت يوم الجمعة، فانطلق الناس إليها، فأنزل الله هذه الآية، فقال رسول الله ﷺ: لو اتبع آخركم أولكم لسال عليكم الوادي ناراً[2].

وقال بعضهم: التجارة العير التي كانت تجيء واللهو: كان دحية الكلبي قدم في عير من الشام، وكان رجلاً جميلاً، وكان جبريل عليه السلام يأتي النبي عليه السلام في صورته. فقدمت عير ومعهم دحية الكلبي والنبي عليه السلام يخطب يوم الجمعة، فتسللوا ينظرون إلى العير، وهي التجارة، وينظرون إلى دحية الكلبي، وهو اللهو: أي لهوا بالنظر إلى وجهه وتركوا الجمعة.

وقال بعضهم: سودان كانوا بالمدينة يلعبون، وهو اللهو.

قال عز وجل: ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَـٰرَةِ وَاللهُ خَيْرُ الرَّٰزِقِينَ﴾.

---

(1) جاء في مخطوطة ابن سلام رقم 180 آثار كثيرة وأقوال للصحابة والتابعين في فضل الجمعة وأحكامها تكاد تبلغ صفحتين لم يورد الشيخ هود إلا القليل منها. أما ابن أبي زمنين فلم يشر إليها أصلاً حتى إن سورة الجمعة في مختصر تفسيره لا تكاد تبلغ صفحة واحدة.

(2) أخرجه الحافظ أبو يعلى مرفوعاً من حديث جابر بن عبد الله، وأخرجه عبد بن حميد عن الحسن مرسلاً، ولفظه عندهما: «والذي نفسي بيده لو تتابعتم حتى لا يبقى معي أحد منكم لسال بكم الوادي ناراً». وانظر الواحدي، أسباب النزول، ص 456.

تفسير سورة المنافقون[1]، وهي مدنية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله عز وجل: ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾.

وذلك أن نفراً من المنافقين قالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، إذا لقينا المشركين شهدنا عندهم إنك لرسول الله، فقال الله عز وجل: (إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ) أي: نشهد عند المشركين إذا لقيناهم (إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ) فيما قالوا لك (لَكَاذِبُونَ) [أي: إنما يقولونه بأفواههم وقلوبهم ليست على الإيمان][2].

قوله تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً ﴾. وذلك أنهم حلفوا لرسول الله ﷺ ليصدّقهم، فقال تعالى: (اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ) أي: حلفهم الذي يحلفون به جنة، أي اجتنوا بها، أي: استتروا [حتى لا يقتلوا ولا تسبى ذراريهم] ﴿ فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ ﴾ أي عن الإسلام، أي يصدون الناس عنه قال: ﴿ إِنَّهُمْ سَاءَ ﴾ أي: بئس ﴿ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ﴾ أي: أقروا وصدقوا ﴿ ثُمَّ كَفَرُوا ﴾ أي: خالفوا وضيعوا ﴿ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ أي: فختم على قلوبهم، أي: بنفاقهم ﴿ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾.

(1) في ق و ع: «سورة إذا جاءك المنافقون»، وفي ز «تفسير سورة المنافقين». وأثبت ما جاء في مصحف ورش.

(2) زيادة من ز، ورقة 363.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ﴾ يعني في المنظر والهيئة ﴿ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ﴾ أي: من قولهم بما أقروا به وادعوه[1] ﴿ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ ﴾ أي: إنما هم أجساد ليست لهم نية ولا حسبة في الخير[2].

ثم وصف جبنهم وجزعهم فقال: ﴿ يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾ حذراً من القتال وجبناً عنه، ليست لهم نية في الجهاد.

ثم انقطع الكلام، ثم قال: ﴿ هُمُ الْعَدُوُّ ﴾ الأدنى إليك[3] ﴿ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ ﴾ أي لعنهم الله ﴿ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ أي: كيف يُصَدّون عن الإيمان.

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا ﴾ أي: أخلصوا الإيمان ﴿ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ ﴾ أي: أعرضوا عن ذلك ﴿ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ ﴾ أي: عن دين الله وعن الحكومة إلى نبي الله والمؤمنين، ويدعون إلى المحاكمة إلى وثن بني فلان الذي كان أهل الجاهلية يتحاكمون إليه. كقوله تعالى: (وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ) [النور: 48] وكقوله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُوداً) [النساء: 61]. قال: ﴿ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾ أي: إنهم أهل كبر وعظمة وأَنَف[4].

قال تعالى: ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ أي فسق النفاق، وهو فسق دون فسق، وفسق فوق فسق. فأخبر الله أنهم يموتون على النفاق ومقيمون عليه، فلم يستحِلّ رسول الله ﷺ أن يستغفر لهم بعد ذلك.

---

(1) كذا في ق وع، وفي ز: «من قولهم لما أعطوا من الإيمان في الظاهر».
(2) كذا في ق وع، وفي ز: «ليست لهم قلوب آمنوا بها».
(3) كذا في ق وع، وفي ز: «هم العدو فيما أسروا».
(4) كذا في ق وع: «أَنَف» وهي كلمة عربية صريحة من: أَنِف يأنف أنَفاً وأنفة، أنِف من الشيء أي: استنكف وتكبّر.

قال بعضهم: لما نزلت الآية التي في براءة: (اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ) [التوبة: 80] قال رسول الله ﷺ: قد خيّرني ربي فلأزيدن على السبعين[1]. فنزلت هذه الآية في المنافقين: (سَوَاءٌ عَلَيْهِمُ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمُ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللهُ لَهُمُ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) أي: لا يكونون بالفسق والنفاق مهتدين عند الله.

قال تعالى: ﴿ هُمُ الذِينَ يَقُولُونَ لاَ تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا ﴾.

تفسير الحسن: إنه كان بين عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين وبين رجل من المسلمين من فقرائهم قول، فقال: يا رسول الله ما لهم، ولّى الله أمرهم فلاناً، يعني ذلك الرجل وأصحاب فلان[2]. ثم نظر إلى أصحابه فقال: أما والله لو كنتم تمنعون أطعمتكم هؤلاء الذين حصروا أطعمتكم وركبوا رقابكم لأوشكوا أن يذروا محمداً ويلحقوا بعشائرهم ومواليهم. فأنزل الله: (هُمُ الذِينَ يَقُولُونَ لاَ تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُّوا وَلِلهِ خَزَائِنُ السَّمَـوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَفْقَهُونَ).

قال ابن أبي بن سلول حين رأى المسلمين نصروا ذلك الرجل: أما والله لئن رجعنا إلى المدينة، وذلك أنه في غزوة تبوك، ليُخرجن الأعز منها الأذل. عمدنا إلى رجل من قريش فجعلناه على رقابنا، أخرِجوه فألحقوه بقومه، وليكن علينا رجل من أنفسنا. فسمعها زيد بن أرقم فقال: لا والله لا أحبك أبداً. فانطلق إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فغضب غضباً شديداً. فأرسل إلى ابن أبي بن سلول، فأتاه ومعه أشراف من الأنصار يعذرونه ويكذبون زيداً. فقال ابن أبي بن سلول: يا رسول الله والذي أنزل

(1) انظر الإشارة إليه فيما سلف، ج 2 ص 156.

(2) كذا في ق و ع، وعبارة الفراء: «وكلهم الله إلى جُعَال، وذوي جعال» وجعال (ويقال جعيل) بن سراقة الضمري من فقراء المهاجرين، أسلم قديماً. واقرأ في معاني الفراء ج 3 ص 159 سبب نزول الآية تجد كلاماً بليغاً مختصراً واضحاً.

عليك الكتاب ما قلته، وإن زيداً لكاذب، وما عملت عملاً هو أرجى أن أدخل به الجنة من غزوتي هذه معك. فعذره رسول الله ﷺ.

فبينما رسول الله ﷺ يسير إذ نزل عليه عذر زيد فقال: (يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ...) إلى آخر الآية. فجاء رسول الله ﷺ يتخلل الناس حتى لحق زيداً فأخذ بأذنيه فعركهما ساعة ثم قال: أبشر، أنزل الله عذرك وصدّقك. وقرأ عليه الآية[1]. وبلغنا أن قول ابن أبي بن سلول: ليخرجن الأعز منها الأذل، يعني به النبي عليه السلام.

قوله عز وجل: ﴿ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي علم خزائن السماوات والأرض ﴿ وَلَٰكِنَّ الْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [يخبر الله سبحانه وتعالى أنه معز رسوله ومن عنده من المؤمنين][2] وقد فسّرناه قبل هذا الموضع.

قوله عز وجل: ﴿ يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَا أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ وبلغنا أنها نزلت في المنافقين. يقول: يا أيها الذين أقروا باللسان: (لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ) أي: عن حق الإيمان بالله. وبعضهم يقول: عن الصلاة المكتوبة ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَٰسِرُونَ ﴾ أي: خسروا أنفسهم فصاروا في النار وخسروا الجنة.

قال عز وجل: ﴿ وَأَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَٰكُم ﴾ يعني الزكاة المفروضة، وهي قصة المنافقين، كقوله عز وجل: (وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ) [التوبة: 54] وكقوله عز وجل: (فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ

(1) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، تفسير سورة المنافقون عن زيد بن أرقم بلفظ: إن الله قد صدقك يا زيد. وانظر الواحدي، أسباب النزول ص 460-461. وانظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 3 ص 111-112.

(2) زيادة من ز، ورقة 363.

سَاهُونَ الذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ) [الماعون: 5—7] يعني الزكاة. قال عز وجل: ﴿ مِنْ قَبْلِ أَن يَّأتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ ﴾ أي: هلا ﴿ أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾ وهو الموت، قريب، وإنّ عمر العبد قليل. قال: ﴿ فَأَصَّدَّقَ ﴾ أي فأزكى ﴿ وَأَكُن مِّنَ الصَّـٰلِحِينَ ﴾ أي: فأحجّ، ومثلها في سورة المؤمنون قوله عز وجل: (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ) أي إلى الدنيا (لعلي أعمل صالحاً فيما تركت) [المؤمنون: 99-100] قال الله عز وجل: ﴿ وَلَن يُّؤَخِّرَ اللهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا. واللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُون ﴾.

تفسيرة سورة التغابن، وهي مدنية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ يُسَبِّحُ لِلهِ مَا فِي السَّمَـٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ هُوَ الذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ أي: إن منكم من سيكون كافراً ومنكم من سيكون مؤمناً. وهو كقوله: (إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً) [الإنسان: 3].

ذكروا عن ابن مسعود أنه قال: الشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد من وعظ بغيره.

قال تعالى: ﴿ خَلَقَ السَّمَـٰوٰتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾ أي: للبعث والحساب والجنة والنار. ﴿ فَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ أي: يوم القيامة.

﴿ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَـٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ أي بما في الصدور.

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي: خبر الذين كفروا ﴿ مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ ﴾ أي: عقوبة أمرهم، يعني العذاب الذي عذب به الأمم السالفة في الدنيا حين كذبوا رسلهم. يحذر المنافقون أن ينزل بهم ما نزل بمن كفر قبلهم.

(1) جاء في ز، ورقة 364 وفي تفسير قوله تعالى: (فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُم مُؤْمِنٌ) ما يلي: «يحيى عن فطر بن خليفة بن عبد الرحمن بن سابط قال: خلق الله الخلق فكانوا قبضتيه فقال لمن في يمينه: ادخلوا الجنة بسلام، وقال لمن في يده الأخرى: ادخلوا النار ولا أبالي، فذهبت إلى يوم القيامة».

قال تعالى: ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي: موجع، يعني عذاب جهنم مع عذاب الدنيا[1].

قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ أي: إنكاراً لذلك، وهو مثل قولهم: (أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَّسُولاً) [الإسراء: 94] أي: لم يفعل. قال: ﴿ فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا ﴾ أي: عن طاعة الله. قال: ﴿ وَاسْتَغْنَى اللَّهُ ﴾ أي: عنهم ﴿ وَاللَّهُ غَنِيٌّ ﴾ عن خلقه ﴿ حَمِيدٌ ﴾ أي: استحمد إلى خلقه، أي: استوجب عليهم أن يحمدوه.

قوله عز وجل: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ أي: يوم القيامة ﴿ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ﴾ أي يوم القيامة، يجتمع فيه الخلائق أهل السماوات وأهل الأرض[2]، وهو تبع للكلام الأول ليبعثنكم يوم يجمعنكم ليوم الجمع ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ﴾ أي: يتغابنون في المنازل عند الله، فريق في الجنة، وفريق في السعير. أي غبن أهل الجنة أهلَ النار[3].

قال تعالى: ﴿ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحاً نُّدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَداً ﴾ أي: لا يموتون ولا يخرجون أبداً ﴿ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ أي: النجاة العظيمة من الجنة إلى النار.

---

(1) كذا في ق و ع، وفي ز: «بعد عذاب الدنيا».

(2) اللام في قوله ليوم الجمع يجوز أن تكون للتعليل، ويجوز أن تكون بمعنى (في) ورجح ابن عاشور أن تكون للتوقيت فقال في التحرير والتنوير، ج 28 ص 274: «والأحسن عندي أن يكون اللام للتوقيت، وهي التي بمعنى (عند) كالتي في قولهم كتب لكذا مضين مثلاً. وقوله تعالى: أقم الصلاة لدلوك الشمس، وهو استعمال يدل على شدة الاقتراب، ولذلك فسروه بمعنى (عند) ويفيد هنا أنهم مجموعون في الأجل المعين دون تأخير رداً على قولهم: (لَن يُبْعَثُوا). . .».

(3) أوجز المؤلف هنا تفسير التغابن، وقد فصله القرطبي بوجوهه في تفسيره ج 18 ص 136-138، وانظر ابن عاشور، التحرير والتنوير ج 28 ص 275-277.

قال تعالى: ﴿ وَالذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِئَايَتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَـٰبُ النَّارِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ لا يموتون ولا يخرجون منها أبداً ﴿ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾.

قوله عز وجل: ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ ﴾ أي: بقضاء الله ﴿ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ أي: إن أصابته مصيبة سلَّم ورضي وعلم أنها من الله. قال: ﴿ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

ذكروا عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: قضاء الله خير لكل مسلم: إن أعطاه شكر، وإن ابتلاه صبر[1].

قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ ﴾ أي: عن الإيمان ﴿ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَـٰغُ الْمُبِينُ ﴾ أي: ليس عليه أن يكرههم على الإيمان، أي: إن الله يهدي من يشاء. قال تعالى: ﴿ اللهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَىٰ اللهِ فَلْيَتَـوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾.

قال تعالى: ﴿ يَـٰأَيُّهَـا الذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنَ أَزْوَٰجِكُـمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوّاً لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾ تفسير الحسن: من لم يكن من أزواجكم وأولادكم على دينكم فهو عدوّ لكم. ﴿ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا ﴾ أي عما يؤذونكم به فيما بينكم وبينهم ﴿ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾. وذلك قبل أن يؤمر بقتال المشركين خاصة.

وتفسير مجاهد: (إِنَّ مِنَ ازْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ) قال: يحمل الرجلَ حبُّه ولدَه وزوجتَه على قطيعة رحِمِه وعلى معصية رسول الله ﷺ لا يستطيع من حبه إلا أن يطيعه.

وتفسير الكلبي: إن الرجل كان إذا أراد الهجرة تعلق به ولده وزوجته وقالوا له: نناشدك الله أن تذهب وتتركنا فنضيع، فمنهم من يطيع أمرهم فيقيم، فحذرهم الله إياهم ونهاهم عن طاعتهم. ومنهم من يمضي على الهجرة إلى رسول الله ﷺ ويحذرهم ويقول: أما والله لئن لم تهاجروا معي وأبقاكم الله حتى تجتمعوا بي في دار

(1) انظر الإشارة إليه فيما مضى ج 2 ص 170.

الهجرة لا أنفعكم بشيء أبداً. فلما جمع الله بينهم وبينه أنزل الله: ﴿وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: ليس عدوك الذي إن قتلك أدخلك الله به الجنة، وإن قتلته كان لك ثواباً، ولكن أعدى الأعداء نفسك التي بين جنبيك، ثم أعدى الأعداء ولدك الذي خرج من صلبك. ثم أعدى الأعداء زوجتك التي تضاجعك، ثم أعدى الأعداء ما ملكت يمينك[1].

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي: اختبار وبلية لينظر كيف تعملون. ﴿وَاللهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

ذكروا عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: ألا إن الدنيا خضرة حلوة، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون. ألا فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، لا يُقَلِّدَنَّ الرجلُ منكم دينَه امرأتَه[2].

ذكروا عن الحسن أن امرأة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عرضت له في بعض الأمر فقال: فما أنت مما أنت هاهنا. إنما أنتِ لعبة إذا كانت لنا إليك حاجة دعوناك إليها، ولست من الأمر في شيء[3].

---

(1) رواه الطبراني من حديث أبي مالك الأشعري مختصراً بلفظ: «ليس عدوك الذي إن قتلته كان لك نوراً، وإن قتلك دخلت الجنة، ولكن أعدى عدو لك ولدك الذي خرج من صلبك، ثم أعدى عدوك مالك الذي ملكت يمينك».

(2) حديث صحيح أخرجه مسلم في كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء، وأكثر أهل النار النساء، وبيان الفتنة بالنساء، من حديث أبي سعيد الخدري (رقم 2742) ولم ترد فيه الجملة الأخيرة.

(3) قد يبدو في كلام سيدنا عمر ـ إن صح أن القول له ـ شيء من الجفاء والشدة أو ما يشبه أن يكون إهانة للمرأة حين يصفها بأنها لعبة لا تدعى إلا للحاجة إليها، وخاصة عندما نقرأ قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: 21] ونتفكر آيات الله في الأزواج، ولكنه سيدُنا عمر! رضي الله عنه وأرضاه.

قال تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ قال بعضهم: ما أطقتم؛ وذلك أن الله أنزل في سورة آل عمران: (يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ) [آل عمران: 102]، وحق تقاته أن يطاع الله فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، فنسختها هذه الآية: (فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ).

قال: ﴿ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا ﴾. وعليها بايع رسول الله ﷺ على السمع والطاعة فيما استطاعوا.

ذكروا عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ: على المسلم السمع والطاعة فيما أحب وفيما كره ما لم يؤمر بمعصية الله، فإن أمر بمعصية الله فلا طاعة في معصية الله[4].

وقال بعضهم: (فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) أي: ما كنتم أحياء. وقال بعضهم: ما استطعتم فعلاً من الأفاعيل.

ذكروا أن عمران بن حصين قال للحكم الغفاري، وكلاهما من أصحاب النبي عليه السلام: هل تعلم يوماً ما قال النبي ﷺ: لا طاعة في معصية الله؟ قال: نعم. قال: الله أكبر[2].

---

(1) حديث متفق على صحته. أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، وأخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية (رقم 1839) كلاهما يرويه من حديث ابن عمر.

(2) اقرأ هذا الخبر مفصّلاً في سير أعلام النبلاء للذهبي ج 2ص 340 في ترجمة الحاكم بن عمرو الغفاري. وفي صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية... «عن جنادة بن أبي أمية قال: دخلنا على عبادة بن الصامت وهو مريض فقلنا: حدثنا ـ أصلحك الله ـ بحديث ينفع الله به، سمعته من رسول الله ﷺ فقال: دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه. فكان فيما أخذ علينا، أن بايعنا على السمع والطاعة، في منشطنا ومكرَهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرَةٍ علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله. قال: إلا أن تروا كفراً بواحاً. (الحديث رقم 1709).

قال الله تعالى: ﴿ وَأَنْفِقُوا خَيْراً لِأَنْفُسِكُمْ ﴾ تفسير الحسن: إنها النفقة في سبيل الله. قال تعالى: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾. قال بعضهم: هذا في جميع الدين: الزكاة وغيرها.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: بريء من الشح من أدى زكاة ماله وقرى الضيف وأعطى النائبة في قومه[1].

قال تعالى: ﴿ إِنْ تُقْرِضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَـٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾.

ذكروا عن أبي ذر قال قال رسول الله ﷺ: كلُّ حسنة يعملها ابن آدم بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف[2].

ذكروا عن سعيد بن المسيب قال: الذكر في سبيل الله يضاعف كما تضاعف النفقة، والدرهم بسبعمائة.

قال تعالى: ﴿ وَاللهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾ أي: يشكر للعبد العمل اليسير، ويثيبه عليه الثواب العظيم.

قال تعالى: ﴿ عَـٰلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَـٰدَةِ ﴾ الغيب السر، والشهادة: العلانية. ﴿ الْعَزِيزُ ﴾ في نقمته ﴿ الْحَكِيمُ ﴾ في أَمْرِهِ. وقال الحسن: (الْعَزِيزُ) بعزته ذلّ من دونه.

(1) انظر ما سلف قريباً في هذا الجزء ص 327.
(2) انظر الإشارة إليه فيما سلف، ج 1 ص 245.

تفسير سورة الطَّلاق، وهي مدنية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ يَـٰأَيُّهَا النَّبِي إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾ يعني النبي وجماعة المؤمنين. قال بعضهم يطلقونها في قُبُل عدتها[1] طاهراً من غير جماع.

ذكروا عن الحسن قال: كان الرجل إذا أراد أن يطلق امرأته استقبل طهرها، ثم دعا شاهدين فأشهدهما على طلاقها واحدة، وقال لها اعتدّي. ثم يلوم نفسه فيما بينه وبين انقضاء عدتها. فإن كان له بها حاجة دعا شاهدين فأشهدهما أنه قد راجعها، وإن لم تكن له بها حاجة تركها حتى تنقضي عدتها، فإن ندم كان خاطباً مع الخطاب. وبلغنا عن ابن مسعود نحو ذلك.

ذكروا عن الحسن وابن سيرين قالا: كان يقال: من طلق طلاق السنة لم يندم على امرأة فارقها؛ يقولان: ينبغي له أن يطلق امرأته واحدة، ولا يطلقها ثلاثاً.

ذكر بعضهم أن النبي عليه السلام طلق حفصة تطليقة؛ فأتاه جبريل عليه السلام فقال له: راجعها فإنها صوّامة قوّامة، فهي زوجتك في الجنة، فراجَعَها.

قال بعضهم: طلاق السنة أن يطلق الرجل امرأته في قُبُل عدتها طاهراً من غير جماع تطليقة واحدة، ثم يدعها. فإن شاء راجعها قبل أن تغتسل من الحيضة الثالثة. فإن شاء أن يطلقها ثلاثاً طلقها أخرى قُبُلَ عدتها طاهراً من غير جماع، ثم يدعها حتى إذا حاضت وطهرت طلقها، ثم لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره.

(1) في قُبُلِ عدتها، أي: في وقت تستقبل فيه العدة.

ذكروا عن نافع عن ابن عمر أنه طلق امرأته وهي حائض، فسأل عمر النبي عليه السلام فقال له: مره أن يراجعها ثم يمسكها حتى تطهر من حيضة سوى الحيضة التي طلقها فيها، فإذا طهرت فإن شاء أمسكها وإن شاء طلقها فإن أراد أن يطلقها فلا يقعن عليها عند طهرها فإن هذه العدة التي أمر الله بها[1]. قال بعضهم: فإن ابن عمر طلق امرأته واحدة.

ذكروا عن يونس بن جبير قال: قلت لابن عمر: رجل طلق امرأته وهي حائض. قال: أتعرف عبد الله بن عمر؟ قلت: نعم. قال: فإنه طلق امرأته وهي حائض. فأتى عمر النبيَّ عليه السلام فأخبره، فأمره أن يراجعها. فإن بدا له في طلاقها طلّقها قُبُلَ عدّتها، أي: قبل طهرها. قلت: أفتعتد بتلك التطليقة؟ قال: أرأيت إن عجل واستَمْحَق[2]؟.

ذكروا عن عبد الله بن دينار قال: سمعت ابن عمر يقرأ هذا الحرف: (فَطَلِّقُوهُنَّ فِي قُبُلِ عِدَّتِهِنَّ)[3].

---

(1) حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري في كتاب الطلاق، وهو أول أحاديث الكتاب، ثم ترجم البخاري بعده: باب إذا طلقت الحائض تعتد بذلك الطلاق، وأخرجه مسلم أيضاً في كتاب الطلاق باب تحريم طلاق الحائض بغير رضاها، وأنه لو خالف وقع الطلاق ويؤمر برجعتها (رقم 1471)، بطرق كثيرة أغلبها عن نافع عن ابن عمر.

(2) في ق و ع: «فقد رأيت أن عجل واستحمق». وللعبارة وجه من التأويل. فإن ابن عمر، وهو يتحدث عن نفسه بضمير الغائب، يجيب سائله يونس بن جبير ويقول له: إنه، أي: ابن عمر، قد عجل في الأمر وأصابته حماقة فهو يتحمل نتيجة عجلته وحماقته، وتحسب عليه تطليقة. ولم أجد هذه العبارة فيما بين يدي من كتب الحديث. وأكثر ما وردت هذه العبارة في كتب التفسير والحديث: «قال: أرأيت إن عجز واستَحْمَق». وفي لفظ لمسلم: «أَوَ إن عجز واستحمق؟» أي: أرأيت إن عجز عن الرجعة وركب حماقته أفلا تحسب عليه تطليقة، وهو استفهام إنكاري، أي: بلى! إنها تحتسب عليه تطليقة وقد عدد الحافظ ابن حجر مختلف هذه العبارات وبين أوجه معانيها في فتح الباري، ج 9 ص 348. فانظرها مستوفاة هنالك.

(3) وهي قراءة نسبت إلى رسول الله ﷺ وإلى عثمان وابن عباس وغيرهم، انظر ابن جني، المحتسب، ج 2 ص 323.

ذكروا عن الحسن قال: الرجل لا يستأذن على مطلقته، ولكن يضرب برجله وينحنح. وقال بعضهم: يتنحنح ويسلم ولا يستأذن عليها، وتتشوف له وتتصنع، ولا يرى لها رأساً ولا بطناً ولا رجلاً، ولكن ينام معها في البيت.

ذكروا عن علي قال: يستأذن الرجل على كل امرأة إلا امرأته.

ذكر بعضهم قال: التي لم تحض والتي قعدت عن المحيض تطلق عند كل شهر عند الهلال.

ذكروا عن جابر بن عبد الله في الحبلى يريد زوجها أن يطلقها فقال: لا أراها تحيض فتعتَدّ، ولو كنت مطلقَها فحتى تضع. والعامة تقول: إذا استبان حملها طلقها متى شاء.

قال بعضهم في الغائب يطلّق امرأته: إنه يكتب إليها: إذا حضتِ ثم تطهرتِ من محيضكِ فاعتدّي. فإن كانت حاملاً فاستبان حملها كتب إليها بطلاقها. وإذا طلقها بعض الطلاق، وكانت تعتد، ثم أتبعها طلاقاً، فإنها تعتد من أول طلاقها.

قوله عز وجل: ﴿ وَأَحْصُوا العِدَّةَ وَاتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ﴾ أي: فلا تطلقوهن في الدم ولا في الطهارة وقد جامعتموهن، إلا في الطهارة بعد أن يغتسلن من المحيض من قبل أن تجامعوهن.

قوله عز وجل: ﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ ﴾ لا تخرج من بيتها حتى تنقضي عدتها، وإن[1] طلقها ثلاثاً في قول العامة. وفي قول ابن عباس والحسن إن شاءت خرجت إذا طلقها ثلاثاً، وإذا توفي عنها زوجها أيضاً.

معنى قولهما: تعتد منه وإن طلقها اثنتين أيضاً. ومعنى قول العامة أنها في المطلقات اللاتي دخل بهن لا يخرجن حتى تنقضي عدتهن.

(1) في ق و ع: «فإن طلقها» والصواب ما أثبته حتى يستقيم المعنى.

وهذا الخروج ألا تتحول من بيتها. فإن احتاجت إلى الخروج بالنهار لحاجتها خرجت ولا تمسي[1] إلا في بيتها.

ذكروا عن فاطمة بنت قيس أنها أتت النبي عليه السلام وقد أَبَتَّ زوجُها طلاقها فقال لا سكنى لك ولا نفقة[2].

ذكروا عن عمر أنه قال: ما كنا لنأخذ بقول امرأة لعلها وهمت، سمعت رسول الله ﷺ يقول: لها السكنى والنفقة[3].

ذكروا عن ميمون بن مهران قال: سألت ابن المسيب عن أشياء فقال: إنك تسأل سؤال رجل يمتحن، فهل خالفت في شيء مما سمعت ما سمعت من غيري. قلت: لا، إلا قولك في المطلقات إنها لا تنتقل، فما بال حديث فاطمة بنت قيس. فقال:

(1) كذا في ق و ع. وفي ز: «ولا تبيت» وكلاهما صحيح، والتعبير الثاني أكثر تسامحاً.

(2) حديث صحيح أخرجه مسلم في كتاب الطلاق، باب المطلقة ثلاثاً لا نفقة لها (رقم 1480) ولفظه: لا نفقة لك ولا سكنى. وأخرجه ابن ماجه في كتاب الطلاق. باب المطلقة ثلاثاً هل لها سكنى ونفقة، عن فاطمة بنت قيس أيضاً (رقم 2035 و 2036).

(3) لم أجد فيما بين يدي من مصادر الحديث رواية لهذا الحديث بسند صحيح يرفعه راويه إلى رسول الله ﷺ إلا رواية من طريق إبراهيم النخعي، وهو حديث منقطع لا تقوم به حجة. وإنما ورد في بعضها قول عمر هكذا: قال عمر: لا نترك كتاب الله وسنة نبينا ﷺ لقول امرأة لا ندري لعلها حفظت أو نسيت؛ لها السكنى والنفقة، قال الله عز وجل: (لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة). انظر في صحيح مسلم أحاديث الباب، واقرأ في نيل الأوطار للشوكاني ج 6 ص 319-322، باب ما جاء في نفقة المبتوتة، تحقيقاً قيماً انتهى به صاحبه إلى أن حديث فاطمة بنت قيس هو الصحيح، وأن ما نسب إلى عمر «كذب على عمر وكذب على رسول الله ﷺ». وقال الدارقطني: السنة بيد فاطمة قطعاً. وانظر فتح الباري، ج 9 ص 477-481، وانظر الجصاص، أحكام القرآن ج 5 ص 355-358.

وجمهور فقهاء الإباضية على أنه لا نفقة ولا سكنى للمطلقة طلاقاً بائناً، على أن في المسألة خلافاً داخل المذهب. انظر السالمي، شرح الجامع الصحيح ج 3 ص 74-78، وانظر السالمي، جوهر النظام ج 1 ص 205، وانظر الجناوني، كتاب النكاح، ص 305-306 وتعليق الشيخ على معمر رحمه الله في الموضوع، وانظر اطفيش، شرح النيل، ج 7 ص 397-398. وانظر بشر بن غانم الخراساني، المدونة الصغرى، ج 2 ص 267.

ويح تلك المرأة، كيف فتنت الناس. قلت: إن كان أفتاها رسول الله ﷺ فما فتنت.

قوله عز وجل: ﴿ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ﴾ ذكروا عن نافع عن ابن عمر قال: [الفاحشة المبيّنة خروجها في عدتها. وقال بعضهم][1]: الفاحشة: الزنا، والمبيّنة أن يشهد عليها أربعة أنها زنت[2].

وكانت المرأة إذا زنت وشهد عليها أربعة أخرجت من بيت زوجها، وحبست في بيت آخر قبل أن ينزل حد الزاني، وهو قوله عز وجل: (وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا) [النساء: 15] فنسخ ذلك في هذه الآية: (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ) [النور: 2].

وبعضهم يقول: (إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ) أي: تزني فتخرج فيقام عليها الحد. وبعضهم يقول: الفاحشة المبيّنة: النشوز البيّن[3].

قوله عز وجل: ﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ﴾ أي: أحكام الله. وقال الكلبي: هذا حد الله، بيّن فيه طاعته ومعصيته. قوله عز وجل: ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ ﴾ أي يجاوز ما أمر الله به ﴿ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾[4].

قوله عز وجل: ﴿ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴾ أي: المراجعة، رجع إلى أول السورة: (فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ) أي: له الرجعة في التطليقة والتطليقتين ما لم تنقض العدةُ فتغتسل من الحيضة الثالثة إن كانت ممن تحيض، أو

---

(1) سقط ما بين المعقوفين من ق وع، فأثبته من ز، ورقة 365. وهو الموافق لما جاء في تفسير الطبري ج 28 ص 134 منسوباً إلى ابن عمر، والقول الذي جاء بعده هو قول لابن زيد كما جاء في تفسير الطبري، ونُسب أيضاً إلى الحسن وإلى مجاهد.

(2) يكون هذا قولاً لمن قرأ بفتح الياء المشددة من مبيّنة، وهي قراءة ابن كثير وأبي بكر كما ذكرها الداني في التيسير، ص 95.

(3) قال أبو الحواري في تفسير الخمسمائة آية: «(الفَاحِشَةُ المُبَيِّنَةُ): العصيان البيّن وهو النشوز».

(4) جاء في ز بعد قوله: (فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ) «أي: بمعصيته من غير شرك».

ثلاثةُ أشهر إن كانت ممن لا تحيض، كبيرة قعدت عن المحيض، أو صغيرة لم تحض بعد. وكذلك الضهياء[1] التي لا تحيض.

قوله عز وجل: ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ [أي: منتهى العدة][6] ﴿ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾. وذلك أن الرجل كان يطلق المرأة فيتركها حتى تشرف على انتهاء عدتها، ثم يراجعها، ثم يطلقها، فتقضي المرأة تسع حيضات، فنهى الله عن ذلك في هاتين الآيتين. (فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ) والآية التي في سورة البقرة: (فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِّتَعْتَدُوا) [البقرة: 231] يعني ما كانوا يعتدون فتصير تسع حيضات، فنهى الله عن ذلك، وهو قوله: (فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ) [البقرة: 229]، وهو قوله: (وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً) [النساء: 21] وذلك من حين يملكها.

قوله عز وجل: ﴿ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ فإن هو أراد أن يراجعها قبل أن تنقضي العدة [وغشيها قبل أن يشهد][3] فقد حرمت عليه في قول جابر بن زيد وأبي عبيدة والعامة من فقهائنا. وكان إبراهيم يقول: غشيانه لها مراجعة، ويشهد بعد ذلك بالمراجعة.

وإن هو لم يراجعها حتى تنقضي العدة فهي الفرقة التي قال الله عز وجل:

---

(1) الضهيأة والضهياء: التي لا ثدي لها ولا تحيض. انظر اللسان: ضها).

(2) زيادة من ز ورقة 365.

(3) سقط ما بين المعقوفين من ق و ع، والسياق يقتضيه حتى يكون للحكم معنى وجيه. وهو قول عند الإباضية قديم. قال أبو الحواري في تفسير الخمسمائة آية ص 184: «وإن جامعها من قبل أن يشهد بانت عنه ولا يتزوجها أبداً». وفي المدونة الكبرى لأبي غانم الخراساني ج 2 ص 92 ما يلي: «قلت فرجل طلق امرأته وأشهد وغشيها في العدة ولم يشهد قال: حدثني أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس أنه قال: حرمت عليه أبداً ولو نكحت أزواجاً غيره فماتوا أو طلقوها لم تحل له أبداً». وجاء في المدونة ج 2 ص 90: «قال المرتب: جاء الحديث من راجع بلا إشهاد فهو زان» (كذا) ولم أجد هذا الحديث فيما بين يدي من المصادر.

(أَوْفَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ). فإذا انقضت العدة بانت عنه بواحدة إن كان طلقها واحدة: أو اثنتين، ما لم يطلقها ثلاثاً.

ذكروا عن الأسود بن يزيد أن امرأة طلقها زوجها وتركها حتى وضعت ماءها لتغتسل من الحيضة الثالثة فراجعها. فردها عليه عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما، وهو قول علي وأبي موسى الأشعري وعمران بن حصين وابن عباس.

ذكر الزهري عن عروة بن الزبير عن زيد بن ثابت عن عائشة رضي الله عنها قالت: إذا دخلت في الحيضة الثالثة فقد بانت عنه.

وحدثني الزهري عن سالم بن عبد الله عن أبيه أنه قال: إذا دخلت في الحيضة الثالثة فقد بانت عنه. وكذلك حدثني عثمان عن نافع عن ابن عمر. وأهل العراق يقولون: الأقراء: الحيض، وأهل المدينة يقولون: الأقراء: الطهر. وقد بيّنا قولهم في سورة البقرة(1).

وقوله عز وجل: (وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنْكُمْ) أي: على الطلاق والمراجعة.

وإذا طلق الرجل امرأته تطليقة أو تطليقتين، ثم تركها حتى تنقضي عدتها، فتزوجت رجلاً غيره، فطلقها أو مات عنها، فراجعها الأول، فإن عثمان حدثني أن رسول الله ﷺ أُتِيَ في ذلك فقضى على ما بقي من طلاقها.

ذكر الحسن عن أبي هريرة قال: شهد عندي نفر فيهم عمر، وعمر أصدقهم، أنها عنده على ما بقي من طلاقها. ذكروا عن الحسن عن أبيّ بن كعب قال: هي عنده على ما بقي من طلاقها، وهو قول علي وعمران بن حصين.

قوله عز وجل: ﴿ وَأَقِيمُوا الشَّهَـٰدَةَ لِلَّهِ ﴾ أي: يقوم من كانت عنده فليُؤَدِّها ولا يكتُمْها (وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ) [البقرة: 283].

---

(1) انظر ما سلف، ج 1 ص 215.

قال عز وجل: ﴿ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الأَخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً ﴾. تفسير الحسن: يجعل له مخرجاً من الشرك إذا تاب، ويغفر له ما مضى[1]. ذكروا عن الأعمش قال: إن المخرج أنه مِن قِبَل الله، وأنه هو الذي يعطيه ويمنعه. قال عز وجل: ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ ﴾ أي: من حيث لا يرجو.

قال: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِ ﴾ أي: قاض[2] أمره على من توكل عليه وعلى من لم يتوكل عليه. ﴿ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً ﴾ أي: منتهى ينتهي إليه.

قوله عز وجل: ﴿ والَّـٰئِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ ﴾ [أي: إن شككتم][3] يعني بقوله: (إِنِ ارْتَبْتُمْ) الأزواج، وبقوله: (يَئِسْنَ) النساء عند أنفسهن (مِنَ الْمَحِيضِ) ﴿ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَـٰثَةُ أَشْهُرٍ ﴾ أي: هي مأمونة في ذلك. وقال في آية أخرى: (وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوءٍ) فالمرأة مأمونة على عدتها. قال عز وجل: (وَلاَ يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ) [البقرة: 228] أي: لا تقول: أنا حامل وليست بحامل، ولا تقول: إني لست بحامل وهي حامل، ولا تقول: إني لست بحائض، وهي حائض، ولا تقول: إني حائض وليست بحائض.

وقال الحسن: إذا كانت المرأة لا تحيض إلا كل سنة اعتدت به إذا علم أنه حيضها. غير واحد من العلماء قال: تعتد بالحَيْضِ ما كان إلا أن يعلم أنه قطع.

ذكروا عن عكرمة أنه قال: من الريبة المستحاضة والتي لا يستقيم لها حيض؛ تحيض في الشهر مرتين وفي الشهر مرة، فعدتها ثلاثة أشهر. والعامة أن حيضها إذا كان في الشهر مرتين اعتدت به، ولا يكون دون ذلك.

ذكر الزهري عن سعيد بن المسيب قال: عدة المستحاضة سنة. ذكروا عن

(1) كذا في ق و ع، وفي ز ورقة 365: «تفسير ابن عباس في قوله عز وجل: (وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً) قال: من كل ضيق».

(2) كذا في ق و ع، وفي ز: «أي يبلغ أمره على من توكل عليه...».

(3) زيادة من ز.

الحسن وعطاء والحكم بن عيينة أنهم قالوا في المستحاضة إذا طلقت أنها تعتد أيام أقرائها.

ذكروا أن عمر بن الخطاب قال في التي تطلق ثم تحيض حيضة أو حيضتين، ثم ترتفع حيضتها أنها تعتد تسعة أشهر. فإن تبين حملها وإلا اعتدت ثلاثة أشهر.

ذكروا عن حماد بن إبراهيم عن علقمة أنه طلق امرأته فحاضت حيضتين، ثم لبثت في الحيضة الأخرى، قال بعضهم: ثمانية عشر شهراً، وقال بعضهم: ستة عشر شهراً، ثم ماتت. فقال عبد الله بن مسعود: حبس الله عليك ميراثها بكلها[1].

وقول أصحابنا في هذا أنها تعتد بالحيض ما كانت إلا أن تكون قعدت عن المحيض فتعتد ثلاثة أشهر.

قوله عز وجل: ﴿ وَالَّـٰئِي لَمْ يَحِضْنَ ﴾ وهذه التي لم تبلغ الحلم، هي مع اللائي يئسن من المحيض، وكذلك الضهياء التي لا تحيض، عدتها ثلاثة أشهر.

قوله عز وجل: ﴿ وَأُولَٰتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ هذه نسخت[2] التي في سورة البقرة: (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً) [البقرة: 234]. وإن كانت حاملاً فأجلها أبعد الأجلين في قول علي بن أبي طالب وابن عباس. وهو قول جابر بن زيد وأبي عبيدة والعامة من فقهائنا. وفيها اختلاف. وقول العامة إنها نسخ منها الحامل فجعل أجلها أن تضع حملها. وهو قول أهل الخلاف، ورووه عن أبي بن كعب وعمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود[3].

---

(1) كذا في ق و ع: «بكلها» ولست مطمئناً إلى صحة الكلمة ولعل بها تصحيفاً.

(2) كذا في ز: «نسخت»، وفي ق: هذه هي التي في البقرة، وفي ع كلمة مطموسة.

(3) اعتماداً على هذا القول الأخير يمكن لامرأة توفي عنها زوجها وهي حامل فوضعت حملها بعد ساعة أو ساعتين أن تتزوج في نفس اليوم لأنها تكون قد خرجت من عدتها بوضعها. لذا كان رأي الإمام علي وابن عباس أولى بالاعتبار وأنسب لحرمة الزوج، خاصة إذا تأملنا قوله تعالى: (فما لكم عليهن من عدة) وأدركنا أن العدة حق للزوج؛ ومن الوفاء له أن تعتد المرأة بأبعد الأجلين.

قول الله عز وجل: ﴿ ذَٰلِكَ أَمْرُ اللهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ ﴾ أي: في القرآن. ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً ﴾.

قوله عز وجل: ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ ﴾ أي: من سعتكم، يعني أن لها المسكن حتى تنقضي العدة ﴿ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ ﴾ أي: في المسكن ﴿ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ أي: إن كانت حاملاً أنفق عليها حتى تضع حملها إذا طلقها.

ذكروا عن سعيد بن المسيب أنه قال: المطلقة ثلاثاً وليست حبلى لها السكنى ولا نفقة لها. ذكروا عن ابن عمر أنه قال: المطلقة ثلاثاً لا تنتقل، وهي في ذلك لا نفقة لها[1].

ذكروا أن علياً كان يقول: أيما رجل طلق امرأته فلينفق عليها حتى يتبين له أنها حامل أم لا. فإن كانت حاملاً أنفق عليها حتى تضع حملها، وإن لم يكن حمل فلا نفقة لها.

وذكر عن عمرو بن دينار عن ابن عباس وابن الزبير قالا: نفقتها من نصيبها. وقال ابن مسعود النفقة من جميع المال. وَبِقَوْلِ ابن عباس وابن الزبير يأخذ أصحابنا وعليه يعتمدون، وهو قول أبي عبيدة والعامة من فقهائنا.

قوله: ﴿ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ أي أجر الرضاع ﴿ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ﴾ يعني الرجل والمرأة[2]. ﴿ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ ﴾ أي في الرضاع ﴿ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ ﴾ أي: فاسترضعوا له امرأة أخرى. وهو قوله: (وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ) [البقرة: 233].

قال تعالى: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ ﴾ أي: قُتِر عليه رزقه

---

(1) انظر الدكتور محمد رواس قلعجي: موسوعة فقه عبد الله بن عمر، (نفقة) ص 702.

(2) جاء في ز ما يلي: «قال محمد: يقول: ليأمر بعضكم بعضاً بالمعروف في رضاع المولود والرفق به حتى تتفقوا على شيء معلوم من أجر الرضاع».

﴿ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا ءَاتَيٰهُ اللهُ ﴾ أي من النفقة على مطلقته ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا مَا ءَاتَيٰهَا ﴾ أي: إلا ما أعطاها من الرزق ﴿ سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً ﴾ أي: سيجعل الله بعدما قتر عليه الرزق بأن يوسع عليه يسراً.

ذكر عن الحسن عن عبد الله بن مسعود قال: ما أبالي على أي حال رجعت إلى أهلي؛ لئن كانوا على عسر، إني لأنتظر اليسر، وإن كانوا على يسر إني لأنتظر العسر.

قوله عز وجل: ﴿ وَكَأَيِّن ﴾ أي: وكم ﴿ مِّنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ ﴾ أي: عصت أمر ربها ورسله، يعني أهلها، أي: أهل هذه القرية ﴿ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَاباً شَدِيداً وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَاباً نُّكْراً ﴾ قال الحسن: عذاباً عظيماً ﴿ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا ﴾ أي: جزاء ذنوبها، وهي العقوبة، أي عقوبة شركهم وتكذيبهم الرسلَ، يعني من أهلك من الأمم السالفة، والوبال العقوبة، وهي الجزاء. قال عز وجل: ﴿ وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْراً ﴾ أي: خسروا به الجنة. ﴿ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً ﴾ أي: في الآخرة بعد عذاب الدنيا.

قال عز وجل: ﴿ فَاتَّقُوا اللهَ يَا أُولِي الْأَلْبَٰبِ ﴾ أي: يا ذوي العقول ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً ﴾ أي: القرآن ﴿ رَّسُولاً ﴾ أي: محمداً ﷺ أي: أنزل إليكم ذكراً بالرسول الذي جاءكم[1]. ﴿ يَتْلُو عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ اللهِ ﴾ أي: القرآن ﴿ مُبَيَّنَٰتٍ ﴾ أي: بيّنها رسول الله ﷺ. هذا على مقرأ من قرأها مفتوحة الياء، وهي تقرأ أيضاً (مُبَيِّنَاتٍ) مكسورة الياء، أي هي تبيّن.

قال عز وجل: ﴿ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ مِنَ الظُّلُمَٰتِ إِلَى النُّورِ ﴾ أي: من الضلالة إلى الهدى.

قال عز وجل: ﴿ وَمَن يُؤْمِن بِاللهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحاً نُّدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَداً قَدْ أَحْسَنَ اللهُ لَهُ رِزْقاً ﴾ أي: في الجنة.

(1) انظر: أبو البركات بن الأنباري، البيان في إعراب غريب القرآن، ج 2 ص 444، فقد أورد المؤلف خمسة أوجه لإعراب (رَسُولاً).

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ ذكروا عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه يوماً: ما تسمون هذا؟ أو قال: هذه؟ قالوا: السماء. قال: هي الرقيع الموج المكفوف، وغلظها مسيرة خمسمائة عام، وبينها وبين السماء الثانية مسيرة خمسمائة عام، وغلظها مسيرة خمسمائة عام، وبينها وبين السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام، وغلظها كذلك، حتى عَدَّ سبع سماوات. وبين السماء السابعة وبين العرش كما بين السماءين. وغلظ هذه الأرض مسيرة خمسمائة عام، وبينها وبين الثانية مسيرة خمسمائة عام وغلظها مسيرة خمسمائة عام، وكذلك ما بينها وبين الثالثة إلى سبع أرضين كما بين السماء والسماء وكغلظها[1].

قال عز وجل: ﴿ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾ أي: يتنزل الوحي بين السماء والأرض. وقال مجاهد: بين الأرض السابعة وبين السماء السابعة ﴿ لِتَعْلَمُوا ﴾ بهذا الوحي ﴿ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾ أي: أحاط علمه بكل شيء فلا يخرج عن علمه شيء.

(1) انظر ما سلف، ج 1 ص 88.

تفسير سورة التحريم، وهي مدنية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله عز وجل: ﴿ يَـٰأَيُّهَـا النَّبِي لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهِ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِـكَ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

كان النبي عليه السلام حرّم أم إبراهيم على نفسه، وأسرّ ذلك إلى حفصة دون أزواجه، وذلك أن حفصة زارت أباها فرجعت، فوجدت رسول الله ﷺ مع مارية، أم إبراهيم، في البيت. فلما خرجت مارية دخلت حفصة على رسول الله ﷺ فقالت له: أما إني[1] قد رأيت من معك في البيت. فقال: والله لأرضينّك، هي علي حرام، فلا تخبري بذلك أحداً. وقال بعضهم: لا تخبري عائشة. فانطلقت حفصة إلى عائشة فأخبرتها. وقد كانتا تظاهران، أي: تعاونان، على نساء النبي عليه السلام فأنزل الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبي لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)[2].

(1) في ق و ع: «أما أنا» وأثبت ما جاء في ز، ورقة 365، فهو أبلغ.

(2) هذا سبب من أسباب نزول الآية. وهنالك سبب آخر ذكره المفسرون ورجال الحديث في كتبهم، وهو أن النبي ﷺ شرب عسلاً عند زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وبعض أزواج النبي عليه السلام على أن يقلن له عليه السلام: أكلت مغافير. . . إلى آخر القصة، انظر مثلاً صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة التحريم، وانظر صحيح مسلم كتاب الطلاق، باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق (رقم 1474) وانظر الواحدي، أسباب النزول، ص 466-468.

قال تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ اللهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَـٰنِكُمْ﴾ أي: كفارة أيمانكم. وهو قوله في سورة المائدة: (فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنَ اوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ) [المائدة: 89]. قال تعالى: ﴿وَاللهُ مَوْلَيٰكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ﴾ أي: بخلقه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في أمره.

فأمر رسول الله ﷺ بالكفارة فكفّر عن يمينه.

ذكروا عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال في الرجل يحرم عليه امرأته قال: عليه كفارة يمين: وقال: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ) [الممتحنة: 6](1).

قال الحسن: إن رسول الله ﷺ حرّم جاريته فأنزل الله: (يَا أَيُّهَا النَّبِي لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ) وقوله: (قَدْ فَرَضَ اللهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ) قال الحسن: هو في الإماء يمين، وفي الحرائر طلاق. والقول في ذلك عندنا قول ابن عباس(2).

وذكر الحسن عن علي أنه قال في الرجل يحرم عليه امرأته إنها ثلاثة لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره. وذكروا عن عبد الله بن مسعود أنه قال: في الحرام كفارة الظهار.

قوله: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِي إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللهُ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ﴾ وهو ما أسرّ النبي عليه السلام إلى حفصة من تحريم أم إبراهيم على نفسه وقوله: لا تخبري بهذا أبداً. وأخبرت به عائشة ففشا ذلك، واطلع رسول الله ﷺ على سرهما.

(1) انظر صحيح مسلم، كتاب الطلاق، نفس الباب (رقم 1473).
(2) وهو الحق إن شاء الله. وهذا ما ذهب إليه جمهور علماء الإباضية قديماً وحديثاً. قال أبو الحواري في تفسير الخمسمائة آية: ص 201 بعد أن أورد آية التحريم هذه: «فمن قال لامرأته أو لجاريته أنت علي حرام فليكفر يمينه، وإن كان نوى طلاقاً فله ما نوى»، وانظر بكلي، فتاوى =

ذكروا عن يحيى بن سعيد عن عبيد بن حنين عن ابن عباس[1] قال: قلت لعمر بن الخطاب: من المرأتان اللتان تظاهرتا على رسول الله ﷺ؛ فقال: حفصة وعائشة.

قوله عز وجل: (عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ) تفسير الكلبي أن رسول الله ﷺ قال لحفصة: ألم آمرك أن تكتمي سري ولا تخبري به أحداً، لِمَ أخبرت به عائشة[2]. وذكر لها بعض الذي قالت، وأعرض عن بعض ولم يذكره لها.

قال عز وجل: ﴿ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَت مَنْ أَنبَأَكَ هٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴾.

قال عز وجل: ﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ ﴾ يعني عائشة وحفصة ﴿ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ أي: زاغت، أي: مالت إلى الإثم، فأمرهما بالتوبة ﴿ وَإِنْ تَظَـٰهَرَا عَلَيْهِ ﴾ أي تعاونا عليه، أي على النبي عليه السلام ﴿ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلَيٰهُ ﴾ أي: وليه في العون له ﴿ وَجِبْرِيلُ ﴾ وليه ﴿ وَصَـٰلِحُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أولياؤه، وهم النبيون. قال عز وجل في آية أخرى: (وَنَبِياً مِّنَ الصَّالِحِينَ) [آل عمران: 39]. وقال عز وجل: (كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ) [التحريم: 10] أي نبيين ﴿ وَالْمَلَـٰئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ﴾ أي: مع ذلك ﴿ ظَهِيرٌ ﴾ أي أعوان له. يعني النبي عليه السلام.

قوله عز وجل: ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِّنكُنَّ مُسْلِمَـٰتٍ مُّؤْمِنَـٰتٍ قَـٰنِتَـٰتٍ ﴾ أي: مطيعات[3] ﴿ تَـٰئِبَـٰتٍ عَـٰبِدَٰتٍ سَـٰئِحَـٰتٍ ﴾ أي: صائمات. ﴿ ثَيِّبَـٰتٍ ﴾ الواحدة ثيب ﴿ وَأَبْكَاراً ﴾.

= البكري، ج 2 ص 229 حيث اعتبر تحريم الزوجة يميناً تحللتها كفارة مرسلة، وهي التي وردت في سورة المائدة.

(1) ورد هذا السند فاسداً مضطرباً في ق وع هكذا: «ويظاهر ذلك عن يحيى بن سعيد بن أبي عبيدة بن جبير فأثبت تصحيحه من صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة التحريم، ومن صحيح مسلم، كتاب الطلاق. باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن وقوله تعالى: (وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ) (رقم 1479) من حديث ابن عباس الطويل وسؤاله لعمر بن الخطاب.

(2) في ق وع: «ثم أخبرت به عائشة» وأثبت ما جاء في ز.

(3) في ق وع: «طائعات» وأثبت ما جاء في ز، ورقة 366، مطيعات، وبهذا اللفظ فسره أبو عبيدة =

ذكروا[1] أن عمر بن الخطاب قال: وافقت ربي في أربعة، أو قال: وافقني ربي في أربعة: قلت: يا رسول الله، لو اتخذنا مقام إبراهيم مصلى، فأنزل الله (وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى) [البقرة: 125]. قلت: يا رسول الله، يدخل عليك البار والفاجر، فلو أمرت نساءك أن يحتجبن، فأنزل الله آية الحجاب[2] وبلغنا أنه كان بين أزواج النبي عليه السلام وبين النبي عليه السلام بعض الشيء، فقلت: لتنتهنّ عن رسول الله أو ليبدلنّه الله أزواجاً خيراً منكن، فأنزل الله: (عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِّنْكُنَّ). ولما نزلت هذه الآية: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِن سُلاَلَةٍ مِّنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً ثُمَّ خَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً ثُمَّ خَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ) [المؤمنون: 12-14] قلت تبارك الله أحسن الخالقين. فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده لقد ختمها الله بما قلت[3]!.

قوله عز وجل: ﴿ يَـٰأَيُّهَـا الذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً ﴾ أي: بطاعة الله ناراً. قال بعضهم: لما نزلت هذه الآية قالوا: يا رسول الله: هذا نقي أنفسنا، فكيف نقي أهلينا. قال: تأمرونهم بطاعة الله[4].

قوله عز وجل: ﴿ وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ ﴾ أي: حطبها الناس والحجارة،

= في المجاز ج 2 ص 261، وهو أفصح.

(1) جمهور المفسرين على أن السائحين والسائحات هم الصائمون والصائمات، معتمدين في ذلك على حديث رُوِيَ مرفوعاً وموقوفاً عن أبي هريرة. وهنالك من يقول إن السائحات هن المهاجرات. انظر ما مضى ج 2 ص 170. وانظر تفسير الطبري ج 14 ص 500-506 ط. دار المعارف، وج 28 ص 164-165، ط. الحلبي. وقال الفراء في معاني القرآن ج 3 ص 167: «هن الصائمات، ونرى أن الصائم إنما سمي سائحاً لأن السائح لا زاد له، وإنما يأكل حيث يجد، فكأنه أخذ من ذلك والله أعلم».

(2) هي في سورة الأحزاب: الآية: 95: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ. . .) الآية.

(3) انظر الإشارة إليه فيما سلف، ج 3 ص 133.

(4) أخرجه ابن مردويه عن زيد بن أسلم مرسلاً كما جاء في الدر المنثور ج 6 ص 244 ولفظه:=

أي: تأكل الناس وتأكل الحجارة في تفسير الحسن، وهي حجارة من كبريت [أحمر.

قال عز وجل: ﴿ عَلَيْهَا مَلَٰئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ ﴾ أي: على أعداء الله. قال أبو العوام: الملك منهم في يده مرزبة من حديد لها شعبتان يضرب بها الضربة فيهوى بها سبعين ألفاً. ﴿ لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾.

قوله عز وجل: ﴿ يَٰأَيُّهَا الذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ ﴾ وهذا يقال لهم يوم القيامة ﴿ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أي: في الدنيا.

قوله عز وجل: ﴿ يَٰأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً ﴾ يحيى عن حماد عن سِماكٍ بن حرب عن النعمان بن بشير قال: سألت عمر بن الخطاب عن التوبة النصوح قال: هي أن يتوب العبد من الذنب ثم لا يعود فيه[1].

يحيى عن الفرات عن عبد الكريم عن زياد بن الجراح عن عبيد الله بن معقل قال: كان أبي عند عبد الله بن مسعود فسمعته يقول لعبد الله: أسمعت رسول الله ﷺ يقول: الندم توبة[2]. قال: نعم.

يحيى عن سفيان الثوري عن عاصم الأحول عن الشعبي قال: التائب من الذنب كمن لا ذنب له[3].

= «تأمرونهم بما يحبه الله وتنهونهم عما يكره الله. وذكر أن السائل هو عمر كما رواه الألوسي في روح المعاني ج 10 ص 156 بدون سند.

(1) هذا الأثر ورد منسوباً هنا إلى عمر بن الخطاب، وورد منسوباً إلى ابن مسعود في تفسير مجاهد، ص 684، وورد حديثاً مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ بسند ضعيف في بعض المراجع. انظر السيوطي، الدر المنثور ج 6 ص 345.

(2) حديث صحيح أخرجه أحمد في مسنده، وأخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب ذكر التوبة (رقم 4252) وصححه الحاكم عن ابن مسعود، وأورد الحديثَ الطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية بزيادة: «الندم توبة والتائب من الذنب كمن لا ذنب عليه».

(3) هذا نص حديث أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب ذكر التوبة عن أبي عبيدة بن عبد الله عن أبيه (رقم 4250).

قوله تعالى: ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ ﴾ وعسى من الله واجبة ﴿ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ يقودهم إلى الجنة ﴿ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ ﴾ كتبهم، وهي بشراهم بالجنة][1] ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

تفسير الكلبي: إنه يعطي كل مؤمن نوراً، وبعضهم أكثر من بعض، فيجوزون على الصراط منهم كالبرق، ومنهم من يكون كركض الفرس الجواد، ومنهم من يسعى سعياً، ومنهم من يزحف زحفاً، وهم الذين (يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ). وقد فسرنا ما بلغنا من ذلك في سورة الحديد[2].

قوله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَٰفِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: جاهد الكفار المشركين بالسيف، واغلظ على المنافقين بالحدود. قال: ﴿ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾.

قوله عز وجل: ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا ﴾. تفسير ابن عباس: فخالفتاهما يقول: كانتا منافقتين [تظهران الإيمان وتسران الشرك][3]. فأما امرأة نوح فكانت تفشي سرّه، وكانت امرأة لوط إذا نزل به ضيف دخّنت لتُعلِم أنه نزل بلوط ضيف لعملهم السوء وإتيانهم الرجال في أدبارهم، فنافقتا بذلك.

وتفسير الحسن مثل تفسير ابن عباس إلا أنه يذهب في الخيانة أيضاً إلى أمر قبيح يجعلهما باغيتين بذلك. وحاشا لأنبياء الله من ذلك، وليس مذهبه هذا مذهباً لأنه كان يقال: ما بغت امرأة نبيّ قطُّ.

---

(1) ما بين المعقوفين ابتداء من الصفحة الماضية إلى هنا ساقط كله من ق وع، فأثبته من ز لإتمام النقص الذي ورد في تفسير الآيتين. وهذا دليل آخر على أن مخطوطتي ق وع نقلتا من أصل واحد، أو أن الواحدة نقلت من الأخرى.

(2) انظر ما سلف في هذا الجزء ص 294.

(3) زيادة من ز، ورقة 366.

قال تعالى: ﴿ فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئاً ﴾ أي: لم يغن عمل نوح ولوط عليهما السلام عن امرأتيهما من الله شيئاً. ﴿ وَقِيلَ: ادْخُلاَ النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾.

وهذا مثل ضربه الله يحذّر حفصة وعائشة للذي كان مما قصّ في أول السورة.

وضرب لهما أيضاً مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون ومريم بنت عمران، يأمرهما بالتمسك بطاعة الله وطاعة رسوله[1] فقال:

﴿ وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِّلذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الجَنَّةِ ﴾ أي: في السماء، لأن الجنة في السماء والنار في الأرض. ﴿ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾. يقول الله: فامرأة فرعون ومنزلتها عند الله لم تغن عن فرعون من الله شيئاً إذ كان كافراً.

قال تعالى: ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ التِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾ أي عفّت جيب درعها عن الفواحش ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾ أي فتناول جبريل جيبها بأصبعه فنفخ فيه فسار[2] إلى بطنها فحملت[3].

قال تعالى: ﴿ وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكِتَابِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾. تفسير الكلبي: إن الكلمات: إنه عيسى؛ وذلك لقول جبريل: (إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً) [مريم: 19] ولقوله: (إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ المَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَيُعَلِّمُهُ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ

(1) انظر ابن الجوزي، زاد المسير ج 8 ص 315 حيث ورد هذا القول منسوباً إلى يحيى بن سلام، وانظر ابن قيم الجوزية، الأمثال في القرآن، ص 266.

(2) كذا في ق وع: «فسار» وفي ز، ورقة 367: «فصار إلى بطنها».

(3) قال الفراء في المعاني ج 3 ص 169: «والفرج هاهنا جيب درعها. وذكر أن جبريل ﷺ نفخ في جيبها. وكل ما كان في الدرع من خرق أو غيره يقع عليه اسم الفرج. قال الله تعالى: (وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ) [سورة ق: 6] يعني السماء، من فطور ولا صدوع».

وَالإِنْجِيلَ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ) [آل عمران: 45-49] وقال تعالى في هذه الآية: (وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ). أي وجميع الكتب في تفسير الحسن؛ وهو مقرأه. وتفسير الكلبي: الإنجيل ومقرأه وكِتَابِهِ (وَكَانَتْ مِنَ القَانِتِينَ) قال الحسن: القنوت طول القيام في الصلاة. وقال بعضهم: (وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ) أي: من المطيعين لربها.

تفسير سورة الملك وهي مكية كلها.

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمَ ﴾ قوله عز وجل: ﴿ تَبَـٰرَكَ ﴾، وهو من باب البركة، كقوله: (تعالى) وهو من العلوّ. ﴿ الذِي بِيَدِهِ ﴾ أي: في يده. ﴿ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كِلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ أي: الذي لا يعجزه شيء.

﴿ الذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾. ذكروا عن الأعمش عن أبي سفيان عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ يؤتى بملك الموت يوم القيامة في صورة كبش أملح. فيجعل على سور بين الجنة والنار. ثم ينادي مناد: يا أهل الجنة ويا أهل النار، هل تعرفون هذا؟ هذا الموت، فيقولون: نعم، فيذبح على السور وهم ينظرون إليه. ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، وكل خالدٌ فيما هو فيه[1].

قوله عز وجل: (لِيَبْلُوَكُمْ) أي: ليختبركم (أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً) قال: ﴿ وَهُوَ العَزِيزُ ﴾ في نقمته ﴿ الغَفُورُ ﴾ لمن تاب وآمن.

قوله عز وجل: ﴿ الذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوٰتٍ طِبَاقاً ﴾ أي: بعضها فوق بعض،

---

(1) هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، سورة مريم، وخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيم أهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء (رقم 2850)، كلاهما يرويه من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد.
وانظر الإشارة إليه فيما مضى ج 3 ص 15.

غلظ كل سماء كما فسّرناه قبل هذا [1]. وما بينهما كذلك: وهو كقوله عز وجل: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ) [سورة المؤمنون: ١٧].

قال تعالى: ﴿ مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَـٰنِ مِنْ تَفَـٰوُتٍ ﴾ أي: من اختلاف، وهي مستوية كلها، كقوله عز وجل: (والسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ) [الذاريات: ٧]. والحبك: استواؤها وحسنها.

قال تعالى: ﴿ فَارْجِعِ الْبَصَرَ ﴾ أي: فانظر إلى السماء ﴿ هَلْ تَرى مِنْ فُطُورٍ ﴾ على الاستفهام، أي: هل ترى من شقوق، أي: إنك لا ترى فيها شقوقا. ﴿ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ ﴾ أي: مرة بعد مرة ﴿ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً ﴾ أي: فاترا ﴿ وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ أي: كَليل، أي: قد أعيا لا يجد منفذا.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَـٰبِيحَ﴾ وهي الكواكب ﴿ وَجَعَلْنَـٰهَا ﴾ أي: الكواكب ﴿ رُجُوماً لِلشَّيَـٰطِينَ﴾ يعني ما جعل منها رجوما. وكان الوقت الذي جعلت فيه رجوما حين[2] بعث النبي عليه السلام.

ذكروا عن أبي رجاء العطاردي قال: كنا قبل أن يبعث محمد ﷺ ما نرى نجما يرمى به، فبينما نحن ذات ليلة إذا النجوم قد رمي بها. فقلنا ما هذا؟ إن هذا إلا أمر حدث. فجاءنا أن النبي عليه السلام قد بعث، فانزل الله في هذه الآية، وفي سورة الجن: (وَإِنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَصَداً) [الجن: ٩].

ذكروا عن حسان بن أبي بلال قال: من قال في النجوم سوى هذه الأشياء الثلاثة فهو كاذب، ثم مفتن مبتدع. قال تعالى: (وَلَقَدْ زَيَّنا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلْشَّيَاطِينِ). وقال: وَهُوَ الذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي

(1) انظر ما مضى قريباً في هذا الجزء ص377.

(2) في ق و ع: «حيث بعث». . . ويمكن أن تكون الكلمة صحيحة لأن (حيث) التي تأتي للمكان أصلاً قد ترد أحياناً للزمان، وإن كان هذا قليلاً، انظر ابن هشام، مغني اللبيب ج 1 ص 131.

ظُلُمَاتِ البَرِّ وَالْبَحْرِ) [الانعام: ٩٧] فهي مصابيح ورجوم ويهتدى بها[1].

ذكروا عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: إذا رأيتم الكواكب قد رمي بها فتواروافإنها تحرق ولا تقتل. وفي تفسير الحسن: إنه يقتلهم في أسرع من طرف[2].

قال تعالى: ﴿ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ ﴾ أي: وأعددنا لهم ﴿ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴾ أي: في الآخرة، أي: للذين يرجمون من الشياطين ولجماعة الشياطين. تفسير الحسن الذين هم يسترقون السمع، يسترق أحدهم السمع وهو يعلم أنه محترق وأن له في الآخرة عذاب السعير. والكلبي يقول: هم شرار إبليس. وقال الحسن: الشيطان والعفريت والمارد لا يكون إلا الكافر من الجن.

قوله عز وجل: ﴿ وَلِلذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِيسَ الْمَصِيرُ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شهِيقاً ﴾ أي: صوتاً في تفسير الحسن ﴿ وَهِيَ تَفُورُ ﴾ أي: تغلي ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ ﴾ أي تتفرق ﴿ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ أي: تكاد يبين بعضها من بعض تغيّظا على أعداء الله.

قال: ﴿ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا ﴾ أي: التسعة عشر ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾ أي نبي ينذركم عذاب الله في الدنيا والآخرة ﴿ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ ﴾ يعنون الرسل والمؤمنين. ﴿ إِلا فِي ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴾ أي في الدين. وهذا خاصة في بعض المشركين دون جميع المنافقين. وأهل الكتاب اليهود والنصارى لا يقولون هذا القول، فكيف أهل الاقرار بالله والنبي والكتاب لأن اليهود والنصارى يقولون إن الله أنزل عليه كتابا. وكانت اليهود يقرون بالتوراة ويجحدون الانجيل، وكانت النصارى يقرون بالإنجيل ويجحدون التوراة والقرآن.

﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَٰبِ السَّعِيرِ ﴾ هؤلاء جميعُ

(1) نسب مثل هذا القول أيضاً لقتادة، قال: خلق الله النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدى بها في البر والبحر والأوقات، فمن تأول فيها غير ذلك فقد تكلف ما لا علم له به وتعدى وظلم. انظر تفسير القرطبي، ج 18 ص 211.

(2) جاء في ق و ع: «فإنه يحرف ولا يقتل»، أي: فإن الرمي بها يحرق ولا يقتل.

أصحابِ النار. أي: لو كنا نسمع أو نعقل في الدنيا لآمنا في الدنيَا وأوفينا بفرائض الله في الدنيا، فلم نكن من أصحاب السعير. والسعير اسم من أسماء جهنم، وجهنم كلها سعير تسعر بهم.

قال الله تعالى: ﴿ فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقاً ﴾ أي: فبعدا ﴿ لِأَصْحَـٰبِ السَّعِيرِ ﴾ أي: أهل السعير، أهل النار.

ثم قال: ﴿ إِنَّ الذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ ﴾ أي: في السر، ومثلها في سورة قٓ: (مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَـٰنَ بِالْغَيْبِ) [سورة قٓ: ٣٣] أي: يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر منها. ﴿ لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾.

قوله عز وجل: ﴿ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ﴾ أي: فهو يعلمه ﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ أي: بما في الصدور.

﴿ أَلَا يَعْلَـمُ مَـنْ خَلَقَ ﴾ على الاستفهام، أي: هو خلقكم فكيف لا يعلم سركم وعلانيتكم. ﴿ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ فبلطفه خلق الخلق، وهو الخبير بأعمالهم.

قوله عز وجل: ﴿ هُوَ الذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً ﴾ أي: [سهّل لكم السلوك فيها[1] و] ذلّلها لكم. وهو كقوله: (فِرَاشاً) و(بِسَاطاً) و(مِهَاداً) ﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا ﴾ أي: فامضوا في مناكبها، ومناكبها، جوانبها[2]. وتفسير الحسن: جوانبها وطرقها، وقال الكَلْبِي: مناكبها: أطرافها. وقال بعضهم: نواحيها، وتفسير مجاهد: طرقها وفجاجها. قال: ﴿ وَكُلُوا مِنّ رِزْقِهِ ﴾ أي: الذي أحل لكم ﴿ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ أي: البعث.

قوله: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ ﴾ على الاستفهام، يعني نفسه ﴿ أَن يَّخْسِفَ بِكُمُ

---

(1) زيادة من ز، ورقة 367.

(2) في ق و ع: «جبالها»، وفي الكلمة تصحيف صوابه ما أثبته: «جوانبها». وبهذا اللفظ فسرها أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 262، والفراء في المعاني، ج 3 ص 171.

الأَرْضَ ﴾ أي: إنكم لا تأمنون ذلك ﴿ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾ أي: تتحرك حين تخسف بكم. ﴿ أَمْ أَمِنتُم مَّنْ فِي السَّمَاءِ ﴾ يعني نفسه، وهي مثل الأولى، أي لا تأمنون ﴿ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً ﴾ أي: كما حصب قوم لوط، أي: بالحجارة التي أمطرها عليهم. قال تعالى: ﴿ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴾ . وهذا تخويف. قال الحسن: يعني المشركين.

ثم قال للنبي عليع السلام: ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ الذِينَ قَبْلِهِمْ ﴾ أي: من قبل قومك يا محمد ﴿ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِى ﴾ على الاستفهام، أي: كان شديداً. ونكيري، أي: عقوبتي.

قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَـٰفَّـٰتٍ ﴾ أي: بأجنحتها، أي: قد رواها ﴿ وَيَقْبِضْنَ ﴾[1] قال الحسن: حين تحرك الطير جناحيها. وبعضهم يقول: (وَيَقْبِضْنَ) يعني إذا وقف الطائر صافا جناحيه لا يزول. قال تعالى: ﴿ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَـٰنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ أَمَّـنْ هَٰذَا الذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنْصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَـٰنِ ﴾ على الاستفهام، أي: إن أراد عذابكم. أي: ليس أحد ينصركم من دون الله. قال تعالى: ﴿ إِنِ الْكَـٰفِرُونَ ﴾ أي: ما الكافرون ﴿ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴾ يعني في غرور من الشياطين.

قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا الذي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾ على الاستفهام. أي: لا أحد. يقول: إن هذه الأوثان التي تعبدونها ليست بالتي ترزقكم. قال: ﴿ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ ﴾ أي من العتوّ، وهو الشرك[2] ﴿ وَنُفُورٍ ﴾ أي: عن الإيمان. وقال مجاهد: أي: وكفور، وهو واحد[3].

---

(1) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 262: «(إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ) باسطات أجنحتهن (وَيَقْبِضْنَ) فيضربن بأجنحتهن».

(2) كذا في ق و ع وفي ز: «وهو الشرك». والحق أن لفظ العتو يفيد معنى الطغيان والتكبر والتجبر. وفي مفردات الراغب: «العتو: النبوّ عن الطاعة».

(3) وقال الزمخشري في الكشاف، ج 4 ص 581: «بل تمادوا في عناد وشراد عن الحق لثقله عليهم فلم يتبعوه».

قال تعالى: ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ ﴾ أي: لا يبصر: موضع قدميه، وهذا مِثل الكافر. أي: هو أعمى عن الهدى ﴿ أَهْدَىٰ ﴾ أي: هو أهدى ﴿ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ أي: عدلا مهتديا يبصر حيث يسلك، على طريق مستقيم، وهو الطريق إلى الجنة. وهذا مَثَل المؤمن، أي: المؤمن أهدى من الكافر.

قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ الذِي أَنشَأَكُمْ أي: خلقكم ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبصَٰرَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ ﴾ أي: أقلكم من يشكر، أي: أقلكم المؤمن.

﴿ قَلْ هُو الذِي ذَرَأَكُمْ فِي الأَرضِ ﴾ أي: خلقكم في الأرض ﴿ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ أي: يوم القيامة[1].

قال: ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ يعني المشركين ﴿ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾.

قال الله لنبيه عليه السلام ﴿ قُل إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ ﴾ أي: علم الساعة. أي: متى الساعة، لا يعلـم قيامها إلا هو ﴿ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ ﴾ أي: أنذركم عذاب الله ﴿ مُّبِينٌ ﴾ أي أبيّن لكم عن الله.

قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ ﴾ يعني العذاب ﴿ زُلْفَةً ﴾ أي: قريباً، في تفسير الكلبي. وقال مجاهد: قد اقترب، وقال الحسن: عيانا ﴿ سِيئَتْ وُجُوهُ الذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي: ساء العذاب وجوههم ﴿ وَقِيلَ ﴾ [لهم عند ذلك[2]] ﴿ هَٰذَا الذِي كُنتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ ﴾[3] لقولهم: (إيتِنَا بِعَذَابِ اللهِ) [العنكبوت: ٢٩] استهزاء وتكذيبا.

---

(1) قال الراغب الأصبهاني: «الذرء: إظهار الله تعالى ما أخفاه. يقال: ذرأ الله الخلق، أي: أوجد أشخاصهم». وقال ابن قتيبة في قوله تعالى من سورة الأعراف، آية 179: (وَلَقَد ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ) أي: خلقنا لجهنم، ومنه ذرية الرجل؛ إنما هي الخلق ولكن همزها يتركه أكثر العرب، وانظر ابن قتيبة تفسير غريب القرآن ص 175.

(2) زيادة من ز، ورقة 368.

(3) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 262: «(الذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ) أي: تدعون به وتكذبون وتردون، وقال الفراء في المعاني، ج 3 ص 171: «يريد: تَدْعُونَ، وهو مثل قوله: تَذْكرون وَتذّكرُون، وتخبرون وتختبرون، والمعنى واحد. والله أعلم».

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللهُ وَمَن مَّعِيَ ﴾ من المؤمنين وهذا على القدرة، كقوله تعالى: (إِنَ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ بْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً) [المائدة: ١٧] قال تعالى: ﴿ أَوْرَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَـٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ أي: موجع. أي ليس لهم مجير يمنعهم من عذاب الله.

﴿ قُلْ هُوَ الرَّحْمَـٰنُ ءَامَنَّا بِهِ ﴾ أي: صدّقنا به ﴿ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ ﴾ أي: يوم القيامة ﴿ مَنْ هُوَ فِي ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ أي: إنكم أيها المشركون في ضلال مبين.

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنَ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً ﴾ والغور: الذي لا يقدر عليه، أي: لا تدركه الدلاء، أي: قد غار في الأرض فذهب[1]. يعني أهل مكة. وماؤهم فيما بلغنا زمزم وبئر ميمون[2].

قال تعالى: ﴿ فَمَن يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴾ أي: لا أحد. والمعين: الظاهر. وتفسير الحسن: المعين أصله من العيون.

(1) قال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن: «(أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً) أي: غائراً، وصف بالمصدر، يقال ماء غور ومياه غور، ولا يجمع ولا يثنّى ولا يؤنث، كما يقال رجل صوم رجال صوم، ونساء صوم، وانظر معاني الفراء ج 3 ص 172.

(2) بئر ميمون. ذكرها ياقوت في معجمه ولم يزد على أن قال: «بمكة» ولم يحدد موقعها. وقد ذكرها الطبري في تاريخه عدة مرات. وذكر ابن قتيبة في المعارف ص 283 أنها بأبطح مكة، وذكر بعضهم أنها بأعلى مكة وإنما نسبت إلى ميمون لأن الذي حفرها في الجاهلية هو ميمون الحضرمي، ولم تـرو له صحبة. أما أخوه العلاء بن الحضرمي فقد أسلم وحسن إسلامه فولاه رسول الله ﷺ البحرين، وتوفي رسول الله ﷺ وهو واليها. وأقره على ذلك أبو بكر فعمر رضي الله عنهما، وتوفي في خلافة عمر سنة أربع عشرة للهجرة.

تفسير سورة نٓ، وهي مكية كلها.

﴿ بِسْمَ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ نٓ والْقَلَمِ ﴾ ذكروا عن الحسن قال: نون: الدواة (والقلم) هذا القلم الذي يكتب به. وتفسير الكلبي: القلم الذي يكتب به الملائكة الذكر وأعمال العباد.

قوله: ﴿ وَمَا يَسْطُرونَ ﴾ أي: وما يكتبون، يعني الملائكة ﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾.

ذكروا أن عليا قال: (الٓرٓ) و(حمٓ) و(نٓ): الرحمـٰن. وبعضهم يقول: (نٓ) الحوت الذي عليه قرار الأرض. أقسم بهذا كله للنبي عليه السلام (مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُون) لقول المشركين إنه مجنون.

ومقرأ العامة نٓ بالوقف والإسكان ووقع القسم على القلم وما يسطرون وبعضهم يجرّون نٓ والقلم وما يسطرون ويحمله كله على القسم.

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً ﴾ أي: ثوابا، يعني الجنة ﴿ غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾ أي: غير محسوب، في تفسير مجاهد. وتفسير الحسن: غير ممنون عليك منٌّ أذى[1].

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ أي: لعلى دين عظيم، يعني الإسلام.

---

(1) وقال الفراء في المعاني، ج 3 ص 173: «غير مقطوع». وقال ابن قتيبة: «غير مقطوع ولا منقوص. يقال: مننت الحبل إذا قطعته». وبهذا اللفظ الأخير أورده ابن أبي زمنين في ز، ورقة 368.

ذكروا عن سعيد بن هشام عن عائشة قالت: كان خلق رسول الله ﷺ القرآن. قالت: والقرآن فيه الدين.

قال: ﴿ فَسَتُبْصِرُ ﴾ أي: يوم القيامة ﴿ وَيُبْصِرُونَ ﴾ يعني المشركين ﴿ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ ﴾ أي: بأيكم الشيطان، والشيطان مفتون في تفسير مجاهد. أي: سيبصرون يوم القيامة أنك كنت المهتدي وأنهم الضُّلّال. (بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ) أي [أيكم الضال في تفسير الحسن؛ يجعل الباء صلة][1]. والمفتون الضال.

قال عز وجل: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ أي: إنهم ضلال عن سبيل الهدى وإنك وأصحابك مهتدون. ﴿ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ إنهم كانوا يريدون أن يترك النبي عليه السلام ما جاء به.

قال عز وجل: ﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ قال الحسن: ودوا لو تدع هذا الأمر الذي بعثت به فيدعونه. [وتفسير بعضهم يقول: لو تداهن في دينكم فيداهنون في أديانهم. كانوا أرادوه على أن يعبد الله سنة ويعبد هو آلهتهم سنة][2].

قوله عز وجل: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ ﴾ أي: مكثار في الشر ﴿ مَهِينٍ ﴾ أي: ضعيف في الخير ﴿ هَمَّازٍ ﴾ أي: يهمز الناس بلسانه وعينه، أي يغتابهم ﴿ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ أي: يفسد ذات البين ﴿ مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ ﴾ أي: يمنع حق الله عليه، في تفسير

---

(1) زيادة من ز ورقة 368: «يجعل الباء صلة» أي زائدة. وقال ابن قتيبة: (بِأَيِّكُمُ المَفْتُونُ) أي: أيكم المفتون، أي الذي فتن بالجنة، والباء زائدة كما قال الراجز: نضرب بالسيف ونرجو بالفرج، أي: ونرجو الفرج. وأورد أبو عبيدة الشطر الأول من الرجز هكذا: نحن بنو جعدة أصحاب الفلج... وقال الفراء: (المفتون) هاهنا بمعنى الجنون، وهو في مذهب الفتون، كما قالوا: ليس له معقول رأي». وقال ابن الأنباري في البيان في إعراب غريب القرآن، ج 2 ص 453 (بِأَيِّكُمُ المَفْتُونُ) أي: بأيكم الفتنة، كما يقال ما له معقول أي: عقل. وقيل الباء في (بأيكم) زائدة، وتقديره أيكم المفتون، أي: المجنون».

(2) زيادة من ز، ورقة 368. وقال الفراء: «يقال: ودوا لو تلين في دينك فيلينون في دينهم. وقال بعضهم: ودوا لو تكفر فيكفرون: أي فيتبعونك على الكفر».

الحسن. وقال بعضهم: مناع للإسلام. وتفسير مجاهد: (مَهِينٍ): ضعيف القلب. وتفسير الكلبي: (مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ) يمنع نفسه وقرابته أن يتبعوا رسول الله ﷺ.

قوله: ﴿ مُعْتَدٍ ﴾ من الاعتِداء، أي: ظالم ﴿ أَثِيمٍ ﴾ أي: آثم.

قوله عز وجل: ﴿ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ ﴾. والعتل الفاحش، (بَعْدَ ذَلِكَ) أي: مع ذلك كقول الرجل: وهو مع ذلك كذا وكذا، وهو واحد. ﴿ زَنِيمٍ ﴾ والزنيم في تفسير الحسن اللئيم الضريبة، يعني الطبيعة.

ذكروا عن عكرمة عن ابن عباس قال: الزنيم: الدعيّ. قال الشاعر:

زنيم تداعاه الرجال زيادة		كما زاد في عرض الأديم الاكارع[1]

وتفسير مجاهد: العتل: الشديد، والزنيم: الملحق في النسب.

ذكروا عن ليث بن أبي سليم عن شهر بن حوشب عن أبي الدرداء، قال: العتل الزنيم: رحب الجوف، وثيق الخلق، أكول شروب، غشوم ظلوم.

قال بعضهم: هو الكافر المعروف كالشاة التي لها زنمتان تعرف بزنمتيها في سائر الغنم. وبلغنا أن هذه الصفات كلها في رجل من المشركين. وقد نهى الله المسلمين عن هذه الأخلاق كلها.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: خياركم الذين إذا رؤوا ذكر الله، وشراركم النمّامون المفرّقون بين الأحبة، الباغون للبُرآءِ العنَتَ[2].

---

(1) نسب هذا البيت لشاعر جاهلي يدعى الخطيم التميمي، وقيل إنه لحسان بن ثابت، انظر اللسان: (زنم). وقال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 265: «الزنيم المعلق في القوم ليس منهم: قال حسان ابن ثابت:

وأنت زنيم نيط في آل هاشم		كما نيط خلف الراكب القدح الفرد».

(2) حديث صحيح، أخرج أوله ابن ماجه في كتاب الزهد، باب من لا يؤبه له عن أسماء بنت يزيد أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول. . . (رقم 4119). وأخرجه أحمد بتمامه من طريقين كما في تفسير ابن كثير، ج 7 ص 83.

قال عز وجل: ﴿ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴾ على الاستفهام، أي: بأن كان ذا مال وبنين ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا قَالَ أَسَـٰطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ أي: كذب الأولين وباطلهم. ﴿ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴾ أي: على أنفه بسواد يعرف به يوم القيامة. وقال بعضهم: أي: سيما لا تفارقه.

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَـٰهُمْ ﴾ يعني أهل مكة ابتلوا بالجوع حين كذبوا النبي عليه السلام ﴿ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَـٰبَ الْجَنَّةِ إذ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَـا مُصْبِحِينَ ﴾ أي: إذا أصبحوا.

تفسير مجاهد: إن هؤلاء قوم كانوا أول أمرهم على الشرك.

وتفسير الكلبي إنهم أبناء قوم صالحين، وإن آباءهم جعلوا من جنتهم حظا للمساكين وابن السبيل. وكان حظ المساكين وابن السبيل عند الحِصاد ما أخطأ المنجل، وعند القِطاف ما أخطأ القاطف، وعند صِرام النخل ما انتثر خارجا من البساط الذي يبسط تحت النخل. فخلف أبناؤهم من بعدهم وقالوا: كثرنا وكثر عيالنا فليس للمساكين عندنا شيء. فتقاسموا ليصرمنّها مصبحين أي صبحاً ﴿ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴾ أي: ولا يقولون: إن شاء الله.

قال عز وجل: ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ ﴾ أي: عذاب من ربك ﴿ وَهُمْ نَائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾ الصريم بمعنى المصروم. أي: الذاهب الهالك فأهلك تِلكَ الجنان وذلك الحرث.

﴿ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴾ أي حِين أصبحوا ﴿ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَـٰرِمِينَ ﴾.

---

(1) قيل: إن قصة أصحاب الجنة جرت لأبناء رجل صالح من أهل اليمن كان له زرع ونخل وعنب، فخلفه ثلاثة أبناء لم يتبعوا سيرة أبيهم في إكرام اليتامى والمساكين والأرامل. اقرأ القصة بعبارات موجزة بليغة في معاني الفراء ج 3 ص 174-174، وفي بعض كتب التفسير.

قال تعالى: ﴿فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَـٰفَتُونَ﴾ أي: يتسارّون بينهم ﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾ أي: أن لا تطعموا اليوم مسكينا.

قال عز وجل: ﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ﴾ أي: على جدّ من أمرهم، أي جادّين، ﴿قَـٰدِرِينَ﴾ أي: قادرين على جنتهم في أنفسهم. قال الحسن. (عَلَى حَرْدٍ) أي: على منع من الفاقة [1].

قال عز وجل: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾ خرابا سوداء، وعهدهم بها في الأمس عامرة، ﴿قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ﴾ أي: ضللنا الطريق، أي ظنوا إنها ليست جنّتهم. ثم أيقنوا أنها جنّتهم فقالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ أي: حُرِمنا خيرَ جنّتنا.

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ أي: أعدلهم ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ أي هلا تستثنون[2].

﴿قَالُوا سُبْحَـٰنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَـٰوَمُونَ قَالُوا يَـٰوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَـٰغِينَ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾.

قال الله عز وجل: ﴿كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ﴾ أي: هكذا كان العذاب، أي: كما قصصته عليك، يعني ما عذّبهم به مِن إهلاك جنّتهم. ﴿وَلَعَذَابُ الْأَخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ من عذاب الدنيا ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ يعني قريشا. رجع إلى قوله: (إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ)، يعني قريشاً، لو كانوا يعلمون لعلموا أن عذاب الآخرة أكبر من عذاب الدنيا.

---

(1) أورد أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 265-266 عدة معان لكلمة (حَرْدٍ) منها القصد، والمنع، والغضب، وفسّرها الفراء في المعاني وقال: «على جِدّ وقدرة في أنفسهم» وقال: «والحَرْد أيضاً: القصد» ورد الطبري في تفسيره ج 29 ص 33 معنى المنع وقال مرجحاً: «صح أن الذي هو أولى بتأويل الآية قول من قال: معنى قوله: (وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ) وغدوا على أمر قد قصدوه واعتمدوه، واستسرّوه بينهم، قادرين عليه في أنفسهم».

(2) قال ابن منظور: «وقوله: (أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ) أي تستثنون، وفي الاستثناء تعظيم الله والإقرار بأنه لا يشاء أحد إلا أن يشاء الله، فوضع تنزيه الله موضع الاستثناء. اللسان: (سبح).

ذكروا أن رسول الله ﷺ نهى عن الحصاد ليلاً وعن الجداد ليلا. ذكروا عن الحسن أن رسول ﷺ نهى عن أن يُصرَم ليلاً وأن يُحصَد ليلاً[1].

ذكروا عن ابن عمر في قوله تعالى: (وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حِصَادِهِ) [الأنعام: 141] قال: هو سوى العشر ونصف العشر أن يُنَاوَل منه يوم حصاده. وذكروا عن مجاهد[2]. وقال بعضهم: هو ما أخطأ المنجل.

قال بعضهم تراه إنما نهى عن الصرام ليلاً وعن الحصاد ليلاً وأن يضحى ليلاً لما كان للمساكين لئلا يُحرَمُوا أن يطعموا منه ولا يصنعون كما صنع أصحاب الجنة.

ذكروا عن الحسن وسعيد بن جبير قالوا: (وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قالوا: الزكاة المفروضة.

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتِ النَّعِيمِ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴾ أي: كالمشركين. أي: لا نفعل ذلك. ثم قال الله عزّ وجلّ للمشركين: ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ أي: ليس لكم حكم أن نجعل [3] المسلمين في الآخرة كالمشركين.

ذكروا عن ابن مسعود قال: ثلاثة أحلف عليهن ولا أستثني: لا يجعل الله من له سهم في الإسلام كمن لا سهم له، ولا ولى الله عبدا في الدنيا فيوليه[4] غيره [في الآخرة]، ولا يحِب عبد قوماً إلا كان معهم. والرابعة لو حلفت عليها لبررت: لا يستُرُ الله على عبد في الدنيا إلا ستر عليه غدا في الآخرة.

قال الله: ﴿ أَمْ لَكُمْ ﴾ يقوله للمشركين. ﴿ كِتَـٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴾ أي: تقرأون

---

(1) حديث صحيح أخرجه البيهقي من حديث الحسن.

(2) جاء في تفسير مجاهد ص 225 ما يلي: «(وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال: نافلة واجباً حين يصرم سوى الزكاة». وانظر تفسير الطبري ج 12 ص 163. ط دار المعارف.

(3) كذا في ق و ع، وفي ز «أي: ليس حكمنا أن نجعل. . .».

(4) كذا في ق: «فيوليه»، وفي ع «فوليه»، وفي ع «فوليه»، وفي كليْهما غموض.

﴿ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ ﴾ أي: في ذلك الكتاب ﴿ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴾ أي: ما تخيّرون. واللام صلة. [أي: ليس عندكم كتاب تقرأون فيه إن لكم لما تخيرون][1].

قال تعالى: ﴿ أَمْ لَكُمْ أَيْمَـٰنٌ عَلَيْنَا بَـٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَـٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴾ أي ما تحكمون. يقول أم جعلنا لكم بأن لكم ما تحكمون. أي: لم نفعل. وقد جعل الله للمؤمنين عنده عهدا. وقال: (لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَـٰنِ عَهْداً) [مريم: ٨٧]. وقال لليهود: (قُلْ اتخذتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْداً فَلَن يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ) [البقرة: ٨٠].

قال تعالى: ﴿ سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴾ أي: حميل[2]، أي: يحمل عنا لهم بأن لهم ما يحكمون، أي: يوم القيامة لأنفسهم بالجنة، إن كانت جنة لقول أحدهم: (وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ) [سورة فصلت: ٥٠] أي للجنة، إن كانت جنة.

قوله عز وجل: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ ﴾ أي: خلقوا مع الله شيئا ﴿ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَـٰئِهِمْ إِنْ كَانُوا صَـٰدِقِينَ ﴾. أي: قد أشركوا بالله آلهة لم يخلقوا مع الله شيئاً.

قوله عز وجل: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ﴾ قال الحسن: عن ساق الآخرة. وقال مجاهد: عن شدة الأمر وجده، أي: عن الأمر الشديد.

وحدثني[3] هشام عن المغيرة عن إبراهيم عن ابن عباس أنه كان يقول في قوله: (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ) قال: يكشف عن شدة يوم القيامة. وعن الضحاك أنه كان يرى مثل ذلك.

---

(1) زيادة من ز ورقة 369.

(2) جاء في معاني الفراء ج 3 ص 3 ص 177: «يريد: كفيل، ويقال له الحميل؛ والقبيل والصبير والزعيم في كلام العرب: الضامن والمتكلم عنهم، والقائم بأمرهم».

(3) هذه الأقوال في تفسير قوله تعالى: (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ) جاءت في ق و ع بعد قوله تعالى إن كيدي متين) فجعلتها في نسقها مع الأقوال الأولى. والعبارة حدثني إنما هي من قول ابن سلام ولا شك.

قال ابن عباس: كانت العرب إذا اشتدت الحرب بينهم قالوا: قامت الحرب بنا على ساق. وعن سعيد بن جبير أنه سئل عن قوله: (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ) فغضب وقال: والله إنكم لتقولون قولاً عظيماً، إنما يعني الأمر الشديد. وعن سعيد بن جبير مثله: هو عذاب الاستئصال، يعني إنه يعذبهم بالنفخة الأولى قبل عذاب يوم القيامة.

قال عز وجل: ﴿ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ﴾ أي: ذليلة أبصارهم ﴿ تَرْهَقُهُمْ ﴾ أي: تغشاهم ﴿ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ ﴾ أي: إلى الصلاة المفروضة ﴿ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾. رجع إلى قوله تعالى: (وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ) أي: يُخادَعون بذلك كما كانوا يُخادِعون في الدنيا، وذلك أن سجودهم في الدنيا راءَوا بِهِ الناس[1].

قوله عز وجل: ﴿ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ ﴾ يعني القرآن. وهذا وعيد بالعذاب لمن كذب بالقرآن. ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم ﴾ يعني المكذبين ﴿ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ وهذا مثل قوله عز وجل: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ) أي: مكانِ الشدة الرخاء (حَتَّى عَفَوْا) أي حتى كثروا (وَقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَاءَنَا الضَّرَّاءُ والسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُون) [الأعراف: 94 - 95] أي أخذناهم أحسن ما كانوا حالاً وآمنه، فأهلكهم، فحذّر المشركين ذلك.

قوله عز وجل: ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ ﴾ [أي: أطيل لهم وأمهلهم][2] حتى يبلغوا الوقت الذي آخذهم فيه. ﴿ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ أي شديد. وكيده أخذه إياهم بالعذاب. وقد عذّب الله أوائل هذه الأمة أبا جهل وأصحابه بعذاب شديد.

قال تعالى: ﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ ﴾ يقول للنبي عليه السلام: أم تسأل المشركين على

(1) كذا في ق و ع، وفي ز، ورقة 370: «وذلك أن سجودهم في الدنيا لم يكن لله إنما كان رياء حتى لا يُقتلوا ولا تُسبى ذراريهم». وهذه العبارة أوفى وأوضح معنى.
(2) زيادة من ز، ورقة 370.

القرآن ﴿ أَجْراً فَهُمْ مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴾ أي: قد أثقلهم الغرم. وهذا استفهام. أي: إنك لست تسألهم أجراً على القرآن.

قال: ﴿ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ ﴾ أي: علم الغيب ﴿ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴾ أي: لأنفسهم الجنة.

إن كانت جنة ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ أي: الذي يحكم عليك، وكان هذا قبل أن يؤمر بقتالهم، ثم أمر بقتالهم. ﴿ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ ﴾ يعني يونس ﴿ إِذْ نَادَىٰ ﴾ [يعني في بطن الحوت] ﴿ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾ أي: مكروب. وقد مضى تفسير قصة يونس في غير هذا الموضع[1]. قال: ﴿لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ فتاب عليه ﴿لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ ﴾ أي بالأرض إلى يوم القيامة ﴿ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴾ أي: عند الله. وقال بعضهم: حين نبذ، أي: حين أخرج من بطن الحوت. كقوله: (فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ) [الصافات: 145]. قال: ﴿ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ ﴾ أي: فاصطفاه ربه وأنقذه مما كان فيه ﴿ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾.

قال عز وجل: ﴿ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ﴾ أي: لينفذونك ﴿ بِأَبْصَارِهِمْ ﴾ [لشدة نظرهم عداوة وبغضاً][2] ﴿ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ ﴾ أي القرآن، بُغضاً له ﴿ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴾ يعنون محمدا عليه السلام ﴿ وَمَا هُوَ ﴾ يعني القرآن ﴿ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ أي: يذكرون به الآخرة والجنة والنار.

---

(1) انظر ما سلف، ج 3 ص 459 - 462.

(2) سقط ما بين المعقوفين من ق و ع فأثبته من ز. وورد مكانه في ق و ع: «قتلا». ولئن صح هذا اللفظ فالمراد قتله بإصابته بالعين كما جاء في بعض التفاسير، منها معاني الفراء ج 3 ص 179. ولكن ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن، ص 482 يرد هذا المعنى فيقول: «ولم يرد الله ـ جل وعز ـ في هذا الموضع أنهم يصيبونك بأعينهم. كما يصيب العائن بعينه ما يستحسنه ويعجب منه. وإنما أراد أنهم ينظرون إليك، إذا قرأت القرآن نظراً شديداً بالعداوة والبغضاء، يكاد يزلقك أي: يسقطك كما قال الشاعر:

يَتَقَارَضُونَ إِذَا الْتَقَوْا فِي مَوْطِنٍ   نَظَراً يُزِيلُ مَوَاطِئَ الأَقْدَامِ».

تفسير سورة الحاقة، وهي مكية كلها.

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ الحَاقَّةُ مَا الحَاقَّةُ وَمَا أَدْرَيٰكَ مَا الحَاقَّةُ ﴾ أي: إنك لم تكن تدري ما الحاقة حتى أعلمتكها[1]. والحاقة اسم من أسماء القيامة أحقت لأقوام الجنة وأحقت لأقوام النار. قال بعضهم: كل شيء في القرآن: (وَمَا أَدْرَاكَ) فقد أدراه، أي: أعلمه إياه، وكل شيء (وَمَا يُدْرِيكَ) فهو لم يعلمه إياه بعدُ.

قوله عز وجل: ﴿ كَذَّبَت ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴾ أي: كذبوا بعذاب الدنيا وعذاب الآخرة، في تفسير الحسن. وتفسير الكلبي: القارعة اسم من أسماء جهنم.

﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴾ قال الحسن: أي: بطغيانهم، كقوله: ﴿ كَذَّبَت ثَمُودُ بِطَغْوَايٰهَا) [الشمس: 11] أي: بشركها. وقال الكلبي: الطاغية الصاعقة التي أهلكوا بها. وتفسير مجاهد: (بِالطَّاغِيَةِ) أي: بالذنوب.

قوله: ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ ﴾ أي: باردة شديدة البرد ﴿ عَاتِيَةٍ ﴾ أي: عتت على خزانها بأمر ربها، كانت تخرج من قبل بقدر، فعتت يومئذ على خزانها، مثل قوله: (إِنَّا لَمَا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَـٰكُمْ فِي الجَارِيَةِ) [الحاقة: 11] أي: طغى الماء على خزانه إنه كان يخرج بقدر فطغى يومئذ على خزانه. وقال الحسن: العاتية: الشديدة، وضمّ أصابعه وشدّها، وضمّ أصابعه وشدها. قال: وكذلك أيضا. وقال مجاهد: عاتية: شديدة. والريح التي أهلك بها عادا هي الدبور.

(1) في ق وع: «حتى علمناك»، وأثبت ما جاء في ز: أعلمتكها، فهو أدق تعبيرا.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور[1].

قال: ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَـٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً ﴾ اي: تباعا ليس بينها تفتير. وكان ذلك من يوم الأربعاء إلى الأربعاء [والليالي سبع من ليلة الخميس إلى ليلة الأربعاء][2]

﴿ فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ شبههم بالنخل التي قد انقعرت فوقعت. قوله: (خَاوِيَةٍ) أي: خاويةً أبدانهم من أرواحها مثل النخلة الخاوية. وتفسير الحسن أن النخل الخاوية هي البالية. وذكر بعضهم أن الريح تضرب أحدهم فتقلع رأسه بجميع أحشائه، فتلقيه خاوياً.

قال: ﴿ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُمْ مِن بَاقِيَةٍ ﴾ أي: من بقية. أي: إنك لا ترى أحدا باقيا، أي قد أهلكوا.

قوله عز وجل: ﴿ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ ﴾، وهي تقرأ على وجهين: (من قَبْلَه) و(من قِبَلَه) فمن قرأها (قَبْلَه) خفيفة، فهو يقول، ومن قَبْلَه من الأمم السالفة التي كذبت الرسل، ومن قرأها (قِبَلَه)، فهو يقول: ومن معه ﴿وَالْمُؤْتَفِكَـٰتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴾، وهي قريات قوم لوط الثلاث. وقال بعضهم: خمس مدائن خسف بها كلها، (وَالْمُؤْتَفِكَاتِ)، أي: جاءوا جميعا: فرعون ومن قبله، على مقرأ من قرأها خفيفة أي: والمؤتفكات جاءوا جميعاً بالخاطئة. ومن قرأها مثقلة فهو يقول: وجاء فرعون ومن قِبَلَه، ومن معه، والمؤتفكات، أي جاءوا جميعا بالخاطئة.

وتفسير مجاهد: جاءوا جميعا بالخاطئة، أي: بالشرك. وقال بعضهم: بالمعصية. ﴿ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ ﴾. أي: عصى كل قوم رسول ربهم الذي أرسل إليهم؛ كقوله عز وجل: (كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ) [المؤمنون: 44].

(1) انظر الإشارة إليه فيما سلف، ج 3 ص 356.

(2) زيادة من ز، ورقة 370. وقال الفراء في المعاني ج 3 ص 180: «و(الحسوم): التباع إذا تتابع الشيء فلم ينقطع أوله عن آخره، قيل فيه: حسوم...».

قال: ﴿ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴾ قال مجاهد: أخذة شديد[1].

قال عز وجل: ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ ﴾ أي: على خزانه بأمر ربه، وذلك يوم أغرق الله فيه قوم نوح ﴿ حَمَلْنَـٰكُمْ فِي الجَارِيَةِ ﴾ يعني نوحا ومن معه وأولاده الثلاثة الذين الناس من ذريتهم: سام وحام ويافث. والجارية السفينة.

قال عز وجل: ﴿ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً ﴾ أي: فتذكرون أن جميع من في الأرض غرقوا غير أهل السفينة. قال عز وجل: ﴿ وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾ أي: حافظة. يعني بذلك التذكرة. وهي أذن المؤمن سمع التذكرة فوعاها بقلبه.

قال عز وجل: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾، وقد فسّرنا الصور في غير هذا الموضع ﴿ نَفْخَةٌ وَّاحِدَةٌ ﴾ [بالرفع على ما لم يسمَّ فاعله][2]، وهي النفخة الآخرة ﴿ وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالجِبَالُ ﴾ أي تحمل من أصولها وتذهب ﴿ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَّاحِدَةً ﴾ ودكها ذهابها. أي: تدك الأرض والجبال فتصير الأرض مستوية.

قال عز وجل: ﴿ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذ وَاهِيَةٌ ﴾ كقوله عز وجل: (وَفُتِّحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً) [النبأ: 19] يعني سقفها. والواهية الضعيفة، ليست بالشديدة كما كانت.

قال عز وجل: ﴿ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا ﴾ يعني الملائكة، والملك يعني جماعة الملائكة (عَلَى أَرْجَائِهَا) أي على حافاتها، أي: على حافات السماء. وقال الحسن: على أبوابها. وقال مجاهد والكلبي؛ على أطرافها[3].

قال عز وجل: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ ﴾ أي: فوق الخلائق ﴿ يَوْمَئِذٍ

---

(1) وقال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 267: «(أَخْذَةً رَّابِيَةً) نامية زائدة شديدة من الرباء».

(2) زيادة من ز، ورقة 371، والقول لابن أبي زمنين.

(3) وقال أبو زيد الأنصاري في كتاب النوادر في اللغة ص 212: «والرجا [مقصور] ناحية البئر وناحية كل شيء. قال عز وجل: (والمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا). والرجا في معنى: الأرجاء».

ﺛَﻤَـٰنِيَةٌ ﴾ تفسير الحسن: ثمانية من الملائكة. وتفسير الكلبي: إنهم يومئذ ثمانية أجزاء [من تسعة أجزاء من الملائكة][1].

وقال بعضهم: ثمانية صفوف من الملائكة.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: أذن لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش رجلاه في الأرض السفلى وعلى قرنه العرش، وبين شحمة أذنه إلى عاتقه خفقان الطائر سبعمائة سنة يقول: سبحانك على حلمك بعد علمك[2]. قال بعضهم: بلغنا أن اسمه روفيل.

وقال بعضهم: (وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ) تحمله الملائكة على كواهلها، يقول أهل سماء الدنيا بمثلي من الأرض[3].

وذكر بعضهم أن الذين يحملون العرش ثمانية صفوف من الكروبيين لا يرى أطرافهم ولا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم، سبحانه.

قال عز وجل: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ أي: لا يخفى على الله من أعمالكم شيء.

قال عز وجل: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴾ فيعلم أنه من أهل الجنة ﴿ فَيَقُولُ هَآؤُمُ اقرءوا كِتَـٰبِيَهْ ﴾وذلك حين يأذن الله له فيقرأ كتابه. فإذا كان الرجل في الخبر رأسا يدعو إليه ويأمر به، ويكثر تبعه عليه، دعي باسمه واسم أبيه فيتقدم، حتى إذا دنا أخرج له كتاب أبيض بخط أبيض، في باطنه السيئات، وفي ظاهره الحسنات. فيبدأ بالسيئات فيقرأها، فيشفق ويتغير لونه. فإذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه: هذه سيئاتك قد غفرت لك فيفرح، ثم يقلب كتابه فيقرأ حسناته، فلا يزداد إلا فرحا، فيقال له: هذه

(1) زيادة من تفسير الطبري، ج 18 ص 267.
(2) انظر الإشارة إليه فيما سلف ج 1 ص 514.
(3) هكذا وردت العبارة في ق و ع: ... بمثلي من الأرض، ولم أدرك ما فيها من فساد أو نقص لتصحيحها. وانظر ما ورد في موضوع حملة العرش وما روي عنهم من أحاديث وأخبار في تفسير القرطبي، ج 18 ص 267.

حسناتك، وقد ضوعفت لك، ويبيضّ وجهه، ويؤتى بتاج، فيوضع على رأسه ويكسى حُلّتين، ويحلّى كل مفصل منه، ويطول ستين ذراعاً، وهي قامة أبينا آدم عليه السلام ويقال له: انطلق إلى أصحابك فبشّرهم وأخبرهم بأن لكل إنسان منهم مثل هذا. فإذا أدبر قال: (هَاؤُمُ) أي: هاكم (اقْرَأُوا كِتَابِيَه) ﴿ إِنِّي ظَنَنْتُ ﴾ أي: علمت ﴿ أَنِّي مُلَـٰقٍ حِسَابِيَه ﴾.

قال عز وجل: ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ أي: مرضية، قد رضيها ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ أي: في السماء. ﴿ قُطُوفُهَا ﴾ أي: ثمارها ﴿ دَانِيَةٌ ﴾ فيقول لأصحابه: هل تعرفونني، فيقولون: قد غيّرتك كرامة الله، من أنت، فيقول: أنا فلان بن فلان، ليستبشر كل رجل منكم بمثل هذا.

ذكروا عن البراء بن عازب قال: أدنيت منهم وذلّلت، يتناولون أيها شاءوا، قعودا أو مضطجعين وكيف شاءوا.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: والذي نفسي بيده إن أهل الجنة يتناولون من قطوفها وهم متكئون، فما تصل إلى في أحدهم حتى يبدل الله مكانها أخرى[1].

قوله عز وجل: ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ ﴾ أي: بما قدمتم على قدر أعمالكم ﴿ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ وهي أيام الدنيا: وهي في الآخرة أيام خلت.

ذكروا عن عبد الله بن أوفى أن رجلاً قال: يا رسول الله، كيف شهاء أهل الجنة قال: يأكلون ويشربون وإذا امتلأت بطونهم قيل لهم: هنيئاً لكم شهوتكم، فيرشحون عند ذلك مسكا لا يبولون ولا يتغوّطون ولا يمتخطون[2].

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَه يَـٰلَيْتَهَـا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴾. قال الحسن: يقولها في النار، يتمنى الموت. وهو مثل قولهم: (يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ) [الزخرف: 77]. قال بعضهم: يقول: يا ليتني مت قبل أن أحاسب، وقبل أن أوت كتابيه.

(1) انظر ما سلف في هذا الجزء ص122، وانظر كذلك ج 2ص 312.
(2) انظر ما سلف في هذا الجزء ص 223.

قال: وإذا كان الرجل في الشر رأسا يدعو إليه ويأمر به ويكثر عليه تبعه نودي باسمه واسم أبيه، فيتقدم إلى حسابه ويخرج له كتاب أسود بخط أسود، في باطنه الحسنات وفي ظاهره السيئات؛ فيبدأ بالحسنات فيقرأها فيفرح، ويظن أنه سينجو. فإذا بلغ آخر الكتاب وجد: هذه حسناتك، وقد ردت عليك، فيسود وجهه ويعلوه الحزن، ويقنط من كل خير. ثم يقلب كتابه فيقرأ سيئاته، فلا يزداد إلا حزنا، ولا يزداد وجهه إلا سواداً. فإذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه: هذه سيئاتك قد عظم بلاؤها؛ فيعظَّم للنار، وتزرقّ عيناه ويسودّ وجهه، ويكسى سرابيل القطران ويقال له: انطلق إلى أصحابك فأخبرهم أن لكل إنسان منهم مثل هذا. فينطلق وهو يقول: (يَالَيْتَنِي لَم أُوتَ كِتَابِيَه وَلَمْ ادْرِ مَا حِسَابِيَه يَا لَيْتَهَا كَانَتِ القَاضِيَةَ) ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَه هَّلَكَ عَنِّي سُلْطَـٰنِيَه ﴾. ذكروا عن عكرمة عن ابن عباس قال: هلكت عني حجتي.

قال عز وجل: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴾ أي: اجعلوه يصلى الجحيم[1] والجحيم النار، وهي اسم من أسماء جهنم.

قال تعالى: ﴿ثم فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً ﴾ والله أعلم بأي ذراع. وبلغنا أن الحلقة من تلك السلسلة لو وضعت على ذروة جبل لذاب.

قال تعالى: ﴿ فَاسْلُكُوهُ ﴾ فيُسلك فيها سَلكاً كما يسلك النظام في الخيط، تدخل من فيه ثم تخرج من دبره، فينادي أصحابه فيقول: هل تعرفونني؟ فيقولون لا، ولكن قد نرى ما بك من الخزي[2]، فمن أنت؟ فيقول أنا فلان بن فلان، وإن لكل إنسان منكم مثل هذا.

قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِـاللهِ الْعَظِيمِ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسكِينِ ﴾ قال: ﴿ فَلَيْسَ لَهُ اليَوْمَ هَا هُنَا حَمِيمٌ ﴾ تفسير الحسن أن الحميم: القرابة. وتفسير مجاهد: الحميم: الشفيق. أي: فليس له اليوم ها هنا حميم ينفعه.

---

(1) في ق و ع: «(صلوه) أي: اشووه» وأثبت ما جاء في ز ورقة 372.
(2) في ق و ع: «من الحزن»، وأثبت ما جاء في ز ورقة 372، وكلاهما صحيح.

قال تعالى: ﴿ وَلَا طَعَامٌ ﴾ أي: وليس له ها هنا طعام ﴿ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴾ أي: من غسالة أهل النار، أي: الدم والقيح. ﴿ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَـٰطِئُونَ ﴾ أي: المشركون والمنافقون.

قال تعالى: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴾ أي: أقسم بكل شيء ﴿ إِنَّهُ ﴾ يعني القرآن ﴿ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ [أي: كريم على الله][1]. تفسير الحسن، إنه رسول الله محمد ﷺ. وقال بعضهم: جبريل.

قال تعالى: ﴿ وَمَا هُوَ ﴾ يعني القرآن ﴿ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴾ أي: أقلكم من يؤمن. ﴿ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ أي: أقلكم من يتذكر، أي: يؤمن. قال تعالى: ﴿ تَنزِيلٌ ﴾ يعني القرآن ﴿ مِّن رَّبِّ الْعَـٰلَمِينَ ﴾.

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا ﴾ يعني محمد ﷺ ﴿ بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴾ أي: فزاد في الوحي أو نقص منه ﴿ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴾ أي: لقطعنا يده اليمنى[2] ﴿ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴾ أي: نياط القلب، وهو العرق الذي القلبُ معلَّقٌ به، وهو حبل الوريد. وقال مجاهد: حبل القلب الذي في الظهر فإذا انقطع مات الإنسان.

قال تعالى: ﴿ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ ﴾ يعني بذلك المؤمنين في تفسير الحسن. وإنما صارت حاجزين لأن المعنى على الجماعة.

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴾ أي: أن منكم من لا يؤمن. ﴿ وَإِنَّهُ ﴾ يعني القرآن ﴿ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ وهم الذين يقبلون التذكرة. ﴿ وَإِنَّهُ ﴾ يعني القرآن ﴿ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَـٰفِرِينَ ﴾ أي: يوم القيامة إذ لم يؤمنوا به في الدنيا ﴿ وَإِنَّهُ ﴾ يعني القرآن ﴿ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴾ أي: إنه من عند الله ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾[3].

(1) زيادة من ز، ورقة 372.

(2) هذا وجه من وجوه تأويل القطع باليمين نسب إلى الحسن. وجاء في ز: «(لأخذنا منه باليمين) أي: بالحق عقوبة». وقال الفراء في المعاني: «(لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ): بالقوة والقدرة».

(3) قال ابن أبي زمنين: «التسبيح معناه تنزيه الله من السوء وتبريته تبارك وتعالى».

تفسير سورة سَأَلَ سَائِلٌ، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ ﴾ العامة يقرأونها بالهمز ويقولون: هو من باب السؤال. وتفسير الحسن أن المشركين سألوا النبي عليه السلام: لمن هذا العذاب التي تذكر، يا محمد، أنه يكون في الآخرة. فقال الله تعالى: سأل سائل ﴿ بِعَذَابٍ ﴾ أي: عن عذاب ﴿ وَاقِعٍ لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴾.

وتفسير الكلبي: إنه النضر بن الحارث، أخو بني عبد الدار قال: (اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) [الأنفال: 32]. قال: فقتل يوم بدر، وله في الآخرة عذاب أليم.

وبلغنا عن عبد الرحمن(1) أنه كان يقرأها: (سَالَ سَائِلٌ) من باب السيلان. قال هو واد من نار يسيل بعذاب واقع للكافرين.

قال تعالى: ﴿ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ مِّنَ اللهِ ﴾ يدفعه ﴿ ذِي الْمَعَارِجِ ﴾ أي: ذي المراقي إلى السماء ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَـٰئِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال في حديث ليلة أسري به لما أتى بيت المقدس

---

(1) هي قراءة عبد الرحمن بن زيد كما ذكره القرطبي والطبري في تفسيرهما. وممن قرأ بغير همز نافع وابن عامر كما ذكره الداني في التيسير ص 214. ولهذه القراءة بغير همز وجهان. الوجه الأول هو أن سال لغة في سأل بتخفيف الهمزة وقلبها مداً، فهي بمعنى السؤال، والوجه الثاني أنها من السيلان وهو واد في جهنم كما ذكر.

على البراق: أتي بالمعراج فإذا هو أحسن خلق الله. ألم تر إلى الميت حيث سوى بصره، فإنما يتبع المعراج عجباً به. قال: فقعدنا فيه، فعرج بنا حتى انتهينا إلى باب الحفظة، فذكر ما رأى في تلك الليلة في السماء[1].

قال تعالى: ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾. ذلك يوم القيامة.

وقوله: (مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) أي: لو كلفتم القضاء فيه بين الخلائق لم تفرغوا فيه منه في مقدار خمسين ألف سنة، والله تعالى يفرغ منه في مقدار نصف يوم من أيام الدنيا. وهو قوله عز وجل: (وَهُوَ أَسْرَعُ الحَاسِبِينَ) [الأنعام: 62].

قوله: ﴿ فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً ﴾ يقوله للنبي عليه السلام. تفسير مجاهد: جميلاً ليس فيه جزع. وقال الحسن: على تكذيب المشركين لك، يقولون: إنك ساحر، وإنك شاعر. وإنك كاهن، وإنك كاذب وإنك مجنون.

قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً ﴾، يعني يوم القيامة، أي يقولون: إنه ليس بكائن، إنه ليس بجاء. ﴿وَنَرَاهُ قَرِيباً ﴾ أي: جائياً. وكل آت قريب.

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴾ أي: وذلك يوم تكون السماء كالمهل، أي: كعكر الزيت في تفسير بعضهم. ذكروا أن عبد الله بن مسعود أهديت له فضة فأمر فأذيبت حتى ازبدت وانماعت فقال لغلامه: ادع له نفراً من أهل الكوفة، فدخل عليه نفر من أهل الكوفة فقال: أترون هذا. ما رأينا شيئاً أشبه بالمهل من هذا.

قال الله: ﴿ وَتَكُون الجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴾ أي: كالصوف الأحمر المنفوش، وهو تفسير مجاهد. وقال في آية أخرى: (كَالْعِهْنِ المَنْفُوشِ) [القارعة: 5]، وهو أضعف الصوف، وهو في حرف عبد الله بن مسعود: كالصوف الأحمر المنفوش، وهو تفسير مجاهد أيضاً.

قال الحسن: فأول ما يغير الجبال عن حالها أن تصير رملاً كثيباً مهيلاً. ثم تصير

---

(1) انظر الإشارة إليه فيما سلف، ج 2 ص 398 في أحاديث الإسراء والمعراج.

كالعهن المنفوش، ثم تصير هباء منثوراً منبثاً، وهو حين تذهب من أصولها. وتفسير الهباء الذي يدخل البيت من الكوى من شعاع الشمس. وقال الحسن: غباراً ذاهباً.

قال تعالى: ﴿ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً ﴾ ذكروا عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: ثلاثة مواطن لا يسأل فيها أحد أحداً: إذا وضعت الموازين حتى يعلم أيثقل ميزانه أم يخف، وإذا تطايرت الكتب حتى يعلم أيأخذ كتابه بيمينه أم بشماله، وعند الصراط حتى يعلم أيجوز الصراط أم لا يجوز[1].

وتفسير الحسن: (وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً) أي: لا يسأل قريب قريبه أن يحمل عنه من ذنوبه شيئاً كما كان يحمل بعضهم عن بعض في الدنيا. كقوله عز وجل: (وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ) [فاطر: 18].

قال تعالى: ﴿ يُبَصَّرُونَهُمْ ﴾ أي: يبصّر الرجلُ قرابتَه وأهل بيته وعشيرته في بعض المواطن ولا يعرف بعضهم بعضاً. وتفسير الكلبي: يعرفونهم مرة واحدة. قال: ﴿ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ ﴾ أي: المشرك ﴿ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ ﴾ أي: وعشيرته ﴿ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴾ تفسير الحسن: (تُؤْوِيهِ) أي تنصره وتنقذه في الدنيا. قال تعالى: ﴿ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ﴾ أي يفتدي بهم ﴿ ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴾ ذلك من عذاب الله.

قال الله: ﴿ كَلَّا ﴾ أي: لا ينجيه ذلك من عذاب الله.

ثم قال: ﴿ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴾ وهي اسم من أسماء جهنم. وجهنم كلها لظى، أي: تلظى، أي: تأجج ﴿ نَزَّاعَةً ﴾ يعني أكالة ﴿ لِّلشَّوَىٰ ﴾. قال الحسن: نزاعة للهام. وقال مجاهد: نزّاعة لجلود الرأس[2]. وقال بعضهم: تأكل أطرافه ومكارم خِلقته[3].

---

(1) انظر الإشارة إليه فيما سلف ج 2 ص 196.

(2) في ق و ع: «لجلود الناس» والصحيح ما أثبته، والتصويب من تفسير الطبري، ج 19 ص 77.

(3) في ق و ع: «مصارم حلقه» وهو خطأ صوابه ما أثبته. والقول لقتادة؛ كما في تفسير الطبري، وقال أبو عبيدة ج 2 ص 269: «واحدتها شواة، وهي اليدان والرجلان والرأس من الآدميين». =

قال تعالى: ﴿ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ ﴾ [عن الإيمان] ﴿ وَتَوَلَّىٰ ﴾ [عن طاعة الله][(1)] ﴿ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴾ أي [وجمع المال][(1)] فأوعاه[(2)].

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً ﴾ أي: ضجوراً ﴿ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ ﴾ أي: الشدة ﴿ جَزُوعاً ﴾ أي: إذا أصابته الشدة لم يصبر فيها، ليست له فيها حسبة، يعني المشرك، ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ ﴾ أي: إذا أعطي المالَ ﴿ مَنُوعاً ﴾ أي: يمنع حق الله فيه. وذلك من المشرك والمنافق ضجر.

ثم استثنى المؤمنين من الناس فقال: ﴿ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴾ يعني المسلمين ﴿ الذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوٰتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾ أي: يديمون عليها في تفسير الحسن. وقال الحسن: يقومون على مواقيتها. وهو واحد. وقال بعضهم: (دَائِمُونَ) أي: لا يلتفتون.

قال: ﴿ والذِينَ فِي أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴾ تفسير الحسن: هي الزكاة المفروضة. ﴿ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾. تفسير الحسن: السائل: المسكين الذي يسأل عند الحاجة، ثم يكف عن المسألة حتى ينفد ما في يده. قال: والمحروم الفقير الذي لا يسأل على حال، فَحُرِمَ أن يعطى عن المسألة كما يعطى السائل، [وإذا أعطي شيئاً قبل][(2)].

ذكروا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إن المسكين ليس بالطوّاف الذي ترده التمرة والتمرتان والأكلة والأكلتان، ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه، ولا يسأل الناس إلحافاً[(3)].

= وقال الفراء في المعاني، ج 3 ص 185: «والشوى: اليدان والرجلان وجلدة الرأس، يقال لها شواة، وما كان غير مقتل فهو شوًى».

(1) زيادة من ز، ورقة 373. وقال الفراء في المعاني: «تقول للكافر: يا كافر إليّ؛ يا منافق إليّ، فتدعو كل واحد باسمه».

(2) زيادة من ز ورقة 363.

(3) حديث متفق على صحته، انظر تخريجه فيما سلف ج 1 ص 252.

ذكروا عن ابن عباس قال: المحروم المُحارَف الذي لا سهم له في الغنيمة.

ذكروا عن بعضهم قالوا: هم أصحاب صُفَّة مسجد النبي عليه السلام، وهم فقراء أصحاب رسول الله ﷺ الذين لا يستطيعون الغزو فجعل لهم يومئذ منها سهماً، ثم نزلت الآية التي في سورة براءة: (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُوَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) [التوبة: 60] فصارت عامة، وهذه السورة ـ فيما بلغنا ـ مكية، وهذه الآية مدنية، والله أعلم.

قال تعالى: ﴿ وَالذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾ أي: بيوم الحساب، أي: يوم يدين الله تعالى الناس بأعمالهم.

قال تعالى: ﴿ وَالذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾ أي: خائفون ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴾. ذكروا عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: قال الله: وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع عليه أمنين: لا يخافني في الدنيا إلا أمنته في الآخرة، ولا يأمنني في الدنيا إلا خوفته في الآخرة[1].

قال: ﴿ وَالذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ) أي: لا يلامون على الحلال.

قال تعالى: ﴿ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ ﴾ أي: وراء أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم ﴿ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ أي: فأولئك هم الزناة، تعدوا حلال الله إلى حرامه.

قال: ﴿ وَالذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ﴾ أي: فيما افترض الله عليهم، والأمانات فيما بينهم وبين الناس ﴿ وَعَهْدِهِمْ ﴾ أي: ما عاهدوا عليه الناس ﴿ رَاعُونَ ﴾ أي حافظون، يعني يؤدون الأمانات، يوفون بالعهد فيما بينهم وبين الناس فيما وافق الحق ﴿وَالذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ) وهي شهادات فيما بين الناس، يقومون بها إذا كانت عندهم.

---

(1) حديث حسن، أخرجه أبو نعيم في الحلية عن شداد بن أوس، وأخرجه عبد الله بن المبارك عن الحسن مرسلاً. وانظر الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم 742.

قال: ﴿ وَالذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ أي: على وضوئها ومواقيتها وركوعها وسجودها. قال تعالى: ﴿ أُولَئِكَ فِي جَنَّـٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ فَمَالِ الذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ عَنِ اليَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴾ قال الحسن: (مُهْطِعِينَ) أي: منطلقين يأخذون يميناً وشمالاً يقولون: ما يقول هذا الرجل؟ يقول: يتفرّقون عنه يميناً وشمالاً يكذّبون بما جاء به. و (العِزِينَ): الفِرق، في تفسير الحسن.

ذكروا عن جابر بن سمرة[1] قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فرآنا حلقاً حلقاً فقال: مالي أراكم عزين[2].

قال تعالى: ﴿ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِىءٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴾ لقول أحدهم: (وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيَ إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ) [فصلت: 50] أي: الجنة. إن كانت جنة كما تقولون.

قال الله عز وجل: ﴿ كَلَّا ﴾ أي: ليسوا من أهل الجنة ثم قال: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَـٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴾ أي: من النطفة.

قال تعالى: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ ﴾ (لا أقسم) وأقسم واحد، وهو قسم كله ﴿ بِرَبِّ الْمَشَـٰرِقِ وَالْمَغَـٰرِبِ ﴾ أقسم الله بنفسه. قال بعضهم: للشمس ثلاثمائة وستون مشرقاً وثلاثمائة وستون مغرباً. قال: ﴿ إِنَّا لَقَادِرُونَ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْراً مِّنْهُمْ ﴾ أي: على أن نهلكهم بالعذاب ونبدل خيراً منهم، أي: آدميين أطوع لله منهم، ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ أي: بمغلوبين على ذلك إن أردناه.

---

(1) في ق و ع: «رجاء بن سرمة». وهو خطأ صوابه ما أثبته: جابر بن سمرة، وهو الصحابي الجليل ابن أخت سعد بن أبي وقاص، وأمه خالدة بنت أبي وقاص. روى أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ. انظر ترجمته في كتب الرجال، كالاستيعاب، ج 1 ص 224.

(2) حديث صحيح، أخرجه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي. أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب الأمر بالسكون في الصلاة. . . (رقم 430) عن جابر بن سمرة بأطول مما ورد هنا. والعِزَة، وجمعها العِزُون: هي الجماعات المتميزة بعضها عن بعض.

قال تعالى: ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا ﴾ أي: في كفرهم ﴿ وَيَلْعَبُوا ﴾ فقد أقمت عليهم الحجة. ﴿ حَتَّىٰ يُلَـٰقُوا يَوْمَهُمُ الذِي يُوعَدُونَ ﴾ يعني يوم القيامة. ثم أمر بقتالهم.

وكل شيء في القرآن: (فَذَرْ)، و(أَعْرِضْ) منسوخ، نسخه القتال.

قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعاً ﴾ أي: من القبور سراعاً يخرجون من قبورهم سراعاً إلى المنادي صاحب الصور إلى بيت المقدس.

قال تعالى: ﴿ كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نَصْبٍ يُوفِضُونَ ﴾ قال الحسن: يوفضون: يبتدرون نصبهم، أي يستلمه أولاً؛ يعني الصنم، وهي تقرأ على وجهين: نَصب ونُصب، فمن قرأها (نُصُب) فهو يعني جماعة الجماعة من النَّصب، وهو أعـلام على وجه القراءتين[1].

قال تعالى: ﴿ خَـٰشِعَةً أَبْصَارُهُمْ ﴾ أي: ذليلة فهي لا تطرف. ﴿ تَرْهَقُهُمْ ﴾ [أي: تغشاهم][2] ﴿ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ في الدنيا، وهو يوم القيامة.

(1) والنُّصُب، بضمتين، واحد وجمع: حجر ينصب ويذبح عنده، وقيل: هو كل ما نصب فعبد من دون الله. انظر اللسان: نصب. وقال الفراء في المعاني ج 3 ص 186: «قرأ الأعمش وعاصم (إلى نَصب) إلى شيء منصوب يستبقون إليه. وقرأ زيد بن ثابت: (إلى نُصُب يوفضون) فكان النصب الآلهة التي كانت تعبد من دون الله، وكل صواب، وهو واحد، والجمع أنصاب».
(2) زيادة من ز، ورقة 373.

تفسير سورة نوح[1]، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله عز وجل: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي: موجع.

﴿ قَالَ يَـٰقَـوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ يَغْفِرْ لَكُم مِّنْ ذُنُوبِكُمْ ﴾ أي: يغفر لكم ذنوبكم ﴿ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ أي: إلى موتكم فيكون موتكم بغير عذاب. وإن لم تؤمنوا أخذكم العذاب في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَجَلَ اللهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ﴾ يعني يوم القيامة جعله الله أجلاً للعباد يبعثون فيه، إذا جاء لا يؤخر، وهو تفسير الحسن. وقال مجاهد: حضور الأجل؛ فإذا جاء الأجل لا يؤخر.

قال: ﴿ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ لعلمتم أن القيامة جائية.

فكذبوا نوحاً فـ ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِيَ إِلَّا فِرَاراً ﴾ أي عن الإيمان. ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ ﴾ أي: كلما دعوتهم أن يستغفروا من الشرك فيؤمنوا فتغفر لهم أبوا، و﴿ جَعَلُوا أَصَـٰبِعَهُمْ فِي ءَاذَانِهِمْ ﴾ أي: يتولّون ويكرهون ذلك بمنزلة من لا يسمع ﴿ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ ﴾ أي: غطوا رؤوسهم لكيلا يسمعوا دعائي إياهم إلى الإيمان ﴿ وَأَصَرُّوا ﴾ أي: أقاموا على الكفر ﴿ وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً ﴾ أي: عن عبادة الله.

(1) كذا في ق و ع. وفي ز: «سورة إنا أرسلنا نوحاً».

قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً﴾ أي مجاهرة ﴿ثُمَّ إِنِّيَ أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً﴾ [أي: خلطت دعاءهم في العلانية بدعاء السرّ][1] ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ أي: من شرككم وآمنوا به ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً﴾ أي: لمن تاب ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً﴾ أي: تدرّ عليكم بالمطر. ذكروا عن الأعمش عن رجل عن عبد الله بن مسعود قال: يحمل السحاب الماءَ ثم يرسل الله الريح فتمري السحاب كما تُمرَى اللقحة حتى تدرّ ثم تمطر.

قال تعالى: ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰراً﴾ [قيل إنهم قد أجدبوا فأعلمهم أن إيمانهم بالله يجمع لهم مع الحظ الوافر في الآخرة الخصب والغنى في الدنيا][2].

قال تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً﴾ أي: لا تخافون لله عظمة[3] وتفسير مجاهد: لا تبالون لله عظمة. ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً﴾ أي: نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظماً، ثم لحماً.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقاً﴾ أي: بعضها فوق بعض؛ وبين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام. وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً﴾ أي: لأهل الأرض[4].

ذكروا عن عبد الله بن عمر قال: الشمس والقمر وجوههما إلى السماء وأقفيتهما إلى الأرض يضيئان في السماء كما يضيئان في الأرض، ثم تلا هذه الآية: (أَلَمْ تَرَوْا

---

(1) زيادة من ز، ورقة 374.

(2) زيادة من ز، ورقة 374، والقول لابن أبي زمنين. وقال الفراء في المعاني ج 3 ص 188: «كانت السنون الشدائد قد ألحت عليهم، وذهبت بأموالهم لانقطاع المطر عنهم، وانقطع الولد من نسائهم، فقال: (وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ).

(3) كذا في ق و ع، و ز، وهي نفس الألفاظ التي أوردها الفراء في المعاني ج 3 ص 188: «أي لا تخافون لله عظمة».

(4) كذا في ق و ع، وفي ز ورقة 374، أي: «معهن ضياء لأهل الأرض في تفسير الكلبي».

كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ طِبَاقاً وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً. . .) الآية.

قال تعالى: ﴿ وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً ﴾ ذكروا عن يزيد بن حفص قال: قلت لعبد الله بن عمر: ما بال الشمس تصلانا أحياناً وتبرد أحياناً؟ قال: أما في الصيف فهي في السماء الخامسة، وأما في الشتاء فهي في السماء السابعة. قلت ما كنا نراه إلا في هذه السماء الدنيا. قال: لو كانت في السماء الدنيا لم يقم لها شيء. والذي في أيدينا أنها تُدنَى في الشتاء لأهل الأرض فينتفعون بها، وترفع في الصيف لكي لا يتأذوا بها.

ذكروا أن الشمس والقمر والنجوم ليس شيء منها لازقاً بالسماء، وأنها تجري في فلك دون السماء، وهو تفسير الحسن. وقال: مثل الطاحونة دون السماء. ولو كانت ملتزقة لم تجر.

قال تعالى: ﴿ اللهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً ﴾ أي: خلقكم من الأرض خلقاً. أي: خلق آدم من طين، ونسله من نطفة. ﴿ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا ﴾ كقوله تعالى: (مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نخرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ) [طَهَ: 55] قال تعالى: ﴿ وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً ﴾.

قال تعالى: ﴿ وَاللهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطاً ﴾ أي: بسطها لكم. وقوله: بساطاً، وفراشاً، ومهاداً، واحد. قال تعالى: ﴿ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجاً ﴾ أي: طرقاً وأعلاماً[1].

﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَاراً ﴾. وهي تقرأ على ثلاثة أوجه؛ فمن قرأها: ووَلَده، فهو عشيرته التي ولدته[2]. ووُلْده:

(1) كذا في ق وع، وفي ز: «طرقاً بينة». والقول لقتادة. وقال الفراء في المعاني: «هي الطرق الواسعة».

(2) جاء في اللسان: «والولد أيضاً الرهط. . . ويقال تفسير قوله تعالى: (مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَاراً) أي: رهطه».

أولاده[1]. وقوله: (اتَّبَعُوا) أي: اتبع بعضهم بعضاً على الشرك والتكذيب. وقوله: (إلاَّ خَسَاراً) أي: عند الله باتباعهم إياه.

قال عز وجل: ﴿ وَمَكَرُوا مَكْراً كُبَّاراً ﴾ أي: عظيماً، وهو الشرك ﴿ وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وُدّاً وَلاَ سُوَاعاً وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً﴾. وهي أسماء آلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله. أي: لا تدعوا عبادتها في تفسير الحسن.

ذكروا أن هذه الأصنام كانت في بلاد العرب، ووصف كل صنم منها أين كان موضعه. قال بعضهم: حفظت منها موضعين ونسيت اسم موضع الصنمين. قال: كان صنم كذا وكذا برهاه ببلخع[2].

ذكروا عن جابر بن عبد الله أنها أصنام كانت للعرب وأحسبه سمى بعضها. فمن قال: إنها كانت في أرض العرب فإنه يقطعها في هذا الموضع من قصة نوح عليه السلام ويجعل الكلام مستأنفاً. ثم رجع إلى قصة نوح حيث يقول: (وَلاَ تَزِدِ الظَّالِمِينَ إلاَّ ضَلاَلاً).

قوله عز وجل: ﴿ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً ﴾ تفسير الحسن: إنه يعني الأصنام أضلت كثيراً من الناس بعبادتهم إياها من غير أن تكون الأصنام دعت إلى عبادتها.

قال عز وجل: ﴿ وَلاَ تَزِدِ الظَّـٰلِمِينَ إلاَّ ضَلَـٰلاً ﴾ هذا دعاء نوح عليه السلام على قومه حين أذن الله بالدعاء عليهم: مثل قوله عز وجل: (أَنَّهُ لَن يُومِنَ مِنْ قَوْمِكَ إلاَّ مَنْ قَدَ ءَامَنَ) [هود: 36].

---

(1) لم يذكر المؤلف القراءة الثالثة، وهي التي بكسر الواو وإسكان اللام: «وِلْده» بمعنى وُلْده، وهذه قراءة الحسن وأبي العالية وابن يعمر والجحدري كما ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ج 8 ص 373. وفيه: «المعنى أن الأتباع والفقراء اتبعوا رأي الرؤساء والكبراء».

(2) هكذا وردت هذه الكلمة غير واضحة في ق و ع ولم أتمكن من تبيانها. وقد ذكر الطبري في تفسيره ج 29 ص 99 أسماء هذه الأسماء ومواضيعها وأمكنتها والقبائل التي تعبدها. واقرأ أخباراً عنها وعن أماكنها مفصلة في كتاب الأصنام لابن الكلبي بتحقيق الأستاذ أحمد زكي، ص 59 فما بعدها.

قال عز وجل: ﴿ مِمَّا خَطِيئَـٰتِهِمْ ﴾ أي: بشركهم[1] ﴿ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً ﴾ أي: فوجب لهم النار ﴿ فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّنْ دُونِ اللهِ أَنْصَاراً ﴾ يمنعونهم من عذاب الله.

﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَـٰفِرِينَ دَيَّاراً ﴾ أي: أحداً[2]. وهذا حين أذن الله له بالدعاء عليهم. ﴿ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً ﴾ أي: إن هم ولدوا وليداً فأدرك كفر. وهو شيء علمه نوح من قِبَل الله وهو قوله: (وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ).

قال نوح: ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِـدَيَّ ﴾. قال الحسن: كانا مؤمنين ﴿ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً ﴾ قال بعضهم: (مَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ) يعني مسجدي (مُؤْمِناً) ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَـٰتِ وَلَا تَزِدِ الظَّـٰلِمِينَ إِلَّا تَبَاراً ﴾ أي: إلا هلاكاً. وذلك حين أمر بالدعاء عليهم فاستجاب الله له فأغرقهم.

---

(1) كذا في ق و ع: «بشركهم»، وفي ز: «أي: بخطاياهم».

(2) قال الفراء في المعاني، ج 3 ص 190: «هو من درت، ولكنه فيعال من الدوران، كما قرأ عمر بن الخطاب: (الله لا إله إلا هو الحي القيام) [البقرة: 255 وهو من قمتُ». وقال بعضهم: (دياراً) أي من يسكن الدار. يقال: ما بالدار ديار. أي: أحد. وقيل: الديار: صاحب الدار. وانظر تفسير القرطبي ج 18 ص 313، واللسان: (دور).

تفسير سورة الجِنّ، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الجِنِّ ﴾ هؤلاء من جنّ نصيبين، من الذين قال الله عزّ وجل عنهم للنبي عليه السلام: (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ) [الأحقاف: 29].

﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءاناً عَجَباً يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ أي: إلى الهدى ﴿فَئامَنَّا بِهِ﴾ أي: فصدّقناه. ﴿ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً ﴾ أي: آمنوا به، وكانوا قبل ذلك ـ فيما بلغنا ـ على اليهودية. وقد قالوا في سورة الأحقاف: (إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنْزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ) [الأحقاف: 30]. قال الكلبي: كانوا سبعة.

قال عز وجل: ﴿ وَأَنَّهُ تَعَـٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا ﴾ أي: عظمته وكبرياؤه[1] ﴿ مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلاَ وَلَداً ﴾.

قال: ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا ﴾ أي: سفيه الجن، وهو المشرك[2] ﴿ عَلَى اللهِ شَطَطاً ﴾ أي: جوراً وكذباً؛ أي: شركة[3]. ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ تَقُولَ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى اللهِ كَذِباً ﴾.

---

(1) كذا في ز، وهو الأصح، وفي ق و ع: «ذكر ربنا». وقال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 272: «علا ملك ربنا وسلطانه». وفي رواية للفراء وللطبري عن مجاهد قال: «جلال ربنا». ورجح الطبري من هذه الأقوال قول من قال: «تعالت عظمة ربنا وقدرته وسلطانه».

(2) كذا في ق و ع، وفي ز، وفي بعض التفاسير: «هو إبليس» كما ذهب إليه قتادة ومجاهد.

(3) كذا في ق و ع: «شركة» ولا أرى لها وجهاً إلا أن تكون بمعنى الشرك.

قال: ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الجِنِّ ﴾ هذا قول الله عز وجل في تفسير الحسن. قال: يقلبون عليهم وسوستهم في الضلال[1] ﴿ فَزَادُوهُمْ ﴾ بإقبالهم[2] عليهم ﴿ رَهَقاً ﴾ أي: ضلالاً إلى ضلالهم.

وتفسير الكلبي أن رجالاً من الإنس كان أحدهم في الجاهلية إذا كان مسافراً، فإذا أمسى في الأرض القفر الموحشة نادى: أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه، فيمسي[3] في جواره وفي منعته حتى يصبح، (فَزَادُوهُمْ رَهَقاً)، أي إن الإنس زادت الجن لتعوّذهم بهم، رهقاً، أي: إثماً. قال مجاهد: فهم الجن الكفار.

﴿ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا ﴾ يعني المشركين من الجن ﴿ كَمَا ظَنَنْتُمْ ﴾ يعني المشركين من الإنس ﴿ أن لَّن يَّبْعَثَ اللهُ أَحَداً ﴾ أي: يجحدون البعث.

قوله: ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَّشُهُباً ﴾ هذا قول الجن، يعنون من كان يفعل ذلك منهم، وهم المردة من الجن. ﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا ﴾ أي: من السماء ﴿ مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَّسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَّصَداً ﴾ [أي: حفظة تمنع من الاستماع][4] وقوله: (لِلسَّمْعِ) أي للاستماع من الملائكة خبراً من أخبار السماء؛ فأما الوحي فلم يكونوا يقدرون على أن يستمعوه.

ذكروا عن أبي رجاء العطاردي قال: كنا قبل أن يبعث النبي عليه السلام ما نرى نجماً يرمىٰ به. فبينما نحن ذات ليلة إذا النجوم قد رمي بها. فقلنا ما هذا؟ إن هذا إلا أمر حدث. فجاءنا أن النبي عليه السلام قد بعث[5]. فأنزل الله تعالى هذه الآية في

---

(1) كذا في ق و ع: «يقلبون عليهم وسوستهم في الضلال» ولم ترد العبارة في ز، ولم أر لها وجهاً أطمئن إليه، وهي غير واردة في ز ولا في تفسير الطبري وغيرهما.

(2) في ق و ع: «بقبولهم» والصواب ما أثبته.

(3) كذا في ق و ع، وفي ز: «فيبيت» وهو أنسب.

(4) زيادة من ز، ورقة 375، وفيها: «قال محمد: الشهاب الرصد: الذي قد أرصد به للرجم».

(5) من عادة ابن سلام أن يكرر بعض الأخبار لأدنى مناسبة، وقد روى هذا الخبر عن أبي رجاء العطاردي عدة مرات في تفسيره آخرها في هذا الجزء ص 387.

سورة الجن: (وَإِنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَّصَداً).

قوله: ﴿ وَأَنَّا لاَ نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً ﴾ أي أراد الله بأهل الأرض أن يهلكهم، أو أراد بهم رشداً، أي: أم أحدث لهم منه نعمة وكرامة.

وقال بعضهم: قالوا لا ندري أراد بهم أن يطيعوا هذا الرسول فيرشدهم، أم يعصوه فيهلكهم.

﴿ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ ﴾ [أي المؤمنون][1] ﴿ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ [يعنون المشركين][1] ﴿ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً ﴾ أي: مختلفون: مؤمن ومشرك. وفي الجن مؤمنون ويهود ونصارى ومجوس وعبدة الأوثان وصابون.

﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّا ﴾ أي: علمنا ﴿ أَن لَّن نُّعْجِزَ اللهَ فِي الأَرْضِ ﴾ أي أن لن نسبق الله في الأرض ﴿ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَباً ﴾ أي: في الأرض حتى لا يقدر علينا فيبعثنا يوم القيامة.

﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ ﴾ أي: القرآن ﴿ءَامَنَّا بِهِ ﴾ أي: صدقناه ﴿ فَمَن يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلاَ يَخَافُ بَخْساً ﴾ أي: أن ينقص من عمله شيء ﴿ وَلاَ رَهَقاً ﴾ ولا يخاف أن يزاد عليه ما لم يعمل. وهي مثل قوله: (فَلاَ يَخَافُ ظُلْماً) أي لا يخاف أن يزاد عليه في سيئاته (وَلاَ هَضْماً) أي: ولا ينقص من حسناته [طه: 112].

﴿ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ﴾ أي: الجائرون، وهم المشركون. ﴿ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوا رَشَداً ﴾ [أي: أصابوا رشداً][2]. ﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ[3] فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً ﴾.

(1) زيادة من ز، ورقة 375.

(2) زيادة من ز. وقال الفراء في المعاني: «(تَحَرَّوْا رَشَداً) يقول: أَمُّوا الهدى واتبعوه».

(3) يقال: قسط فهو قاسط إذا جار، وأقسط فهو مقسط إذا عدل.

قال الله تعالى: ﴿ وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ ﴾ يعني المشركين، لو استقاموا على الإيمان ﴿ لأَسْقَيْنَـٰهُم مَّاءً غَدَقاً ﴾ أي: ماء رَواء[1]. والماء عيش الناس؛ به تنبت زروعهم وتعيش مواشيهم. وهو مثل قول هود لقومه: (يَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ) أي: من شركَكم (يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً) [هود: 52] وكقوله: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ) [الأعراف: 96]، وكقول نوح لقومه: (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ. . .) إلى آخر الآية. [نوح: 10-12].

قال عز وجل: ﴿ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ أي: لنختبرهم فيه فنعلم كيف شكرهم[2].

قال تعالى: ﴿ وَمَن يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ ﴾ أي: لا يؤمن ﴿ نَسْلُكْهُ ﴾ أي: ندخله ﴿ عَذَاباً صَعَداً ﴾ أي: لا راحة فيه. وتفسير مجاهد: مشقة من العذاب. [قال ابن عباس: جبلاً في جهنم][3]. ذكروا عن كعب قال: هو قوله عز وجل: (سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً) وتفسيره في المدثر. [17][4].

قوله عز وجل: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَداً ﴾ قال الحسن: ما

---

(1) كذا في ق و ع: «ماء رَوَاء» وهو صحيح فصيح، وهو الماء الكثير العذب. قال الجوهري في الصحاح: ماء رواء، بالفتح ممدود، أي عذب. . . وإذا كسرت الراء قصرته وكتبته بالياء وقلت: ماء روًى. ويقال هو الذي فيه للواردة رِيٌّ. وانظر اللسان: (روى). وجاء في ز ورقة 375: (لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غدَقاً) أي: لأوسعنا لهم من الرزق.

(2) كذا في ق و ع وفي ز. وقال الفراء في المعاني ج 3 ص 193: «(وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ) على طريقة الكفر (لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقاً) يكون زيادة في أموالهم ومواشيهم. . . يقول: نفعل ذلك بهم ليكون عليهم فتنة في الدنيا وزيادة من عذاب الآخرة». ويبدو لي أن ما ذهب إليه المؤلف هنا في تأويل الآية هو أحق وأولى بالصواب. وهو ما رجحه الطبري في تفسيره ج 29 ص 114.

(3) زيادة من تفسير الطبري ومن الدر المنثور للسيوطي.

(4) وقع في ق و ع اضطراب في نسبة هذه الأقوال إلى أصحابها فأثبت من تفسير الطبري والدر المنثور ما هو الصواب الصحيح إن شاء الله.

من قوم غير المسلمين يقومون في مساجدهم إلا وهم يشركون بالله فيها، فأخلصوا لله فيها.

﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ ﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿ يَدْعُوهُ ﴾ أي: يدعو الله ﴿ كَادُوا ﴾ أي كاد المشركون ﴿ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً ﴾ أي: تظاهروا عليه حتى كادوا يقتلونه، في تفسير الحسن. وقال الكلبي: حتى كاد يركب بعضهم بعضاً، أي: من الحرد عليه[1].

قال عز وجل: ﴿ قَالَ ﴾: [أي: قال النبي عليه السلام][2]: ﴿إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَداً ﴾.

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً ﴾ أي أن أدخلكم في الكفر ﴿ وَلَا رَشَداً ﴾ أي: أن أكرهكم على الإيمان.

﴿ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي ﴾ أي: لن يمنعني ﴿ مِنَ اللهِ أَحَدٌ ﴾ أي: إن عصيته عذبني. كقوله عز وجل: (إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) [الأنعام: 15] ﴿ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحداً ﴾ أي: ملجأ ألجأ إليه، أي: يمنعني من عذاب الله، في تفسير الحسن وغيره.

وقال بعضهم: (وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحداً) ﴿ إِلَّا بَلَٰغاً مِّنَ اللهِ وَرِسَٰلَٰتِهِ ﴾ أي: إلا أن أبلغ عن الله الرسالة فإن ذلك يمنعني.

﴿ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَداً حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ ﴾ أي: عذاب جهنم، يعني المشركين ﴿ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِراً ﴾ أي: إنكم أيها المشركون أضعف ناصراً من محمد عليه السلام وأصحابه، أي: إنه لا ناصر لكم ﴿ وَأَقَلُّ عَدَداً ﴾ [أي سيفرد كل إنسان بعمله][3].

(1) أي: من شدة الإقبال عليه وقصده.

(2) زيادة للإيضاح.

(3) زيادة من ز، ورقة 376.

﴿ قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴾ أيها المشركون من مجيء الساعة. ﴿ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّيَ أَمَداً ﴾. وقال في آية أخرى (وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ) [الأنبياء: 109].

﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ ﴾ والغيب هاهنا في تفسير الحسن: القيامة وخبر ما مضى وقال بعضهم: هو قوله تعالى: (إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) [لقمان: 34]. وقال بعضهم: الغيب هنا هو الوحي.

قال: ﴿ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَداً إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ فإنه يظهره على ما أراده من الغيب.

قال عز وجل: ﴿ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ ﴾ أي يدي ذلك الرسول ﴿ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً ﴾ أي: من الملائكة يحفظونه حتى يبلغ عن الله رسالته.

﴿ لِّيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاَتِ رَبِّهِمْ ﴾ أي: ليعلم ذلك الرسول أن الرسل قبله قد بلّغوا رسالات[1] ربهم ﴿ وَأَحَاطَ ﴾ أي: أحاط الله ﴿ بِمَا لَدَيْهِمْ ﴾ أي: بما عندهم مما أرسلوا به، أي فلا يوصل إليهم حتى يُبلِّغوا عن الله الرسالة. ﴿ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ من خلقه ﴿ عَدَداً ﴾.

---

(1) قال الفراء في المعاني ج 3 ص 196: «(لِيَعْلَمَ) يعني محمداً ﷺ، (أَن قَد أَبْلَغُوا رِسَالاَتِ رَبِّهِمْ) يعني جبريل ﷺ. وقال بعضهم: هو محمد ﷺ، أي يعلم محمد أنه قد أبلغ رسالة ربه. وقد قرأ بعضهم: (لِيُعْلَمَ أَنْ قَدَ ابْلَغُوا) يريد: لتعلم الجن والإنس أن الرسل قد أبلغت، لا هم، بما رجوا من استراق السمع».

تفسير سورة المزّمّل، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله عز وجل: ﴿ يَـٰأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴾ وهو المتزمل بثيابه، يعني النبي عليه السلام ﴿ قُمِ الَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً نِّصْفَهُ أَوُ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً أَوْ زِدْ عَلَيْهِ ﴾.

ذكروا عن الحسن أن رجلاً خرج ليلة يريد المسجد، فسمع قراءة رسول الله ﷺ، فدنا من الباب. فسمع رسولُ الله ﷺ حسحسةً فقال: من هذا؟ فقال: أنا فلان بن فلان، سمعت قراءة رسول الله ﷺ فأحببت أن أصلي بصلاته. فقال له: ادخل. فصلّى بصلاته معه. فلما أصبح ذكر ذلك لخاصة من أصحابه. فترصّدوا تلك الساعة، فدنوا من باب رسول الله ﷺ، فسمع حسيستهم فقال: من هذا؟ فقالوا: فلان بن فلان وفلان بن فلان، أحببنا أن نصلي بصلاة رسول الله ﷺ، فقال: ادخلوا. فدخلوا حتى امتلأت الحجرة. وقَفَوا[1] رسولَ الله ﷺ في الصلاة، فسقط القوم نعاساً. فقال لهم رسول الله ﷺ: ارجعوا إلى حالكم فليصل الرجل بقدر ما يستطيع، فإنكم لا تطيقون ما يطيق رسول الله ﷺ. إن أعلمَكم بأمر الله رسولُ الله، وأقواكم في أمر الله رسولُ الله، فإنكم قد تعرّضتم لأمر إن أخذتم به لن تقوموا به[2].

---

(1) أي: اتبعوه.

(2) لم أجد مثل هذا التفصيل لسبب نزول أوائل هذه السورة فيما بين يدي من كتب التفسير والحديث إلا عند ابن سلام. وليت لي تفسير ابن سلام كاملاً حتى نطلع على سند الحديث. وقد أوردت المصادر ما روته عائشة وابن عباس عن قيام رسول الله ﷺ الليل. انظر تفسير =

فأنزل الله عز وجل تصديق نبيه: (يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً) فقام القوم اثني عشر شهراً حتى انتفخت أقدامهم. ثم أنزل الله رخصة: (عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ) [المزمل: 20].

قول عز وجل: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً﴾ أي: بيّنه تبياناً. وتفسير مجاهد: ترسّل فيه ترسُّلاً، وهو واحد.

ذكروا عن محمد بن عبد الرحمن قال: كان رسول الله ﷺ إذا قرأ يُرتِّل ويفسّر(1).

ذكروا عن صالح مولى التوأمة قال: كان ابن عباس يقرأ الآية ثم يسكت كقدر ما أعلمتك، ثم يقرأ الآية الأخرى. وكان جاراً لي؛ فقلت: لم كان يفعل هذا؟ قال: من أجل تأويل القرآن.

ذكروا عن أبي حمزة قال: قلت لابن عباس: إنني رجل خفيف القراءة أهذرم القراءة. فقال: لأن أقرأ سورة البقرة وأرتل وأرسل فيها وأتدبرها أحبُّ إلي من أقرأ القرآن أجمع هذرمة(2).

= الطبري ج 29 ص 125-126، والسيوطي الدر المنثور ج 6 ص 276-277، والمنذري، الترغيب والترهيب ج 1 ص 422-423.

(1) روى البخاري عن قتادة قال: سألت أنساً عن قراءة رسول الله ﷺ فقال: كان يمد مداً، إذا قرأ (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ) يمد بسم الله، ويمد بالرحمٰن ويمد بالرحيم. وروى الترمذي عن أم سلمة قالت: كان رسول الله ﷺ يقطع قراءته يقول: (الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) ثم يقف، (الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ) ثم يقف. وانظر في ذيل تفسير ابن كثير، فضائل القرآن. الترتيل في القراءة، تفسير ابن كثير، ج 7 ص 498.

(2) الهذرمة في الكلام أو في القراءة السرعة فيهما، وقيل: هو التخليط أيضاً. انظر الزمخشري، الفائق في غريب الحديث، وانظر اللسان: (هذرم).

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ﴾. قال بعضهم: فرائضه وحدوده والعمل به(1).

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ الَّيْـلِ ﴾ أي: قيام الليل. ذكر بعضهم قال: ما كان بعد العشاء فهو من ناشئة الليل.

وذكر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: ناشئة الليل قيامه، وهي بلغة الحبش. فإذا قام الرجل قالوا: قد نشأ فلان. وفي تفسير مجاهد: أيّ ساعة تهجد فيها متهجد من الليل فهي ناشئة(2).

قوله عز وجل: ﴿ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً﴾. وهي تقرأ على وجهين: (وطأ) مفتوحة الواو مقصورة، و (وِطَاءً) مكسورة الواو ممدودة، فمن قرأها: (وَطْأً) بفتح الواو فتفسيرها عند بعضهم: أثبت في الخير. ومن قرأها بكسر الواو والمد فتفسيرها عند ابن عباس: أشد مواطأة للقلب لفراغه، لأن الأصوات تهدأ في الليل(3). وتفسير مجاهد: أشدُّ مواطأة للقرآن [أي أشدُّ موافقة لسمعه وبصره وقلبه](4).

قوله عز وجل: ﴿ وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴾. قال الحسن: أصدق في التلاوة وأجدر أن لا يلبس عليك الشيطان تلاوتك.

---

(1) كذا في ق و ع و ز، وهو قول لقتادة. وقال الفراء في المعاني ج 3 ص 197: «أي: ليس بالخفيف ولا السفساف لأنه كلام ربنا تبارك وتعالى».

(2) قال الزمخشري في الكشاف ج 4 ص 638: «(نَاشِئَةَ اللَّيْلِ) النفس الناشئة بالليل التي تنشأ من مضجعها إلى العبادة أي: تنهض وترتفع، من نشأت السحابة إذا ارتفعت، ونشأ من مكانه ونشز إذا نهض... وقيام الليل، على أن الناشئة مصدر من نشأ إذا قام ونهض، على فاعلة: كالعاقبة... وقيل: هي ساعات الليل كلها، لأنها تحدث واحدة بعد أخرى. وقيل: الساعات الأولى منه».

(3) جاءت العبارات في اختلاف قراءة (وطأ) مضطربة ناقصة في ق و ع، فأثبت صحتها من ز ومن تفسيري الطبري ومجاهد.

(4) زيادة من تفسير مجاهد، ص 700.

قال عز وجل: ﴿ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلاً ﴾ أي: فراغاً طويلاً لحوائجك.

قال عز وجل: ﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ﴾ أي: تضرّع إليه تضرّعاً، في تفسير الحسن. وقال الكلبي: أخلص إليه إخلاصاً.

ذكروا عن الحسن أن رجلاً من السلف كان يصلي من الليل فيتلو الآية، فإذا فرغ منها أعادها، يعيدها ويتدبّرها. قال: فهو قوله عزّ وجل: (وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً) قال: (وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً).

قوله عز وجل: ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾ أي: مشرق الشمس ومغربها ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً ﴾ أي: وليّاً.

قوله عز وجل: ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ أي: على ما يقول لك المشركون إنك كاذب وإنك شاعر، وإنك كاهن وإنك مجنون. ﴿ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً ﴾ أي: ليس فيه جزع، وهي منسوخة نسختها القتال.

قال عزّ وجلّ: ﴿ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ ﴾ أي: في الدنيا، أي: فساء عذابهم يوم القيامة. وهذا وعيد هوله شديد. بلغنا أنها نزلت في بني المغيرة، وكانوا ناعمين ذوي غنى. قال عز وجل: ﴿ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً ﴾ أي إن بقاءهم في الدنيا قليل، ثم يصيرون إلى النار.

﴿ إِنَّ لَدَيْنَا ﴾ أي: عندنا، وهذا وعيد ﴿ أَنْكَالاً ﴾ ذكروا عن الحسن قال: الأنكال: القيود. قال عزّ وجل: ﴿ وَجَحِيماً ﴾ الجحيم: النار ﴿ ذَا غُصَّةٍ ﴾ أي: يأخذ بالحلاقيم، في تفسير الحسن ومجاهد. وقال الحسن: يأكلون النار، ويشربون النار، ويلبسون النار. قال عز وجل: ﴿ وَعَذَاباً أَلِيماً ﴾ أي: موجعاً.

قال عزّ وجل: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ ﴾ أي: تتزلزل ﴿ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ ﴾ [أي: وصارت الجبال][1] ﴿ كَثِيباً مَهِيلاً ﴾ أي رملاً سائلاً. ذكروا عن

(1) زيادة من ز، ورقة 376.

الحسن قال: تطحن الجبال بعضها إلى بعض فتصير غباراً ذاهباً.

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً ﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿ شَاهِداً عَلَيْكُمْ ﴾ أي: يوم القيامة أنه بلغكم ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً ﴾ يعني موسى عليه السلام ﴿ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً ﴾ أي: عظيماً، والوبيل الشديد. وقال مجاهد: وبيلاً شديداً.

قال عز وجل: ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الوِلْدٰنَ شِيباً ﴾ أي: فكيف تتّقون ذلك اليوم الذي يجعل الولدان شيباً، أي: إن كفرتم لم تتقوا[1].

﴿ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ ﴾ أي: منشق به[2]. قال عز وجل: ﴿ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً ﴾ أي إن السماء سوف تنشق ذلك اليوم وتسير الجبال.

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ هٰذِهِ تَذْكِرَةٌ ﴾ أي إن هذه السورة تذكرة ﴿ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً ﴾ أي: بتقواه وطاعته. وقال تعالى في آية أخرى: ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ وَمَا تَذْكُرُونَ إِلاَّ أَن يَّشَاءَ اللهُ﴾ [المدثر: 54-56].

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ﴾ أي: أقل ﴿مِنْ ثُلُثَيِ الَّيْلِ وَنِصْفَهِ وَثُلُثَهِ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الذِينَ مَعَكَ واللهُ يُقَدِّرُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَّنْ تُحْصُوهُ[3] فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْءانِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَّرْضَىٰ وَءاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ وَءَاخَرُونَ يُقَـٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءاتُوا الزَّكَوٰةَ﴾.

(1) جاءت العبارة مضطربة في ق و ع فأثبت التصحيح من ز.

(2) في ق و ع: «مثقل به» وهو تصحيف، وفي ز: «منشق فيه». وقال الفراء في المعاني ج 3 ص 199 «(السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ) بذلك اليوم. والسماء تذكر وتؤنث، فهي هاهنا على وجه التذكير قال الشاعر:

فلو رفع السماءُ إليه قوماً ... لحقنا بالنجوم مع السحاب».

(3) جاء في معاني الفراء ج 3 ص 200 ما يلي: «(عَلِمَ أن لَّنْ تُحْصُوهُ) أن لن تحفظوا مواقيت الليل. (فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ) المائة فما زاد. وقد ذكروا أنه من قرأ عشر آيات لم يكتب من الغافلين، وكل شيء أحياه المصلّي من الليل فهو ناشئة».

ذكر بعضهم قال: كان الله قد افترض قيام الليل في أول هذه السورة بقوله: (يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً نِّصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً أَوْ زِدْ عَلَيْهِ). فقام رسول الله ﷺ وأصحابه حولاً حتى انتفخت أقدامهم. فأمسك الله خاتمتها في السماء اثني عشر شهراً، ثم أنزل الله: (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفِهِ وَثُلُثِهِ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الذِينَ مَعَكَ...)إلى قوله: (فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَآتُوا الزَّكَوٰةَ) فريضتان واجبتان لا رخصة لأحد فيهما، فصار قيام الليل تطوّعاً بعد إذ كان فريضة.

ذكروا عن بعضهم أنه كان يقول: لا بد من قيام الليل ولو قدر حَلْب شاة.

ذكر بعضهم قال: قال رسول الله ﷺ: أَصِب من الليل ولو ركعتين ولو أربعاً[1].

وبلغنا عن الحسن أنه قال: إن رسول الله ﷺ لم يقم أقل من ثلثي الليل. وقال بعضهم: إن قيام الليل على النبي عليه السلام فريضة وللناس تطوع.

وكان الحسن يقرأها بالجر: (أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفِهِ وثلثِه وَطَائِفَةٌ مِّنَ الذِينَ مَعَكَ). ولم يقم النبي عليه السلام أقل من ثلثي الليل، وما كان من بعض فهو من غيره. وبعضهم يقرأها بالنصب؛ أي: قام ثلثه.

قال تعالى: ﴿ وَأَقْرِضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً ﴾ تفسير الحسن: إن هذا في التطوّع. ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْراً ﴾ أي: تجدوا ثوابه عند الله خيراً ﴿ وَأَعْظَمَ أَجْراً ﴾ أي: يثيبكم عليه الجنة ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

(1) انظر ما سلف ج 3 ص217.

تفسير سورة المُدَّثِّر، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ أي: المُتَدَثِّر بثيابه، يعني النبي عليه السلام. ﴿ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ أي من النار.

ذكروا عن جابر بن عبد الله قال: هذه أول سورة نزلت على النبي عليه السلام. قال [يحيى][1]: والعامة على أن أول ما نزل من القرآن: (اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الذِي خَلَقَ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ).

قال: ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ قال بعضهم: لا يلبسها على معصيته. وقد يقال للرجل الصالح: إنه لطاهر الثياب. وتفسير الحسن: (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) أي: من الغدر.

قال تعالى: ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾. والرجز الأوثان، أي: لا تعبدها.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ﴾. ذكروا عن الضحاك بن مزاحم أنه قال في قوله تعالى: (وَمَا ءَاتَيْتُم مِّن رِّباً لِّتَرْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللهِ) [الروم: 39] قال: تلك الهدية تهديها لِيُهدَى لك خير منها، ليس لك فيها أجر، وليس عليك فيها وزر، نهى عنها النبي عليه السلام فقال: (وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرْ).

قال بعضهم: وهي في مصحف أبي بن كعب: (وَلَا تَمْنُنْ أَنْ تَسْتَكْثِرَ) وذلك

(1) زيادة لا بد منها للإيضاح، وهي موجودة في ز، وهو المؤلف يحيى بن سلام.

تفسيرها على قراءة من قرأها بالرفع[2]. ذكروا عن الحسن أنه كان يقرأها بالجزم: (وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرْ) موقوفة[2]. وقال: هي مقدّمة ومؤخرة. يقول: لَا تَسْتَكْثِرْ عَمَلَكَ فَتَمُنَّ عَلَيْنَا.

قال تعالى: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [على ما أوذيت][3].

قال: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ أي: فإذا نفخ في الصور، والصور قرن ينفخ صاحب الصور فيه الأرواح فينطلق كل روح إلى جسده حتى يدخل فيه، فيقومون فيجيبون إجابة رجل واحد. قال تعالى: ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ كقوله: (يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ) [القمر: ٨] أي: عسير.

﴿عَلَى الْكَـٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ أي: ليس لهم من يُسره شيء، وإنما يسرُه للمؤمنين. ذكروا عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: ما طول يوم القيامة على المؤمن الا كرجل دخل في الصلاة المكتوبة فأتمها فأحسنها وأجملها[4].

قوله عزّ وجل: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً﴾ أي: خلق كل إنسان وحيداً، وعنى به في هذا الموضع الوليد بن المغيرة، وهذا وعيد له.

﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُوداً﴾ أي: واسعاً ﴿وَبَنِينَ شُهُوداً﴾ يعني حضوراً معه في مكة لا يسافرون. وكان له اثنا عشر ولداً ذكوراً رجالاً ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيداً﴾ أي بسطت له في الدنيا بسطاً.

---

(1) قال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 275: «وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) رفع، يقول لا تمنن مستكثراً، صفة، ليس له هاهنا نهي. وقال الفراء في تفسير الآية: «يقول: لا تعط في الدنيا شيئاً لتصيب أكثر منه، وهي في قراءة عبد الله: (وَلَا تَمْنُنْ أَنْ تَسْتَكْثِرَ) فهذا شاهد على الرفع في تستكثرُ، ولو جزمه جازم على هذا المعنى كان صواباً. والرفع وجه القراءة والعمل». وانظر في تفسير القرطبي، ج 19 ص 67-69، أحد عشر تأويلاً لهذه الآية لخص معانيها القرطبي واستنبط ما فيها من فقه.

(2) انظر تعليل ذلك عند ابن جني، المحتسب، ج 2 ص 337.

(3) زيادة من ز، ورقة 377.

(4) انظر ما سلف في هذا الجزء، ص 50.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنَ أَزِيدَ ﴾ قال بعضهم: فلم يزده بعد هذه الآية شيئاً. تفسير الحسن: (ثُمَّ يَطْمَعُ أَنَ أَزِيدَ) أي: أن أدخله الجنة. أي: لقول المشرك (وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيَ إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ) [فصلت: 50] أي: للجنة إن كانت جنة. وكقوله: (وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهُمَا مُنْقَلَباً) [الكهف: 63]. وكقوله: (لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَّوَلَداً) [مريم: 77] أي: في الجنة إن رددت إلى ربي كما تقولون.

قال الله: ﴿ كَلَّا ﴾ أي: لا ندخله الجنة، وليس له فيها المال والولد. ﴿ إِنَّهُ كَانَ لِأَيَـٰتِنَا عَنِيداً ﴾ أي: معانداً لها، جاحداً بها.

﴿ سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً ﴾ ذكروا عن الحسن وغيره قال: عذاباً لا راحة فيه(1). ذكروا عن كعب قال: هو جبل في جهنم يصعده الكافر إلى أعلاه، فإذا بلغ أعلاه رد حتى يبلغ إلى أسفله، ثم يصعد إلى أعلاه، ثم ينزل إلى أسفله.

قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾ أي: فلعن كيف قدر. ﴿ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ، ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴾ أي: كلح ﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَـٰذَا ﴾ أي: القرآن ﴿ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هَـٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾.

تفسير الكلبي ان الوليد بن المغيرة قال لقريش: إن أمر هذا الرجل، يعني النبي عليه السلام قد فشا، وقد حضر الموسم. وإن الناس سيسألونكم عنه فما تردون؟ قالوا: نقول: إنه مجنون. قال: إذن والله يستنطقونه فيجدونه فصيحاً عاقلاً فيكذبونكم. قالوا: فلنخبرهم أنه كاهن [فقال: إذن والله يلقونه فيخبرهم بما لا يخبرهم به الكاهن. قالوا: فنخبرهم أنه شاعر](2). قال: فإنهم يعرفون الشعر ويروونه، فلا يسمعون شيئاً يشبه الشعر.

ثم انصرف إلى بيته فقالت قريش: صبا والله الوليد، وأيم الله لئن صبا(3) الوليد

---

(1) كذا في ق وع، وفي ز: «(سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً) أي: سأحمله على مشقة من العذاب.

(2) سقط ما بين المعقوفين من ع وق فأثبته من ز حتى يستقيم معنى الحوار.

(3) صبا بالمد لغة في صبأ بالهمز يصبأ صبأً وصبوءاً أي خرج من دين إلى دين.

لتصبونّ قريش كلها. فقال أبو جهل: أنا أكفيكموه. فانطلق أبو جهل فجلس إليه وهو كهيئة الحزين. فقال له: ما يحزنك يا ابن أخي. فقال: ومالي لا أحزن، وهذه قريش تجمع لك نفقة ليعينوك بها على كبرك وزمانتك. قال: أو لست أكثر منهم مَالاً وولداً؟ قال: فإنهم يقولون: إنك قلت الذي قلت لتصيب من فضول طعام محمد وأصحابه. فقال: والله ما يشبعون من الطعام فأيُّ فضل يكون عندهم. ولكني أكثرت حديث نفسي[1] فإذا الذي يقول سحر وقول بشر.

ذكروا عن سعيد بن المسيب قال قال رسول الله ﷺ: الفتنة تلقح بالنجوى، وتولد بالشكوى، فلا توقظوها إذا رقدت، ولا تثيروها إذا هي اجتمّت. قال: الفتنة راتعة في بلاد الله تطأ في خطامها حتى يأذن الله لها فيها. فإذا أذن الله لها فويل لمن أخذ بخطامها. من طلب الفتنة ذهب بقاؤه، وقل نماؤه، وكانت النار مأواه. ألا ففروا من الفتنة كما تفر الوحوش بأولادها. ألا فالحذر الحذر، فإنه لن ينجو من الفتنة إلا من صانع الذل، ولأن يقال لك ذليل ضعيف خير من أن يقال لك إنك من أصحاب السعير[2].

قال: فاجتمع إليه قومه فقالوا يا أبا المغيرة، كيف يكون قوله قولَ بشر وسحراً؟ قال: أذكركم الله، هل تعلمون أنه فرق بين فلانة وزوجها، وبين فلان وأبيه، وبين فلان وأخيه، وبين فلان، مولى بني فلان، ومواليه، يعني من أسلم واتبع النبي عليه السلام. فقالوا: اللهم نعم، قد فعل ذلك. قال: فهو ساحر.

قال مجاهد: وكان ذلك في دار الندوة. قال الله: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ يعني عداساً[3]، غلام عتبة. كقوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ [النحل: 103]؛ عدّاس في تفسير الحسن.

---

(1) كذا في ق و ع، وفي ز ورقة 378: «أكثرت الحديث فيه».

(2) كذا أقحمت هذه الأقوال عن الفتنة في سياق قصة الوليد بن المغيرة مع قريش في ق و ع، ولم أدرك لها مناسبة هنا. وهي غير واردة في ز.

(3) في ق و ع «غداشاً» وفي الكلمة تصحيف صواب الاسم ما أثبته: «عداساً». اقرأ في تاريخ =

قال الله عز وجل: ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾ وسقر اسم من أسماء جهنم ﴿ وَمَا أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴾ أي: لم تكن تدري ما سقر حتى أعلمتك.

قال تعالى: ﴿ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴾ أي: لا تبقي، إذا دخلها، شيئاً من لحمه ودمه وشعره وبشره وعظامه وأحشائه حتى تهجم على الفؤاد فتطبخ الفؤاد. فإذا انتهت إلى الفؤاد لم تجد شيئاً تتعلق به. ثم يجدد الله خلقه فتأكله أيضاً. وهو قوله: (كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ) [النساء: 56].

وقال مجاهد: (لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ) أي: لا تحيي ولا تميت.

قوله عز وجل: ﴿ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴾ أي: محرقة للجلد، تأكل كل شيء إلا الفؤاد. ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾.

لما نزلت قال أبو جهل: يا معشر قريش إني أرى محمداً يخوفكم بخزنة النار، ويزعم أنهم تسعة عشر وأنتم الدُّهم[1]، أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا بواحد منهم فتخرجوا منها؟ فقال أبو الأشد[2] الجمحي: أنا أكفيكم منهم سبعة عشر: عشرة على ظهري وسبعة على صدري، فاكفوني أنتم اثنين. فأنزل الله:

﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَـٰبَ النَّارِ إِلَّا مَلَـٰئِكَةً ﴾ [أي: فمن يطيقهم][3] ﴿ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً ﴾ أي بلية ﴿ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَـٰبَ ﴾ لأنهم في كتبهم تسعة عشر ﴿ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَـٰناً ﴾ أي: تصديقاً ﴿ وَلَا يَرْتَابَ ﴾ أي: ولا يشك ﴿ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَـٰبَ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ أي: فيما أنزل الله من عددهم ﴿ وَلِيَقُولَ

= الطبري، ج 2 ص 345-346 قصة عداس هذا وهو غلام نصراني لعتبة بن ربيعة، مع النبي عليه السلام حينما خرج الرسول ﷺ إلى الطائف يدعو ثقيفاً إلى الإسلام.

(1) الدُّهم، بفتح الدال: العدد الكثير من الناس، وكذا الدهماء. انظر اللسان (دهم).

(2) جاء الاسم في ق و ع و ز: «أبو الأسود»، وهو خطأ أثبت صوابه: «أبو الأشد»، وهو أبو الأشد ابن كلدة الجمحي، كما جاء في بعض كتب التفسير. انظر مثلاً ابن الجوزي. زاد المسير، ج 8 ص 408.

(3) زيادة من ز، ورقة 378.

الذينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ أي: نفاق ﴿ وَالْكَـٰفِرُونَ ﴾ أي الجاحدون ﴿ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَٰذَا مَثَلاً ﴾ [أي: ذكرها][1] وذلك منهم استهزاء وتكذيب.

قال الله: ﴿ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَن يَشَاءُ ﴾ بترك الإيمان بالقرآن الذي فيه التسعة عشر. ﴿ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ ﴾.

ذكروا أن رسول الله ﷺ ذكر في حديث ليلة أسري به قال: فعرج بي حتى انتهيت إلى باب الحفظة وعليه ملك يقال له إسماعيل جنده سبعون ألف ملك. ثم تلا هذه الآية: (وَمَا يَعْلَمُ جنودُ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ)[2].

قال: ﴿ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴾ تفسير الحسن وغيره: يعني النار: رجع إلى قوله: (سَأُصْلِيهِ سَقَرَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ).

قال: ﴿ كَلاَّ وَالْقَمَرِ وَالَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴾ أي: إذا ولى، وبعضهم يقرأها إذا دبر، [أي إذا ولّى][3] قال ﴿ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴾ أي: إذا أضاء. هذا كله قسم. ﴿ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴾ يعني النار في تفسير الحسن ومجاهد؛ أي: إحدى العظائم. وقال الكلبي: إنها لإحدى الكبر، يعني سقر. وجهنم سبعة أبواب: جهنم، ولظى، والحطمة، وسقر، والجحيم، والسعير، والهاوية.

قال: ﴿ نَذِيراً لِّلْبَشَرِ ﴾ يعني النبي عليه السلام ينذرهم النار. رجع إلى أول السورة: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ) أي: قم نذيراً للبشر، فأنذرهم.

قال: ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ ﴾ في الخير ﴿ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾ في الشر. وقال في آية أخرى: (لِمَنْ شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) [التكوير: 28-29] وقال في سورة الكهف: (فَمَنْ شَاءَ فَلْيُومِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ)

(1) زيادة من ز، ورقة 378.

(2) انظر ما سلف، ج 2 ص 402.

(3) زيادة من ز. يريد أن يقول: «أدبر» و «دبر» يأتيان بمعنى واحد. وقيل: «أدبر»: ولى، و «دبر»: خلف. قال أبو عبيدة في المعاني ج 2 ص 275: «... يقال: دبرني، جاء خلفي وإذا أدبر إذا ولّى...».

[الكهف: 29-31] وهذا كله وعيد. فذكر ما للمؤمنين وما للكافرين في الآخرة فقال: (إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً) وهو ظلم فوق ظلم وظلم دون ظلم... إلى آخر الآية. وقال تعالى: (إِنَّ الذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ).

قوله: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ﴾ يعني أهل النار ﴿ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ في النار. ثم قال: ﴿ إِلاَّ أَصْحَـٰبَ الْيَمِينِ ﴾ وهم أهل الجنة كلهم في هذا الموضع. وقال مجاهد: لا يحاسبون. قال: ﴿ فِي جَنَّـٰتٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ أي: المشركين، أي: يسائلون المجرمين: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴾ فأجابهم المشركون: ﴿ قَالوا: لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتَّى أَتَـٰنَا الْيَقِينُ ﴾.

قال الله: ﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَـٰعَةُ الشَّـٰفِعِينَ ﴾ أي: لا يشفع لهم الشافعون في تفسير مجاهد وغيره، وإنما يشفعون للمؤمنين.

قال: ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ ﴾ أي: عن القرآن ﴿ مُعْرِضِينَ ﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنْفَرَةٌ ﴾ وهي حمر وحشية ﴿ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴾ قال الحسن: القسورة الرماة وقال بعضهم: القسورة: الأسد(1). والعامة على أنها الرماة.

قال: ﴿ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِىءٍ مِّنْهُمْ ﴾ يعني المشركين ﴿ أَن يُؤْتَى صُحُفاً مُّنَشَّرَةً ﴾ أي: إلى كل إنسان باسمه، أي: من الله رب العالمين إلى أبي جهل بن هشام وإلى فلان بن فلان وإلى فلان بن فلان أن آمن بمحمد فإنه رسول الله.

قال الله عز وجل: ﴿ كَلاَّ ﴾ أي: أنتم أهون على الله من ذلك. ثم قال: ﴿ بَل لاَّ يَخَافُونَ الأَخِرَةَ ﴾ أي: لا يؤمنون بها ﴿ كَلاَّ إِنَّهُ ﴾ يعني القرآن ﴿ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ وَمَا تَذْكُرُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوىٰ ﴾ أي أهلٌ أن يُتَّقى ﴿ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴾ أي: هو أهل أن يَغفِر، ولا يغفر إلا للمؤمنين.

(1) هو قول أبي عبيدة في المجاز، والكلبي، كما في معاني الفراء، وابن عباس في أحد قوليه، كما في تفسير الطبري، ورواه زيد بن أسلم عن أبي هريرة.

تفسير سورة القيامة، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَـٰمَةِ ﴾ هذا قسم، وهي كلمة عربية: أقسم، ولا أقسم واحد. أراد القسم[1].

قال: ﴿ وَلَآ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾. ذكروا عن الحسن أنها نفس المؤمن لا تلقاه إلا وهو يلوم نفسه، ويقول: ماذا أردت بكلامي، وما أردت بحديث نفسي، فلا تلقاه إلا وهو يعاتبها [يندم على ما فات ويلوم نفسه][2].

قوله عز وجل: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَـٰنُ﴾ وهو المشرك ﴿ أَن لَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ﴾ أي: أن لن نبعثه. ﴿ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾.

قال عمر بن عبد العزيز: (بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ) مفاصله. يعني البعث. وهو مثل قوله: (وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ) [الأنفال: 12] أي: كل مفصل. وقال بعضهم: (بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ) أي أصابعه فيجعلها مثل خف البعير أو كحافر الدابة، يعني في الدنيا. وتفسير مجاهد: كخف البعير فلا يعمل بها شيئاً.

قال تعالى: ﴿ بَلْ يُرِيدُ الإِنسَـٰنُ ﴾ وهو المشرك ﴿ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴾ قال الحسن:

(1) انظر وجوه معاني «لا» وإعراب (لَآ أُقْسِمُ) في معاني الفراء ج 3 ص 207، وكشاف الزمخشري ج 4 ص 658 - 659.

(2) زيادة من ز، ورقة 379.

فلا تلقاه إلا يمضي قدماً، لا يعاتب نفسه كما يعاتبها المؤمن. ذكروا عن عمرو عن الحسن قال: يمضي على فجوره حتى يلقى ربه(1).

قال تعالى: ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَـٰمَةِ﴾ أي: متى يوم القيامة الذي كذب به المشرك؛ يقول ليست بجائية.

﴿فَإِذَا بَرِقَ(2)الْبَصَرُ﴾ أي: إذا شخص لإجابة الداعي. كقوله: (مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ) [إبراهيم: 43].

قال الكلبي: (بَرَقَ(2) الْبَصَرُ)، أي: عجب فلا يطرف لما نظر إلى السماء، فقد تمزّقت من كل جانب، وهي محمَرّة كالدهان، والملائكة على حافاتها وهي تطوي، وقد طمست نجومها، وخسفت شمسها، ودرست أعلامها، وأظهرت الملائكة أسارير المجرم بيّنة الندامة، فهو شاخص البصر مخلوع القلب، معلقة روحه في حنجرته لا هي تخرج ولا هي ترجع. قال مجاهد: ذلك عند الموت.

قال: ﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾ أي: ذهب ضوءه ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ قال الحسن: أُذهِبا جميعاً. وهو قول مجاهد؛ قال: كُوِّرَا يوم القيامة. وبعضهم يقول: حين تطلع الشمس والقمر من المغرب كالبعيرين المقرونين.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: الشمس والقمر ثوران عقيران في النار(3) قال

---

(1) وجاء في معاني الفراء ما يلي: «عن سعيد بن جبير في قوله: (بَلْ يُرِيدُ الإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ) قال: يقول: سوف أتوب، سوف أتوب. وقال الكلبي: يكثر الذنوب ويؤخر التوبة».

(2) جاء في ز ما يلي: «قال محمد: من قرأ (بَرَقَ البَصَرُ) بفتح الراء أراد بريقَه إذا شخص، يقال برَق يبرُق. ومن قرأ (برِق) بكسر الراء فمعناه فزع وتحيّر. يقال منه: برِق يبرَق».

(3) في ق و ع «الشمس والقمر نوران عفيران في الثرى»، وسقطت كلمة «نوران» من ق. وفيهما تصحيف وفساد. صواب الحديث ما أثبته. والحديث صحيح أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب صفة الشمس والقمر. عن أبي هريرة. انظر فتح الباري، ج 6 ص 299-300 وفي رواية للطيالسي في مسنده عن أنس مرفوعاً: إن الشمس والقمر ثوران عقيران في النار، والشرح الذي أورده المؤلف هنا عن بعضهم يؤيد هذه العبارة الصحيحة.

بعضهم: أي: يمثلان في النار لمن عبدهما، يُوَبَّخُون بذلك. قال الله عز وجل: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ) [الحج: 18].

قال: ﴿ يَقُولُ الإِنْسَـٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ المَفَرُّ ﴾ قال عز وجل: ﴿ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴾ أي: لا جبل ولا ملجأ يلجأون إليه. قال الحسن: كلا. لا جبل ولا حرز. وكانت العرب إذا أتاها الأمر قالوا: الجبل الجبل فيحترزون به. وقال مجاهد: لا ملجأ.

قال الله: ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴾ أي: المرجع.

قال تعالى: ﴿ يُنَبَّؤُا الإِنْسَـٰنُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾. وهو مثل قوله: (عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ) [الإنفطار: 5].

ذكروا عن ابن مسعود قال: ما قدمت من خير أو شر، وما أخرت من سنة حسنة فعمل بها بعده، فإن له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيئاً، أو سيئة ولا ينقص من أوزارهم شيئاً.

ذكروا عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: أيما داع دعا إلى هدى فاتبع عليه كان له مثل أجر من تبعه ولا ينقص من أجره شيئاً. وأيما داع دعا إلى ضلالة فاتبع عليها كان عليه وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيئاً[1]. وتفسير الحسن: (يُنَبَّؤُا الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّر) أي ينبأ بآخر عمله وأول عمله.

قال: ﴿ بَلِ الإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴾ أي: شاهد على نفسه أنه كافر. قال: ﴿ وَلَو أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴾ أي: ولو اعتذر لم يقبل عذره.

قال مجاهد: ولو جادل عنها فهو بصيرة عليها[2]. وقال الكلبي: : (عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ) أي عليه من نفسه شاهد، أي: يداه ورجلاه وسائر جوارحه، يعني مثل قوله

---

(1) انظر الإشارة إليه فيما سلف ج 3 ص 299.

(2) قال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 277: «(بَصِيرَةٌ) جاءت هذه الهاء في صفة الذكر كما جاءت في راوية، وعلامة، وطاغية».

تعالى: (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) [يسٓ: 65].

قوله عز وجل: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ﴾.

ذكروا عن الحسن قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه القرآن يقرأه ويذيب فيه نفسه مخافة أن ينساه، فأنزل الله: (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) [أي نحن نحفظه عليك فلا تنساه][1] (فَإِذَا قَرَأْنَاهُ) نحن (فَاتَّبِعْ) أنت (قُرْآنَهُ) يعني فرائضه وحدوده والعمل به[2].

وتفسير الكلبي أن النبي عليه السلام إذا نزل عليه جبريل وعلمه شيئاً من القرآن لم يكد يفرغ جبريل من آخر الآية حتى يتكلم رسول الله ﷺ بأولها مخافة أن ينساها فأنزل الله عليه (سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ) [الأعلى: 6-7]، وهو قوله: (مَا نَنسَخْ مِنَ ايَةٍ أَوْ نُنسِهَا) [البقرة: 106] أي: ننسها النبي عليه السلام فيما ذكر بعضهم.

قال: ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ قال الحسن: نجزي به يوم القيامة، أي: على ما قلنا في القرآن من الوعد والوعيد. وقال بعضهم: نحن نبيّنه لك.

قال عز وجل: ﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴾ أي: الدنيا ﴿ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴾ يعني المشركين، أي: لا يؤمنون أنها كائنة.

---

(1) سقط ما بين المعقوفين من ق و ع، فأثبته من ز ورقة 380.

(2) قال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 278: «(فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) اتبع جمعه. فإذا قرأناه: جمعناه، وهي من قول العرب: ما قرأت هذه المرأة سلىً قط. قال عمرو بن كلثوم: لَمْ تَقْرَأْ جَنِيناً».

وقال الفراء في المعاني، ج 3 ص 112: «إذا قرأه عليك جبريل عليه السلام فاتبع قرآنه، والقراءة والقرآن مصدران، كما تقول: راجح بيّن الرجحان والرجوح، والمعرفة والعرفان، والطواف والطوّفان».

قال عز وجل: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ أي: ناعمة ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ أي: تنتظر الثواب، وهي وجوه المؤمنين.

وحدثني مسلم الواسطي قال: سمعت أبا صالح يقول في قوله: (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) قال: تنتظر الثواب من ربها. قال أبو صالح: ما رآه أحد ولا يراه أحد[1].

﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴾ أي: كالحة، وهذه وجوه أهل النار ﴿ تَظُنُّ ﴾ أي: تعلم ﴿ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾. قال: تظن أن يفعل بها شر. وقال مجاهد تظن أن يفعل بها داهية. وتفسير الكلبي: (أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ) أي: منكرة[2].

قال تعالى: ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴾ أي: حتى إذا بلغت النفس التراقي، أي: سُلَّت من الرجلين حتى بلغت الترقوتين. ﴿ وَقِيلَ: مَنْ رَّاقٍ ﴾ أي: من يرقَى بعمله. وقال بعضهم: (مَن رَّاقٍ) أي: من يَرْقيه[3].

قال عز وجل: ﴿ وَظَنَّ ﴾ أي: وعلم ﴿ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴾ أي: فراق الدنيا. قال تعالى: ﴿ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴾ قال الحسن: مالت الرجلان وانكسرت العينان.

قال تعالى: ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ﴾ أي: يوم القيامة. ﴿ الْمَسَاقُ ﴾ قال الحسن: يساقون إلى الحساب.

---

(1) ليس هذا القول للشيخ هود الهواري كما قد يتبادر إلى الذهن، ولكنه لابن سلام، وإن لم أتبيّن بالضبط من هو مسلم الواسطي هذا. وكانت عادة الشيخ هود أن يروي أقوال ابن سلام بقوله: «قال بعضهم».

(2) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 278: «الفاقرة الداهية، وهو الوَسم الذي يُفقر على الأنف». وقال ابن أبي زمنين: «يقال: إنها من فَقار الظهر كأنها تكسره، تقول: فقرت الرجل: إذا كسرت فَقاره».

(3) فصّل الفراء في المعاني ج 3 ص 212 هذا الفرق بين المعنيين بعبارة أوضح فقال: «يقول: إذا بلغت نفس الرجل عند الموت تراقيه، وقال من حوله: (مَنْ رَاقٍ)؟ هل من مداو؟ هل من راق؟ (وَظَنَّ) الرَّجُلُ (أَنَّهُ الْفِرَاقُ): علم أنه الفراق، ويقال هل من راق إن ملك الموت يكون معه ملائكة، فإذا أفاظ الميت نفسَه، قال بعضهم لبعض: أيكم يرقَى بها؟ من رقيت إذا صعدتُ».

قال تعامى: ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴾ [أي: لم يصدق ولم يصل][2]، يعني أبا جهل بن هشام ﴿ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ أي: كذب بكتاب الله وتولى عن طاعة الله. ﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ﴾ أي: يتبختر.

وقال أبو جهل للنبي عليه السلام: ما بين هذين الجبلين أحد أعز مني، فاجتهد أنت وربك يا محمد جهدكما. فأنزل الله: ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴾ [وعيد بعد وعيد][1]. فقتله الله يوم بدر، ثم صيّره إلى النار.

قوله: ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ ﴾ أي: المشرك. ﴿ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ أي: هملاً في تفسير الحسن وقال مجاهد: أن يترك باطلاً فلا يبعث ولا يحاسب بعد موته.

﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ تُمْنَىٰ ﴾ وهي تقرأ على وجهين: يمنى وتمنى فمن قرأها يمنى، ذلك المني أي: مني الرجل، كقوله عز وجل: (أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ) [الواقعة: 58] ومن قرأها تمنى فهو يعني النطفة يمنيها الرجل.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴾ يعني خلق الإنسان. يعني بقوله: (فَخَلَقَ) يعني نفسه. أي: خلقه الله فسواه مثل قوله: (خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ) [الإنفطار: 7].

قال: ﴿ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴾ الذكر زوج والأنثى زوج.

قال: ﴿ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴾. يقوله على الاستفهام. ذكروا أن رسول الله ﷺ كان إذا أتى على هذه الآية قال: سبحانك وبلى[2].

---

(1) زيادة من ز، ورقة 280.

(2) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب الدعاء في الصلاة عن موسى بن أبي عائشة عن صحابي بسند رجاله ثقات. (رقم 884). وجاء الحديث في ز بالسند التالي: «يحيى عن إبراهيم عن إسماعيل بن أمية عن أبي اليسع عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: إذا ختم أحدكم آخر لا أقسم بيوم القيامة فليقل: بلى».

تفسير سورة الإنسان[1] وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰ ﴾ أي: قد أتى ﴿ عَلَى الإِنْسَانِ ﴾ يعني آدم ﴿ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً ﴾ أي: في الخلق، وهو عند الله مذكـور أنه خالقه؛ لأنه خلق الأشياء كلها؛ صغارها وكبارها، ما يرى منها وما لا يرى من دواب الأرض والبحر والبر والهوام والسباع، يعني أصول الخلق في الأيام الستة التي خلق الله فيها السماوات والأرض، غير آدم خلقه الله يوم الجمعة، آخر الآيام السبعة[1].

ذكروا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ تبنة من الأرض فقال: يا ليتني كنت هذه التبنة، ويا ليت أمي لم تلدني، يا ليتني كنت نسياً منسياً، يا ليتني لم أكن شيئاً مذكوراً.

وذكروا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ هذه الآية: (هَل أَتىٰ الإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً) فرفع صوته وقال: يا ليتها تمّت[2].

قال: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ يعني نسل آدم ﴿ أَمْشَاجٍ ﴾ تفسير الحسن: يعني مشج[3] ماء الرجل بماء المرأة.

---

(1) كذا في ق وع: «آخر الأيام السبعة»، وفي ز: آخر الأيام الستة.

(2) في ق وع: «يا ليتني مت قبل هذا»، والصواب ما أثبته من ز، ورقة 380. وقال أبو عبيدة: «ويحقق قول أبي بكر: ليتها كانت تمّت فلم نُبتَل».

(3) أي: خلط. وقال ابن عباس: ماء الرجل والمرأة حين يختلطان.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: ماء الرجل أبيض غليظ، وماء المرأة أصفر رقيق، فمن أيهما سبق، أو قال: علا، فمنه يكون الشبه[1].

قال تعالى: ﴿ نَّبْتَلِيهِ ﴾ أي: نختبره. قال: ﴿ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ ﴾ أي: بصّرناه سبيل الهدى وسبيل الضلالة كقوله عز وجل: (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) [البلد: 10] أي سبيل الهدى وسبيل الضلالة.

قال تعالى: ﴿ إِمَّا شَاكِراً ﴾ أي مؤمناً ﴿ وَإِمَّا كَفُوراً ﴾.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَلَاسِلاً ﴾ وقال في سورة الحاقة: (فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً) [الحاقة: 23]، لو أن حلقة منها وضعت على جبل لذاب قال: ﴿ وَأَغْلَلاً ﴾ كقوله: (إِذِ الأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ) [غافر: 71] قال: ﴿ وسعيراً ﴾. والسعير اسم من أسماء جهنم، وجهنم كلها سعير تسعر بهم، وطعامهم من نار، وشرابهم من نار، ولباسهم من نار.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ ﴾ يعني الخمر ﴿ كَانَ مِزَاجُهَا ﴾ أي: طعمها ﴿ كَافُوراً ﴾ وهو الكافور إلا أنه أفضل من هذا الكافور وأطيب. وقال الحسن: يشربونها على برد الكافور وطعم الزنجبيل. وتفسير مجاهد: (مِزَاجُهَا) أي: الذي يمزج به. وقال الكلبي (كَافُوراً) عين في الجنة تسمى كافوراً.

قال تعالى: ﴿ عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ ﴾ يعني المؤمنين ﴿ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً ﴾ قال الحسن: تفجير الله لهم. وقال مجاهد: يقودونها حيث شاءوا. وقال بعضهم: يقول أحدهم بأصبعه حيث أراد فينبعه من الماء وغيره[2].

---

(1) حديث صحيح أخرجه أحمد وأخرجه مسلم في كتاب الحيض، باب بيان صفة مني الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما، عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ، من حديث طويل (رقم 315) وأخرجه ابن ماجه في كتاب الطهارة وسننها، باب في المرأة ترى في منامها ما يرى الرجل، عن أنس، (رقم 601).

(2) وقال الفراء في المعاني ج 3 ص 215: «أيها أحبّ الرجل من أهل الجنة فجّرها لنفسه».

قال تعالى: ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ ﴾ أي: ما كان من نذر في طاعة الله.

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: لا نذر في معصية الله، ولا في قطيعة رحم، ولا فيما لا يملك ابن آدم(1).

قال تعالى: ﴿ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً ﴾ أي: فاشياً، وشرّه على الكفار(2).

قال: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ ﴾ أي: على حاجتهم إليه ﴿ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً ﴾ يعني الأسير من المشركين.

كان رسول الله يدفع الأسير إلى الرجل من المسلمين فيقول: احبس هذا عندك. فيكون عنده الليلة والليلتين. ورسول الله ﷺ مشغول بحربه، فإذا فرغ قَبِلَهم؛ فكانوا يؤثرون على أنفسهم أولئك الأسارى، فأثنى الله عليهم بذلك.

﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ ﴾ أي: ينوون هذا في أنفسهم. [تفسير مجاهد: قالوا هذا في أنفسهم ولم ينطقوا به، فعلم الله ذلك منهم فأثنى به عليهم](3) ﴿ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً ﴾ أي: أن تجزونا به ﴿ وَلَا شُكُوراً ﴾ أي: ولا أن تشكرونا. ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً ﴾ أي: يخافون شر ذلك اليوم الذي لا انبساط فيه. (والقَمْطَرِيرُ) الشديد. و(العَبُوسُ) أي تعبس فيه الوجوه. والقمطرير الذي يُقبّض ما بين الأعين. وتفسير مجاهد: العبوس بالشفتين. القمطرير: قبض الجبهة(4).

---

(1) حديث صحيح أخرجه مسلم من حديث طويل عن عمران بن حصين في كتاب النذر، باب: لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك العبد (رقم 1641). وأخرجه ابن ماجه في كتاب الكفارات عن عمران بن الحصين أيضاً (رقم 2124) وأخرجه النسائي.

(2) جاء في ق و ع: «فاشياً في السماوات والأرض» ولم أر لهذه الزيادة هنا وجهاً، ولعلها سهو من ناسخ، فأثبت ما جاء في ز ورقة 381، وهو الصواب.

(3) زيادة من ز، ورقة 381.

(4) قال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 279: «العبوس، والقمطرير، والقماطر، والعصيب، والعصبصب أشد ما يكون من الأيام وأطوله في البلاء».

قال: ﴿ فَوَقَيْهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّيْهُمْ نَضْرَةً ﴾ أي في وجوههم ﴿ وَسُرُوراً ﴾ أي في قلوبهم. قال: ﴿ وجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ ﴾ أي: على السرر في الحجال ﴿ لاَ يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلاَ زَمْهَرِيراً ﴾ الزمهرير: البرد الشديد. وقال مجاهد: البرد الذي يقطع.

ذكروا عن سعيد بن المسيب قال: قال رسول الله ﷺ: ليس في الجنة ليلة تظلم ولا حر ولا برد يؤذيهم[1].

قوله عز وجل: ﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَلُهَا ﴾ أي ظلال الشجر ﴿ وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً ﴾ أي: ذللت لهم ثمارها يتناولون منها قعوداً ومضطجعين وكيف شاءوا. وتفسير مجاهد: إن قام ارتفعت بقدره، وإن قعد نزلت حتى ينالها، وإن اضطجع تدلت إليه حتى ينالها.

قال عز وجل: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِئَانِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوارِيراً قَوَارِيراً مِّنْ فِضَّةٍ ﴾ والأكواب: الأكواز؛ تسمي العرب الواحد منها كوزاً، وهو الكوب المدور القصير العنق القصير العروة. والإبريق: الطويل العنق الطويل العروة. ومعنى: (كَانَتْ قَوَارِيراً مِّنْ فِضَّةٍ) أي: اجتمع صفاء القوارير في بياض الفضة. وذلك أن لكل قوم قوارير من تراب أرضهم، وأن تراب الجنة فضة، فهي قوارير من فضة يشربون فيها؛ يرى الشراب من وراء جدر القوارير، وهذا لا يكون في فضة الدنيا[2].

قال: ﴿ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً ﴾ أي: في أنفسهم، فأتتهم على ما قدروا واشتهوا من صغار وكبار وأوساط، هذا تفسير بعضهم.

وتفسير مجاهد: متشابهة لا تنقص ولا تفيض. وبعضهم يقرأها: (قَدَّرُوهَا

(1) جاء الحديث في ز ورقة 381 بدون سند بلفظ: ليس في الجنة شمس ولا ليل مظلم ولا حر ولا برد. ولم أجد هذا الحديث فيما بين يدي من المصادر. وأورد السيوطي في الدر المنثور ج 6 ص 300 ما يلي: «أخرج ابن أبي شيبة عن ابن مسعود قال: الجنة سجسج لا قر فيها ولا حر».

(2) وقع بعض التقديم والتأخير في تفسير هذه الآية في ق و ع فأثبت الترتيب والتصحيح حسبما جاء في ز.

تَقْدِيراً) أي: على قدر رِيِّهِمْ فلا يفضل عنهم شيء ولا يشتهون بعدها شيئاً، وهو مقرأ ابن عباس[1].

قال تعالى: ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا ﴾ أي: في الجنة ﴿ كَأْساً ﴾ وهي الخمر ﴿ كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلاً ﴾ أي طعم ذلك المزاج طعم الزنجبيل على برد الكافور فيهضم ما أكلوا.

قال تعالى: ﴿ عَيْناً فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلاً ﴾. ذكروا أن رسول الله ﷺ ذكر في حديث ليلة أسري به قال: ثم انتهيت إلى سدرة المنتهى فإذا هي أحسن ما خلق الله، وإذا الورقة منها لو غطيت بها هذه الأمة لغطتها. ثم انفجر من السلسبيل نهران نهر الرحمة ونهر الكوثر[2]. [والسلسبيل اسم العين][3] وقال مجاهد: إنه ماء يجري لو يمر بالجبال لسقاها.

قال تعالى: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾ على هيئة الوصفاء[4] لا يشيبون عنها ولا يموتون أبداً. ﴿ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ ﴾ أي: شبهتهم ﴿ لُؤْلُؤاً مَّنْثُوراً ﴾ أي: في صفاء ألوانهم، والمنثور أحسن ما يكون. وقال بعضهم: (لُؤْلُؤاً مَّنْثُوراً) من كثرتهم.

---

(1) وقال الفراء في المعاني ج 3 ص 217: «قدروا الكأس على ري أحدهم لا فضل فيه ولا عجز عن ريه، وهو ألذ الشراب».

(2) انظر ما سلف ج 2 ص 400.

(3) زيادة من ز، ورقة 381. وقال ابن أبي زمنين: «والسلسبيل في اللغة صفة لما كان غاية في السلاسة، وصرف لأنه رأس آية». وفي كتاب المعرب للجواليقي، ص 237-238، حيث يذهب المؤلف إلى أن الكلمة «اسم أعجمي نكرة، فلذلك انصرف، وقيل هو اسم معرفة إلا أنه أجري لأنه رأس الآية» يقدّم المحقّق الشارح الشيخ أحمد محمد شاكر تحقيقاً قيّماً لخّص فيه أقوال المفسرين واللغويين وأثبت ما كان ذهب إليه الزجاج والطبري من أن الكلمة صفة للعين وليست اسماً. وانظر الزمخشري الكشاف ج 4 ص 672.

(4) في ق وع: «على هيئة الوصف» وفي الكلمة تصحيفٌ صوابه ما أثبته: «(الوصفاء)»، جمع وصيف، «وهو الخادم غلاماً كان أو جارية. يقال: وَصُفَ الغلام إذا بلغ حدّ الخدمة، فهو وصيف بيِّن الوَصَافة». كما جاء في صحاح الجوهري.

ذكروا عن جابر بن عبد الله قال: حسن الخادم عند حسن المخدوم كالكوكب المظلم إلى جنب القمر ليلة البدر.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ ﴾ أي في الجنة ﴿ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً ﴾. ذكر بعضهم قال: [يأتي الملك من عند الله إلى الرجل من أهل الجنة بالتحفة والهدية وبأن الله عنه راض، فلا يدخل إليه حتى يستأذن فيقول البواب: سأذكره للبواب الذي يليني، فيذكره للبواب الذي يليه حتى يبلغ البواب الذي يلي ولي الله فيقول له: ملك يستأذن. فيقول: ائذنوا له. فيؤذن له، فيدخل فيقول: إن ربك يقرئك السلام ويخبره أنه عنه راض ومعه التحفة فتوضع بين يديه][1]. وقد فسرنا ما بلغ ذلك النعيم وذلك الملك في غير هذا الموضع.

قال تعالى: ﴿ عَالِيهِمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ ﴾ وبعضهم يقرأها: (عَالِيَهُمْ) [2] ﴿ وَإِسْتَبْرَقٌ ﴾ وهو الديباج الغليظ. وهو بالفارسية: استبره. وتفسير الحسن: إنه الحرير.

ذكروا عن عكرمة قال: أما السندس فقد رأيتموه: الحرير الرقيم الذي يحمل بالسوس[3]. قال: (وَالإِسْتَبْرَقُ): الديباج الغليظ[4].

قال تعالى: ﴿ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ ﴾ فليس أحد من أهل الجنة إلا وفي يده ثلاثة أسورة: سوار من فضة. وسوار من لؤلؤ، وسوار من ذهب.

قال تعالى: ﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً ﴾ ذكروا عن علي بن أبي طالب أنه قال: إذا توجّه أهل الجنة إلى الجنة مرّوا بشجرة يخرج من تحتها عينان فيشربون من

---

(1) زيادة من ز ورقة 381-382.

(2) من قرأ (عَالِيهم) بإسكان الياء وكسر الهاء جعله اسماً، ومن قرأ (عَالِيَهم) بفتح الياء وضمّ الهاء جعله ظرف مكان. انظر ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص 331.

(3) كذا في ق و ع: «يحمل يالسوس» ولعله: «يحمل بالسوس» والسوس بلدة بلدة بخوزستان، غير السوس الأقصى الذي بالمغرب، كما ذكر ذلك ياقوت في معجم البلدان.

(4) انظر الجواليقي، المعرّب ص 63، وتعليق الشارح: 7 و 10.

إحداهما. فتجري عليهم بنضرة النعيم، فلا تَغَيَّرُ أبشارُهم ولا تشعث أشعارهم بعدها أبداً؛ ثم يشربون من الأخرى فيخرج ما في بطونهم من أذى وقذى، ثم تستقبلهم الملائكة خزنة الجنة فيقولون: (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ) [الزمر: 73].

ذكر بعضهم أنه يقال لأهل الجنة: ادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها بأعمالكم.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ هٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً ﴾ أي: بأعمالكم ﴿ وَكَانَ سَعْيُكُم ﴾ أي: الذي سعيتم، أي الذي عملتم في الدنيا ﴿ مَّشْكُوراً ﴾ شكره الله لكم فجزاكم به الجنة.

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءانَ تَنْزِيلاً﴾ أي: نزل به جبريل ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ أي: لما حكم عليك فيه وفرض ﴿ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِماً﴾ وهو المنافق [في تفسير الحسن؛ أظهر الإسلام وقلبه على الشرك][1] ﴿ أَوْ كَفُوراً ﴾ أي: مشركاً جاحداً[2].

قال: ﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً ﴾ أي: صلاة الصبح ﴿ وَأَصِيلاً ﴾ أي: صلاة الظهر والعصر. ﴿ وَمِنَ الَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ ﴾ أي: صلاة المغرب والعشاء قال: ﴿ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً ﴾ هذا تطوع.

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ هٰؤُلَاءِ ﴾ يعني المشركين ﴿ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴾ أي: الدنيا ﴿ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ ﴾ أي: أمامهم، أي: بعد موتهم ﴿ يَوْماً ثَقِيلاً ﴾ أي: لا يؤمنون به، يعني يوم القيامة. (ثَقِيلًا) أي: عسيراً عليهم.

---

(1) زيادة من ز، ورقة 382.

(2) قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 280: «ليس هاهنا تخيير، أراد آثماً وكفوراً». وقال الفراء في المعاني ج 3 ص 219: «(أو) هاهنا بمنزلة (لا). و (أو) في الجحد والاستفهام والجزاء تكون في معنى (لا) فهذا من ذلك. وقال الشاعر:

لا وجدُ ثَكلى كما وَجِدتُ ولا وَجدُ عَجولٍ أضلَّها رُبَعُ
أو وجدُ شيخٍ أضلّ ناقتَه يومَ توافى الحَجيجُ فاندفعوا

أراد: ولا وجد شيخ».

قال: ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَـٰهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ﴾ أي: قوتهم، يعني شدة الخلق. وقال مجاهد: (أَسْرَهُمْ) أي: خلقهم، وبعضهم يقول: قوتهم، وبعضهم يقول: مفاصلهم وهذا كله قريب بعضه من بعض. قال: ﴿ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَـٰلَهُمْ تَبْدِيلاً ﴾ [أي: أهلكناهم بالعذب وبدلنا أمثالهم][1] آدميين خيراً منهم.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَـٰذِهِ ﴾ أي إن هذه السورة ﴿ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً ﴾ أي: بطاعته. ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللهُ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ أي: عليماً بخلقه، حكيماً في أمره.

﴿ يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ﴾ أي: في دينه الإسلام ﴿ وَالظَّـٰلِمِينَ ﴾ أي: المشركين والمنافقين ﴿ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ أي: موجعاً شديداً، يعني بذلك النار.

(1) زيادة من ز، ورقة 382.

تفسير سورة المرسلات، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ وَالْمُرْسَلَٰتِ عُرْفاً ﴾ يعني الملائكة ترسل بالمعروف إلى الرسل، فتبلغ الرسلُ العبادَ[1]. وتفسير الحسن: إنها الرياح. قال: عرفها: جريها.

قال تعالى: ﴿ فَالْعَـٰصِفَـٰتِ عَصْفاً ﴾ أي: الرياح إذا عصفت، أي: اشتدت ﴿ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْراً ﴾ يعني الرياح. كقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ نُشُراً بَيْنَ يَدَي رَحْمَتِهِ) [الأعراف: 57] أي: بين يدي المطر.

قال: ﴿ فَالْفَـٰرِقَـٰتِ فَرْقاً ﴾ يعني الملائكة التي تنزل بالوحي، أي: بكتب الله التي فرق فيها بين الكفر والإيمان وبين الحلال والحرام. قال: ﴿ فَالْمُلْقِيَـٰتِ ذِكْراً ﴾ يعني الملائكة تلقى الذكر، وهو كتب الله على الأنبياء، فيوحيه جبريل إلى النبيين. وقد قال في آية أخرى: (وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَن يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الكِتَابُ) [القصص: 86] أي: أن ينزل عليك. قال: ﴿ عُذْراً ﴾ أي تنزل به الملائكة يعذر به الله إلى خلقه[2] ﴿أَوْ نُذُراً ﴾ أي: ينذرهم بعذابه.

---

(1) قال الفراء في المعاني ج 3 ص 221: «يقال هي الملائكة. وأما قوله: (عُرْفاً) فيقال: أرسلت بالمعروف. ويقال: تتابعت كعرف الفرس. والعرب تقول: تركت الناس إلى فلان عرفاً واحداً، إذا توجهوا إليه فأكثروا». وقال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 281: «(عُرْفاً) يتبع بعضه بعضاً يقال: جاءوني عرفاً».

(2) في ق و ع: «تنزل به الملائكة تعذر به الله إلى خلقه» وأثبت ما جاء في ز فهو أصح.

وهذا قسم كله من أول هذه السورة إلى هذا الموضع، أقسم به ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ بِهِ لَوَٰقِعٌ ﴾ يعني المشركين، ما يوعدون به من عذاب الله لواقع بهم.

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴾ يقول: عذاب الله واقع يوم تطمس فيه النجوم فيذهب ضوءها. ﴿ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴾ أي: فتحت وانشقت، كقوله: (وَفُتِّحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتَ اَبْوَاباً) [النبأ: 19]. قال: ﴿ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴾ أي: قد ذهبت من أصولها فكانت هباء منبثاً في تفسير الحسن. وتفسير الكلبي: (نُسِفَتْ) أي: سوّيت بالأرض.

قال: ﴿ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴾ أي: وعدت، يعني الميعاد، وميعادها يوم القيامة في تفسير الحسن. وتفسير الكلبي: (أقتت) أي: جمعت. وتفسير مجاهد: (أُقِّتَتْ) أي: أجّلت أجلاً يعيشون فيه. ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾.

قال: ﴿ لِيَوْمِ الفَصْلِ ﴾ أي: يوم القضاء. قال تعالى: ﴿ وَمَا أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴾ أي يوم القضاء. قال الحسن: أي: إنك لم تكن تدري ما يوم الفصل حتى أعلمتكه. ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ أي: ينادون في النار بالويل والثبور.

قال: ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ الأَوَّلِينَ ﴾ على الاستفهام، أي بلى، قد أهلكنا الأولين، يعني الأمم السالفة التي أهلك حين كذبوا رسلهم. قال: ﴿ ثُمَّ نُتْبِعُهُمَ الأخِرِينَ ﴾ والآخرون هذه الأمة، أي: نهلكهم كما أهلكنا من قبلهم، يعني آخر كفار هذه الأمة الذين تقوم عليهم الساعة. قال: ﴿ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴾ أي: المشركين. ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ وهي مثل الأولى.

قوله: ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ يعني النطفة الضعيفة ﴿ فَجَعَلْنَـٰهُ ﴾ يعني الماء، وهو النطفة ﴿ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ يعني الرحم ﴿ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ أي: إلى يوم يولد المخلوق. قال تعالى: ﴿ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَـٰدِرُونَ ﴾ وهي تقرأ على وجهين: (فَقَدَرْنَا) خفيفة و(فَقَدَّرْنَا) مثقلة. فمن قرأها بالتخفيف فهو يقول: (فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ القَادِرُونَ) من باب القُدرة، أي: فملكنا فنعم المالكون. ومن قرأها بالتثقيل (فَقَدَّرْنَا

فَنِعْمَ القَادِرُونَ) فمِن قِبَل التقدير. قال تعالى: ﴿ وَيْلٌ يَّوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ وهي مثل الأولى.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتاً ﴾ أي تكفتهم، أي تضمهم، [والكفت الضم والجمع][1] ﴿ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتاً ﴾ أي يكونون على ظهرها وعليها أرزاقهم أحياء، وتضمهم أمواتاً فيكونون في بطنها، في تفسير الحسن. وقال بعضهم: الأحياء في البيوت، والأموات في القبور. قال: ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَـٰمِخَـٰتٍ ﴾ والرواسي الجبال، والشامخات المرتفعة. قال: ﴿ وَأَسْقَيْنَـٰكُم مَّاءً فُرَاتاً ﴾ أي: عذباً. وكل ماء عذب فهو فرات. قال: ﴿ وَيْلٌ يَّوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾. وهي مثل الأولى.

ثم قال: ﴿ انْطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ أي: يقال لهم يوم القيامة: انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون في الدنيا من العذاب، أي: يقولون إنه ليس بكائن. ﴿ انْطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلٰثِ شُعَبٍ ﴾ أي: يخرج من النار لسانان قبل أن يدخلوا النار، فيحيط بالمشركين مثل السرادق، ثم يسطع من النار دخان أسود فيُظِلّ ذلك السرادق، ثم يصير ثلاث فرق، فيلجأون إليه[2]، يرجون أن يظلهم [ويجدون منه من الحر مثل ما وجدوا قبل أن يلجأوا إليه][3] قوله: ﴿ لَا ظَلِيلٍ وَّلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴾ وقال في الواقعة: (وَظِلٍّ مِّن يَّحْمُومٍ) وهو الدخان، وهو هذا الذي قال: في ظل ذي ثلاث شعب (لَّا بَارِدٍ وَّلَا كَرِيمٍ) [الواقعة: 43-44] أي لا بارد في الظل ولا كريم في المنزل.

قال: ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي ﴾ يعني النار ﴿ بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴾ وهي تقرأ على وجهين: كالقصْر، خفيفة، وكالقصَر مثقلة. فمن قرأها كالقصر خفيفة فهو يعني قصراً من

(1) زيادة من ز، ورقة 383.

(2) كذا وردت هذه العبارة في ق و ع، وهي في معاني الفراء ج 3 ص 224 أوضح: «يقال: إنه يخرج لسان من النار فيحيط بهم كالسرادق، ثم يتشعب منه ثلاث شعب من دخان فيظلهم حتى يفرغ من حسابهم إلى النار».

(3) زيادة من ز، ورقة 383.

القصور، ومن قرأها مثقلة فهو يعني أصول الشجر، وهي قصرها كقصر الرجال والدواب، وهي أعناقها(1).

قال تعالى: ﴿ كَأَنَّهُ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴾ وهي تقرأ على وجهين: جمالة وجمالات فمن قرأها جمالة فهو يعني النوق السود. ومن قرأها جمالات فهو يعني جمالات السفينة، أي حبالها(2) فيما ذكروا عن مجاهد. قال تعالى: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ وهي مثل الأولى.

قال تعالى: ﴿ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴾ أي: بحجة ﴿ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ وقد يؤذن لهم في الكلام في بعض المواطن ولا يؤذن لهم في بعض. فإذا أذن لهم في الكلام لم يعتذروا بعذر. قال: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ وهي مثل الأولى.

قال تعالى: ﴿ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴾ أي: هذا يوم القضاء ﴿ جَمَعْنَٰكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴾ أي: يقال لهم هذا يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ ﴾ تنجون به من عذاب الله ﴿ فَكِيدُونِ ﴾ تفسيره: فكيدون إن قدرتم، أي: إنكم لا تقدرون على ذلك. قال تعالى: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ وهي مثل الأولى.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴾ يعني الأنهار ﴿ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ قال: ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ وذلك على قدر أعمالكم. ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ قال: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ وهي مثل الأولى.

قال تعالى: ﴿ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلاً ﴾ يقوله للمشركين وعيداً لهم. وانقضت

---

(1) انظر تحقيق مختلف هذه القراءات ومعانيها في معاني الفراء، ج 3 ص 224-225. وقال الراغب الأصبهاني في المفردات: «وقيل القصر أصول الشجر، الواحدة قصْرة مثل جمرة وجمر». وانظر ابن خالويه: الحجة، ص 333.

(2) في تفسير مجاهد ص 717: حبال الجسور، وفي تفسير الطبري ج 29 ص 241-242: «قلوس السفينة، أي حبالها الغليظة».

القصة الأولى من أمر أهل النار. ﴿ إِنَّكُمْ مُّجْرِمُونَ ﴾ يعني شركهم.

ذكروا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: المؤمن يأكل في معاء واحد، والمنافق يأكل في سبعة أمعاء[1]. قال: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ وهي مثل الأولى.

قال: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴾ أي: وإذا قيل لهم صلوا لا يصلون ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ وهي مثل الأولى. قال: ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ ﴾ أي: بعد القرآن ﴿ يُؤْمِنونَ ﴾ أي: يصدّقون. لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(1) انظر تخريجه فيما سلف ج 2 ص 240.

تفسير سورة عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ يعني المشركين، أي: ما الذي يتساءلون عنه. ثم قال عز وجل: ﴿ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴾ أي البعث[1]، وذلك منهم تكذيب واستهزاء. قال عز وجل: ﴿ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴾ يعني البعث اختلف فيه المشركون والمؤمنون، فآمن به المؤمنون وكفر به المشركون.

قال عز وجل: ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾ وهذا وعيد من الله للمشركين، ووعيد بعد وعيد.

ثم قال: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَاداً ﴾ مثل قوله عز وجل: فراشاً وبساطاً. قال: ﴿ وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً ﴾ أي: أوتاداً للأرض.

قال: ﴿ وَخَلَقْنَـٰكُمْ أَزْوَاجاً ﴾ أي: ذكراً وأنثى. قال: ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً ﴾ أي: نعاساً[2]. ﴿ وَجَعَلْنَا الَّيْـلَ لِبَاساً ﴾ أي: ستراً يغطي الخلق فيسكنون فيه[3]. ﴿ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً ﴾ أي: يطلبون فيه أرزاقهم ومعايشهم.

---

(1) وذكر بعض المفسرين أن الذي اختلفوا فيه إنما هو القرآن؛ ووجه اختلافهم فيه أنهم قالوا: هو سحر، وقالوا هو شعر، وقالوا أساطير الأولين. وفي تفسير مجاهد ص 719: (عَنِ النَّبَإِ العظيم)، يعني القرآن.

(2) كذا في ق، و ع، و ز: «نعاساً»، وأصح منه تأويلاً ما ورد في بعض التفاسير: «راحة وقطعاً للأعمال» لأن أصل معنى السبت الراحة والدعة والسكون.

(3) في ق و ع: «أي سكناً لبعض الخلق، أي يسكنون فيه» وما أثبته من ز ورقة 383 أدق تعبيراً وأوضح معنى.

قال: ﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً ﴾ وهي السماوات، وهي أشد من خلق الناس. قال تعالى: (ءَأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها. . . إلى قوله وَالأَرْضَ بَعْدَ ذٰلِكَ دَحَاهَا) [النازعات: 27-30] قال عز وجل: ﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً ﴾ يعني الشمس. وتفسير الكلبي: وهاجاً: أي مضيئاً. وتفسير الحسن: حر الشمس وهجها.

قال: ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرٰتِ ﴾ أي: من السماوات[1] وبعضهم يقول: من السحاب[2]. ﴿ مَاءً ثَجَّاجاً ﴾ أي: ماء منصباً؛ ينصب بعضه على بعض. ﴿ لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبّاً ﴾ أي: البر والشعير ﴿ وَنَبَاتاً ﴾ أي: من كل شيء. قال عز وجل: ﴿ وَجَنّٰتٍ أَلْفَافاً ﴾ أي: ملتفة. وقال الكلبي: ألفافاً، أي: ألواناً.

قال: ﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ ﴾ أي: يوم القضاء، وهو يوم القيامة ﴿ كَانَ مِيقَاتاً ﴾ أي: يوافونه كلهم. ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ ﴾ وهي النفخة الأخيرة ﴿ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً ﴾ أي: أمة أمة. ﴿ وَفُتِّحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَت أَبْوَاباً ﴾ أي: منشقة. ﴿ وَسُيِّرَتِ الجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً ﴾ أي: مثل السراب، تراه وليس بشيء.

قال عز وجل: ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً ﴾ أي: هي رصد دون الجنة [أي: ترصد من حق عليه العذاب][3]. والصراط عليها، فمن كان من أهلها هوى فيها، ومن لم يكن من أهلها حاد عنها إلى الجنة.

قال الحسن: كان الرجل يلقى أخاه فيقول: أما علمت أن جهنم على الرصد. يعني أن جهنم كانت مرصاداً. قال الحسن: والله لقد أدركت أقواماً ما جعل أحدهم

---

(1) كذا ورد اللفظ في ق وع «السماوات»، وهو قول نسب إلى أبي بن كعب والحسن وابن جبير، وفي ز: «من الرياح» وهو قول نسب إلى ابن عباس وقاله مجاهد وعكرمة وقتادة. وهو أنسب.

(2) رجح الطبري هذا القول. وروي أيضاً عن ابن عباس والربيع والضحاك. وذكره ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن، ص 508 فقال: «يقال شبهت بمعاصير الجواري. والمعصر: الجارية التي دنت من الحيض». وانظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 30 ص 25.

(3) زيادة من ز، ورقة 384.

بينه وبين الأرض فراشاً حتى لحق بالله إلا كساءه، بعضه تحته وبعضه فوقه. ولقد أدركت أقواماً إن كان أحدهم ليعرض له المال الحلال فلا يأخذه ولا يعرض له خشية أن يكون هلاكه فيه. وإن كان الرجل ليلقاه أخوه فيحسب أنه مريض، وما به من مرض إلا أن القرآن قد أرَقَّه. وكان الرجل يلقى الرجل فيقول: أخي، أتاك أنك وارد جهنم؟ فيقول: نعم. فيقول: أتاك أنك صادر عنها؟ فيقول: لا. فيقول: ففيم البِطاء إذاً[1].

قال الله عز وجل: ﴿ لِلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴾ أي: للمشركين والمنافقين مرجعاً ﴿ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابًا ﴾ أي: تأتي عليهم الأحقاب لا تنقطع أبداً. والحقب ثمانون سنة، والسنة ثلاثمائة وستون يوماً، كل يوم ألف سنة من سني الدنيا. كلما خلا حقب دخل حقب، وذلك ما لا انقطاع له ولا أمد ولا غاية ولا منتهى.

قال: ﴿ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا ﴾ أي في جهنم ﴿ بَرۡدًا وَلَا شَرَابًا إِلَّا حَمِيمًا ﴾. والحميم الحار الذي لا يستطاع من حره، قد أوقد على تلك العين التي قال عنها عز وجل: (تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٍ) [الغاشية: 5] أي: قد أنى حرها فاجتمع، قد أوقد عليها منذ خلق الله السماوات والأرض. قال: ﴿ وَغَسَّاقًا ﴾ قال بعضهم: هو القيح الغليظ المنتن. وقال بعضهم: هي بالفارسية الغساق بلسانهم، أي: المنتن. وبعضهم يقول: الغساق: الذي لا يستطاع من شدة برده، وهو الزمهرير.

قال تعالى: ﴿ جَزَآءً وِفَاقًا ﴾ أي: يوافق أعمالهم الخبيثة. ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ حِسَابًا ﴾ أي: لا يخافون حساباً، [لأنهم] لا يقرون بالبعث. ﴿ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴾ [أي: تكذيباً][2].

---

(1) ما أحسن ما قاله الحسن البصري، وما أصدقه! إنه مما يلين القلوب، ويزهد في الدنيا، ويرغب فيما عند الله، فيا ليتنا نتعظ ونعتبر!.

(2) زيادة من ز، وقال الفراء في المعاني ج 3 ص 229: «خففها علي بن أبي طالب رحمه الله: (كِذَاباً) وثقلها عاصم والأعمش وأهل المدينة والحسن البصري. وهي لغة يمانية فصيحة يقولون: كذَّبت به كِذَّاباً، وخرَّقت القميص خِرَّاقاً، وكل فعَّلت فمصدره فِعَّال في لغتهم مشدد. قال لي أعرابي منهم على المروة: آلحلق أحبّ إليك أم القِصَّار؟ يستفتيني». وقال الجوهري في الصحاح: «هو أحد مصادر المشدد لأن مصدره قد يجيء على تفعيل. مثل التكليم، وعلى=

قال: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَـٰباً ﴾ أي: أحصت الملائكة على العباد أعمالهم وهي عند الله محصاة في أم الكتاب.

ذكروا عن ابن عباس قال: أول ما خلق الله القلم فقال اكتب. قال: رب وما أكتب. قال: ما هو كائن إلى يوم القيامة. قال: فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة. فأعمال العباد تعرض كل يوم اثنين وخميس فيجدونه على ما في الكتاب. وزاد فيه بعضهم: (هٰذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ). [الجاثية: 29]. ثم قال: ألستم قوماً عرباً. هل تكون النسخة إلا من كتاب.

قال: ﴿ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَاباً ﴾ ذكروا عن عبد الله بن عمرو قال: ما نزل على أهل النار آية هي أشد منها. قال: فهم في زيادة من العذاب أبداً. وهو قوله تعالى: (كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ) [النساء: 56] أي: زيدوا عذاباً.

قوله: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً ﴾ أي: نجاة مما أعد الله للكافرين. قال بعضهم: مفازاً أي من النار إلى الجنة. ﴿ حَدَائِقَ ﴾ أي: جنات ﴿ وَأَعْنَاباً ﴾ أي فيها أعناب. قال: ﴿ وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً ﴾ أي: أبكاراً على سنّ واحدة، بنات ثلاث وثلاثين سنة. قال تعالى: ﴿ وَكَأْساً ﴾ وهي الخمر ﴿ دِهَاقاً ﴾ وهي المترعة الممتلئة. وهو قول الشاعر(1).

أَتَانَا عَامِرٌ يَرْجُو قِرَانَا فَأَتْرَعْنَا لَهُ كَأْساً دِهَاقاً

وهي المترعة.

قال: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً ﴾ قال الحسن: معصية، كما كانوا يسمعون في

= فِعّال، مثل كِذّاب، وعلى تفعلة، مثل توصية، وعلى مُفَعَّل، مثل: (وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ) [سبأ: 19].

(1) هو خداش بن زهير بن ربيعة العامري، شاعر جاهلي، قيل إنه شارك في صفوف المشركين في غزوة حنين، ثم أسلم. انظر ابن حجر الإصابة ج 2 ص 358. (رقم 2329).

الدنيا. وقال بعضهم: (لَغْواً): حَلِفا. تفسير الكلبي: اللغو: الباطل. ﴿وَلَا كِذَّٰباً﴾ تفسير الحسن: لا يكذِّبُ بعضهم بعضاً. وقال بعضهم: ولا كَذِباً.

قال: ﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَاباً﴾ أي: على قدر أعمالهم. وقال تعالى في آية أخرى: (يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ) [غافر: 40]. وذلك أنهم يُعطَون فيها المنازل على قدر أعمالهم، ثم يُرزقون فيها أهل كل درجة بغير حساب.

قال عز وجل: ﴿رَبِّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ وهي تقرأ على وجهين: رب السماوات والأرض بالجر وبالرفع. فمن قرأها بالرفع فهو كلام مستقبل؛ يقول ربُّ السماوات والأرض وما بينهما (الرَّحْمَٰنُ) برفع (الرَّحْمَٰنِ). لا يملكون منه خطاباً. ومقرأ الحسن: ربُّ السماوات والأرض وما بينهما الرحمن[1]. يبتدىء فيقول: ﴿الرَّحْمَٰنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَاباً﴾. وقوله عز وجل: (لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَاباً) أي: مخاطبة في تفسير الحسن. وبعضهم يقول: (لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَاباً)، أي: كلاماً. كقوله عزّ وجل: (يَوْمَ يَاتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ) [هود: 105].

وقال في هذه الآية: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَٰئِكَةُ صَفّاً لَّا يَتَكَلَّمُونَ﴾ [أي: لا يشفعون][2] ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَاباً﴾ أي: قال: صواباً في الدنيا. وهو قول لا إله إلا الله. وقوله: (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ) قال الحسن: يوم يقوم روح كل شيء في جسده[3].

قال عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَئَاباً﴾ أي: مرجعاً، أي: بعمل صالح. وقال في آية أخرى: (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ) [الإنسان: 30].

---

(1) انظر ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص 334، وانظر معاني الفراء ج 3 ص 229، في مختلف وجوه هذه القراءات.

(2) زيادة من ز، ورقة 384.

(3) هذا وجه من وجوه تأويل الروح في هذه الآية، وقيل: الروح هنا هو جبريل عليه السلام، وقيل غير ذلك. انظر اختلاف المفسرين في الروح في تفسير القرطبي ج 16 ص 186-187.

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّا أَنْذَرْنَـٰكُمْ عَذَاباً قَرِيباً ﴾ ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: إنما مثلي ومثل الساعة كهاتين فما فضل إحداهما على الأخرى؛ فجمع بين اصبعيه الوسطى والتي يقال لها السبابة[1].

قال: ﴿ يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ ﴾ أي المؤمن ﴿ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ أي ينظر إلى ما قدمت يداه من عمل صالح ﴿ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَـٰلَيْتَنِـي كُنْتُ تُرَاباً ﴾، ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: أول ما يدعى إلى الحساب يوم القيامة البهائم، فتجعل الجماء قرناء، والقرناء جماء، فيقتص لبعضهم من بعض حتى تقتص الجماء من القرناء، ثم يقال لها: كوني تراباً. فعند ذلك يقول الكافر: (يَا ليتني كنت تراباً)[2].

(1) انظر الإشارة إليه فيما سلف ج 3 ص 62.

(2) أخرجه الطبري بسند من حديث أبي هريرة كما جاء في تفسيره ج 30 ص 26.

تفسير سورة النازعات، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله عز وجل: ﴿ وَالنَّـٰزِعَـٰتِ غَرْقاً ﴾ عن علي بن أبي طالب قال: هي النجوم تنزع من المشرق وتغرق في المغرب. وهو تفسير الحسن.

ذكروا عن محمد بن علي[1] قال: هي الملائكة تنزع أنفس بني آدم. قال سفيان. وبعضهم يقول: هي النجوم. وقال بعضهم: هي بقر الوحش.

قوله عز وجل: ﴿ وَالنَّـٰشِطَـٰتِ نَشْطاً ﴾ تفسير الحسن: إنها النجوم تنشط من مطالعها إلى مغاربها. عن عثمان قال حدثني من سمع محمد بن علي يقول: هي الملائكة تنشط أنفس بني آدم. ذكروا عن الأرمز[3] بن عبد الله الأزدي قال: إن ملك

(1) لم أجد من المفسرين الأوائل من اسمه محمد بن علي غير أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي الباقر. وأغلب ظني أنه المقصود هنا، فقد كان من فقهاء المدينة ومن ذوي الحسب والعقل الراجح فيهم، وتوفي سنة 114 هجرية. انظر الداودي، طبقات المفسرين ج 2 ص 198.

(2) كذا ورد هذا القول في ق و ع، دون ز، وأورده القرطبي في تفسيره ج 19 ص 191 هكذا: «وقيل: هي الوحش تنزع من الكلأ وتنفر، حكاه يحيى بن سلام، ومعنى (غرقاً) أي: إبعاداً في النزع». وأورده ابن الجوزي في زاد المسير قولاً سادساً للنازعات، فقال: «إنها الوحوش تنزع وتنفر، حكاه الماوردي». وأورده الطبري قولاً في (النَّاشِطَاتِ نَشْطاً) فقال: «وبقر الوحش أيضاً تنشط... لأنها تنشط من بلدة إلى بلدة. ولم ينسب من روى هذا القول إلى قائله الأول ولكنهم اكتفوا بذكر من حكاه.

(3) كذا وردت هذه الكلمة في ق «الأرمز» وفي ع: «الأمر» ولم أوفق لتحقيق هذا الاسم.

الموت ينشط نفس الكافر نشطاً مثل السفود ذي السعة من حمل العصعه[1] لا يبقى عرق ولا عصب إلا اتبعها.

قال: ﴿وَالسَّٰبِحَٰتِ سَبْحاً﴾ يعني النجوم كقوله: (كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) [الأنبياء: 33] أي: يدورون كما يدور فلك المغزل.

قال عز وجل: ﴿فَالسَّٰبِقَٰتِ سَبْقاً﴾ يعني الملائكة. قال الحسن: إنهم سبقوا إلى طاعة الله قبل بني آدم. قال عز وجل: ﴿فَالْمُدَبِّرَٰتِ أَمْراً﴾ يعني الملائكة يدبّر الله بهم ما أراد.

قال عز وجل: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ يعني النفخة الأولى ﴿تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ يعني النفخة الآخرة ﴿قُلُوبٌ يَّوْمَئِذٍ وَٰجِفَةٌ﴾ أي خائفة[2]. ﴿أَبْصَٰرُهَا﴾ أي: أبصار تلك القلوب ﴿خَٰشِعَةٌ﴾ أي: ذليلة. ﴿يَقُولُونَ﴾ أي: يقول المشركون في الدنيا. ﴿أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ أي في أول خلقنا[3]، ينكرون البعث. ﴿إِذَا كُنَّا عِظَٰماً نَّخِرَةً﴾ أي: بالية، على الاستفهام. وهذا استفهام إنكاري، أي: لا نبعث خلقاً جديداً.

﴿قَالُوا تِلْكَ إِذاً كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ أي: كاذبة، أي: ليست بكائنة[4].

---

(1) وردت هذه العبارة هكذا مضطربة غامضة في بعض كلماتها فلم أتمكن من تصحيحها. وجاءت العبارة في الدر المنثور هكذا: «تنشط نشطاً عنيفاً مثل سفود في صوف». وفي بعض التفاسير: «في صوف مبتل».

(2) كذا في ق و ع. وفي ز: «(واجفة) مضطربة شديدة الاضطراب».

(3) جاء في ز ورقة 385 ما يلي: «(الحافرة) يقال: إلى أمرنا الأول، والعرب تقول: أتيت فلاناً ثم رجعت على حافرتي، أي: رجعت إلى حيث جئت». وقال أبو عبيدة في المجاز: «من حيث جئنا، كما قال: رجع فلان في حافرته من حيث جاء، وعلى حافرته من حيث جاء». وانظر تحقيق معنى الحافرة وتعليل تسميتها في كشاف الزمخشري ج 4 ص 693-694.

(4) وجاء في ز، ورقة 385: «قال محمد: وقيل: المعنى: تلك إذاً رجعة يخسر فيها». وهي عبارة ابن قتيبة نفسُها في تفسير غريب القرآن، ص 513.

قال الله عز وجل: ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴾ والزجرة والصيحة والنفخة واحد. قال الله عز وجل: ﴿ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴾ أي: بالأرض، قد خرجوا من بطنها وصاروا على ظهرها.

قوله: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴾ أي: قد أتاك حديث موسى، وفي تفسير الحسن: إنه لم يأتك حتى أعلمتك ﴿ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ ﴾ يعني المبارك ﴿ طُوًى ﴾. قال بعضهم: قدس مرتين[1] قال الحسن: طوى بالبركة.

﴿ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾ أي: كفر ﴿ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴾ أي: إلى أن تؤمن ﴿ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ أي: وأبين لك دين ربك ﴿ فَتَخْشَىٰ ﴾ الله.

قال الله عز وجل: ﴿ فَأَرَىٰهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴾ أي: اليد[2]، وهي أكبر الآيات التسع التي أتاه بها. قال تعالى: ﴿ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴾ أي: فجمع قومه ﴿ فَقَالَ: أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴾.

قال الله: ﴿ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ ﴾ أي عقوبة ﴿ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴾. قال مجاهد: الآخرة. قوله: (أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ) والأولى قوله: (مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي) [القصص: 38]. ذكر غيره قال: مكث فرعون بعد قوله: (أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ) ثلاثين سنة[3]. وتفسير الحسن: (فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ) أي: عذبه الله في الدنيا بالغرق، ويعذبه في الآخرة بالنار.

قال الله: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾ وتفسير الحسن: لمن يخشى ما صنعت بفرعون وقومه حين أغرقتُهم، فيخشى الله مخافة أن يُفعل به ما فعل بفرعون وقومه فيؤمن.

---

(1) هذا على قراءة من قرأ طِوًى، بكسر الطاء والتنوين، كما ذكره ابن أبي زمنين، وانظر أبو عبيدة، المجاز ج 2 ص 285.

(2) كذا في ز، وفي ق و ع: «اليد والعصا وهي أكبر الآيات التسع التي قال الله في تسع آيات».

(3) في ع وق: «ثلاثمائة سنة»، وهو خطأ. وفي تفسير ابن الجوزي: «ثلاثين سنة» وفي تفسير الطبري «أربعين سنة».

قوله: ﴿ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاءُ بَنَيْهَا﴾ بغير عمد ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّيْهَا﴾ بينكم وبينها مسيرة خمسمائة عام.

قال عز وجل: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ أي: وأظلم ليلها ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَيْهَا﴾ أي: شمسها ونورها. قال: ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَيْهَا﴾ أي: بسطها [بعد خلق السماوات والأرض. قال بعضهم: وكان بدء الخلق، فيما بلغنا أنها كانت طينة في موضع بيت المقدس ثم خلق السماوات، ثم دحا الأرض][1] فقال لها اذهبي أنت كذا واذهبي أنت كذا. ومن مكة بسطت الأرض، ثم جعل فيها جبالها وأنهارها وأشجارها.

قال عز وجل: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَيْهَا وَالْجِبَالَ أَرْسَيْهَا﴾ أي: أثبتها وجعلها أوتاداً للأرض. قال الحسن: لما خلق الله الأرض جعلت تميد، وقد فسرنا حديثه في غير هذا الموضع بأجمعه[2].

قال عز وجل: ﴿مَتَاعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَمِكُمْ﴾ أي: تستمتعون به إلى الموت. وهذا تبع للكلام الأول: أخرج منها ماءها ومرعاها [للإمتاع لكم][3].

قال عز وجل: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ﴾ أي: النفخة الآخرة ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَنُ مَا سَعَىٰ﴾ أي: ما عمل، يوم يحاسب الله الناس بأعمالهم. ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ﴾ أي: كفر ﴿وَءَاثَرَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا﴾ أي: لم يؤمن بالآخرة لقولهم: (إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ) [المؤمنون: 37]. قال عز وجل: ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ أي المنزل، أي منزله.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ أي: موقفه بين يدي الله. ذكروا عن مجاهد في قوله عز وجل: (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ) [الرحمن: 46] قال: من أراد ذنباً

---

(5) سقط ما بين المعقوفين من ق وع، فأثبته كما جاء في ز ليستقيم المعنى.
(1) انظر ما سلف في هذا الجزء ص 69.
(2) زيادة من ز، ورقة 385.
(3)

فذكر الله أنه قائم عليه فتركه[1]. فقال هاهنا: (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ) ﴿ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ أي: منزله.

قوله عز وجل: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَيٰهَا ﴾ أي: متى مجيئها. ﴿ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَيٰهَا ﴾ تفسير الحسن: إنه ليس عليك من ذكرها شيء، أي: ليس عليك في ذلك علم متى تكون، وقد علمت أنها كائنة. وقال الكلبي: فيم أنت من ذكراها، أي فيم أنت من أن تسأل عنها ولم أخبرك عنها متى تجيء. قال عز وجل: ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَيٰهَا ﴾ أي: منتهى علم مجيئها.

قال: ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَن يَخْشَيٰهَا ﴾ أي: إنما يقبل نذارتك من يخشى الساعة. وقال في آية أخرى: (الذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ) [الأنبياء: 49].

قال عز وجل: ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا ﴾ يعني الساعة ﴿ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَيٰهَا ﴾ أي: عشية أو ضحوة[2]. قال بعضهم: أول ساعة من النهار، تصاغرت الدنيا عندهم فجاءهم الأمر كأنهم لم يروها.

(1) كذا وردت هذه العبارة في ق و ع، ولعل صوابها: «فذكر أن الله قائم عليه، أي يحصي عليه أعماله»، كما جاء في بعض التفاسير.

(2) قال الفراء في المعاني ج 3 ص 234: «وهل للعشى ضحا؟ إنما الضحا لصدر النهار، فهذا بيّن ظاهر من كلام العرب أن يقولوا: آتيك العشية أو غداتها، وآتيك الغداة أو عشيتها. تكون العشية في معنى: آخرَ والغداة في معنى: أول...».

تفسير سورة عبس، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله عز وجل: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَىٰ ﴾ أي: لأن جاءه الأعمى.

ذكروا أن النبي ﷺ كان مع رجل من المشركين من وجوههم وأشرافهم، وهو يدعوه إلى الإسلام، والناس تَبَعٌ لوجوههم وأشرافهم. فرجا النبي عليه السلام أن يؤمن فيتبعه ناس من قومه. فهو يكلمه، وقد طمع في ذلك منه، إذ جاء ابن أم مكتوم، وكان أعمى، فأعرض عنه النبي عليه السلام وأقبل على الرجل. وبلغنا أن الرجل أمية بن خلف[1]. وتفسير مجاهد أنه عتبة بن ربيعة أو شيبة بن ربيعة. فجعل ابن أم مكتوم لا يَتَقَارُّ لما أعرض عنه النبي مخافة أن يكون حدث فيه شيء، فأنزل الله تعالى: (عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَىٰ).

قال: ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ﴾ أي: يؤمن. ﴿ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ﴾.

﴿ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ﴾ أي: عن الله ﴿ فَأَنْتَ لَهُ ﴾ بوجهك ﴿ تَصَدَّىٰ ﴾ أي: تتعرّض ﴿ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴾ أي: ألا يؤمن.

﴿ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَىٰ ﴾ أي: يسارع في الخير ﴿ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴾ أي: يخشى الله، يعني ابن أم مكتوم. ﴿ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴾ أي: فأنت عنه تعرض.

(1) كذا في ق: أمية بن خلف، وفي ع: أمية بن أبي الصلت، خلف (كذا) وذكر القرطبي في تفسيره ج 19 ص 212 قولين لقتادة: أمية بن خلف، وأبي بن خلف. وذهب بعضهم إلى أن الرجل هو الوليد بن المغيرة المخزومي.

قال: ﴿ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴾ أي: إن هذه السورة تذكرة. ﴿ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ ﴾ أي: القرآن. وقال في آية أخرى: (وَمَا تَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللهُ) [المدثر: 56].

قال تعالى: ﴿ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ أي: عند الله في السماء[1] ﴿ مُّطَهَّرَةٍ ﴾ أي: من الدنس. ﴿ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴾ أي: كتبة[2]. يعني الملائكة ﴿ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾ أي: لا يعصون الله.

ذكروا عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأه ويتتعتع به وهو عليه شاق. فله أجران[3].

قوله عز وجل: ﴿ قُتِلَ الإِنْسَـٰنُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾ أي: لعن الإنسان ما أكفره وتفسير الكلبي: ما أشد كفره. ﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَـهُ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴾ أي: نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظاماً، ثم لحماً، ثم أنبت الشعر ونفخ فيه الروح.

﴿ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴾ أي: سبيل الهدى وسبيل الضلالة. وقال مجاهد: هو مثل قوله: (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ) أي: بينا له السبيل، سبيل الهدى وسبيل الضلالة (إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً) [الإنسان: 3][4].

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴾ أي: جعل له من يقبره، أي: من يدفنه في

---

(1) كذا في ق و ع وفي ز، وجاء في تفسير القرطبي ج 19 ص 216: «وقيل: مرفوعة في السماء السابعة». قاله يحيى بن سلام.

(2) هذا أحد وجوه تأويل السفرة. وهنالك معنى آخر للكلمة أوردها بعض المفسرين، وهو معنى السِّفارة قال الفراء في المعاني ج 3 ص 236: «(بِأَيْدِي سَفَرَةٍ) وهم الملائكة، واحدهم سافر. والعرب تقول سفرت بين القوم إذا أصلحت بينهم، فجعلت الملائكة إذا نزلت بوحي الله تبارك وتعالى وتأديبه كالسفير الذي يصلح بين القوم...».

(3) حديث متفق على صحته. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، سورة عبس، وأخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الماهر بالقرآن والذي يتتعتع فيه (رقم 798). وأخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب في ثواب قراءة القرآن (رقم 1454) وأخرجه الترمذي في فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل قارىء القرآن، كلهم يرويه من حديث عائشة.

(4) كذا في ق و ع، وفي ز ورقة 386: «(ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ) تفسير بعضهم: يعني خروجه من بطن أمه.

القبر[1]. ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ أي: أحياه، يعني البعث. وقد جعل الله له وقتاً، فكيف يكفره. وقال في سورة البقرة: (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) [البقرة: 28]، أي: كنتم أمواتاً في أصلبة آبائكم، أي: نطفاً، فأحياكم هذه الحياة، ثم يميتكم، ثم يحييكم، يعني البعث، ثم إليه ترجعون.

قال تعالى: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾ أي: لما يصنع ما أمره، يعني هذا الإنسان المشرك والمنافق لم يصنعا ما أمرهما الله به.

ثم ضرب مثلاً آخر فقال: ﴿فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِ﴾ أي: من أي شيء خلقه. قال تعالى: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبّاً﴾ يعني المطر ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقّاً﴾ أي للنبات ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبّاً وَعِنَباً وَقَضْباً﴾ وهي الفصافص[2]. ﴿وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً وَحَدَائِقَ غُلْباً﴾ قال الحسن: أي نخلاً كراماً، وهي الطوال الكرام. وقال الكلبي: (وَحَدَائِقَ غُلْباً) أي: شجراً طوالاً غلاظاً.

قال تعالى: ﴿وَفَـٰكِهَةً وَأَبّاً﴾ وهذا الذي ذكر من الفاكهة. قال الحسن: الفاكهة ما تأكلون، والأبّ ما تأكل أنعامكم. وتفسير الكلبي: الأب: الكلأ. قال تعالى: ﴿مَّتَـٰعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَـٰمِكُمْ﴾ أي تستمتعون به، أي: تأكلونه رزقاً لكم إلى الموت.

قال: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾ وهي اسم من أسماء القيامة، أصاخ لها الخلق من الفَرَق. وقال في آية أخرى: (وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَـٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً)

(1) كذا في ق وع، وجاءت عبارة الفراء في هذا المعنى أوضح وأدلّ على المقصود. قال في المعاني ج 3 ص 237: «جعله مقبوراً، ولم يجعله ممن يلقى للسباع والطير، ولا ممن يلقى في النواويس؛ كأن القبر مما أكرم المسلم به. ولم يقل: فَقَبَره؛ لأن القابر هو الدافن بيده، والمقبر: الله تبارك وتعالى: لأنه صيّره ذا قبر. وليس فعله كفعل الآدمي».

(2) في كتب التفسير واللغة القضب: النبات الرطب، وهو ما يقضب أي يُقطع ويؤكل رطباً أخضر. والفصافص نوع منه، ويسمى القتّ عند أهل مكة. ومنه القصيل أيضاً، وهو الزرع يقتصل أي يقتطع ليناً رطباً أخضر. انظر اللسان (قضب) و(قصل).

[طه: 108]. وقال تعالى: (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالمَلَائِكَةُ صَفّاً لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَاباً) [النبأ: 38].

قال عز وجل: ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ أي: يشغله.

ذكروا أن عائشة قالت: يا رسول الله، كيف يحشر الناس يوم القيامة؟ قال: يحشرون عراة. قالت: أما يحتشم الرجال من النساء والنساء من الرجال يا رسول الله؟ قال: هم يومئذ أشغل من أن ينظر بعضهم إلى بعض، أو إلى عورة بعض، لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه[1].

قال عز وجل: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴾ أي: ناضرة ناعمة[2]، وهؤلاء أهل الجنة ﴿ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾ أي: بالجنة وبرضاء الله. ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴾ أي: يغشاها سواد، وهؤلاء أهل النار.

قال: ﴿ أُولَٰئِكَ ﴾ أي: هؤلاء الذين هذه صفتهم وهذا نعتهم ﴿ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴾. فباين الله بين خلقه وأخبر بثوابهم وبأسمائهم عند بياض الوجوه وسوادها، وتسمية من دخل النار بالكفر والفجور. ففي ذلك دليل لمن عقل عن الله وألقى السمع وهو شهيد[3].

---

(1) حديث صحيح أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، (رقم 2859) عن عائشة.

(2) جاء في ز ما يلي: قال محمد: (مُسْفِرَةٌ) حقيقته مضيئة. يقال: أسفر الصبح إذا أضاء».

(3) هذه الجمل الأخيرة هي ولا شك من الشيخ هود الهواري، فهي بروحه وأسلوبه أشبه. وهي غير واردة في مخطوطة ز.

تفسير سورة إذا الشمس كورت، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله عز وجل: ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ تفسير الحسن: أي: ذهب ضوءها. ﴿ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴾ أي: قد رمي بها. كقوله: (وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ) [الانفطار: 2].

﴿ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴾ أي: ذهبت، تصير في حالات. أما أول ما تحول عن منزلة الحجارة فتكون كثيباً، وتكون كالعهن المنفوش، وتكون هباء منبثاً، وتكون سراباً. قال تعالى: (وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً) [النبأ: 20]. مثل هذا السراب تراه وليس بشيء، فسويت بالأرض. وقال في آية أخرى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً) أي: من أصولها (فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً) أي مستوية (لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجاً وَلَا أَمْتاً) [طه: 105-107] أي انخفاضاً ولا ارتفاعاً.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴾ وهي النوق عطّلها أهلها فلم تُحْلَبْ ولم تُصَرَّ وشغل عنها أهلها[1].

قال: ﴿ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ أي: جمعت لحشر يوم القيامة فهي أول من يُدعى للحساب فيقتص لبعضها من بعض حتى يقتص للجمّاء من القرناء، ثم يقال لها: كوني تراباً. فعند ذلك (يَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً) [النبأ: 40][2].

(1) كذا في ق و ع، وفي ز: «فلم تحلب من الشغل بأنفسهم».

(2) وهنالك معنى آخر روي عن أبي بن كعب واختاره الشيخ الطاهر بن عاشور وأفصح عنه بأبلغ=

ذكروا عن الحسن قال: مرّ رسول الله ﷺ على بعير معقول أول النهار، ثم مرّ عليه آخر النهار وهو كما هو، فقال: أين صاحب هذا البعير، ليعدّ له خصومة[1].

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ أي: فاضت، فتصير أعماق البحار ورؤوس الجبال سواء. وقال بعضهم: تسجر كما يسجر التنور. وتفسير مجاهد: أوقدت، وهو واحد[2].

قال: ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ قال الحسن: يلحق كل شيعة بشيعتها: اليهود باليهود والنصارى بالنصارى، والمجوس بالمجوس، وكل من كان يعبد من دون الله شيئاً بعضهم من بعض، والمنافقون بالمنافقين والمؤمنون بالمؤمنين. وتفسير مجاهد: الأمثال من الناس جمع بينهم.

ذكروا عن النعمان بن بشير قال: سألت عمر بن الخطاب عن قوله: (وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) فقال: يُزوَّجُ كل إنسان نظيرَه من الجنة، ويزوّج كل إنسان نظيره من أهل النار، ثم تلا هذه الآية: (احْشُرُوا الذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ) [الصافات: 22-23]. قال الكلبي: أما أهل الجنة فيُزوَّجون بخيرات حسان، وأما أهل النار فيقرن كل إنسان وشيطانه، يكونان جميعاً في سلسلة واحدة. وبعضهم يقول: (وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) أي: ردّت الأرواح إلى الأجساد[3].

= بيان وأحسن تعليل، وهو يجعل من هذا الحشر جمعَ الوحوش «في مكان من الأرض عند اقتراب فناء العالم». . . و «ليس هذا الحشرَ الذي يحشر الناس به للحساب، بل هذا حشر في الدنيا، وهو المناسب لما عدّ معه من الأشراط». انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 30 ص 143.

(1) لم أعثر على هذا الحديث فيما لدي من المصادر. فهل هو مما انفرد بروايته ابن سلام؟.

(2) وقال ابن أبي زمنين، كما في مخطوطة ز، ورقة 387: «(سُجِّرَتْ) حقيقته ملئت فيفضي بعضها إلى بعض فتصير شيئاً واحداً، وهو معنى قول الحسن». وقد نقل هذه العبارة القرطبي في تفسيره ج 19 ص 230 إلا أنه قال: «فيفيض بعضها إلى بعض».

(3) هذا المعنى الأخير لتزويج النفوس هو ما ذهب إليه المحققون من العلماء. وهو رأي أستاذنا المرحوم الإمام إبراهيم بيوض كما حفظتُه عنه. وقد بدأ به أيضاً الشيخ ابن عاشور واختاره مع =

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴾ وهي بنات أهل الجاهلية كانوا يدفنونهن أحياء لخصلتين: أما إحداهما فكانوا يقولون: إن الملائكة بنات الله، فألحقوا به البنات، فهو أحق بهن، وأما الخصلة الأخرى فمخافة الحاجة. قال في آية أخرى: (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ) [الإسراء: 31] أي: خشية الحاجة. كان أحدهم يقتل ابنته ويغذو كلبه.

قال تعالى: ﴿ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ قال الحسن: إن الله يوبّخ قاتلها لأنها قتلت بغير ذنب وسيئة فسئلت، فلم يوجد لها ذنب.

وبعضهم يقرأها: (وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سَأَلَتْ[1] بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ) أي: تتعلق الجارية بأبيها فتقول: بأي ذنب قتلتني.

قال: ﴿ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾ للحساب. وهو ما كتبت الملائكة على العباد من أعمالهم، مثل قوله تعالى: (وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا). [الكهف: 49]، وكقوله: (يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ) [الإسراء: 71] أي: ما كتبت الملائكة على العباد من أعمالهم في بعض هذا التفسير.

قال: ﴿ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴾ أي: طويت، وهو قوله تعالى: (يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكِتَابِ) [الأنبياء: 104]. وقال مجاهد: (كُشِطَتْ) أي: اجتبذت.

= المعنى الأول وهو جعل الناس أصنافاً ونزع بقول تعالى: (وَكُنْتُمْ أَزْوَاجاً ثَلَاثَةً) [الواقعة: 7] ثم قال: «ولعل قصد إفادة هذا التركيب لهذين المعنيين هو مقتضى العدول عن ذكر ما زوّجت النفوس به. وأول منازل البعث اقتران الأرواح بأجسادها، ثم تقسيم الناس إلى مراتبهم للحشر. كما قال تعالى: (ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ). ثم قال: (وَسِيقَ الذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَراً) ثم قال: (وَسِيقَ الذِين اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً) الآية». [الزمر: 68، و: 71 و: 73].

(1) وهي قراءة الضحاك وأبو الضُّحا عن جابر بن زيد وأبي صالح، وهي قراءة ابن عباس، وكذلك هي في مصحف أبيّ كما ذكره القرطبي في تفسيره ج 19 ص 233-234.

قال: ﴿ وَإِذَا الجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴾ أي: أوقدت، وهي توقد منذ خلق الله السماوات والأرض في الستة الأيام. قال تعالى: ﴿ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴾ أي: أدنيت؛ كقوله تعالى: (وَأُزْلِفَتِ الجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ) [الشعراء: 90]. قال: ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴾ أي: من عملها.

قوله تعالى: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ ﴾ [المعنى فأقسم، ولا صلة][1] ﴿ بِالْخُنَّسِ ﴾. ذكروا عن علي قال: يعني النجوم تجري بالليل وتخنس أي تتوارى بالنهار. وهو قول الحسن: هي في ذلك جارية، ولكنها لا ترى بالنهار. وقال بعضهم: بلغنا أنها خمسة تجري في مجرى الشمس: وهي الزهرة والمشتري، والمريخ، وزحل، وعطارد.

قال: ﴿ الجَوَارِي ﴾ يعني جريها في السماء ﴿ الكُنَّسِ ﴾ تفسير الحسن: أن ترجع إلى مطلعها في القابلة. وقال الكلبي: (الكُنَّس) يعني أنها تكنس، أي: تتغيّب وتتوارى بالنهار كما تتوارى الظباء في كناسها. وبعضهم يقول: (الجَوَارِي الكُنَّس) هي بقر الوحش.

قال: ﴿ وَالَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴾ تفسير الحسن: إذا أظلم، وتفسير الكلبي: إذا أدبر. وقال مجاهد: يقال إقباله ويقال إدباره.

ذكروا أن رجلاً سأل علياً: أي ساعة توتر؟ فسكت عنه. فلمّا أذّن من السحر للصبح قال علي: أين السائل عن الوتر؟ نِعمَ ساعة الوتر [هذه][2] ثم قرأ (والليل إِذَا عَسْعَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ).

قوله: ﴿ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ أي: إذا أسفر، يعني إذا أضاء. أقسم بهذا كله، من قوله: (فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ) إلى قوله: (وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ).

﴿ إِنَّهُ ﴾ يعني القرآن ﴿ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ يعني جبريل يرسله الله إلى النبيين ﴿ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾ أي: في المنزلة والقربة. ﴿ مُطَاعٍ ثَمَّ ﴾

(1) زيادة من ز، ورقة 387. بمعنى زائدة.

(2) زيادة لا بد منها ليستقيم المعنى.

أي: في السماء قال الحسن: جعل الله طاعة جبريل في السماء طاعة له، فأمر الله الملائكة بذلك كما أمر الله أهل الأرض أن يطيعوا محمداً ﷺ. قال: ﴿ آمِين ﴾ أي عند الله وعند الملائكة.

قوله: ﴿ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴾ يعني محمداً ﷺ، وذلك لقول قريش وقول مشركي العرب إنه مجنون. قال: ﴿وَلَقَدْ رَءاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ يعني بالمشرق الذي هو مطلع النجوم والشمس والقمر. يعني أن محمداً رأى جبريل في صورته مع الأفق قد سدّ ما بين السماء والأرض. وتفسير مجاهد: إن ذلك كان من نحو أجياد. عن عمارة مولى بني هاشم قال إن النبي عليه السلام رأى جبريل عليه السلام له ستمائة جناح مثل الزبرجد الأخضر فأغمي عليه.

قال تعالى: ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ ﴾ أي: على الوحي ﴿ بِضَنِينٍ ﴾ أي: بخيل، أي لا يبخل عليكم به، وهي تقرأ على وجه آخر: (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ) أي: بمتّهم، وهو مقرأ عبد الرحمن الأعرج ومقرأ أهل الكوفة. ﴿ وَمَا هُوَ ﴾ يعني القرآن ﴿ بِقَوْلِ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ ﴾ أي رجمه الله باللعنة. قال: ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾ يقول للمشركين: فأين تعدلون عنه يميناً وشمالاً، كقوله تعالى: (فَمَالِ الذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ).

قال تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ ﴾ يعني القرآن ﴿ إِلَّا ذِكْرٌ ﴾ إلا تفكير ﴿ لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ يعني من آمن به يذكرون به الآخرة. قال: ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَّسْتَقِيمَ ﴾ أي: على ما أمر الله في تفسير الحسن. وقال مجاهد: (أَن يَّسْتَقِيمَ)، أي أن يتّبع الحق، وهو واحد. ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَّشَاءَ اللهُ ﴾ أي: لا تقدرون على شيء لم يرده الله ﴿ رَبُّ الْعَـٰلَمِينَ ﴾ أي الخلق أجمع.

تفسير سورة إذا السماء انفطرت، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴾ أي: انشقت، وذلك يوم القيامة بعد النفخة الأخيرة. ﴿ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ﴾ أي: تساقطت وهو قوله: (انْكَدَرَتْ) [التكوير: 2] ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾ أي: فجر ملحها في عذبها وعذبها في ملحها ﴿ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴾ أي: أخرج ما فيها من الأموات.

قال: ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾ أي: (مَا قَدَّمَتْ) من عمل، خيراً كان أو شراً، (وَمَا أَخَّرَتْ) أي من سنة حسنة فعُمِل بها بعده فله مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيئاً، أو سنة سيئة فعمل بها بعده فعليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيئاً.

قوله تعالى: ﴿ يَـٰأَيُّهَـا الإِنْسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ ذكروا أن عمر بن الخطاب قرأ هذه الآية: (يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ) فقال غرّه حمقه وجهله[1].

قال: ﴿ الذِي خَلَقَكَ فَسَوَّيْكَ ﴾ أي سوى خلقك باللحم والشعر ﴿ فَعَدَّلَـكَ ﴾ يعني اعتدال الخلق؛ فهذا مقرأ من قرأها بالتخفيف (فَعَدَلَكَ) ومن قرأها بالتثقيل

(1) في ق و ع: «أحمقت، وجهلت» وأثبت ما جاء في ز ورقة 387، فهو أفصح، وفي الدر المنثور: «غره والله جهله»، وفي الكشاف: «غره حمقه وجهله».

(فَعَدَّلَكَ) قال: جعل عينيك سواء. ورجليك سواء، ويديك سواء، وجنبيك سواء[1].

ثم قال: ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ أي: خلق الله كل إنسان في صورته، لا ترى اثنين على صورة واحدة؛ فجعله إن شاء طويلاً وإن شاء قصيراً، وإن شاء جعله ذكراً، وإن شاء جعله أنثى. وقال مجاهد: إن شاء جعله حسناً، وإن شاء جعله قبيحاً.

ذكروا عن الضحاك بن مزاحم قال: يشبه الرجل الرجل وليس بينه قرابة إلا من قبل الأب الأكبر آدم عليه السلام. قال بعضهم: إنه وإن أشبه الرجل الرجل فإنه ليس على صورته كلها.

﴿ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴾ أي: بالحساب، بأن الله يدين الناس يوم القيامة بأعمالهم.

قال: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ﴾ أي: حفظة يحفظون أعمالكم، أي: يكتبونها يعني بها الملائكة الذين يكتبون أعمال العباد.

قال تعالى: ﴿ كِرَاماً كَـٰتِبِينَ ﴾ أي: كراماً على الله، كاتبين أعمال العباد. قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ أي: من الظاهر، فيكتبونه ولا يعلمون الباطن. قال تعالى في موضع آخر: (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) [سورة قٓ: 18].

ذكروا عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: الذكر الخفي الذي لا تسمعه الحفظة يضاعف على الذي تسمعه الحفظة سبعين ضِعفاً؛ فإذا كان يوم القيامة قال الله تعالى للعبد: إن لك عندي كنزاً لم يطلع عليه أحد غيري؛ وهو الذكر الخفي.

ذكروا عن بعضهم قال: إذا عمل العبد في العلانية عملاً وعمل في السر مثله قال الله للملائكة: هذا عبدي حقاً.

---

(1) قال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ص 518: (فَعَدَلَكَ) بالتخفيف، أراد: صرفك إلى ما شاء من الصور في الحسن والقبح». وقال الفراء في المعاني ج 3 ص 244: «ومن قرأ: (فَعَدَّلَكَ) مشددة، فإنه أراد ـ والله أعلم ـ: جعلك معتدلاً معدّل الخلق، وهو أعجب الوجهين إليّ وأجودهما في العربية. . .».

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ أي: في الجنة ﴿ وَإِنَّ الْفُجَّارَ ﴾ يعني المشركين والمنافقين ﴿ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ أي: لفي النار ﴿ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴾ أي: يوم الحساب، يوم يدين الله فيه الناس بأعمالهم. ﴿ وَمَا هُمْ عَنْهَا ﴾ أي: عن النار ﴿ بِغَائِبِينَ ﴾. وقال في آية أخرى: (أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ) [الروم: 16].

قال: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ [ثُنّي ذكره][1] تعظيماً له. قال الحسن: إنك لم تدر يوم الدين حتى أعلمتك به.

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً ﴾ أي: لا يغني أحد عن أحد شيئاً، أي: لا ينفعه. كقوله: (يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَولًى شَيْئاً) [الدخان: 41] أي: ولي عن ولي شيئاً. ﴿ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾ وحده لا شريك له، ولا ينازعه الأمرَ في ذلك اليوم أحد، فالأمر له[2].

---

(1) زيادة من ز.

(2) وردت هذه الجملة الأخيرة مضطربة فاسدة في ق و ع فأثبت صحتها حسبما يقتضيه المعنى.

تفسير سورة المطففين وهي مكية كلها.

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ في الآخرة يدعون بالويل والثبور في النار. وهم المشركون والمنافقون المطففون في المكيال والميزان. بلغنا أنها نزلت في مشركي أهل مكة، عابهم الله بتطفيفهم. وقد عاب المشركين بأعمالهم الخبيثة في شركهم في مواضع من القرآن.

قال تعالى: ﴿ الذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ أي: ينقصون. ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولئِكَ أَنَهُم مَّبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَـٰلَمِينَ ﴾. [قال بعضهم][1]: بلغنا أنهم يقومون ثلاثمائة سنة من قبل أن يفصل بينهم.

قوله: تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَـٰبَ الْفُجَّارِ ﴾ أي: المشركين والمنافقين ﴿ لَفِي سِجِّينٍ ﴾ قال الحسن: لفي سَفَال[2]. وقال كعب: حجر أسود تحت الأرض السابعة لايَصعد[3].

(1) زيادة لا بد منها، لأن القول ليحيى بن سلام. وجاءت العبارة في ز ورقة 388 هكذا: «يحيى بلغني أنهم...».

(2) كذا: «سَفال»، وهو السفل، نقيض العلوّ والعلاء. وقال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 289: «(لفي سجين) في حبس، فعّيل من السجن، كما يقال: فسّيق من الفسق». وانظر كيف رجح ابن كثير في تفسيره ج 7 ص 239 أصل هذا المعنى الأخير وتلطف فجمع بينه وبين قول كعب التالي.

(3) كذا في ق وع، وفي ز: «حجر أسود تحت الأرض السابعة تكتب فيه أرواح الكفار». (كذا).

[قال تعالى: ﴿ وَمَا أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴾ أي: ليس ذلك مما كنت تعلمه أنت ولا قومك، ثم فسّره فقال: ﴿ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴾ أي: مكتوب][1].

قال تعالى: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ ﴾ يعني يوم القيام ﴿ لِّلْمُكَذِّبِينَ الذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾ أي: بيوم الحِساب، يوم يدين الله فيه الناس بأعمالهم.

قال تعالى: ﴿ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ ﴾ أي: بيوم القيامة الذي فيه الحساب ﴿ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ ﴾ أي: من العدوان، وهو الشرك ﴿ أَثِيمٍ ﴾ أي آثم ﴿ إذا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا ﴾أي القرآن ﴿ قَالَ أَسَٰطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ أي: كذب الأولين وباطلهم. قالَ الكلبي: إنه النضر ابن الحارث.

قال تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ تفسير الحسن: إنه الذنب على الذنب حتى يموت القلب.

ذكروا عن حذيفة قال: القلب في مثل الكف، فيذنب العبد الذنب فينقبض، ثم يذنب الذنب فينقبض، ثم يذنب الذنب فينقبض حتى يسمع الخبر فلا يجد في قلبه سماعا فيحرم[2] منه، فهو الران[3].

وقال بعضهم: إن الطبع طبع على قلوبهم بفعلهم الكفر. وقال الكلبي: إن على قلوبهم الطبع، ألا تراه يقول: (مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ).

قال تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ أي: عن ثواب ربهم لمحرومون[4]. ﴿ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴾ أي النار ﴿ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ أي: في الدنيا، يقال ذلك للمشركين وهم في النار.

(1) سقطت هاتان الآيتان وتفسيرهما من ق و ع فأثبتهما بين معقوفين من ز، ورقة 388.

(2) في ق و ع: «فيخرج منه» ويبدو في الكلمة تصحيف، فأثبت ما رأيته صواباً إن شاء الله، أي: فيحرم من الخير.

(3) ران يرين ريْناً ورُيُوناً: غطّى وغشى عليه، والاسم منه الران كالرين، ومثله العاب والعيب. وانظر لمزيد من الفائدة اللسان: (رين).

(4) هذه عبارة الشيخ هود الهواري، وهذا تأويله للآية، وهو موافق لرأي الإباضية في استحالة رؤية=

قال: ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَـٰبَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴾ أي: في صعود إلى الله. وتفسير مجاهد: عليّون في السماء السابعة. وقال كعب: عليون قائمة العرش اليمنى.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: إن أهل الجنة ليرون أهل عليين كما ترون الكوكب الدري في أفق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما[1].

قال عز وجل: ﴿ وَمَا أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴾ قال الحسن: إنك لم تدر ما عليون حتى أعلمتك. قال عز وجل: ﴿ كِتَـٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴾ أي مكتوب، يكتب عليه في عليين.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: من صلى بعد المغرب ركعتين قبل أن يتكلم رفعنا له في عليين[2].

قال: ﴿ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ أي: مقربو أهل كل سماء، يشهدون كتاب عمل المؤمن حيث يرقم فيه، أي: يكتب فيه، يشهدون نسخه إذا نسخ، ويشهدون عليه يوم القيامة أنها أعمالهم. وبلغنا عن ابن عباس أنه قال: إن أعمال بني آدم تنسخ من اللوح المحفوظ.

قال عز وجل: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ عَلَى الْأَرَائِكِ ﴾ أي على السرر في الحجال . ﴿ يَنظُرُونَ ﴾. قال مجاهد: هي سرر من لؤلؤ وياقوت. ﴿ تَعْرِفُ فِي

= الباري في الدنيا والآخرة معاً. وجاء بدل هذا في ز ورقة 388 ما يلي: «يحتجب الله من المشركين فلا يرونه، وأما المؤمنون فيرونه في كل جمعة، فيتجلّى لهم حتى ينظروا إليه». تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

(1) حديث حسن أبو داود في كتاب الحروف والقراءات (رقم 3987)، وأخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب فضائل أصحاب رسول الله ﷺ (رقم 96) كلاهما يرويه من حديث أبي سعيد الخدري. وأما قوله: «وأنعما» فقيل معناه: «وزادا على ذلك». وقيل معناه: «أهل ذاك هما». وقيل: معناه: «صارا إلى النعيم».

(2) رواه المنذري في الترغيب والترهيب ج 1 ص 405 في كتاب النوافل، باب الترغيب في الصلاة بين المغرب والعشاء عن مكحول يبلغ به النبي ﷺ. وقال المنذري: «ذكره رزين ولم أره في الأصول».

وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴾ [يعني بريق النعيم ونداه. وقيل: حسنه وبريقه وتلألؤه][1] ﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ ﴾ [يعني الشراب][2]، وهي الخمر، قال عز وجل: ﴿مَّخْتُومٍ ﴾ يعني الشراب ﴿ خِتَامُهُ مِسْكٌ ﴾ أي: عاقبته مسك في تفسير بعضهم. وقال مجاهد: ختم به آخر جرعة، وهو واحد[3].

قال: ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ أي في الدنيا بالأعمال الصالحة.

قال عز وجل: ﴿ وَمِزَاجُهُ ﴾ أي: ومزاج ذلك الشراب ﴿ مِنْ تَسْنِيمٍ عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾. قال بعضهم: يشرب بها المقربون صرفا، وتمزج لسائر أهل الجَنة.

قوله تعالى: (عَيْناً) أي: تلك الخمر من عين. وإنما صارت عينا كقوله: (ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً)[الإسراء: 61] أي من طين.

قال تعالى: (يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ) وهي من تسنيم، أي تسنم عليهم منازلهم، أي: مالهم من معالٍ. وتسنيم أشرف شراب في الجنة[4].

ذكروا عن ابن عباس أنه قال: تسنيم هي مما قال الله: (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ) [السجدة: 17].

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ الذِينَ أَجْرَمُوا ﴾ أي: أشركوا أي: أشركوا ﴿ كَانُوا مِنَ

---

(1) زيادة للإيضاح؛ والعبارة الأولى للفراء، والثانية للطبري.

(2) زيادة من ز، ورقة 388. وقال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 289: «الرحيق: الذي ليس فيه غش، رحيق معرق من مسك أو خمر». وقال الجوهري في الصحاح: «الرحيق صفوة الخمر» وفي اللسان: «الرحيق من أسماء الخمر، وقال ابن سيده: وهو من أعتقها وأفضلها».

(3) قال ابن أبي زمنين: «يعني أنهم إذا شربوا هذا الرحيق ففني ما في الكأس وانقطع الشرب انختم ذلك بطعم المسك ورائحته».

(4) قال الفراء في المعاني ج 3 ص 249: «مزاج الرحيق (من تَسْنِيمٍ) من ماء يتنزل عليهم من معالٍ. . .» وانظر ما حققه الفراء بكلمة تسنيم ووجوه إعراب (عينا) في الآية.

الـذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُـونَ ﴾ أي: في الدنيـا، يسخـرون بهم. تفسيـر: الحسن كـان المشركون إذا مرّ بهم النبي عليه السلام وأصحابه يقول بعضهم لبعض: انظروا إلى هؤلاء الذين تركوا شهواتهم في الدنيا يطلبون بذلك ـ زعموا ـ نعيماً في الآخرة.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ ﴾ أي بالنبي وأصحابه ﴿ يَتَغَامَزُونَ ﴾ أي: يقولون هذا القول. قال: ﴿ وَإِذَا انْقَلَبُوا ﴾ يعني المشركين ﴿ إِلَىٰ أَهْلِهِمْ ﴾ في الدنيا ﴿ انْقَلَبُوا فَـكِهِينَ ﴾ أي: مسرورين. كقوله تعالى: (إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُوراً) [الانشقاق: 13].

ذكروا عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله عز وجل: وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين. لا يخافني في الدنيا إلا أمنته في الآخرة، ولا يأمنني في الدنيا إلا خوفته في الآخرة[1].

وقال في آية أخرى: (إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا وَوَقَيْنَا عَذَابَ السَّمُومِ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلَ نَدْعُوهُ أَنَّهُ هُوَ البَرُّ الرَّحِيمُ) [الطور: 26-28] وقال عز وجل: (وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُوراً) [الانشقاق: 13] أي: في الجنة. وقال في الكافر: (فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً وَيُصلى سَعِيراً إِنَّه كَانَ فِي أَهْلِهِ) أي في الدنيـا (مَسْرُوراً) [الإنشقاق: 11-12].

قال عز وجل: ﴿ وَإِذا رَأَوْهُمْ ﴾ أي إذا رأوا أصحاب النبي عليه السلام ﴿ قَالُوا إِنَّ هٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴾ أي: بتركهم شهواتهم في الدنيا لنعيم الآخرة زعموا.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَـٰفِظِينَ ﴾ أي يحفظون أعمالهم، يعني المشركين.

قال: ﴿ فَالْيَوْمَ الذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَى الأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴾. قال الحسن: هذه والله الدُّولة الكريمة التي أدال الله المؤمنين على المشركين في الآخرة،

---

(1) انظر ما سلف في هذا الجزء ص 413.

فهم يضحكون منهم وهم متكئون على فرشهم ينظرون كيف يعذَّبون، كما كان الكفار يضحكون منهم في الدنيا. والجنة في السماء والنار في الأرض.

ذكروا أن كعباً قال: بين الجنة والنار كوى؛ فإذا أراد الرجل من أهل الجنة أن ينظر إلى عدوّ له من أهل النار نظر فرآه. وهو قوله: (فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ...) إلى آخر الآية.

وتفسير الحسن إنهم يضحكون منهم حين يفتح لهم باب من الجنة، فيدعون ليدخلوها، فإذا جاءوا أغلق دونهم فيرجعون، ثم يدعون، فإذا جاءوا أغلق دونهم فيرجعون، فيدعون ليدخلوا فإذا جاءوا أغلق دونهم، حتى إنهم يدعون فما يجيئون من اليأس.

وقال بعضهم: هؤلاء المنافقون، وهم كانوا أشد استهزاء بالنبي والمؤمنين وأشدّ ضَحِكا من المشركين، فأدال الله المؤمنين عليهم في الآخرة وخدعهم بفتح باب الجنة لهم ليدخلوها كما كانوا يخدعون في الدنيا.

قال الله: ﴿ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ ﴾ أي: هل جوزي الكفار ﴿ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ أي: جوزوا في الآخرة ما كَانوا يفعلون في الدنيا، أي: نعم، قد جوزوا شر الجزاء في تفسير الكلبي. وقال الحسن: شر ثواب وشر دار.

تفسير سورة إذا السماء انشقت، وهي مكية كلها.

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ﴾ وذلك يوم القيامة عند النفخة الآخرة. ﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَـا ﴾ أي: سمعت لربهـا فأطـاعت. ﴿ وَحُقَّتْ ﴾ أي: وحق لها أن تفعل.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ ﴾ قال ابن عباس: تُمدّ كما يمدّ الأديم العكاظي. وعكاظ سوق باليمن[1]. وهذا إذا أبدلت، تبدل الأرض بأرض بيضاء وكأنها فضة لم تعمل عليها خطيئة، ولم يسفك عليها محجم دم حرام.

قال تعالى: ﴿ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا ﴾ أي: أخرجـت ما فيها من الأموات فظهروا على ظهرها. ﴿ وَتَخَلَّتْ ﴾ أي: إلى الله منهم. ﴿أَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ أي: سمعت وأطاعت. ﴿ وَحُقَّتْ ﴾ أي: وحق لها أن تفعل.

قوله تعالى: ﴿يَـٰأَيُّهَا الإِنْسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحاً ﴾ أي: ساع إلى ربك سعياً بالعمل، كقوله تعالى: (لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعىٰ) [طه: 15].

(1) كذا في ق و ع، وهو خطأ من ناسخ فيما يبدو، فعكاظ ليست باليمن، وإنما هي سوق من أسواق العرب بين نخلة والطائف بالحجاز، بينها وبين الطائف. وقال أبو عبيدة حسبما نقله البكري: عكاظ فيما بين نخلة والطائف إلى موضع يقال له العتق، وبه أموال ونخل لثقيف؛ بينه وبين الطائف عشرة أميال. قال ياقوت في معجم البلدان: «وأديم عكاظي نسب إليه وهو مما يحمل إلى عكاظ فيباع فيها». انظر البكري: معجم ما استعجم ج 2 ص 959. وانظر ياقوت الحموي. معجم البلدان.

قال تعالى: ﴿ فَمُلَٰقِيهِ ﴾ أي: فملاق ثواب ذلك العمل إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً﴾.

ذكروا عن عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله ﷺ عن الذي يحاسب حسابا يسيرا فقال: ذالكم العرض. قال: ولكن من نوقش الحساب فهو هالك[1].

ذكروا عن عبد الله بن عمر أنه قال: يوقف الله عبده المؤمن يوم القيامة على ذنوبه فيقول: أتعرف ذنب كذا وذنب كذا، فيقول: نعم: يا رب أعرف. فيقول: أتعرف ذنب كذا فيقول: نعم يا رب أعرف، حتى إذا قرّره بذنوبه ورأى العبد في نفسه أنه قد هلك قال: فإني سترتها عليك في الدنيا وإني سأغفرها لك اليوم وأحطها عنك. ثم يعطى كتاب حسناته. وأما المنافقون والمشركون فإنه ينادي الأشهاد: (هَٰؤُلَاءِ الذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) [هود: 18] أي: الكافرين.

قال تعالى: ﴿ وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ ﴾ أي إلى أزواجه من الحور العين ﴿ مَسْرُوراً ﴾.

قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَن أوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴾ فإنه تخلع كفه اليسرى وتجعل خلفه فيأخذ بها كتابه. قال تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً ﴾ أي: بالويل والهلاك في النار. ﴿ وَيَصْلَىٰ سَعِيراً ﴾ [أي: يكثر عذابه][2] ويشوى في النار.

قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ ﴾ أي في الدنيا ﴿ مَسْرُوراً ﴾. قال الحسن [قال رسول الله ﷺ][3] الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر.

---

(1) كذا في ق و ع: «من نوقش الحساب فهو هالك» وروي في بعض كتب الحديث: «ولكن من نوقش الحساب عُذِّب، أو هلك» وانظر الإشارة إليه فيما سلف ج 2 ص 304.

(2) زيادة من ز، ورقة 389.

(3) زيادة لا بد منها لأن هذا نص حديث صحيح أورده ابن سلام مراراً. وقد أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، وهو أول أحاديث الكتاب (رقم 2956).

قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَّحُورَ ﴾ أي: إنه حسب أن لن يرجع إلى ربه. ﴿ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيراً ﴾ أي: إنه سيبعثه.

قال تعالى ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴾ وهو شفق النهار إذا غابت الشمس. وتفسير الحسن: الشفق: الحمرة، وهو هذا الشفق عينه.

ذكروا أن جبريل صلى بالنبي عليه السلام العشاء في الوقت الأول حين غاب البياض من الشفق.

قال تعالى: ﴿ وَالَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴾ أي: وما جمع، جمع خيراً كثيراً وشراً كثيراً مما عمل فيه الخلق.

قال تعالى: ﴿ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴾ أي: استوى واستدار ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ ﴾ قال الحسن: حالا بعد حال.

ذكروا عن عبد الله بن مسعود قال: (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ) قال النبي عليه السلام ليلة أسري به، أي: سماء بعد سماء. وبعضهم قال: أمراً بعد أمر؛ السماء تنشق مرة، ومرة تكون وردة كالدهان، ومرة كالمهل.

قال تعالى: ﴿ فَمَالَهُمْ ﴾ يعني المشركين، ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ وَإِذَا قُرِىءَ عَلَيْهِمُ الْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ﴾ أي: لا يصلون.

قال: ﴿ بَلِ الذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ واللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴾ أي: بما يخفون في صدورهم من الكفر. ﴿ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ أي: موجع، يعني عذاب جهنم.

﴿ إِلا الذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾ استثنى الله من آمن وعمل الصالحات ﴿ لَهُمْ أَجْرٌ ﴾ أي: ثواب. وهو الجنة ﴿ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ أي: غير محسوب. كقوله تعالى: (يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ) [غافر: 40]. وتفسير الحسن: غير ممنون عليهم مَنَّ أذى. والحمد لله رب العالمين.

تفسير سورة ﴿ والسماء ذات البروج ﴾، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴾ ذكروا عن ابن عباس قال: ذات النجوم[1]. قال تعالى: ﴿ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴾ قال الحسن قال رسول الله ﷺ: اليوم الموعود يوم القيامة[2].

قال تعالى: ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ قال الحسن: قال رسول الله ﷺ. (وشاهد) يوم الجمعة (ومشهود) يوم عرفة[2].

قوله تعالى: ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ الْأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ إِنْهُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤمِنِينَ شُهُودٌ ﴾.

قال الحسن: كان أصحاب الأخدود ثمانين بين رجل وامرأة. فأخذهم المشركون وحفروا لهم أخدودا في الأرض، ثم أوقدوا لهم نارا ضخمة، ثم امتحنوهم فجعلوا يقولون للرجل والمرأة منهم: إما أن تترك دينك وإما أن نقذفك في النار.

---

(1) كذا في ق و ع و ز: «ذات النجوم». وهو قول نسب إلى الحسن وقتادة ومجاهد. ونسب القرطبي إلى أبي عبيدة ويحيى بن سلام قولاً آخر قالا: «ذات المنازل» قال أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 293: «(البروج) كل برج يومين وثلث وهو للشمس شهر، وهو اثنا عشر برجاً، يسير القمر في كل برج يومين وثلث (كذا) فذلك ثمانية وعشرون منزلة، ثم يستسر ليلتين. ومجرى الشمس في كل برج منها شهر». وهذا القول الأخير هو ما اختاره الطبري وابن قتيبة، وهو أولى بالتأويل وأقرب إلى الصواب.

(2) حديث حسن، أخرجه الطبراني عن أبي مالك الأشعري في حديث واحد بلفظ أطول، وأخرجه الترمذي في التفسير عن أبي هريرة بلفظ أطول من الأول. انظر تفسير ابن كثير ج 7 ص 253-254.

فيقول: ما أنا بتارك ديني لشيء، فيقذف فيها، فيحترق، حتى أتوا على آخرهم. فبقيت امرأة ومعها صبي لها فتهيّبت(3). فقال لها الصبي: يا أمّاه، امضي ولا تنافقي، فمضت واحترقت. [قال يحيى: كان صغيراً لم يتكلم قبل ذلك](2) وقال مجاهد: وذلك بنجران.

قال تعالى: ﴿ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُومِنِينَ شُهُودٌ ﴾ أي: من تحريقهم إياهم بالنار.

قال تعالى: ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ ﴾ أي: ما كرهوا منهم ﴿ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [ما سفكوا لهم دما ولا أخذوا لهم مالاً](4). ﴿ الذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالأَرْضِ وَاللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ أي شاهد على كل نفس بعملها.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ يعني أحرقوهم بالنار في تفسير السدي ﴿ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴾.

﴿ إِنَّ الذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴾ أي: النجاة العظيمة من النار إلى الجنة.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ ﴾ [أي عقوبة ربك](3) ﴿ لَشَدِيدٌ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴾ أي يبدئ الخلق ويعيده، أي: يبعثه يوم القيامة. كقوله: (وَهُوَ الذِي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُه) [الروم: 27].

قوله عز وجل: ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ ﴾ أي: للذنوب، ولا يغفر إلا لمن تاب وآمن. قال عز وجل: ﴿ الْوَدُودُ ﴾ أي: يود أهل طاعته. وتفسير الحسن إنه يتودد إلى خلقه بما يعطيهم من النعم في عيشهم وأرزاقهم(4)، وبما يغفر لهم من الذنوب ويودّهم.

---

(1) كذا في ز، وهو أنسب، وفي ق و ع: «فبهتت».

(2) زيادة من ز، ورقة 390.

(3) زيادة من ز، ورقة 390.

(4) في ق و ع: «بما يعطيهم من النعيم في دنياهم وأرزاقهم» وأثبت ما جاء في ز، وكل صحيح.

قال تعالى: ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ أي: رب العرش ﴿الْمَجِيدُ﴾ أي: الكريم يجعله من صفة العرش[1]. كقوله عز وجل: (رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ) [المؤمنون: 116].

قال تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾.

قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ أي قد أتاك ﴿حَدِيثُ الْجُنُودِ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ أي: كيف أهلكهم الله حين كذبوا رسلهم.

قال تعالى: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ﴾ حتى يجزيهم بأعمالهم. ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ﴾ أي: كريم على الله ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ وهو أم الكتاب.

(1) هذا على مقرأ من قرأ بالجر. ومن قرأ (المجيدُ) بالرفع، مثل نافع، جعله في نسق واحد مع الأوصاف السابقة: وهو الغفورُ، الودودُ. ذو العرشِ، المجيدُ.

تفسير سورة والطارق وهي مكية كلها.

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ وَمَا أَدْرَيٰكَ مَا الطَّارِقُ[1] النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴾ أي المضيء، كقوله: (فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ) أي مضيء. وقال مجاهد: يتوهّج. والنجم في هذا الموضع جماعة النجوم، يعني النجوم المضيئة. وهذا قسم.

﴿ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾ وهي تقرأ على وجهين: (لَمَا) مخففه و (لَمَّا) مثقلة فمن قرأها بالتخفيف فهو يقول لعليها حافظ [وما صلة][1] ومن قرأها بالتثقيل فهو يقول إلا عليها حافظ. وتفسير حافظ يعني حافظا من الملائكة يحفظ عليها عملها.

قال: ﴿فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِن ماء دَافِقٍ﴾ يعني النطفة ﴿ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ أي: من بين صلب الرجل وترائب المرأة، وهو نحرها[3].

---

(1) قال الفراء في المعاني ج 3 ص 254: «الطارق النجم: لأنه يطلع بالليل، وما أتاك ليلاً فهو طارق». وقال الفراء: «ويقال إن الثاقب هو النجم الذي يقال له: زحل. والثاقب الذي قد ارتفع على النجوم. والعرب تقول للطائر، إذا لحق ببطن السماء ارتفاعاً: قد ثقّب. كل ذلك جاء في التفسير».

(2) زيادة من ز، ورقة 390، بمعنى زائدة.

(3) الترائب جمع تريبة، وقد أحسن الفراء تعريفها فقال: «وهو ما اكتنف لبات المرأة مما يقع عليه القلائد».

﴿ إِنَّهُ ﴾ أي: إن الله ﴿ عَلَى رَجْعِهِ ﴾ أي: على أن يبعثه بعد موته ﴿ لَقَادِرٌ ﴾ وبعضهم يقول: (إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ) أي على رجع ذلك، أي النطفة، في الاحليل لقادر.

قوله: ﴿ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴾ أي: تختبر وتظهر، يعني سرائر القلوب. وهو قوله: (إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ والجبال فَأَبَيْنَ أن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْها وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً) [الأحزاب: 72].

ذكروا أن ابن أسلم قال قال رسول ﷺ: ائتمن الله ابن آدم على ثلاث: على الصلاة ولو شاء قال صليت، وعلى الصوم ولو شاء قال صمت، وعلى الاغتسال من الجنابة ولو شاء قال قد اغتسلت ثم تلا هذه الآية: (يَوْمَ تبْلَى السَّرَائِرُ)[(1)].

قال تعالى: ﴿ فَمَالَهُ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ من عذاب الله ﴿ وَلاَ نَاصِرٍ ﴾ أي: ينصره، وهذا المشرك.

ثم أقسم فقال: ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴾ أي بالمطر عاماً فعاماً ﴿ وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴾ أي: بالنبات ﴿ إِنَّهُ ﴾ يعني القرآن ﴿ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴾ أي لقول حق ﴿ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴾ أي: بالكذب وقال مجاهد: بالعبث.

ثم قال: ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُوَن كَيْداً ﴾ يعني المشركين، يكيدون بالنبي عليه السلام، وذلك لما اجتمعوا في دار الندوة في أمر النبي عليه السلام، وهو قوله تعالى: (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الذِينَ كَفَرُوا لِيَثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ واللهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ) [الأنفال: 30] قال تعالى: ﴿ وَأَكِيدُ كَيْداً ﴾ أي: أعذبهم في الدنيا والآخرة، فعذّبهم يوم بدر بالسيف، ويعذب كفار آخر هذه الأمة بالنفخة الأولى، ولهم عذاب النار في الآخرة. قال تعالى: ﴿ فَمَهِّلِ الْكَـٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً ﴾ أي: قليلا. وهذا وعيد في تفسير الكلبي. وقال قتادة: قليلا، (أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً) أي: ليوم بدر.

(1) انظر الإشارة إليه فيما سلف ج 3 ص 385.

تفسير سورة سبح اسم ربك، وهي مكية كلها.

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ أي: صل لربك الأعلى ﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ أي: قدره في خلقه نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظماً، ثم لحماً، ثم شعَراً، ثم نفخ فيه الروح. قال (فَهَدَىٰ) أي فبيّن له سبيل الهدى وسبيل الضلالة في تفسير الحسن. وبعضهم يقولُ (قَدَّرَ فَهَدَى) أي: علّم الذكر كيف يأتي الأنثى.

﴿ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴾ أي: الكلأ ﴿ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ﴾ وفيها تقديم؛ أي جعله أحوى غثاء. والغثاء: المهشم اليابس، كقوله تعالى: (فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ) [الكهف: 45] أي صار هشيما بعد أن كان أخضر. والأحوى عند الحسن: الأسود من شدة الخضرة.

قوله تعالى: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَىٰ إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ ﴾ وذلك أن النبي ﷺ كان إذا نزل عليه القرآن يجعل يقرأه ويذيب فيه نفسه مخافة أن ينساه. وهو قوله عز وجل: (لَاتُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ به إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وقُرآنَهُ) [القيامة: 16-17] أي: نحن نحفظه عليك. وقوله في هذه الآية: (سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسَىٰ إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ[1]) هو كقوله: (مَا نَنْسَخْ مِنَ ءَايَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَاتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا) [البقرة: 106] أي: ينسيها الله نبيَّه عليه السلام.

---

(1) قال الفراء في المعاني ج 3 ص 256: «(إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ) لم يشأ أن ينسى شيئاً، وهو كقوله: (خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ) [هود: 17-18] ولا يشاء. وأنت قائل في الكلام: لأعطينك كل ما سألت إلا ما شئت، وإلا أن أشاء أن أمنعك، والنية ألا تمنعه. وعلى هذا مجاري الأيمان يستثنى فيها، ونية الحالف التمام».

قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ ﴾ أي العلانية ﴿ وَمَا يَخْفَىٰ ﴾ أي: السر. قال تعالى: ﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ أي: لعمل الجنة. ﴿ فَذَكِّرِ ﴾ أي: بالقرآن ﴿ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴾ أي: إنما ينتفع بالتذكرة من يقبلها.

قال تعالى: ﴿ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴾ أي: من يخشى الله تعالى ﴿ وَيَتَجَنَّبُهَا ﴾ أي: يتجنب التذكرة ﴿ الْأَشْقَى ﴾ أي: المشرك والمنافق ﴿ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴾، وهي نار جهنم، والصغرى نار الدنيا، كقوله: (نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً) [الواقعة: 73] أي من النار الكبرى. قال: ﴿ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ أي: ثم لا يموت فيها فيستريح، ولا يحيا حياة تنفعه.

قال عز وجل: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ أي من آمن ﴿ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴾ وكانت الصلاة يومئذ ركعتين غدوة وركعتين عشية. وقال بعضهم: (قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ) أي زكاة الفطر (وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ) أي: صلاة العيد أي: أدّى زكاة الفطر قبل أن يخرج إلى المصلّى.

ذكروا عن عمر بن عبد العزيز. ذكر بعضهم قال: كان صوم رمضان وأداء زكاة الفطر بعده[1] بالمدينة، ولكن في القرآن أشياء نزلت بما يكون حتى تبلغ حدها ثم يعمل بها.

قال: ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا ﴾ وهي تقرأ على وجهين: (تُوثِرُونَ) (ويُؤْثِرُونَ) فمن قرأها (تُؤْثِرُونَ) يقولها للمشركين، أي: تزعمون أن الدنيا باقية وأن الآخرة لا تكون. ومن قرأها (تُؤْثِرُونَ) فهو يقول للنبي عليه السلام: (بَلْ يُؤْثِرُونَ)، يعني المشركين الحياة الدنيا. ﴿ والآخرة خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ أي: هي خير من الدنيا؛ الدنيا لا تبقى والآخرة باقية، يعني بهذا الجنة.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ﴾ تفسير الحسن: يعني القرآن ﴿ لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ تفسير بعضهم: فيها أن الآخرة خير من الدنيا وأبقى لكم.

(1) في ق و ع: «وأداء الفطرة بعدها».

تفسير سورة الغاشية وهي مكية كلها[1].

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَـٰكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾ تفسير الحسن: الغاشية: القيامة تغشى الناس بعذابها وعقابها. وتفسير الكلبي: الغاشية غاشية النار.

قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَـٰشِعَةٌ ﴾ أي: ذليلة، يعني وجوه أهل النار. ﴿ تَصْلَىٰ نَاراً حَامِيَةً ﴾ أي: حارة. كقوله عز وجل: (يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ) [الرحمٰن: 44]؛ فهم في عناء وفي معالجة السلاسل والأغلال. وكان ابن عباس يقرأ هذه الآية في حمٓ (إِذِ الأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ) [غافر: ١٧] وكان يقول: إذا سحبوها فهو أشد عليهم.

قال تعالى: ﴿ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴾ قال الحسن: أنى حرها[2] فاجتمع. قد أوقد عليها منذ خلق الله السماوات والأرض. وقال بعضهم: الآنى الذي قد انتهى حره. وقال مجاهد: بلغ أناها وحان شربها.

وقال تعالى: ﴿ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴾. تفسير مجاهد: الضريع: اليابس. وقال الكلبي: هو الشبرق الذي ينبت في الربيع تأكله الإبل أخضر؛ فإذا كان في الصيف يبس فلم تذقه، يدعى بلسان قريش الضريع؛ فإذا كان عليه ورقه فهو الشبرق، وإذا تساقط عليه ورقه فهو الضريع.

---

(1) كذا في ق و ع، وفي ز ورقة 391: تفسير سورة هل أتاك حديث الغاشية.

(2) في ق و ع: «آن حرها» والصحيح ما أثبته: «أنى» أي انتهى حرها وبلغ غايته.

قال عز وجل: ﴿ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴾ وبلغنا عن أبي الدرداء قال قال رسول الله ﷺ: يسلط على أهل النار الجوع حتى يعدل جوعهم ما بهم من العذاب. قال فيستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصة[1].

قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ﴾ فهؤلاء أهل الجنة. ﴿ لِسَعْيِهَا ﴾ أي: لعملها ﴿ رَاضِيَةٌ ﴾ أي: لثواب عملها راضية. أي: أثيب عليه الجنة على قدرِ أعمالهم.

قال تعالى: ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ أي في السماء. قال تعالى: ﴿ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴾ أي لغوا، يعني باللغو الباطل. ويقال الحَلِف. وتفسير الحسن المعصية.

قال تعالى: ﴿ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴾ وهي جماعة العيون، وهي الأنهار. ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ﴾ قال بعضهم: لو هوى شيء من أعلاها لهوى مائة خريف. قال تعالى: ﴿ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴾ والأكواب واحدها كوب، وهو المدوّر القصير العنق، القصير العروة.

قال: ﴿ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴾ وهي الوسائد[2] ﴿ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾ أي: مبسوطة. بلغنا أنها منسوجة بالدر والياقوت، وحشوها فيما ذكر بعضهم مسك وزعفران وألوان الأنوار مما لا عين رأت ولا أذن سمعت.

قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾. وقال بعضهم: هي السحاب[3]. ﴿ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴾ أي: بَينكم وبينها مسيرة خمسمائة عام.

---

(1) أخرجه ابن مردويه عن أبي الدرداء كما في الدر المنثور ج 2 ص 342.

(2) واحدها: نُمْرقة. قال الفراء: «وسمعت بعض كلب يقول: نِمرقة، بكسر النون والراء».

(3) لم يذكر المؤلف التفسير الظاهر للإبل، وهي هذه الجمال والنوق، لشهرته، ويبدو لي أنه مذكور في الأصل ولكن ناسخاً أسقطه سهواً فتبعه في ذلك من جاء بعده. فإن ابن أبي زمنين زاد بعدها: «قيل أراد أنها تنهض بأحمالها وهي باركة، وليس يعقل (كذا) ذلك غيرها من الدواب». وهذا هو التأويل الذي ارتضاه جمهور المفسرين. أما من فسرها بالسحاب فعلى قراءة من قرأ الإبلّ بكسر الباء وتشديد اللام. وهو السحاب الذي يحمل الماء، وهي قراءة نسبت إلى أبي بن كعب وإلى علي وابن عباس من رواية أبي عمرو والكسائي وغيرهما.

قال تعالى: ﴿ وَإِلَى الجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ يقول: أفلا ينظرون إلى هذا فيعلمون أن الذي خلق هذه الأشياء قادر على أن يبعثهم يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّما أَنْتَ مَذَكِّرٌ لَسْتَ عليهم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ حتى تكرههم على الإيمان. وبعضهم يقول: لست عليهم بمسلط. وتفسير مجاهد: لست عليهم بجبـار. وقال الحسن: لست عليهم بمسيطر حتى تكرههم على الإيمان.

قال: ﴿ إِلَّا مَنْ تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴾ تفسير الحسن: إلا من كفر بربه، أي فلست له بمذكر لأنه لا يقبل التذكرة.

وقال الحسن: (إِلَّا مَنْ تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ) فكِلْه إلى الله، وكان هذا قبل أن يؤمر بقتالم وقد أمر بقتالهم بعد هذا؛ ولكن ليس عليه أن يهديهم ولكن الله يهدي من يشاء.

قال تعالى: ﴿ فَيُعَذِّبُهُ اللهُ الْعَذَابَ الأَكْبَرَ ﴾ أي جهنم. يعني بالذي تولى المنافق، وبالذي كفر المشرك، فيعذبه الله العذاب الأكبر. ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴾ أي: رجوعهم، يعني البعث، ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾.

تفسير سورة الفجر، وهي مكية كلها.

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعال: ﴿ وَالْفَجْرِ ﴾ يعني الصبح ﴿ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ يعني عشر ذي الحجـة، أياما عظمها الله ﴿ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴾. قال بعضهم: الشفع الخلق، والوتر الله. ذكروا عن عمر بن حصين أنه قال: إن من الصلاة شفعا ومنها وترا. وتفسير الحسن: العدد كله منه الشفع ومنه الوتر، يعني بالشفع الاثنين، وبالوتر الواحد.

قال تعالى: ﴿ وَالَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾ أي: إذا ذهب، وهذا كله قسم. ثم قال: ﴿ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴾ أي: لذي عقل ولب. أي: فيه قسم لذي عقل. وقال مجاهد: لذي نُهًى، وهو المؤمن. [وجواب القسم: (إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ)][1].

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ﴾. وهذا على وجه الخبر؛ أي: أهلكهم حين كذبوا رسولهم. وإرم هي من صفة عاد. وتفسير الحسن: إن لعاد اسمين: عاد وإرم. [وتفسير بعضهم: إرم قبيلة من عاد][1].

قال تعالى: ﴿ ذَاتِ العِمَادِ ﴾. قال: كانوا أصحاب عمود. وتفسير الحسن: ذات البناء الرفيع. وقيل: يعني ذات الطـول. تقول العرب للرجل الطويل: المُعْمَد.

﴿ التِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي البِلَادِ ﴾ يعني عادا في طول أجسامهـم.

قال: ﴿ وَثَمُودَ الذِينَ جَابُـوا الصَّخْرَ بِالْـوَادِ﴾ أي: الـذين نقبوا الصخـر

(1) زيادة من ز، ورقة 392.

بالوادي. جابوه، أي: نقبوه فجعلوه بيوتا. كقوله تعالى: ﴿ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً ءَامِنِينَ ﴾ [الحجر: ٨٢] و (بُيُوتاً فَرِهِينَ) [الشعراء: 149].

قال تعالى: ﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ ﴾ أي وكيف فعل ربك بفرعون ذي الأوتاد، أهلكه الله بالغرق. وكان إذا غضب على أحد أوتد له في الأرض أربعة أوتاد على يديه ورجليه، ولذلك سمي ذا الأوتاد[1].

قال تعالى: ﴿ الذِينَ طَغَوْا فِي البِلَدِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾ أي: لوناً من العذاب فأهلكهم.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالمِرْصَادِ ﴾ بلغنا. والله أعلم أن على جسر جهنم سبع محابس: أولها يسأل العبد عن الإيمان فإن تم إيمانه جاز، والثاني يسأل عن الصلاة، فإن أقامها جاز، والثالث يسأل عن الزكاة، فإن أداها جاز، والرابع، يسأل عن صوم رمضان فإن كان صامه جاز، والخامس عن الحج، فإن كان أداه جاز، والسادس عن العمرة فإن كان أداها جاز، والسابع عن المظالم، فإن لم يكن ظلم أحداً جاز.

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا الإِنسَـٰنُ ﴾ وهذا المشرك ﴿ إِذَا مَا ابْتَلَيْهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ ﴾ أي: وسّع عليه من الدنيا ﴿ فَيَقُولُ رَبِّيَ أَكْرَمَنِ ﴾ أي فضّلني ﴿ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَيْهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ) أي: ضيّق عليه[2] رزقه ﴿ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ كَلَّا ﴾ قال الحسن: أكذبهما الله جميعا بقوله: (كلّا) أي: لا بالغنى أكرمت ولا بالفقر أهنت.

ثم قال: ﴿ بَل لا تُكْرِمُون اليَتِيمَ وَلَا تَحُضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾. وهي تقرأ على وجهين: تكرمون ويكرمون. فمن قرأها بالياء فهو يقول للنبي عليه السلام، ومن قرأها بالتاء فهو يقول للمشركين، يقول لهم كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحضون على طعام المسكين لأن المشركين قالوا (أنطعم من لو يشاء الله أطعمه) [يسٓ: 47].

---

(1) قيل إنه فعل ذلك بامرأته آسية بنت مزاحم أيضاً.

(2) كذا في ق وع: «ضيّق»، وفي ز: «قتّر» والمعنى واحد. يقال: قَتَر وقتّر على عياله.

قال تعالى: ﴿ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ ﴾ أي: الميراث ﴿ أَكْلًا لَّمًّا ﴾ أي: أكلا شديداً قال الحسن: (لَمًّا) أي لا تبالون من حلال أو حرام. ﴿ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ أي: كثيراً.

قال تعالى: ﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دكًّا ﴾ أي: سوّيت بالجبال فذهبت الجبال وصارت الأرض مستوية.

قال تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ أي: جاء أمر ربك والملك، وهم جماعة الملائكة، أي بأمره وبالملائكة صفا صفا، لا كما زعمت المشبهة أعداء الله أن ربهم يذهب ويجيء، لأن الله ليس بزائل ولا منتقل.

عن ابن عباس عن عائشة رضي الله عنهما أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أشد الناس عذابا يوم القيامة قوم يضاهون الرب. قالت: فقلت: بأبي أنت وأمي، كيف يضاهون الرب؟ قال: يشبهون الله بخلقه يشبهون بذلك قول اليهود حيث زعموا أن الله على صورة آدم(1).

قوله تعالى: ﴿ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ﴾ قال: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ ﴾ أي: يتوب الإنسان، يعني المشرك والمنافقون ﴿ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴾ أي: وكيف له التوبة، أي: لا تقبل توبته يوم القيامة.

---

(1) انظر الإشارة إليه فيما سلف: ج 3، ص 133. وقد أورد ابن سلام في تفسير الآية وصفاً لمجيء الله تتقدمه ملائكة كل سماء صفوفاً صفوفاً في موكب كأنه موكب بشري، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. أورد ذلك بسند واه بقوله: حدثني رجل من أهل الكوفة عن ليث عن شهر بن حوشب قال... إذا كان يوم القيامة... إلى آخر القصة، ثم روى مشهداً من مشاهد الحساب عن أبان بن أبي عياش عن أبي العالية عن أبي بن كعب وصف فيه كيف يجاء بجهنم إلى موقف الحساب إلى آخر ما هنالك مما لا يكاد يصدقة عاقل. وقد حذف الشيخ هود بن محكم هذه الروايات التي ينكرها، ارجع إليها إن شئت في مخطوطة ابن أبي زمنين ورقة 392، 393 ونحن نؤمن بظاهر ألفاظ القرآن وبدلالاتها اللغوية من غير تأويل للكيف، وننزّه الباري جل وعلا تنزيهاً مطلقاً عن كل ما لا يليق به مما يؤدي إلى التشبيه أو التجسيم، ولا نؤمن إلا بما جاء به صريح الكتاب مجملاً من غير تفصيل، وبما ثبت عن الصادق المصدوق ﷺ وصح من أحاديثه.

قوله تعالى: ﴿ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ ﴾ أي: في الدنيا ﴿ لِحَيَاتِي ﴾ يعني بعد الموت، التي فيها خيرها وشرها. يتمنى لو آمن في الدنيا فيحيا في الجنـة. كقوله تعالى: (وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ) [العنكبوت: 64] أي الجنة[1].

قوله تعالى: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴾ أي: عذاب المشرك أحد وهي تقرأ على وجهين: لا يعذَّب. فمن قرأها: لا يعذَّب عذابه أحد، فهو يقوله: لا يعذَّب عذابَ المشرك أحد، وهذا الحرف يذكر عن النبي عليه السلام. ومن قرأه: لا يعذِّب فهو يقول: لا يعذِّب عذابَ الله أحد. ﴿ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴾ أي: وثاق المشرك. [وقيل لا يوثق وثاق الله أحد][2].

قال تعالى: ﴿ يَـٰأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ وهذا المؤمن، نفسه مطمئنة راضية بثواب الله. وتفسير مجاهد: (الْمُطْمَئِنَّةُ) أي: المحبة إلى الله، وهي في حرف أبي ابن كعب: (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الآمِنَةُ الْمُطمَئِنَّةُ) ﴿ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً ﴾ أي قد رضيت الثواب. ﴿ مَّرْضِيَّةً ﴾ أي: قد رضيَ عنك ﴿ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴾ هذا حين يرجع الروح إلى الجسد يوم القيامة ﴿ وادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ وتفسير الحسن: فادخلي في عبادي الصالحين وادخلي جنتي.

(1) قال الفراء في المعاني ج 3 ص 262: «(يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي) لآخرتي التي فيها الحياة والخلود».

(2) زيادة من ز، ورقة 393.

تفسير سورة لا أقسم بهذا البلد، وهي مكية كلها.

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ﴾ يعني مكة. و (لَآ أُقْسِمُ) وَأقسم واحد إذا أردت القسم.

قال تعالى: ﴿ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ﴾ يعني مكة. وهذا حين أُحِلَّت للنبي عليه السلام ساعة من النهار يوم الفتح. قال النبي عليه السلام: إنما أحلّت لي ساعة من نهار[1]. وتفسير الحسن: أي: لا تواخذ بما فعلت فيه، يعني مكة، أي: ليس عليك فيه ما على الناس.

قال عز وجل: ﴿ وَوَٰلِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴾ أي: آدم وما ولد. وهذا كله قسم من أول السورة إلى هذا الموضع.

قال عز وجل: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَـٰنَ فِي كَبَدٍ ﴾ أي في انتصاب. وقيل: في شدة وذلك أن الخلق كلهم منكب إلا ابن آدم. وقال بعضهم: يكابد الدنيا حتى يموت، أي: يكابد عمل الدنيا والآخرة حتى يموت، فإن كان مؤمناً كابد أيضاً عمل الآخرة.

---

(1) هذا جزء من حديث صحيح متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الحج من أبواب العمرة، باب لا ينفر صيد الحرم، عن ابن عباس وأبي شريح العدوى في حديث طويل. وأخرجه مسلم في كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدها وخلاها من أحاديث لابن عباس وأبي شريح وأبي هريرة. (رقم 1353-1355) وأخرجه الربيع بن حبيب في الجامع الصحيح في كتاب الحج، باب في الكعبة والمسجد والصفا والمروة، (رقم 419) ولفظه: «مكة حرام حرمها الله تعالى إلى يوم القيامة، لم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي وإنما أحلت لي ساعة من نهار»....

قال عز وجل ﴿أَيَحْسَبُ﴾ الإنسان، وهذا على الاستفهام ﴿أَن لن يَّقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ أي أن لن يقدر عليه الله، وهذا المشرك يحسب أن لن يبعثه الله بعد الموت. قال عز وجل: ﴿يَقُول أَهْلَكْتُ مَالاً لُبَداً﴾ أي: مالا كثيراً، أي: أتلفت وأكلت مالاً كثيراً فمن ذا الذي يحاسبني.

قال الله: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ أي أن لم يره الله، أي: حين أهلك ذلك المال. أي: بلى، قد علمه الله.

ثم قال عز وجل: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَهُ عَيْنَيْنِ﴾ أي: ألم يعلم أن الله جعل له عينين ﴿وَلِسَاناً وشَفَتَيْنِ﴾ أي: فالذي جعل ذلك قادر على أن يبعثه فيحاسبه.

قال عز وجل: ﴿وَهَدَيْنَـٰهُ النَّجْدَيْنِ﴾ أي: بصرناه الطريقين: طريق الهدى وطريق الضلالة. قال رسول الله ﷺ: إنهما النجدان: نجد الخير ونجد الشر فما يجعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير(1).

قال عز وجل: ﴿فَلَا اقتَحَمَ العَقَبَة﴾ أي: لم يقتحم العقبة. [وهذا خبر، أي: إنه لم يفعل](2). قال الحسن: عقبة الله شديدة؛ يريد الرجل أن يحاسب(3) نفسه وهواه وعدوه الشيطان. قال الكلبي: هي عقبة على جسر جهنم، من أعتق رقبة مؤمنة وهو مؤمن جازها.

ثم قال عز وجل: ﴿وَمَا أَدْرَيٰكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ يقول للنبي عليه السلام: (وَمَا أَدْرَيٰكَ) على الاستفهام، يعني أنك لم تكن تدري حتى أعلمتك ما العقبة.

﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ أي: عتق رقبة من الرّق. وهي تقرأ (فَكُّ رَقَبَةٍ) [بالرفع وبالنصب

---

(1) أخرجه ابن أبي حاتم عن أنس، وأخرجه الطبراني عن أبي أمامة، وأخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ج 30 ص 200-201 من طرق عن الحسن وعن قتادة مرسلاً.

(2) زيادة من ز، ورقة 393.

(3) كذا في ق وع: «يحاسب» ولعل صوابه «يحارب».

فمن قرأها بالرفع: فكُّ فعلى أنه مصدر، ومن قرأها بالفتح فعلى أنه فعل ماض][1]
قال الحسن: قال رسول الله ﷺ: من اعتق رقبة مؤمنة فهو فكاكه من النار[2].

قال عز وجل: ﴿ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴾أي ذي مجاعة، أي يوم جوع.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: إن الله لم يحب عبداً كما أحب عبداً برد كبداً جائعة[3].

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: من أطعم مؤمناً على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة، ومن سقى مسلماً على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم، ومن كسا مسلماً على عراء كساه الله يوم القيامة من حلل الجنة[4].

قال عز وجل: ﴿ يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ ﴾ أي أطعم يتيماً ذا مقربة، أي: ذا قرابة منه. ﴿ أَوْ مِسكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ أي لاصقاً بالتراب من الحاجة في تفسير الحسن. وقال عطاء هو المطروح في الطريق الضائع الذي لا أحد له. وقال بعضهم: هو المسكين الذي خرج يسأل ولا يعطى شيئاً فيرجع إلى بيته ترب اليدين.

قال الحسن: وقد علم الله أقواماً يفعلون هذا الذي ذكر، لا يريدون الله به، ليسوا بمؤمنين فاشترط فقال تعالى: ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: الذي فعل هذا من الذين آمنوا كقوله عز وجل: (وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُومِنٌ) [الإسراء: ١٩].

---

(1) زيادة لا بد منها للإيضاح، وانظر ابن خالويه، الحجة ص 343، وإعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ص 91.

(2) حديث صحيح أخرجه ابن ماجه في كتاب العتق؛ باب العتق عن كعب بن مرة (رقم 2522)، وأخرجه البخاري ومسلم وغيرهما؛ أخرجه مسلم في كتاب العتق، باب فضل العتق، عن أبي هريرة (رقم 1509) بلفظ «من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منه عضواً من النار»، وفي رواية: «بكل إرب منها إرباً من النار». وأخرجه أحمد والنسائي وأبو داود عن عمرو بن عنبسة بلفظ: «من أعتق رقبة مؤمنة كانت فداءه من النار».

(3) أخرجه البيهقي عن أنس بلفظ أفضل الصدقة أن تشبع كبداً جائعة».

(4) أخرجه الترمذي عن أبي سعيد الخدري. وقال الترمذي حديث غريب.

قال عز وجل: ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ أي: على ما أمرهم الله به وعما نهاهم عنه ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾ أي: بالتراحم فيما بينهم.

قال عز وجل: ﴿ أُولَئِكَ ﴾ أي: الذين هذه صفتهم ﴿ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ أي: الميامين على أنفسهم، وهم أهل الجنة.

قال عز وجل: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْئَمَةِ ﴾ أي: الشؤم، وهم المشائيم على أنفسهم، وهم أهل النار. قال عز وجل: ﴿ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُوصَدَةٌ ﴾ أي: مطبقة، فنعوذ بالله منها.

تفسير سورة ﴿ والشمس ﴾[1] وهي مكية كلها.

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله عز وجل: ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَـٰهَا ﴾ أي: وضوئها، وبعضهم يقول: وحرها. ﴿ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَـٰهَا ﴾ أي: إذا تبعها. أي إذا تبع الشمسَ صبيحة الهلال[2].

قال عز وجل: ﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّـٰهَا ﴾ أي جلى ظلمة الليل فأذهبها. والليل والنهار يختلفان والنهار يذهب بظلمة تلك الليلة. وقال مجاهد: إذا جلاها أي: إذا أضاء.

قال عز وجل: ﴿ وَالَّيْلِ إِذَا يَغْشَـٰهَا ﴾ أي: إذا غشى الشمس فأذهبها. ﴿ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَـٰهَا ﴾ أي والذي بناها، أقسم بالسماء وبنفسه. قال: ﴿ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَـٰهَا ﴾ أي بسطها: أقسم بها وبنفسه. ﴿ وَنَفْسٍ وَما سَوَّـٰهَا ﴾ أي والذي سواها، يعني نفسه، أقسم بالنفس التي خلقها فسواها وبنفسه. قال عز وجل: ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ أي: بيّن الله لها الفجور والتقوى، وهو سبيل الهدى وسبيل الضلالة. ﴿ قَد أَفْلَحَ مَنْ زَكَّـٰهَا ﴾ [أي من زكى الله نفسه فهداها][3] ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ

(1) كذا في ق و ع، وفي ز: «تفسير سورة والشمس وضحاها».

(2) كذا في ق و ع: «صبيحة الهلال»، وفي ز: «ليلة الهلال»، وبكلا اللفظين رواه ابن جرير الطبري عن قتادة في تفسيره ج 30 ص 208.

(3) زيادة من ز، ورقة 394، وهذا وجه من وجوه تأويل الآية، وقيل معناه: «من زكى نفسه بعمل البر واصطناع المعروف» كما جاء في بعض التفاسير.

دَسَّيٰهَا ﴾ أي وقد خاب من دسى الله نفسه، أي أشقاها الله بفعلها[1]. وهذا كله قسم من أول السورة إلى هذا الموضع.

﴿ كَذَّبَت ثَمُودُ بِطَغْوَاٰهَا ﴾ على هذا وقع القسم. وقوله بطغواها، أي بطغيانها، أي: بشركها، وتكذيبها رسلها بما جاء به من عند الله. وتفسير مجاهد: بمعصيتها، وهو واحد.

قال عز وجل: ﴿ إِذِ انۢبَعَثَ أَشْقَيٰهَا ﴾ وهو أحمر ثمود الذي عقر الناقة، وقد فسرنا أمرها وعقرهم إياها في غير هذا الموضع[2]. ﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﴾ يعني صالحا ﴿ نَاقَةَ اللهِ وَسُقْيَاهَا ﴾أي: اتقوا ناقة الله ولا تمسوها بسوء، واتقوا سقياها، أي شربها، لا تمنعوها منه؛ كانت تشربه يوماً ويشربونه يوماً.

قال تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ ﴾ يعني صالحاً ﴿ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ ﴾ أي حرّك بهم الأرض فأهلكهم بذنبهم ﴿فَسَوَّيٰهَا﴾ أي: بالعقوبة[3]. ﴿ فَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴾ أي: لا يخاف الله تباعة، أي: لا يُتبَع بذلك كقوله تعالى: (ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تبيعاً) [الإسراء: 69] أي: يتبعنا بذلك لكم. وبعضهم يقول: فلا يخاف الذي عقر الناقة، حين عقرها، عقباها. أي: لم يخف أن يصيبه العقاب. وفيها في هذا التفسير تقديم؛ يقول: إذ انبعث أشقاها فلا يخاف عقباها. لا حول عن معاصي الله إلا بعصمة من الله ولا قوة على طاعة الله إلا بعون الله.

---

(1) وقيل معناه: من دسّى نفسه، أي: أخفاها بالفجور والمعصية.

(2) انظر ما سلف ج 3 ص236 - 237.

(3) قال ابن خالويه في كتابه: إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ص 106 ما يلي: «(فَسَوَّاهَا) أي: انخسفت بهم الأرض فسوّيت عليهم ودمدمت ودكدكت وزلـزلـت عقوبة لعقرهم الناقة. وقال بعض أهل العلم: الهاء في فسوّاها تعود على الدمدمة، لأن الفعل إذا ذكر دل على مصدره، كقوله تعالى: (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ) [البقرة: 45] أي: وإن الاستعانة لكبيرة. وقال الفراء في المعاني ج 3 ص 269: «ويقال: (فَسَوَّاها) سوى الأمة أنزل العذاب بصغيرها وكبيرها بمعنى سوى بينهم».

تفسير سورة والليل إذا يغشى وهي مكية كلها.

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ وَالَّيْـلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴾ أي: غشى النهار وأذهب ضوءه. ﴿ والنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴾ أي إذا ظهر الليل[1] فأذهب ظلمته.

قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ والأُنْثَىٰ ﴾ أي: والذي خلق الذكر والأنثى يعني نفسه، وهذا كله قسم. ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ ﴾ يعني سعي المؤمن وسعي الكافر، أي عملهما ﴿ لَشَتَّىٰ ﴾ أي: لمختلف.

قال عز وجل: ﴿فَأَمَّا مَن أَعْطَىٰ وَاتَّقَـىٰ وَصَدَّقَ بِالْحُسنَىٰ ﴾ أي: بالثواب، وهي الجنة ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرىٰ ﴾ أي لعمل أهل الجنة. ﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ ﴾ أي: بما عنده أن يتقرب به إلى ربه ﴿ وَاسْتَغْنَى ﴾ أي: عن ربه ﴿ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴾ أي بالثواب وهي الجنة ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ أي: لعمل النار، أي ببخله وتكذيبه.

ذكروا عن جندب بن عبد الله قال: لا فقر بعد الجنة، ولا غنى بعد النار؛ إن النـار لا يُفدى أسيرها، ولا يَستغني فقيرها.

قال عزّ وجل: ﴿ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴾ أي: في القبر إذا مات. وقال بعضهم: إذا تردّى في النار، إذا هوى فيها.

---

(1) في ق و ع: «إذا تجلى الليل». وهو خطأ أثبت تصحيحه من ز.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴾ أي: تبيين سبيل الهدى وسبيل الضلالة. قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴾ أي: الدنيا.

قال: ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّىٰ ﴾ أي تتأجج ﴿ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ يعني بالذي كذب المشرك، وبالذي تولى المنافق، أي: توليا عن طاعة الله[1].

قال عز وجل: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴾ أي: يتقرّب به إلى الله في تفسير الحسن. وهذا تطوّع. بلغنا أنها نزلت في أبي بكر الصديق حين أعتق بلالاً وخمسة معه[2].

قال عز وجل: ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴾ أي ليس يفعل ذلك لنعمة يجزيها أحد فعلها به ﴿ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴾ أي: ليس يفعل ذلك إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ﴿ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾ أي: الثواب في الجنة.

---

(1) كذا في ق و ع، وهذا من كلام الشيخ هود الهواري ولا شك. وجاء في ز ورقة 394: «(الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ): كذّب بكتاب الله وتولّى عن طاعة الله. وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ج 2 ص 301: «(لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَىٰ) والعرب تضع «أفعل» في موضع «فاعل» قال طرفة:

تمنّى رجال أن أموت وإن أمت فتلك سبيل لست فيها بأوحد

(2) كذا في ق و ع، وفي تفسير الطبري ج 30 ص 228 «عن قتادة قال: نزلت في أبي بكر، أعتق أناساً لم يلتمس منهم جزاء ولا شكوراً، ستة أو سبعة، منهم بلال وعامر بن فهيرة».

تفسير سورة والضحىٰ، وهي مكية كلها.

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله عز وجل: ﴿ وَالضُّحَىٰ ﴾ أي: ضحى النهار، يعني ضوءه، وبعضهم يقول: أول ساعة من النهار. ﴿ والَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾ أي: إذا أظلم، وهذا قسم.

﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ ﴾ وهي تقرأ على وجهين: (مَا وَدَّعَكَ) مثقلة، و(وَدَعَكَ) مخففة، أي: ما تركك. وذلك أن جبريل أبطأ عن النبي عليه السلام بالوحي، فقال المشركون: ودعه ربه وأبغضه. فمن قرأها مثقلة، فهو يقول: لم يودّعك ربك فيكون آخر الفراغ من الوحي. ومن قرأها بالتخفيف فهو يقول: ما تركك ربك، أي من أن ينزل عليك الوحي قال: ﴿ وَمَا قَلَىٰ ﴾ أي: وما أبغضك.

﴿ وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولَى ﴾ أي: من الدنيا ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ ﴾ أي: في الجنة ﴿ فَتَرْضَىٰ ﴾.

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَىٰ ﴾. [قال ابن عباس يقول: وجدك يتيماً عند أبي طالب فآواك إلى خديجة][1].

قال تعالى: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَىٰ ﴾ وهو قوله: (وَكَذٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّن

(1) زيادة من ز، وهي من رواية ابن أبي زمنين. ولم أجد هذا التأويل فيما بين يدي من المصادر، ويبدو لي غريباً فإنه لما تزوجته خديجة لم يكن يتيماً، فإنه لا يُتْم بعد احتلام. لعل الصواب، «آواك وضمك إلى أبي طالب».

أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ ولا الإِيمَانِ) [الشورى: 52]. وكقوله عزّ وجل: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هٰذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ) [يوسف: 3].

قال عز وجل: ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلاً ﴾ أي: فقيراً ﴿ فَأَغْنَىٰ ﴾.

قال عز وجل: ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ أي: لا تقهره فتمنعه حقه الذي أمر الله به. وقال بعضهم: فلا تشتدّ به.

قال عز وجل: ﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ ﴾ [أي: فلا تنهره؛ إمّا أعطيته وإمّا رددته ردّاً ليّناً][1].

ذكروا أن رجلاً شكا إلى النبي ﷺ قساوة قلبه فقال له عليه السلام: إن أردت أن يلين قلبك فامسح رأس اليتيم وأطعم المساكين[2].

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: من عال يتيماً من أبوين مسلمين حتى يستغني وجبت له الجنة[3].

قال عز وجل: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ بينكم بنعم ربك[4].

---

(1) زيادة من ز، ورقة 395.

(2) رواه أحمد بسند صحيح عن أبي هريرة، ورواه الطبراني بزيادة من حديث أبي الدرداء.

(3) أخرجه أحمد والطبراني عن عمرو بن مالك القشيري. ورواه الترمذي عن ابن عباس مرفوعاً بلفظ: من قبض يتيماً من بين مسلمين إلى طعامه وشرابه أدخله الله الجنة البتّة إلا أن يعمل ذنباً لا يغفر؛ كما ذكره المنذري في الترغيب والترهيب، ج 3 ص 347.

(4) كذا وردت هذه العبارة في ق و ع: «بينكم نعم ربه» ولست مطمئناً إلى صحتها. ففي ز: «(وأما بنعمة ربك) أي بالقرآن فحدّث». وجاء في بعض التفاسير رواية عن الحسن بن علي «قال: هو الرجل يعمل عمل البر يخفيه عن المخلوقين ثم يطلع عليه ثقاته من إخوانه».

تفسير سورة الم نشرح، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: بينما أنا عند البيت بين النائم واليقظان إذ سمعت قائلاً يقول: أحد الثلاثة بين الرجلين، فشق نحري إلى كذا وكذا. قال: إلى أسفل بطني واستخرج قلبي، ثم أتيت بطست من ذهب فيه من ماء زمزم، ثم كُنِز، أو قال حُشِي إيماناً وحكمة ثم أعيد مكانه[1]. وتفسير الحسن: (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ)، أي: بالإيمان.

قال عز وجل: ﴿ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ﴾ والوزر الحمل، وهو الذنوب التي كانت عليه في الجاهلية ﴿ الذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ أي: أثقل ظهرك.

قال عز وجل: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ أي: بالنبوة، أي: إنك تذكر معي إذا ذكرت في الآذان والإقامة والخطب. نزلت هذه الآية قبل الآذان والإقامة حتى إذا جاء الوقت الذي فيه الوقت[2].

(1) كذا في ق و ع: «كنز»، «أو حشي». وبهذا اللفظ الأخير جاء في حديث مسلم، في كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ... (رقم 164). انظر ما سلف، ج 2 ص 397 فما بعدها في أحاديث الإسراء. وانظر سنن الترمذي، كتاب التفسير سورة ألم نشرح من حديث مالك بن صعصعة.

(2) كذا وردت هذه العبارة فاسدة في ق و ع. ولا شك أن بعض الكلام ساقط حتى يستقيم المعنى، وانظر معاني رفع الله ذكرَ نبيه عليه السلام في تفسير القرطبي ج 106-107.

قال تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً ﴾ ذكروا أن رسول الله ﷺ قال لبعض أصحابه: لن يغلب عسر يسرين[1].

قوله عز وجل: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ ﴾ تفسير الحسن: فإذا فرغت من قتال أعدائك فانصب إلى ربك في العبادة. قال: أمره الله أن لا يؤثر شيئاً من أمر الدنيا على شيء من أمر الآخرة؛ والله أعلم كيف كان تفسير الحسن هذه الآية. وقال الكلبي: فإذا فرغت من الصلاة فانصب في الدعاء.

قال عز وجل: ﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾ أي: فتضرّع بالدعاء. ذكروا أن أبا الدرداء قال: من أكثر قرع الباب يوشك أن يُفتح له؛ يعني الدعاء.

وكان بعض الفقهاء يعجبهم أن يدعو في الصلاة المكتوبة بدعاء في كتاب الله. وقال بعضهم: السنة أن القرآن في الصلاة في القيام، والتسبيح في الركوع والسجود، والدعاء في الجلوس.

---

(1) أخرجه ابن جرير الطبري مرسلاً عن الحسن وعن قتادة ولفظه: «أتاكم اليسر لن يغلب عسر يسرين» وأخرجه ابن مردويه عن جابر بن عبد الله مرفوعاً في قصة بعثٍ عليهم أبو عبيدة بن الجراح رواها السيوطي في الدر المنثور ج 6 ص 364. وانظر ابن خالويه، إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، ص 127.

تفسير سورة التين، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ والتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴾ قال بعضهم: التين جبل دمشق، والزيتون جبل بيت المقدس. وقال الكلبي: تينكم هذا وزيتونكم هذا.

قوله عز وجل: ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ الطور: الجبل، و(سِينِينَ): الحسن. أي: الجبل الحسن. وقال مجاهد: (سِينِينَ): المبارك. وقال الحسن: هو الجبل الذي نادى الله منه موسى.

قال عز وجل: ﴿ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ ﴾ أي: الآمن، أي: الحرام يعني مكة. يقول: إنكم تأمنون فيه من القتل والسباء، والعرب يقتل بعضهم بعضاً، ويسبي بعضهم بعضاً، وأنتم آمنون من ذلك. وكان هذا قبل أن يؤمر النبي عليه السلام بقتل المشركين، ثم أمر بقتالهم بالمدينة.

قال عز وجل: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَـٰنَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ أي: في أحسن صورة وقال مجاهد: في أحسن الخلق. أقسم بهذا كله من أول السورة إلى هذا الموضع.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾ أي: جهنم، ويعني بالإنسان هاهنا المشرك. وقال بعضهم: (فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) أي: الشباب، (ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ) يعني الهرم[1]. وقال الكلبي: (أَسْفَلَ سَافِلِينَ) أي: الهرم، يعني مثل قوله: (وَمَن

(1) وهذا ما اختاره الفراء في المعاني، ج 3 ص 276. قال: «يقول: إنا لنبلغ بالآدمي أحسن=

نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ) [يٓس: 68]، فيصير مثل الصبي الذي لا يعقل شيئاً.

قال تعالى: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾ استثنى من آمن [وعمل صالحاً][1] ﴿ فَلَهُمْ أَجْرٌ ﴾ أي ثواب ﴿ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ أي: غير محسوب، في تفسير مجاهد، وهو الجنة. وقال الحسن: غير ممنون عليهم منٌّ أذى[2].

قال عز وجل: ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ ﴾ تفسير الكلبي: إنه يقول للمشرك: فما يكذبك أيها الإنسان ﴿ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴾ أي: بالحساب يوم القيامة.

قال عز وجل: ﴿ أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الْحَـٰكِمِينَ ﴾ ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: إذا قرأ أحدكم فبلغ والتين والزيتون، فإذا أتى على آخرها فليقل: بلى[3].

= تقويمه، وهو اعتداله واستواء شبابه، وهو أحسن ما يكون، ثم نرده بعد ذلك إلى أرذل العمر». . . .

(1) زيادة لا بد منها يقتضيها سياق الآية.

(2) وقيل أيضاً: «غير مقطوع ولا ممنوع».

(3) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب مقدار الركوع والسجود (رقم 887)، من حديث أبي هريرة، وفي إسناده ضعف لجهالة الأعرابي الذي روى عنه أبو هريرة. وفيه: «بلى وأنا على ذلك من الشاهدين».

تفسير سورة اقرأ باسم ربك، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ اِقرأ بِاسْمِ رَبِّكَ الذِي خَلَقَ ﴾ هذا أول ما كلم جبريل النبي عليه السلام حين تبدّى له. قال له: (اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الذِي خَلَقَ. . .) إلى قوله (إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ)[1]. ذكروا أن هذه السورة أول سورة نزلت على محمد عليه السلام.

قال تعالى: ﴿ خَلَقَ الإِنْسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾ وهو الكتاب[2] بالقلم. ﴿ عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾.

قال تعالى: ﴿ كَلَّا ﴾ [قال الحسن: معناها حقاً][3] ﴿ إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَىٰ أَن رَّءَاهُ اسْتَغْنَىٰ ﴾. قال بعضهم: هو أبو جهل بن هشام. وتفسير الكلبي: (لَيَطْغَىٰ أَن رَاءَاهُ اسْتَغْنَىٰ) يعني ليرتفع من منزلة إلى منزلة.

ذكروا عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: لو أن لابن آدم واديين ملئاً مالاً لابتغى إليهما ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب. ثم يتوب الله على من تاب[4].

---

(1) كذا في ق و ع وفي ز. «إلى قوله: (إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ)» والصحيح الذي عليه جمهور المحققين من المفسرين وكتاب السيرة أن أولى الآيات نزولاً كانت خمساً وتنتهي بقوله: (عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) انظر مثلاً حديث عائشة المتفق عليه في صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (رقم 160).

(2) زيادة من ز، ورقة 396.

(3) أي: علم الكتابة بالقلم. يقال: كتب كَتْباً وَكِتَاباً وكتابة.

(4) حديث متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب ما يتقى من فتنة المال عن ابن عباس وأنس بن مالك، وأخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثاً عن أنس بن مالك (رقم 1048)، وعن ابن عباس (رقم 1049) وأخرجه ابن ماجه والترمذي وغيرهم.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴾ أي: المرجع يوم القيامة.

قال الله عز وجل: ﴿ أَرَأَيْتَ الذِي يَنْهَىٰ عَبْداً إِذَا صَلَّىٰ ﴾ نزلت في أبي جهل؛ كان ينهى النبي عليه السلام عن الصلاة ﴿ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ﴾ يعني النبي عليه السلام؛ أي: إن محمداً على الهدى ﴿أَوْأَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ﴾ وهو محمد عليه السلام أمر العباد بطاعة الله. ﴿ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ يعني أبا جهل، كذب بكتاب الله وتولى عن طاعة الله، أي: قد كذب وتولّى. قال عز وجل: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَىٰ ﴾ أي: يرى عمله.

﴿ كَلَّا لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ ﴾ يعني أبا جهل، عن كفره وتكذيبه ﴿ لَنَسْفَعاً ﴾ أي: لنأخذن ﴿ بِالنَّاصِيَةِ ﴾ أي: ليجرّن بالناصية، أي: ناصية أبي جهل، أي تجره الملائكة بناصيته، تجمع بين ناصيته وقدميه من خلفه فتلقيه في النار. وهو مثل قوله تعالى: (يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُوخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ) [الرحمٰن: 40] قال عز وجل: ﴿ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾ وهي ناصية أبي جهل، وهو الكاذب الخاطىء المشرك.

﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴾ أي فليدع أبو جهل إذا دعونا بالزبانية، خزنة جهنم فجروا بناصيته إلى النار، فليدع حينئذ ناديه. قال بعضهم: عشيرته. وقال الحسن: جلساءه، أي: فليمنعوه من ذلك.

قال تعالى: ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ ﴾ أي: لا تطع أبا جهل فيما يأمرك به، يقوله للنبي عليه السلام. ﴿ وَاسْجُدْ ﴾ أي: وصل لربك ﴿ وَاقْتَرِبْ ﴾ وهو الدنوّ. أقرب ما يكون العبد إلى الله إذا كان ساجداً[5]. ذكروا عن كعب قال: إن أقرب ما يكون العبد إلى الله إذا كان ساجداً، واغتنموا الدعاء عند نزول المطر. وقال الحسن: أقرب ما يكون العبد إلى الله إذا كان ساجداً ثم تلا هذه الآية: (وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ).

---

(1) هذا نص حديث صحيح أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود من حديث أبي هريرة (رقم481) ولفظه: أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء».

تفسير سورة القدر وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَـٰهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ ذكروا عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: نزل القرآن ليلة القدر إلى السماء الدنيا جملة واحدة وجعل بعد ذلك ينزل نجوماً: ثلاث آيات وأربع آيات وخمس آيات وأقل من ذلك وأكثر؛ ثم تلا هذه الآية: (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ) [الواقعة: 75].

قال تعالى: ﴿ وَمَا أَدْرَيٰكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ [تفسير ابن عباس: العمل في ليلة القدر خير في العمل من ألف شهر][1] لا توافق فيها ليلة القدر.

[ذكروا عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: التمسوا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان[2].

---

(1) ما بين المعقوفين زيادة من ز ورقة 396.

(2) حديث متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب التماس ليلة القدر في العشر الأواخر عن ابن عمر وعن أبي سعيد وعن عائشة وعن ابن عباس وعن عبادة بن الصامت، ولفظ عائشة: «تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان». وأخرج هذا الحديثَ أصحابُ السنن. واختلف الصحابة والعلماء في تحديدها، وكان أبي بن كعب حلف ولم يستثن إنها ليلة سبع وعشرين. كما ذكره زر بن حبيش وكما رواه مسلم في كتب الصوم، باب فضل ليلة القدر. . . (رقم 762). وانظر مختلف الأقوال فيها في كتاب التفسير والحديث. انظر مثلاً ابن الجوزي، زاد المسير ج 1 ص 182.

يحيى عن فطر عن عبد الرحمٰن بن سابط قال: كان رسول الله عليه السلام يوقظ أهله في العشر الأواخر من رمضان ويشمر فيهن للصلاة][1].

قوله عز وجل: ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلٰئِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ أي: بأمر ربهم. والروح جبريل.

ذكروا عن أبي عبيدة قال: الملائكة في الأرض ليلة القدر أكثر من عدد الحصى.

قال عز وجل: ﴿ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴾ [يعني بكل أمر][1].

﴿ سَلٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ [يعني خير كلها إلى مطلع الفجر][1] وتفسير الكلبي: إن الملائكة تسلم على المؤمنين ليلة القدر إلى مطلع الفجر.

:

(1) ما بين المعقوفين زيادة من ز ورقة 396.

تفسير سورة لم يكن وهي مكية كلها[1]

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَـٰبِ وَالْمُشْرِكِينَ ﴾ أي: ومن المشركين ﴿ مُنفَكِّينَ ﴾ أي: منتهين عن كفرهم ﴿ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ رَسُولٌ مِّنَ اللهِ ﴾ يعني محمداً عليه السلام ﴿ يَتْلُوا صُحُفاً ﴾ يعني القرآن ﴿ مُّطَهَّرَةً ﴾ أي: من الشرك والكفر، كقوله تعالى: (فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ) [عبس: 13-16] ﴿ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴾ [أي: مستقيمة لا عوج فيها][2]، يعني التي جاءت بها الأنبياء، وهي من الصحف المطهرة التي عند الله.

ذكروا أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: أي الخلائق أعجب إيماناً؟ قالوا: الملائكة. قال: الملائكة في السماء فما لهم لا يؤمنون. قال: أي الخلائق أعجب إيماناً؟ قالوا: النبيون. قال: النبيون ينزل عليهم الوحي فما لهم لا يؤمنون. قال: أي الخلائق أعجب إيماناً؟ قالوا: أصحابك. قال: أصحابي يرونني ويسمعون كلامي فما لهم لا يؤمنون. قال: أعجب الخلائق إيماناً قوم يأتون من بعدكم فيجدون كتاباً في رَق فيؤمنون به[3].

ذكروا عن عمران بن حصين قال قال رسول الله ﷺ: خير القرون قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم[4].

(1) كذا في ق و ع: «وهي مكية كلها». وهو موافق لما ذكره القرطبي وابن الجوزي في تفسيريهما من أن يحيـى بن سلام ذهب إلى أنها مكية. وفي ز: «تفسير سورة لم يكن الذي كفروا، وهي مدنية كلها». وهذا ما ذهب إليه جمهور المفسرين.

(2) زيادة من ز، ورقة 396.

(3) انظر الإشارة إليه فيما سلف، ج 1 ص 68.

(4) حديث صحيح متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الفضائل، فضائل أصحاب النبي ﷺ، =

قال عز وجل: ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ أي: إلا من بعد ما جاءهم البيان من الله.

قال عز وجل: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ والحنيف في تفسير الحسن: المخلص. وتفسير الكلبي: الحنيف: المسلم. قال عز وجل: ﴿ وَيُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ أي: دين الملة المستقيمة بأمر الله[1]. رجع إلى قوله: (لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ).

قال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ وَالْمُشْرِكِينَ ﴾ يعني من كفر بما جاء به محمد عليه السلام من أهل الكتاب والمشركين ﴿ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيئَةِ ﴾ أي: شرّ الخلق.

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيئَةِ ﴾ أي: خير الخلق. [يحيى عن حماد عن أبي الزبير عن أبي هريرة قال: المؤمن أكرم على الله من الملائكة الذين عنده][2] ﴿ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلدين فيها أبداً ﴾ أي: لا يموتون ولا يخرجون منها ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ أي: بأعمالهم ﴿ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ أي: ورضوا ثوابه ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾.

= وأخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، (رقم 2535) عن عمران بن حصين بلفظ أطول.

(1) في ق وع: «دين الملائكة القيمة»، وهو خطأ صوابه ما أثبته من ز.

(2) زيادة من ز. كذا رواه ابن سلام بهذا السند ولم يرفعه، وذكره الفخر الرازي في تفسيره ج 32 ص 51-52 بلفظ أطول عن أبي هريرة مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ. كما ذكره الألوسي في تفسيره ج 10 ص 264-265 فقال: «أخرج ابن أبي حاتم عن أبي هريرة مرفوعاً: «أتعجبون لمنزلة الملائكة من الله تعالى، والذي نفسي بيده لمنزلة العبد المؤمن من عند الله تعالى يوم القيامة أعظم من منزلة الملك، واقرأوا إن شئتم إن الذين آمنوا وعملوا الصّالحات أولئك هم خير البريئة». وفي المسألة خلاف قديم. فابن كثير ويحيى بن سلام يرويان الحديث موقوفاً، والفخر الرازي والألوسي يرويانه مرفوعاً. ولكن الفخر الرازي يضعف الاستدلال بهذا الحديث على أفضلية المؤمن على الملَك، والألوسي لا يرى ذلك.

تفسير سورة إذا زلزلت، وهي مدنية

﴿ بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴾ قوله تعالى: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ أي: تحركت من نواحيها كلها، وذلك يوم القيامة. قال تعالى: ﴿ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ أي: ألقت ما فيها من الأموات[1]. كقوله عز وجل: (وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ) [الانشقاق: 4] أي: تخلت منهم إلى الله. قال عز وجل: ﴿ وَقَالَ الْإِنسَانُ ﴾ والإنسان هاهنا المشرك[2]. ﴿ ما لها ﴾ أي: ما لها تحركت.

قال الله: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ أي بما ألقت مما كان في بطنها من الأموات. قال عز وجل: ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ أي: أمرها في تفسير مجاهد. أي أوحى لها أن تلقي ما في بطنها. وقال بعضهم: سألها.

قال عز وجل: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً ﴾ أي: من بين يدي الله مختلفين، بعضهم إلى الجنة وبعضهم إلى النار. ﴿ لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ أي: وزن ذرة ﴿ خَيْراً يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ أي وزن ذرة ﴿ شَرّاً يَرَهُ ﴾ أي يراه في ميزانه فيسوءه ذلك.

---

(1) هذا وجه من وجوه تأويل الآية، ولفظ الأثقال أعم من ذلك، فكل ما في جوف الأرض من معادن حجرية كالذهب والفضة والحديد مثلاً، أو سائلة كالنفط والماء، أو غازية أو غير ذلك يعد من أثقالها.

(2) لا وجه لتخصيص الإنسان هنابالمشرك، بل تعريف الإنسان هنا يفيد استغراق الجنس البشري.

تفسير سورة والعاديات، وهي مكية كلها، وقيل إنها مدنية

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله عز وجل: ﴿وَالْعَـٰدِيَـٰتِ﴾ وهي الخيل في تفسير ابن عباس. وقال علي: هي الإبل[1]. قال عز وجل: ﴿ضَبْحاً﴾ وضبحها أنفاسها إذا جرت. قال: ﴿ فَالْمُورِيَـٰتِ قَدْحاً ﴾ أي: تصيب الحجارة بحوافرها فتخرج منها النار. قال تعالى: ﴿ فَالْمُغِيـرَٰتِ صُبْحاً ﴾، قال الحسن: هي الخيل تغير على العدو إذا أصبحت.

[قال أنس بن مالك إن قوماً كان بينهم وبين النبي عليه السلام عهد فنقضوه، وهم أهل فدك. فبعث إليهم رسول الله ﷺ خيله فصبحوهم، وهم الذين أنزل الله فيهم (وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً)][2].

قال عز وجل: (فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً ﴾ أي تثير الغبار بحوافرها ﴿ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً ﴾ قال الحسن: تغير صبحاً فتتوسط العدو. وقال بعضهم: غداة جمعها[3] وقال عكرمة (فَالْمُورِيَاتِ قَدْحَا) قال: الأسنة في الحروب. وهذا كله قسم.

---

(1) اقرأ في تفسير الطبري ج 30 ص 272-273 حواراً بين علي وابن عباس في المقصود بالعاديات في الآية ونزوع ابن عباس عن قوله: إنها الخيل، ورجوعه إلى قول علي: إنها الإبل. وكيف رجح الطبري القول بأنها الخيل معتمداً على الدليل اللغوي. فإن الضبح يكون من الخيل لا من الإبل، وإن القدح بسنابك الخيل أقوى منه بأخفاف الإبل.

(2) زيادة من ز، ورقة 497.

(3) في ق و ع: عداه جمعها، والصحيح ما أثبته: غداة جمعها: كما في بعض التفاسير، وجمع هي مزدلفة. وهذا على قول من فسر العاديات بالإبل.

﴿ إِنَّ الإِنْسَـٰنَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴾. تفسير العامة: الكَنود. الكَفور، وهي بلسان ربيعة، الكَفور للنعمة، الذي يأكل وحده، ويمنع رفده، ويجيع عبده، ولا يعطي النائبة في قومه.

وقال الحسن هو الذي يلوم ربه، ويستبطىء الإجابة. وتفسير عمرو عن الحسن: إنه المشرك؛ وهو مثل قوله تعالى: (فَأَمَّا الإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَـنِ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ) [الفجر: 15-16].

قال عز وجل: ﴿ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴾ أي: على كفره يوم القيامة. وقال الحسن: يشهد على نفسه أنه يلوم ربه. ﴿ وَإِنَّـهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ ﴾ أي: المـال ﴿ لَشَدِيدٌ ﴾ [أي لبخيل][1].

﴿ أَفَلاَ يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴾ أي: أخرج ما فيها من الأموات ﴿ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴾ أي ميّز، وهو مثل قوله تعالى: (يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ) [الطارق: 9] وحصل، أي: شق عما في الصدور[2] ﴿ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾ أي: لعالم.

(1) زيادة من ز، وهو أحد وجوه تأويل الآية ذهب إليه الحسن وقتادة وأبو عبيدة، والكلبي، والزجاج وابن قتيبة. قال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 307: «وإنه من أجل حب الخير لشديد، لبخيل، يقال للبخيل: شديد ومتشدد»... وقال الفراء: «نرى والله أعلم أن المعنى وإنه للخير لشديد الحب، والخير: المال...» انظر توضيح ما ذهب إليه الفراء وتعليله في معاني القرآن ج 3 ص 285-286.

(2) وقال بعض المفسرين: «(وَحُصِّلَ) أي: جُمِعَ وأُحصِيَ»، وهو الصواب إن شاء الله.

تفسير سورة القارعة، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ ﴾ يعظمها بذلك، وهي اسم من أسماء القيامة. قال تعالى: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴾ أي: كالفراش المبسوط في تفسير الحسن. وقال الكلبي: الذي يجول بعضه في بعض. وذكروا أقوالاً في الفراش: قال جماعة من العلماء: الفراش: الدَّبَى[1]؛ شبه الناس به يوم القيامة. وقال بعضهم: الفراش هو ما تساقط في النار من البعوض، وهو قول الشاعر:

مثل الفراشة والمصباح لاح لها لم تستطع دونه خوفاً ولا خرقاً[2]

قال تعالى: ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴾ أي: كالصوف المنفوش، وهو أضعف الصوف [قال يحيى: وهي في قراءة ابن مسعود: كالصوف الأحمر المنفوش][3].

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾ وهو المؤمن، فإنما تثقل بالعمل الصالح ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ أي معيشة راضية، أي: قد رضيها، وهي الجنة ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴾ وهو المشرك والمنافق. وإنما تخف الموازين بالعمل السيء ﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾ أي: فمسكنه هاوية. قال تعالى: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ أي: حارة.

(1) وردت هذه الكلمات هكذا في ق و ع: «الدباشم الناس»، وهو مسخ غريب، والصحيح ما أثبته. والدَّبَى: الجراد قبل أن يطير، وهو ما فسره به الفراء في المعاني ج 2 ص 286: قال: «يريد كغوغاء الجراد يركب بعضه بعضاً، كذلك الناس يومئذ يجول بعضهم في بعض».

(2) لم أعثر على البيت ولا على قائله، ولست مطمئناً على صحة الكلمتين الأخيرتين كما وردتا في ق و ع.

(3) زيادة من ز ورقة 397.

تفسير سورة ألهاكم، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ أَلْهَىٰكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ أي: في الدنيا عن الآخرة، وهو التكاثر في المال والولد.

ذكروا عن مطرف بن عبد الله عن أبيه أنه دخل على رسول الله ﷺ فسمعه يقرأ هذه الآية: (أَلْهَىٰكُمُ التَّكَاثُرُ) فقال: يقول ابن آدم مالي مالي. وما لك من مالك يا ابن آدم إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدّقت فأمضيت، وهو أنفع لو دريت[1].

ذكروا عن أبي الدرداء قال: إذا مات ابن آدم قالت الملائكة: ما قدّم، وقال بنو آدم: ما ترك.

قوله عز وجل: ﴿ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾ أي: حتى متم. ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ وهذا وعيد بعد وعيد.

﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴾ أي: إن علمكم ليس بعلم اليقين، يعني المشركين، وإن علم المؤمنين هو علم اليقين.

---

(1) حديث صحيح أخرجه مسلم في أول كتاب الزهد والرقائق عن مطرف بن عبد الله بن الشِّخِّير (رقم 2958) وعن أبي هريرة (رقم 2959)، كما أخرجه الترمذي عن مطرف عن أبيه في باب الزهادة في الدنيا، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

﴿ لَتَرَوُنَّ الجَحِيمَ ﴾ أي: لتصيرن في علم المؤمنين إلى الجحيم، وهو علم اليقين بأنكم سترون الجحيم، أي النار[1]. ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾ أي: بالمعاينة ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾.

قال الحسن: قال الله تعالى: يا ابن آدم، طعام يقوتك، وثوب يواريك، وبيت يكنك. وما سوى ذلك حاسبتك به[2].

(1) جاءت العبارة في ق و ع مضطربة وفيها تكرار، فصححتها قدر الإمكان.

(2) كذا في ق و ع. وجاء في ز ورقة 398 بدلاً من قول الحسن ما يلي: «يحيى عن خالد عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: ثلاث ليس لك منهن بد، وليس عليك فيهن تبعة: بيت يكنك، وثوب تواري به عورتك، وطعام تقيم به صلبك». وقد أورد هذا الحديث الفراء في المعاني ج 3 ص 288 بدون سند، وذكره القرطبي في تفسيره ج 20 ص 176 من رواية أبي نعيم عن أبي عسيب مولى رسول الله ﷺ باختلاف في ألفاظه، ونسبه الطبري في تفسيره ج 30 ص 289 أثراً للحسن وقتادة.

تفسير سورة والعصر، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ ﴾ أي: عصر النهار، وهو ما بين زوال الشمس إلى الليل[1]. وهو قسم. ﴿ إِنَّ الإِنْسَٰنَ لَفِي خُسْرٍ ﴾ أي: من الجنة. وقال بعضهم: لفي ضلال. ثم استثنى من الناس فقال: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ ﴾ أي: بالتوحيد ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ أي: على الفرائض. وبعضهم يقول: (بِالحَقِّ) أي: بالله (إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا) فإنهم ليسوا في خسر من الجنة، وهم أهل الجنة.

ذكروا أن رجلين من أصحاب النبي عليه السلام إذا التقيا فأرادا أن يفترقا أخذ كل واحد منهما بيد صاحبه، ثم قرأ كل واحد منهما سورة والعصر إلى آخرها.

---

(1) هذا قول الحسن وقتادة. وقيل (العصر) هو الدهر، أي الزمان كله. وهو قول ابن عباس وزيد بن أسلم، والفراء، وابن قتيبة. وقال ابن أبي زمنين. «و(العصر) أيضاً الليلة، واليوم عصر أيضاً. قال الشاعر:

ولن يلبث العصران يوم وليلة ... إذا طلبا أن يدركا ما تيمما».

تفسير سورة الهمزة[1]، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ وهو الذي يطعن على الناس. بلغنا أنها نزلت في الأخنس بن شَريق[2]. وقد نهى عن ذلك المؤمنون.

ذكروا عن النبي ﷺ أنه ذكر في حديث ليلة أسري به قال: مررت بأقوام تقطع لحومهم بدمائهم ويضفرونها ولهم جؤار، فقلت: من هؤلاء يا جبريل فقال: هؤلاء الهمازون اللمازون[3]؛ ثم تلا هذه الآية: (أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ) [الحجرات: 12].

قال عز وجل: ﴿ الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ ﴾ أي: وأحصى عدده. وهي تقرأ على وجهين بالتثقيل والتخفيف. فمن قرأها بالتثقيل فهو يقول أحصى عدده، ومن قرأها بالتخفيف فهو يقول: أعدّه.

﴿ يَحْسِبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴾ أي: يحسب أنه يخلد فيه حياتَه. كقول أحد الرجلين الكافر منهما لصاحبه في سورة الكهف: (مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَـٰذِهِ أَبَداً) [الكهف: 35] أي: أخلد فيها حتى الموت. والكافر يقر بالموت ويجحد البعث.

---

(1) كذا في ق و ع، وفي ز: «تفسير سورة ويل لكل همزة». . . .

(2) هو الأخنَس بن شَريق الثقفي. كان حليفاً لبني زهرة فخنس بهم، أي تأخر وانقبض، يوم بدر، فلم يشهد بدراً من بني زهرة أحد، ولم يثبت للأخنس هذا إسلام، انظر ابن دريد، الاشتقاق، ص 304-305.

(3) انظر ما سلف ج 2 ص 402.

قال: ﴿ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴾ أي: ليُرْمَيَنَّ به في الحطمة، وهي اسم من أسماء جهنم، وجهنم كلها حطمة، تأكل لحومهم وتحطم عظامهم، تأكلهم وتأكل كل شيء منهم إلا الفؤاد، فتطبخ الفؤاد، ثم يُجدَّد خلقهم. ثم تأكلهم أيضاً، حتى تنتهي إلى الفؤاد.

قال: ﴿ وَمَا أَدْرَيٰكَ مَا الْحُطَمَةُ نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ ﴾ أي: تأكل كل شيء منهم حتى تنتهي إلى الفؤاد فتطبخ الفؤاد.

قال عز وجل: ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴾ أي: مطبقة ﴿ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾ أي: لها عمد هي ممدودة بها. وفي تفسير الحسن: قال الله في سورة الكهف: (أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا) [الكهف: 29] أي: لها سرادق. والسرادق عمد دون عمد منه، يعني سقفها؛ فإذا مدت تلك العمد أطبقت على أهلها.

ذكروا عن عبد الله أنه قال: إذا قيل لهم: (اِخْسَأُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ) [المؤمنون: 108] انطبقت عليهم، وليس لهم فيها إلا الزفير والشهيق.

تفسير سورة الفيل، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾ [أي: ألم تُخْبر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل][1] قال الحسن: هذا خبر أخبر الله به النبي عليه السلام، وذلك أن العرب، أهل الحرم، هدموا كنيسة للحبشة، وهم نصارى. فقال أبرهة بن الصباح[2]: لنهدمن كعبة العرب كما هدموا بيتنا.

وكان أبرهة بن الصباح من أهل اليمن ملّكته الحبشة عليهم، فبعث بالفيل وجنوده، فجاء، حتى إذا انتهى إلى الحرم ألقى بجرانه فسقط. فوجهوه نحو منازلهم فذهب يسعى. قالوا: فإذا وجهوه إلى الحرم ألقى بجرانه ولم يتحرك، وإذا وجه إلى منازلهم ذهب يسعى. قال بعضهم: إن أبا يكسوم الحبشي سار بالفيل إلى البيت ليهدمه، وذلك العام الذي ولد فيه رسول الله ﷺ.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ ﴾ أي: الذي كادوا به لك ﴿ فِي تَضْلِيلٍ ﴾ أي: ضلالاً[3].

قال تعالى: ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ ﴾ والأبابيل: الزمر، زمرة بعد زمرة في تفسير سعيد بن جبير. وتفسير الحسن: الأبابيل: الكثيرة.

---

(1) زيادة من ز ورقة 398.

(2) انظر نسبه في جمهرة أنساب العرب لابن حزم، ص 435.

(3) كذا في ق و ع: «ضلالاً»، وفي ز: «في ذهاب».

وذكر بعضهم أنه أخرج الله عليهم طيراً من البحر سودا، طوال الأعناق، لها خراطيم يخمل كل طائر منها ثلاثة أحجار كهيئة الحمص[1]، مكتوب فيها اسم صاحبها الذي يموت بها. ولم تُرَ تلك الطير قبل ذلك ولا تُرى بعد ذلك.

قال تعالى: ﴿ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّنْ سِجِّيلٍ ﴾ وهي بالفارسية؛ أولها حجر وآخرها طين. وقال في سورة الذاريات: (حِجَارَةً مِّنْ طِينٍ) [الذاريات: 33]. كان مع الطير منها ثلاثة أحجار، حجران في رجليه وحجر في فيه. وكان إذا وقع الحجر منها على الرجل سقط جلده[2]. وكان ذلك في أول ما كان. ثم إن الله أرسل سيلاً فألقاهم في البحر.

وقال الكلبي: إن أبا يكسوم الحبشي سار بالفيل يريد الكعبة حتى إذا كان بالحرم من قبل عرفات أرسل الله عليهم طيراً أبابيل، أي: متتابعة (تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّنْ سِجِّيلٍ) أي: من طين. ذكر بعضهم أن أبا يكسوم هو الذي أرسل الفيل إلى البيت.

قال تعالى: ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾. قال الحسن: (العَصْفُ): سوق الزرع (وَالْمَأْكُولُ) الذي خرقه الدود الذي يكون في البقل، وهو مثل.

(1) في ق و ع بياض قدر كلمة أثبت فيه كلمة الحمص كما وردت في بعض التفسير. وفي بعضها: «أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة».

(2) كذا في ق و ع: «سقط جلده» وفي ز ورقة 399: «فكان إذا وقع الحجر منها على رأس أحدهم نقبه حتى يسقط من دبره».

تفسير سورة قريش[1]، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله: ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ إِلَـٰفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴾ وإيلافهم تعودهم رحلة الشتاء والصيف. وقال مجاهد: إيلافهم ذلك فلا يشق عليهم رحلة شتاء، ولا صيف.

وتفسير الكلبي: كانت قريش قد تعودت رحلتين فصليتين[2]: إحداهما في الشتاء، والأخرى في الصيف للميرة، فمكثوا بذلك زماناً حتى اشتد العسر، ثم أخصبت تبالة وجرش. وهما على شاطىء البحر من اليمن؛ فحمل أهل الساحل إلى مكة في البحر، ثم حمل أهل اليمن على الإبل. فنزل أهل الساحل بجدة، ونزل أهل اليمن بالمحصبة[3]. فامتار أهل مكة ما شاءوا، وكفاهم الله الرحلتين.

قال بعضهم: كانت رحلة الشتاء إلى اليمن لأنها حارة، وأخرى إلى الشام في الصيف لأنها باردة.

قال تعالى: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّنْ جُوعٍ ﴾ وهو ما كان أصابهم من الشدة. ﴿ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ وهو الأمن الذي كان فيه أهل الحرم، وأهل الجاهلية يقتل بعضهم بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً وهم آمنون مما فيه العرب.

---

(1) كذا في ق و ع، وفي ز: «سورة لإيلاف قريش».

(2) في ق: «فلصطين»، وفي ع: «فلسطين». ولا معنى لهما، وفيهما تصحيف ولا شك، فأثبت ما يناسب المعنى.

(3) في ق «المحصنة»، وفي ع: «المحصـه» ولم أهتد لتحديد هذا المكان، ولم ترد الكلمة في معجم البلدان لياقوت، وأغلب ظني أنه المحصَّب، وهو موضع معروف بين مكة ومنى وهو إلى منى أقرب، وجعله بعض الشعراء من منى.

تفسير سورة أرأيت الذي، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ الذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴾ أي: بالحساب، وهو المشرك لا يقر بالبعث وبأن الله يدين الناس يوم القيامة بأعمالهم.

قال: ﴿ فَذَٰلِكَ الذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ﴾ أي: يدفعه عن حقه ﴿ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾ وذلك أن المشركين كانوا يقولون: (أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللهُ أَطْعَمَهُ) [يٓس: 47].

قال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴾ وهم المنافقون ﴿ الذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾. تفسير الحسن: هم المنافقون، إن صلوها لم يرجوا ثوابها، وإن تركوها لم يخشوا عقابها. وقال بعضهم: هم الذين يؤخرونها عن وقتها[1].

﴿ الذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴾ تفسير عمرو عن الحسن. لا يصلونها في السر ويصلونها في العلانية يراءون بها المؤمنين. قال تعالى: ﴿ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ والماعون الزكاة. [وتفسير بعضهم: الماعون: القِدر والدلو والرحى والفاس وما أشبه ذلك][2].

(1) هذا قول نسبه ابن جرير الطبري في تفسيره ج 30 ص 311-312 إلى سعد بن أبي وقاص وإلى ابن عباس، ثم أورد حديثاً من رواية مصعب عن أبيه سعد بن أبي وقاص قال: سألت النبي ﷺ عن (الذين هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ) قال: هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها. وانظر السيوطي الدر المنثور ج 6 ص 400. وقال الفراء في المعاني ج 3 ص 295: «(الذِينَ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ) يقول: لاهون. كذلك فسّرها ابن عباس وكذلك رأيتها في قراءة عبد الله». وهذا المعنى أقرب إلى الصواب، فإن المصلي إذا لها عن صلاته أخرها عن وقتها.

(2) زيادة من ز ورقة 399. وقال الفراء في المعاني ج 3 ص 295: «وحدثني حبان بإسناده قال: الماعون: المعروف كله حتى ذكر القصعة والقدر والفأس». وقال أبو عبيدة في المجاز، ج 2 ص 313: «هو في الجاهلية كل منفعة وعطية، والماعون في الإسلام الطاعة والزكاة».

تفسير سورة الكوثر[1]، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَـٰكَ الْكَوْثَرَ ﴾ ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: بينما أنا في الجنة إذا أنا بنهر حافاته قباب اللؤلؤ المجوف فضربت بيدي إلى مجرى الماء فإذا مسك أذفر. فقلت ما هذا يا جبريل، فقال هذا الكوثر الذي أعطاك ربك[2].

ذكروا أن رسول الله ﷺ ذكر في حديث ليلة أسري به قال: انفجر لي من السلسبيل نهران نهر الرحمة ونهر الكوثر، فاغتسلت في نهر الرحمة فغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر، وأعطيت الكوثر فسلكته حتى انفجر بي في الجنة[3].

وقال مجاهد: الكوثر: الخير كله. وقال الحسن: الكوثر: القرآن. وقال عطاء: الكوثر حوض أعطاه الله النبي عليه السلام في الجنة.

ذكروا عن ثوبان، مولى رسول الله ﷺ أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: ما الكوثر الذي تحدث عنه، فقال: هو من أيلة إلى عمان، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً. أول الناس به وارداً فقراء المهاجرين، الشعث الرؤوس، الدنس الثياب، الذين تفتح لهم أبواب المتعات، الذين يعطون الذي عليهم ولا يعطون الذي لهم[4].

---

(1) كذا في ق و ع، وفي ز: «تفسير إنا أعطيناك الكوثر».

(2) انظر الإشارة إليه فيما سلف، ج 2 ص 400. وأخرجه يحيى بن سلام بالسند التالي: «يحيى عن عثمان عن قتادة عن أنس بن مالك».

(3) انظر الإشارة إليه بلفظ أطول فيما سلف ج 2 ص 404.

(4) لم أجد هذا الحديث فيما بين يدي من مصادر التفسير والحديث.

قوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ ﴾ أي: صلاة العيد ﴿ وَانْحَرْ ﴾ أي: يوم النحر.
قوله تعالى: ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ ﴾ أي: مبغضك ﴿ هُوَ الأَبْتَرُ ﴾ تفسير الحسن: تفسير الحسن: المنقطع به، أي: يقطع به أمره دون أن يبلغ فيه ما يأمل.

وقال الكلبي إن رسول الله ﷺ خرج من المسجد والعاص بن وائل داخلٌ المسجدَ فالتقيا عند الباب فقالت قريش للعاص: من الذي استقبلك عند الباب؟ فقال: ذلك الأبتر؛ فقال الله: (إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ). وقال الله للنبي عليه السلام: لا أُذكر حتى تذكر معي، وأما عدو الله العاص فهو أبتر من كل خير، فلا يذكر بخير. وقال بعضهم: نزلت في عمرو بن هشام.

تفسير سورة الكافرين، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله عز وجل: ﴿ قُلْ يَـٰأَيُّهَا الْكَـٰفِرُونَ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ أي: من الأوثان ﴿ وَلَآ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ أي: إنكم تعبدون الأوثان ولا تعبدون الله. ﴿ وَلَآ أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُّمْ ﴾ أي من الأوثان. قال: ﴿ وَلَآ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ أي: إنكم تعبدون الأوثان ولا تعبدون الله[1] ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ ﴾ أي: الكفر ﴿ وَلِيَ دِينِ ﴾ أي: الإسلام.

(1) هذا تفسير بسيط للسورة، اقرأ ما قاله أبو عبيدة في المجاز ج 2 ص 314، فهو على اختصاره مفيد واف بالغرض.

تفسير سورة إذا جاء نصر الله، وهي مدنية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ ﴾ يعني فتح مكة. قال الحسن: لما فتح الله على رسوله مكة قالت العرب بعضهم لبعض: يا أيها القوم، ليس لكم بهؤلاء القوم يدان. فجعلوا يدخلون في دين الله أفواجاً أي: أمة أمة[1].

قال الله تعالى: ﴿ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْواجاً فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً ﴾. قال الكلبي: (يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً) أي جماعات جماعات، فعند ذلك نعيت للنبي عليه السلام نفسُه. وذكر بعضهم أنه قرأ هذه السورة فقال: نعى إليه نفسُه.

(1) كذا في ق و ع: «أمة أمة». وفي ز: «قبائل قبائل».

تفسير سورة تبّت يدا، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ أي: خسرت يدا أبي لهب ﴿ وَتَبَّ ﴾ أي: وخسر. ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾ يعني ولده، أي: إذا صار إلى النار.

قال تعالى: ﴿ سَيَصْلَىٰ نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ ﴾.

قال: ﴿ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾. قال الحسن: كانت تلقي العضاه[1] على طريق النبي عليه السلام، فكأنما يطأ به كثيباً. وقال مجاهد: (حَمَّالَةَ الحَطَبِ) يعني حمالة النميمة؛ [تمشي بالنميمة][2].

قال تعالى: ﴿ فِي جِيدِهَا ﴾ أي: في عنقها ﴿ حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾. قال بعضهم: في عنقها قلادة فيها ودعات من مسد.

ذكروا أن رجلاً سأل النبي عليه السلام: وما المسد؟ قال: أما رأيتم الخيوط الصفر والحمر تنعقد فيها البرود اليمانية فإنها تجعلها في عنقها.

وقال ابن عباس: المسد: الحديد. وقال الكلبي: في عنقها سلسلة من حديد من نار ذرعها سبعون ذراعاً، وهي حبل من مسد.

(1) في ق و ع: «تلقي العصى» وهو تصحيف صوابه ما أثبته من تفسير الطبري ج 30 ص 339 حيث ورد فيه الخبر مروياً عن قرة بن خالد عن عطية الجدلي. وأصل العضاه كل شجر له شوك كالطلح والسلم والسدر، وواحدته عضاهة وعضهة وعضة. وكانت امرأة أبي لهب، وهي أم جميل بنت حرب، أخت أبي سفيان، من أشد الناس عداوة للنبي عليه السلام.

(2) زيادة من ز. وقال ابن أبي زمنين: «من قرأ (حمالةُ) بالرفع فعلى معنى سيصلى هو وامرأته حمالة الحطب، حمالة نعت لها. ومن قرأها بالنصب (حمالةَ) فنصبه على الذم، أعني حمالةَ الحطب». وانظر ابن خالويه الحجة، ص 350.

تفسير سورة الإخلاص[1]، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ أي: الواحد قال بعضهم: كان عبد الله بن مسعود يقرأها: قل هو الله الواحد.

قال: ﴿ اللهُ الصَّمَدُ ﴾ أي: الباقي. وتفسير بعضهم: الصمد: الذي قد انتهى في الشرف والسؤدد. وتفسير الكلبي: الذي لا يأكل ولا يشرب[2].

قال تعالى: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ أي: ولم يكن أحد كفؤاً له. وتفسير الكلبي: إن المشركين قالوا للنبي عليه السلام، وقال بعضهم: إنهم اليهود قالوا له: انسب لنا ربك وصفه لنا، فأنزل الله تعالى هذه السورة.

(1) كذا في ق و ع، وفي ز: «تفسير قل هو الله أحد».

(2) وقيل: الصَّمد، على وزن فَعَل بمعنى مفعول، أي مصمود بمعنى مقصود، يقال صمده وصمد إليه، فالله هو المصمود إليه في الحوائج.

تفسير سورة الفلق، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: الفلق سجن في جهنم[1]. وقال جابر بن عبد الله: الفلق فلق الصبح. وقال الحسن مثله، وكل شيء تفلق من الحب والنوى للنبات. ﴿ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ أي: ومن شر الليل إذا أطبق. قال بعضهم: عن ابن عباس في قوله تعالى: (إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ) [الإسراء: 78] أي اجتماع الليل وظلمته. ذكر ذلك داود بن حصين عن ابن عباس. وقال بعضهم: بدو الليل.

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّٰثَٰتِ فِي الْعُقَدِ ﴾ وهن السواحر ينفثن في العقد للسحر.

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ [يحيى عن الحسن بن دينار عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: غُمّوا هذا الحسد بينكم فإنه من الشيطان، وإنه ما من أحد إلا وهو يعرض له منه شيء، وإنه ليس بضائر عبداً لم يَعْدُ بلسان أو يد][2].

(1) أخرجه ابن جرير الطبري بسند عن ابن عباس ولم يرفعه إلى رسول الله ﷺ، وأخرجه من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: الفلق جب في جهنم مغطى، كما في تفسيره ج 30 ص 349، وأخرجه ابن مردويه والديلمي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سألت رسول الله ﷺ عن قول الله: (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) قال: هو سجن في جهنم يحبس فيه الجبارون والمتكبرون وإن جهنم لتتعوذ بالله منه كما في الدر المنثور، ج 6 ص 418.

(2) ما بين المعقوفين زيادة من ز ورقة 400. ولم أجد هذا الحديث فيما بين يدي من المصادر إلا عند ابن سلام.

تفسير سورة الناس[1]، وهي مكية كلها

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَٰهِ النَّاسِ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴾ ذكر بعضهم قال: إن الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فإذا ذكر الله خنس.

قال تعالى: ﴿ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴾. ذكروا أن رسول الله ﷺ مر به رجل ومعه امرأة من نسائه فقال رسول الله ﷺ: يا فلان، هذه فلانة. فقال الرجل: يا رسول الله، أفأظن بك هذا؟ أو كما قال. فقال رسول الله ﷺ: إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم[2].

قوله عز وجل: ﴿ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ أي: من شر شياطين الجن والإنس. ذكروا أن أبا ذر قام إلى الصلاة فقال له رسول الله ﷺ: يا أبا ذر، تعوّذ من شياطين الجن والإنس. فقال أبو ذر: يا رسول الله، أو للإنس شياطين كشياطين الجن؟ قال:

---

(1) كذا في ق و ع، وجاء في ز ورقة 401 ما يلي: «تفسير سورة قل أعوذ برب الناس، وهي مكية في قول قتادة، وبعضهم يقول: مدنية، نزلت هي وقل أعوذ برب الفلق معوّذتين للنبي حين سحرته اليهود».

(2) حديث صحيح متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب هل يخرج المعتكف لحوائجه إلى باب المسجد، وأخرجه مسلم في كتاب السلام، باب بيان أنه يستحب لمن رؤي خالياً بامرأة، وكانت زوجة أو محرماً له، أن يقول هذه فلانة ليرفع ظن السوء به. كلاهما يروبانه من حديث علي بن حسين عن صفية بنت حيي. صحيح مسلم (رقم 2175)، ورواه مسلم أيضاً من حديث أنس (رقم 2174).

نعم[1]. قال بعضهم: بلغنا أن الشياطين توسوس إلى الجن من غير الشياطين كما توسوس إلى الناس[2]-[3]-[4].

(1) انظر تخريجه فيما سلف ج 1 ص552 .

(2) هذا ما جاء في ظهر آخر ورقة من مخطوطة القرارة: «كمل السفر الرابع من تفسير هود بن محكم قاضي الإمام عبد الوهاب (كذا) بن عبد الرحمن بن رستم، رضي الله عنهم، بحمد الله وحسن عونه وتأييده. وكان الفراغ منه يوم الأحد بعد الزوال الثاني والعشرين من شهر الله المبارك صفر الذي من عام السابع عشر (كذا) من القرن الثاني عشر من هجرة النبي عليه الصلاة والسلام، على يد العبد الفقير إلى الله الغني به عمن سواه أحمد بن موسى بن أبي القاسم بن عمور، لطف به آمين. نسخه لإخوانه أهل القرارة، عمرها الله بالإسلام آمين يا رب العالمين».

(3) وهذا ما ورد في ظهر آخر ورقة من مخطوطة العطف: «كمل السفر الرابع من تفسير هود بن محكم الهواري، قاضي الإمام عبد الوهاب رحمه الله بحمد الله وحسن عونه على يد متممه أبي القاسم بن يحيى الغرداوي غفر الله له ولجميع المسلمين. أتممت نسخته (كذا) من نسختين كثيرتي الفساد جداً، فمن وجد له نسخة صحيحة فليقابله فأجره على الله».

(4) وهذا ما جاء في مصورة مخطوطة ابن أبي زمنين في آخر ورقة 401: «تم الجزء العاشر وبه كمل جميع الديوان، والحمد لله على ذلك كثيراً، وصلى الله على محمد نبي الهدى والرحمة وعلى آله وسلم تسليماً، وفي السادس والعشرين من شوال إحدى عشر وستمائة هـ».

الفهـــارس

- الفهرس العام للسور المفسرة.
- فهرس الأحاديث القولية والآثار.
- فهرس اللغة المبينة في التعليق.
- فهرس الشعر مرتباً حسب القوافي.
- فهرس الأعلام المترجَمين في التعليق.
- فهرس الأمم والقبائل.
- فهرس الأماكن والبلدان المبينة في التعليق.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الجزء الرابع.

الفهرس العام للسور المفسّرة

فهرس الأحاديث القولية والفعلية والآثار
(الرقم الأول يشير إلى الجزء والثاني إلى الصفحة)

همزة الوصل

همزة القطع

— ت —

- ث -

- ج -

- ح -

- خ -

– ز –

– س –

— غ —

— ف —

— ق —

ـ ك ـ

ـ ل ـ

- م -

- ن -

– ي –

فهرس اللغة المبيّنة في التعليق

فهرس الشعر مرتباً حسب القوافي

فهرس الأعلام المتـرجَمين في التعليق

فهرس الأمم والقبائل

فهرس الأماكن والبلدان المبيّنة في التعليق

فهرس المصادر والمراجع

1 - ابن الأبار: أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت 658 هـ) الحلّة السيراء، جزآن، تحقيق د. حسين مؤنس، الشركة العربية، القاهرة 1963/1383.

2 - ابن الأثير: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد (ت 606 هـ) جامع الأصول 12 جزءاً. تحقيق محمد حامد الفقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1983/1402.

3 - ـــ: منال الطالب في شرح طوال الغرائب، تحقيق د. محمود محمد الطناحي، كلية الشريعة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة 1979/1399.

4 - ـــ: النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق د. محمود محمد الطناحي، ط. عيسى الحلبي، القاهرة 1963/1383.

5 - الأخفش: أبو الحسن سعيد بن مسعدة (ت 215 هـ) معاني القرآن، جزءان، تحقيق د. عبد الأمير محمد أمين الورد، دار عالم الكتب، بيروت 1985/1405.

6 - اطفيّش: محمد بن يوسف (ت 1332 هـ) تيسير التفسير، نشرته وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان ستة أجزاء منه إلى سنة 1986/1406.

7 - ـــ: شرح كتاب النيل وشفاء العليل. 17 جزءاً، دار الفتح، بيروت 1972/1392.

8 - الألباني: محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة، 4 أجزاء، المكتب الإسلامي، بيروت 1979/1399.

9 - ـــ: صحيح الجامع الصحيح وزيادته، 6 أجزاء، المكتب الإسلامي، بيروت 1969/1388.

10 - الألوسي: أبو الفضل شهاب الدين محمود (ت 1270 هـ) روح المعاني، 10 أجزاء، دار الفكر، بيروت 1978/1398.

11 - ابن الأنباري: أبو البركات عبد الرحمن بن محمد (ت 577 هـ) البيان في غريب إعراب القرآن؛ تحقيق د. طه عبد الحميد طه، جزءان، الهيئة المصرية العامة، القاهرة 1970/1390.

12 - أوغلو: إسماعيل جراح، يحيى بن سلام ومنهج تفسيره (باللغة التركية)، كلية الإلاهيات، جامعة انقرة 1970 م.

13 ـ باجية: صالح، الإباضية بالجريد، دار بو سلامة، تونس 1976/1396.
14 ـ الباقلاني: أبو بكر محمد بن الطيب (ت 403 هـ) إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر 1954/1374.
15 ـ البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت 256 هـ) صحيح البخاري، المطبعة الأميرية 1313 هـ.
16 ـ البرادي: أبو القاسم بن إبراهيم (ت أوائل القرن التاسع الهجري) الجواهر المنتقاة في إتمام ما أخل به كتاب الطبقات. ط مجرية، القاهرة1302.
17 ـ البرقوقي: عبد الرحمن بن عبد الرحمن، (ت 1363 هـ) شرح ديوان حسان بن ثابت، دار الأندلس، بيروت 1973/1393.
18 ـ ابن بركة: أبو محمد عبد الله بن محمد (ت أواخر القرن الرابع الهجري) الجامع، تحقيق عيسى يحيى الباروني جزءان. دار الفتح، بيروت 1973/1393.
19 ـ البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود (ت 516 هـ) شرح السنة، تحقيق شعيب الأرناؤوط وزهير الشاويش، 16 جزءاً، المكتب الإسلامي، بيروت 1983/1403.
20 ـ البكري: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت 487 هـ) التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه ط. ثالثة، السعادة، القاهرة 1954/1373.
21 ـ ـــ: فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، تحقيق د. إحسان عباس ود. عبد المجيد عابدين، دار الأمانة، مؤسسة الرسالة، بيروت 1983/1403.
22 ـ ـــ: معجم ما استعجم، تحقيق مصطفى السقا. 4 أجزاء. ط. ثالثة عالم الكتب، بيروت 1983/1403.
23 ـ ـــ: المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك. تصحيح ونشر دوسلان. الجزائر 1857 م.
24 ـ بكوش: يحيى بن محمد. فقه جابر بن زيد، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1986/1407.
25 ـ ابن تيمية: تقي الدين أحمد بن عبد الحليم (ت 728 هـ) مقدمة في أصول التفسير تحقيق د. عدنان زرزور، ط أولى، دار القرآن الكريم، الكويت 1971/1391.
26 ـ الثعالبي: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (ت 875 هـ) الجواهر الحسان في تفسير القرآن. تحقيق د. عمار الطالبي، 5 أجزاء، المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر 1985/1406.
27 ـ الثعالبي: أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت 429 هـ) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر، القاهرة 1985/1384.

28 ـ ثعلب: أبو العباس أحمد بن يحيى (ت 291 هـ) **مجالس ثعلب**. تحقيق عبد السلام محمد هارون. جزءان. دار المعارف. ط رابعة، 1980/1400.
29 ـ الثميني: ضياء الدين عبد العزيز (ت 1223 هـ) **كتاب النيل وشفاء العليل** صححه وعلق عليه عبد الرحمن بن عمر بكلى، ثلاثة أجزاء، المطبعة العربية، الجزائر 1967/1387.
30 ـ الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر (ت 255 هـ) **البيان والتبيين**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، 4 أجزاء، دار المعارف، القاهرة 1948/1367.
31 ـ ابن الجزري: شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد (ت 833 هـ) **غاية النهاية في طبقات القراء** نشره ج. برجستراسر، جزءان ط. أولى القاهرة 1932/1351.
32 ـ الجصاص: أبو بكر أحمد بن علي (ت 370 هـ) **أحكام القرآن**، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، 5 أجزاء، دار المصحف، ط. ثانية، القاهرة بدون تاريخ.
33 ـ الجناوني: أبو زكريا يحيى بن الخير (من علماء القرن الخامس الهجري) **كتاب النكاح**، تقديم وتعليق علي يحيى معمر، ط نهضة مصر، القاهرة 1976/1396.
34 ـ ابن جني: أبو الفتح عثمان بن جني (ت 392 هـ) **المحتسب**. تحقيق علي النجدي ناصف، د. عبد الحليم النجار، د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي. جزءان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة 1386 هـ.
35 ـ الجواليقي: أبو منصور موهوب بن أحمد (ت 540 هـ) **المعرَّب**، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر. ط. ثانية، دار الكتب، القاهرة 1969/1389.
36 ـ ابن الجوزي: أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي (ت 597 هـ) **زاد المسير**. قدّم له ونشره محمد زهير الشاويش، 9 أجزاء. دمشق ط أولى، المكتب الإسلامي 1963/1384.
37 ـ ــ **الوفا بأحوال المصطفى**، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار الكتب الحديثة، القاهرة 1966/1386.
38 ـ الجوهري: إسماعيل بن حماد (ت 393 هـ) **الصحاح**، قدم له وحققه أحمد عبد الغفور عطار. 7 أجزاء، ط. ثالثة، دار العلم للملايين، بيروت 1984/1404.
39 ـ ابن حبان: أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد (ت 354 هـ) **كتاب المجروحين** تحقيق محمود إبراهيم زايد ثلاثة أجزاء، دار الوعي، ط أولى، حلب 1976/1396.
40 ـ ابن حجر: أحمد بن حجر العسقلاني (ت 852 هـ) **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق علي محمد البجاوي، 8 أجزاء. دار نهضة مصر، القاهرة 1963/1383.
41 ـ ــ: **فتح الباري، شرح صحيح البخاري**، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد

الباقي، 13 جزءاً، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.
42 ـ ـــ: هدى الساري، مقدمة فتح الباري، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.
43 ـ ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت 456 هـ) جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون. دار المعارف، القاهرة 1962/1382.
44 ـ ابن حمزة: الشريف إبراهيم بن محمد بن كمال الدين (ت 1120 هـ) البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف، 3 أجزاء. ط. أولى، المكتبة العلمية، بيروت 1980/1400.
45 ـ الحميدي: أبو بكر عبد الله بن الزبير (ت 219 هـ) المسند، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، جزءان، عالم الكتب، بيروت 1382 هـ.
46 ـ ابن خالويه: أبو عبد الله الحسين بن أحمد (ت 370 هـ) إعراب ثلاثين سورة من القرآن، دار ومكتبة الهلال بيروت 1985 م.
47 ـ ـــ: الحجة في القراءات السبع. تحقيق د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق. بيروت 1971 م.
48 ـ الخطّابي: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم (ت 388 هـ) غريب الحديث تحقيق عبد الكريم إبراهيم العزباوي، نشر جامعة أم القرى. في 3 أجزاء ط. دار الفكر. دمشق 1982/1402.
49 ـ ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد، (ت 808 هـ) كتاب العبر. 6 أجزاء. ط ثالثة دار الكتاب اللبناني، بيروت 1963 م.
50 ـ ابن خير: أبو بكر محمد بن خير بن عمر. الأشبيلي، (ت 575 هـ) الفهرست ط. ثانية. مؤسسة الخانجي، القاهرة 1963/1383.
51 ـ الدارقطني: علي بن عمر، (ت 385 هـ) سنن الدارقطني، وبهامشه. المغني علي الدارقطني لأبي الطيب شمس الحق العظيم آبادي، 4 أجزاء. ط. ثانية. عالم الكتب، بيروت 1983/1403.
52 ـ الداني: أبو عمرو عثمان بن سعيد (ت 444 هـ) كتاب التيسير في القراءات السبع عنى بتصحيحه أوتويرتزل. مطبعة الدولة، استانبول 1930 م.
53 ـ أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني (ت 275 هـ) سنن أبي داود، 4 أجزاء مراجعة وضبط محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة بدون تاريخ.
54 ـ الداودي: شمس الدين محمد بن علي (ت 945 هـ) طبقات المفسرين، تحقيق علي محمد عمر، جزءان، ط. أولى، مكتبة وهبة، القاهرة 1972/1392.

55 ـ الدباغ: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد. (ت 699 هـ) معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان. ط. ثانية. الخانجي، 1968 هـ.
56 ـ الدرجيني: أبو العباس أحمد بن سعيد (ت 670 هـ) كتاب طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم طلاي، جزءان، مطبعة البعث، قسنطينة 1974/1394.
57 ـ ابن دريد: أبو بكر محمد بن الحسين (ت 321 هـ) الاشتقاق، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مؤسسة الخانجي، القاهرة 1958/1378.
58 ـ الذهبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت 748 هـ) سير أعلام النبلاء، ج 1، تحقيق صلاح الدين المنجد، ج 2، تحقيق إبراهيم الأبياري، ج 3 تحقيق د. محمد أسعد أطلس ط. دار المعارف القاهرة، 1956 م.
ـــ: سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، 23 جزءاً. ط. ثالثة مؤسسة الرسالة بيروت 1985/1405.
59 ـ ـــ: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي محمد البجاوي، 4 أجزاء، البابي الحلبي، القاهرة 1963/1382.
60 ـ الذهبي: محمد حسين، التفسير والمفسرون، 3 أجزاء، دار الكتب الحديثة، القاهرة 1961/1381.
61 ـ الرازي: فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر (ت 606 هـ) التفسير الكبير، 32 جزءاً، ط. ثالثة، دار إحياء التراث العربي، مصورة المطبعة البهية بالقاهرة، بدون تاريخ.
62 ـ الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد (ت 502 هـ) المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني، ط. البابي الحلبي، القاهرة 1961/1381.
63 ـ الربيع بن حبيب الأزدي الفراهيدي (ت في القرن الثاني الهجري) الجامع الصحيح، مسند الربيع ترتيب أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني، ط. ثالثة، القدس، 1381 هـ.
64 ـ ابن رشد: أبو الوليد محمد بن أحمد (ت 595 هـ) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، جزءان، ط. رابعة، البابي الحلبي، القاهرة 1975/1395.
65 ـ الرضي: الشريف أبو الحسن محمد بن الطاهر (ت 406 هـ) تلخيص البيان في مجازات القرآن. تحقيق محمد عبد الغني حسن، ط. البابي الحلبي 1955/1374.
66 ـ الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله، ود. محمد زغلول سلام. ط. ثانية، دار المعارف، القاهرة 1968/1387.

67 ـ الزبير بن بكار: أبو عبد الله بن أبي بكر (ت 256 هـ) جمهرة نسب قريش وأخبارها تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة دار العروبة، القاهرة 1381 هـ.
68 ـ الزجاج: أبو إسحاق إبراهيم بن السرى بن سهل (ت 316 هـ) إعراب القرآن، تحقيق إبراهيم الأبياري، 3 أجزاء، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة 1963/1382.
69 ـ الزركلي: خير الدين. الأعلام، 10 أجزاء، ط. ثانية ط. كوستا توماس 1954/1374.
70 ـ أبو زكريا: يحيى بن أبي بكر الوارجلاني (ت أوائل القرن السادس الهجري)، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، تحقيق عبد الرحمن أيوب، الدار التونسية للنشر، تونس 1985/1405.
71 ـ الزمخشري: جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (ت 528) أساس البلاغة، جزءان ط. ثانية، دار الكتب المصرية 1972 م.
72 ـ ـــ: الفائق في غريب الحديث، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، 4 أجزاء، ط. ثانية، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.
73 ـ ـــ: الكشاف، ترتيب وتصحيح مصطفى حسين أحمد، 4 أجزاء، ط. أولى، مكتبة الاستقامة 1946/1365.
74 ـ ابن أبي زمنين: أبو عبد الله محمد بن عبد الله المري (ت 399 هـ) مختصر تفسير ابن سلام، مصورة مخطوطة مكتبة القرويين، رقم 34.
75 ـ أبو زيد الأنصاري سعيد بن أوس (ت 215 هـ) كتاب النوادر في اللغة، تحقيق د. عبد القادر أحمد، ط. أولى، دار الشروق، بيروت 1981/1401.
76 ـ أبو زيد القرشي محمد بن أبي الخطاب (ت أوائل القرن الخامس الهجري) جمهرة أشعار العرب، حققه علي محمد البجاوي، جزءان، ط. أولى، دار نهضة مصر 1967/1387.
77 ـ السالمي: نور الدين أبو محمد عبد الله بن حميد بن سلوم (ت 1332 هـ) جوهر النظام صححه وعلق عليه أبو إسحاق إبراهيم اطفيش، المطبعة السلفية، القاهرة 1346 هـ.
78 ـ ـــ: شرح مسند الربيع بن حبيب، 3 أجزاء، نشرته مؤخراً مكتبة الاستقامة بسلطنة عمان، صحح الجزء الثالث وعلق عليه عز الدين التنوخي، دمشق 1963/1383.
79 ـ السجستاني: أبو بكر محمد بن عزيز، (ت 330 هـ)، غريب القرآن، المسمى نزعة القلوب، ط. ثالثة، دار الرائد العربي، بيروت 1982/1402.
80 ـ ابن أبي ستة: أبو عبد الله محمد بن عمرو (ت 1087 هـ) حاشية الترتيب، 6 أجزاء، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان 1982/1402.

81 ـ السرخسي: أبو بكر محمد بن أحمد بن سهل (ت 490 هـ) أصول السرخسي، أبي الوفاء الأفغاني، جزءان، ط. دار الكتاب العربي بمصر 1954/1373.
82 ـ ـــ: شرح كتاب السير الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني، تحقيق صلاح المنجد، 4 أجزاء، نشر معهد المخطوطات العربية، القاهرة 1971 م.
83 ـ سزكين: محمد فؤاد، تاريخ التراث العربي، نقله إلى العربية فهمي أبو الفضل الأول. الهيئة المصرية للتأليف والنشر، القاهرة 1971.
84 ـ السّكّري: أبو سعيد الحسن بن الحسن (ت 275 هـ) شرح أشعار الهذليين، تحة الستار أحمد فراج، 3 أجزاء، مكتبة دار العروبة، القاهرة 1965/1384.
85 ـ ابن السكيت: أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت 244 هـ) إصلاح المنطق، أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، ط ثانية. دار المعارف 1970/1390.
86 ـ ابن سلام: يحيى بن سلام البصري (ت 200 هـ) التصاريف، تقديم وتحقي شلبي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس 1979.
87 ـ السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911 هـ) الإتقان في علوم ا تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، جزءان، ط. أولى، ط. المشهد الحسيني، 1967/1387.
88 ـ ـــ: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، 6 أجزاء، المطبعة الإسلامية، طهران 377
89 ـ ـــ: طبقات الحفاظ، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة 1973/1393.
90 ـ ـــ: طبقات المفسرين، نشر دار الكتب العلمية، بيروت ط. أولى 1983/1403.
91 ـ الشافعي: أبو عبد الله محمد بن إدريس (ت 204 هـ) أحكام القرآن، تقديم محمد زاهد الكوثري وتعليق عبد الغني عبد الخالق، بيروت، دار الكتب ا 1980/1400.
92 ـ ـــ: الرسالة، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، ط. ثانية، مكتبة دار التراث ا 1979/1399.
93 ـ شاكر أحمد محمد (ت 1377 هـ) عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير، 5 أجز المعارف بمصر 1956/1376.
94 ـ شلبي: هند، القراءات بإفريقية من الفتح إلى منتصف القرن الخامس الهجري، العربية للكتاب، تونس 1983 م.
95 ـ الشمّاخي: أحمد بن سعيد، (ت 928 هـ) تحقيق أحمد بن سعيد السيابي، نشـ

التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان، 1987/1407، وكانت الطبعة الأولى حجرية بالقاهرة 1301 هـ.
96 ـ الشوكاني: محمد بن علي بن محمد (ت 1250 هـ) نيل الأوطار. 8 أجزاء. ط. ثانية البابي الحلبي، القاهرة 1952/1370.
97 ـ ابن الصغير: (عاش في أواخر القرن الثالث الهجري) أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق وتعليق د. محمد ناصر وإبراهيم بحاز، الجزائر 1985/1405.
98 ـ ابن الصلاح: أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن (ت 643 هـ) علوم الحديث، تحقيق نور الدين عتر، الناشر، المكتبة العلمية، بيروت 1981/1401.
99 ـ الضبّي: المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر (ت 178 هـ) المفضليات، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة 1964/1383.
100 ـ طالبي. د. محمد. الدولة الأغلبية، نقله إلى العربية. د. المنجي الصيادي، دار الغرب الإسلامي، 1985.
101 ـ الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310 هـ) جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق محمود محمد شاكر، 16 جزءاً، دار المعارف 1374-1954/1388-1968. والأجزاء 13-30، ط. البابي الحلبي القاهرة 1954/1373.
102 ـ ـــ: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط. ثانية، 10 أجزاء دار المعارف، القاهرة 1967/1387.
103 ـ الطرسوسي: أبو أمية محمد بن إبراهيم (ت 273 هـ) مسند عبد الله بن عمر، تخريج الطرسوسي، تحقيق أحمد راتب عرموش، دار النفائس، ط. ثانية، بيروت 1979/1398.
104 ـ ابن عاشور: محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، 15 جزءاً، الدار التونسية للنشر، تونس 1984.
105 ـ ابن عاشور: محمد الفاضل؛ التفسير ورجاله، دار الكتب الشرقية، تونس 1966.
106 ـ ابن عبد البر: أبو عمرو يوسف بن عبد الله (ت 463 هـ) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي بجاوي، 4 أجزاء، مكتبة نهضة مصر، بدون تاريخ.
107 ـ ابن عبد السلام: عز الدين عبد العزيز (ت 660 هـ) الفوائد في مشكل القرآن، تحقيق د. سيد رضوان علي، وزارة الأوقاف، والشؤون الإسلامية، الكويت 1967/1387.
108 ـ عبد الوهاب: حسن حسني، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، ط. ثانية، 3 أجزاء، مكتبة المنار، تونس 1972.

109 ـ أبو عبيد: القاسم بن سلام. (ت 224 هـ) كتاب الأموال، تحقيق محمد خليل هراس، دار الفكر، القاهرة، ط. ثانية 1975/1395.
110 ـ أبو عبيدة: معمر بن المثنى (ت 210 هـ) مجاز القرآن، تحقيق وتعليق د. محمد فؤاد سزكين. الخانجي، القاهرة 1954/1374.
111 ـ أبو العرب: محمد بن أحمد بن تميم (ت 333 هـ) كتاب طبقات علماء إفريقية، تحقيق الشيخ محمد بن أبي شنب، الجزائر 1914/1332.
112 ـ ابن العربي: أبو بكر محمد بن عبد الله (ت 543 هـ)، أحكام القرآن، تحقيق علي محمد البجاوي، 4 أجزاء، ط. أولى، البابي الحلبي، القاهرة 1957/1376.
113 ـ ابن عصفور: أبو الحسن علي بن محمد الأشبيلي (ت 669 هـ)، الممتع في التصريف، تحقيق د. فخر الدين قبادة، جزءان، ط. خامسة، الدارالعربية، بيروت 1983/1403.
114 ـ القاضي عياض: أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض (ت 544 هـ) ترتيب المدارك، تحقيق د. أحمد بكير محمود، دار مكتبة الحياة، بيروت 1965/1385.
115 ـ ابن فارس: أبو الحسن أحمد بن فارس (ت 395 هـ) مجمل اللغة، تحقيق الشيخ هادي حسن حمودي، معهد المخطوطات العربية، 5 أجزاء، ط. أولى، الكويت 1985/1405.
116 ـ الفارسي: أبو علي الحسن بن أحمد. (ت 376 هـ) الحجة في علل القراءات السبع، تحقيق علي النجدي ناصف، د. عبد الحليم النجار، د. عبد الفتاح شلبي، جزءان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1983/1403.
117 ـ الفراء: أبو زكريا يحيى بن زياد (ت 207 هـ) معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار وغيرهما، ثلاثة أجزاء، دار الكتب المصرية 1374-1392/1955-1972.
118 ـ ابن فرحون: برهان الدين إبراهيم بن علي (ت 799 هـ) كتاب الديباج المذهب، ط. عباس بن عبد السلام بن شقرون، القاهرة 1351 هـ.
119 ـ ابن الفرضي: أبو الوليد عبد الله بن محمد (ت 403 هـ) تاريخ رواة العلم بالأندلس، تحقيق عزت العطار الحسيني، القاهرة 1954/1373.
120 ـ القاسمي: محمد جمال الدين (ت 1337 هـ)، محاسن التأويل، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، 10 أجزاء، ط. ثانية، دار الفكر، بيروت 1978/1398.
121 ـ ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت 276 هـ)، تأويل مشكل القرآن، شرح

ونشر السيد أحمد صقر. ط. ثانية، دار التراث، القاهرة 1973/1393.
122 ــــ: **تفسير غريب القرآن**، تحقيق السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت 1978/1398.
123 ــــ: **الشعر والشعراء**، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، جزءان، دار المعارف، القاهرة 1966 م.
124 ــــ: **غريب الحديث**، تحقيق د. عبد الله الجبوري، 3 أجزاء، وزارة الأوقاف بغداد 1977/1397.
125 ــــ: **المعارف**، تحقيق د. ثروت عكاشة. ط. ثانية دار المعارف القاهرة 1969/1388.
126 ـ ابن قدامة: موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد (ت 620 هـ) **المغني**، 12 جزءاً + جزءان من معجم الفقه الحنبلي، دار الكتاب العربي، بيروت 1983/1403.
127 ـ القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت 671 هـ) 20 جزءاً، ط. ثالثة مصورة عن ط. دار الكتب المصرية، دار الكاتب العربي، القاهرة 1967/1387.
128 ـ قطب: سيد (توفي 1966 هـ) **في ظلال القرآن**. 8 مجلدات، ط. خامسة دار إحياء التراث العربي، بيروت 1967/1886.
129 ـ القفطي: الوزير جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت 646 هـ) **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، 4 أجزاء، دار الكتب المصرية 1950/1369.
130 ـ ابن قيم الجوزية: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر (ت 751 هـ) **أعلام الموقعين عن رب العالمين**، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، 3 أجزاء، دار الكتب الحديثة. القاهرة 1969/1389.
131 ــــ: **الأمثال في القرآن الكريم**، تحقيق سعيد محمد نمر الخطيب، ط. ثانية، دار المعرفة، بيروت 1983/1403.
132 ـ ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير، (ت 774 هـ) **تفسير القرآن العظيم**، 7 أجزاء، ط. ثانية، دار الفكر، بيروت 1970/1389.
133 ـ الكرماني: محمود بن حمزة بن نصر (من علماء القرن السادس الهجري) **البرهان في متشابه القرآن، أو أسرار التكرار في القرآن**، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة 1974/1394.
134 ـ ابن الكلبي: أبو المنذر هشام بن محمد (ت 204 هـ) كتاب الأصنام، تحقيق الاستاذ

أحمد زكي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة 1965/1384.
135 ـ اللواتي: لوّاب بن سلّام بن عمر (عاش أواخر القرن الثالث الهجري) بدء الإسلام وشرائع الدين، تحقيق الشيخ سالم بن يعقوب وق شفارتز، دار اقرأ، بيروت 1985/1405.
136 ـ ابن ماجة: أبو عبد الله محمد بن يزيد (ت 275 هـ) السنن، تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي، مجلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1975/1395.
137 ـ مالك بن أنس، أبو عبد الله (ت 179 هـ) الموطأ، منشورات دار الآفاق الجديدة. ط. ثانية، بيروت 1981/1401.
138 ـ ابن مالك: محمد بن عبد الله بن مالك الجياني (ت 672 هـ) إكمال الإعلام بتثليث الكلام تحقيق ودراسة سعد بن حمدان الغامدي، جامعة أم القرى. مكة المكرمة 1984/1404.
139 ـ المباركفوري: أبو العلي محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم (ت 1253 هـ) تحفة الأحوذي، شرح جامع الترمذي، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، 11 جزءاً، دار الفكر. ط. ثالثة 1979/1399.
140 ـ مجاهد: أبو الحجاج مجاهد بن جبر (ت 103 هـ) تفسير مجاهد، تحقيق عبد الرحمن الطاهر بن محمد السورتي، مجمع البحوث الإسلامية، إسلام آباد، باكستان. ط. مطابع الدوحة، قطر 1976/1396.
141 ـ المجدوب: عبد العزيز، الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية، الدار التونسية للنشر، تونس 1975/1395.
142 ـ المروزي: أبو بكر أحمد بن علي بن سعيد (ت 292 هـ) مسند أبي بكر الصديق، تحقيق وتعليق شعيب الأرناؤوط، ط. ثالثة، المكتب الإسلامي، بيروت 1399 هـ.
143 ـ المزاتي: أبو يعقوب يوسف بن خلفون (من علماء القرن السادس الهجري) أجوبة ابن خلفون تحقيق وتعليق د. عمرو خليفة النامي، دار الفتح، بيروت 1974/1394.
144 ـ مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج (ت 261 هـ) صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، 5 أجزاء، ط. دار الفكر، ببيروت 1983/1403.
145 ـ معمر علي يحيى (ت 1400 هـ) الإباضية في موكب التاريخ، الحلقة الأولى والثانية، 3 أجزاء، مكتبة وهبة 1964/1384، الحلقة الثالثة، دار الثقافة، بيروت 1966/1385، الحلقة الرابعة، غرداية. الجزائر، المطبعة العربية، 1985/1405.
146 ـ المفضل بن سلمة، أبو طالب (ت 290 هـ) الفاخر، تحقيق عبد الحليم الطحاوي

ومحمد علي النجار، ط. البابي الحلبي، القاهرة 1960/1380.
147 ـ المنذري: زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي، (ت 656 هـ) **الترغيب والترهيب** تعليق مصطفى محمد عمارة، 4 أجزاء، ط. ثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1969/1388.
148 ـ ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711 هـ) **لسان العرب**، 15 جزءاً دار صادر، ببيروت 1968/1388.
149 ـ الميداني: أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري (ت 518 هـ) **مجمع الأمثال**، جزءان، ط. ثانية، دار مكتبة الحياة، بيروت.
150 ـ النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت 303 هـ) **سنن النسائي** شرح الحافظ جلال الدين السيوطي، 8 أجزاء، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
151 ـ النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 733 هـ) **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 22 جزءاً، ط. دار الكتب المصرية، ابتداء من 1935 م.
152 ـ ابن هشام: أبو محمد عبد الملك بن هشام (ت 218 هـ) **السيرة النبوية**، تحقيق مصطفى السقا إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، 4 أجزاء، ط. ثالثة، البابي الحلبي، القاهرة 1955/1375.
153 ـ ابن هشام: أبو محمد عبد الله جمال الدين، (ت 761 هـ) **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، بدون تاريخ.
154 ـ الواحدي: أبو الحسن علي بن أحمد (ت 487 هـ) **أسباب نزول القرآن**، تحقيق السيد أحمد صقر، دار الكتاب الجديد، ط. أولى، القاهرة 1969/1389.
155 ـ الواقدي: محمد بن عمر بن واقد (ت 207 هـ) **كتاب المغازي**، تحقيق د. مارسدن جونس، ط. ثالثة، 3 أجزاء، عالم الكتب، بيروت 1983/1404.
156 ـ أ. ي. ونسنك: **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي**، بمشاركة محمد فؤاد عبد الباقي، دار الدعوة باستانبول، ودار سحنون بتونس 1987/1987.
157 ـ ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت 626 هـ) **معجم البلدان**، 5 أجزاء، مكتبة صادر، بيروت 1979/1399.
158 ـ يحيى بن آدم بن سليمان القرشي أبو زكريا (ت 203 هـ) **كتاب الخراج**، تحقيق وشرح الشيخ أحمد محمد شاكر. المطبعة السلفية. ط. ثانية. القاهرة 1384 هـ.
159 ـ أبو يوسف: يعقوب بن إبراهيم بن حبيب القاضي (ت 182 هـ) **كتاب الخراج**، تحقيق وتعليق د. محمد إبراهيم البنا، دار الإصلاح، القاهرة 1981.

فهرس الجزء الرابع

دار الغرب الإسلامي
بيروت - لبنان
لصاحبها الحبيب اللمسي
شارع الصوراتي (المعماري) - الحمراء - بناية الأسود
تلفون 340131 - 340132 - ص . ب . 5787 - 113 بيروت - لبنان
DAR AL-GHARB AL-ISLAMI - B P .113-5787 - Beyrouth - Liban

الرقم 90/10/3000/158
التنضيد : كومبيوتايب / بيروت
الطباعة مؤسسة جواد للطباعة والتصوير